



الادارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر

قبل أن يأتى الغرب ...

الحركة العلمية فى مصر فى القرن السابع عشر



٦٥

ناصر عبدالله عثمان

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

قبـل أن يـأتـى الغـرب...

الحركة العلمية فى مصر فى القرن السابع عشر



قبل أن يأتى الغرب...

الحركة العلمية فى مصر فى القرن السابع عشر

تأليف

ناصر عبدالله عثمان

الطبعة الثانية



(١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبدالناصر حسن

عثمان، ناصر عبدالله.

الحركة العلمية فى مصر فى القرن السابع عشر/
تأليف ناصر عبدالله عثمان. . ط ٢ . . القاهرة: دار الكتب
والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز
تاريخ مصر المعاصر، ٢٠١٢.

٤٠٠ ص ؛ ٢٤ سم.

فى رأس العنوان: قبل أن يأتى الغرب...

تدمك 6 - 0929 - 18 - 977 - 978

١ - العلوم . تاريخ .

٢ - مصر . الجمعيات والمؤسسات العلمية .

أ - العنوان

٥٠٩

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٢/١٦٧٤٦

I.S.B.N. 978 -977 - 18 - 0929 - 6



دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر

مصر النهضة



سلسلة دراسات علمية فى تاريخ
مصر الحديث والمعاصر

الآراء الواردة بالنص لا تعبر عن رأى هيئة التحرير ولكن تعبر عن رأى المؤلف

أسس هذه السلسلة
أ.د. يونان لبيب رزق
عام/ ١٩٨٣

للمراسلات / مركز تاريخ مصر المعاصر/ دار الكتب والوثائق القومية/ كورنيش النيل . رملة بولاق.

إهـــداء

إلى الروح التى زرعت حبا ...

فحصدناه بين الناس حبا ...

إلى روح أبى

تقديـــــم

حتى بداية السبعينيات من القرن الماضى كانت الصورة التى قدمها لنا الرعيل الأول من المؤرخين عن مصر تحت الحكم العثماني (١٥١٦ ـ ١٧٩٨) صورة قاتمة، تسمها بالفوضى والقلاقل والتدهور والتخلف خاصة فى أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، وظلت أجيال المؤرخين تتناقل هذه الصورة، بتنويعات مختلفة، لكنهم جميعاً يصورون هذا العصر على أنه كان عصر انحطاط وتدهور وظلم واستبداد...

ويمكننا أن نعزى هذه الصورة إلى عوامل عديدة: منها أن العقود الأخيرة للحكم العثماني ـ المملوكى، قبل أن ياتى الغرب، شهدت أزمات وصراعات سياسية وعسكرية شديدة، كما عانى الناس من المجاعات والأوبئة وظلم الحكام. وقد استطاع الفرنسيون استخدام هذه الصورة لتبرير وجودهم وسياستهم فى مصر، ومنها أن بعض الكتاب روجوا لهذه الصورة لتدعيم اعتقادهم بأن الأخذ بالنموذج الأوربى فى السياسة والإقتصاد والثقافة هو الأمل الوحيد للتقدم والنهضة. ومنها كذلك فقر المصادر التاريخية لهذا العصر، والتى كادت أن تنحصر فى كُتاب الحوليات ، فلم تكن المصادر الأرشيفية من مخطوطات ووثائق المحاكم الشرعية، وحجج الأوقاف وغيرها.. قد كشفت عن مصادر خطيرة ومهمة تجلو لنا مختلف جوانب هذا العصر، ومن هذه العوامل أيضاً أن الذين صوروا ذلك العصر بتلك الصورة السلبية كانوا ينظرون إليه بعيون ومفاهيم القرن التاسع عشر ومعاييره ومنجزاته، وليس في سياق ذلك العصر ومعطياته...

وهكذا، صار هذا العصر أشبه بفترة جاهلية سبقت النهضة التى جاءت مع الغرب، هكذا أطلق على عصر دام ثلاثة قرون حكماً عاماً دون تمحيص أو مراجعة. وبدا واضحاً أن اصحاب هذا الاتجاه لم ينظروا إلى هذه الحقبة من خلال السياق التاريخي للأحداث، فى تدفقها واستمراريتها وديناميتها، بل نظروا إليها بإعتبارها حقبة راكدة ومنفصلة عما أعقبها فى القرن التاسع عشر، الذى أتى فيه الغرب بحضارته في شكل حملة فرنسية غازية، أو ذهبت مصر إليه في ظل مشروع محمد على للنهضة... رغم أن نهر التاريخ لايتوقف، حتى وإن بدا سطحه راكداً.

غير أن هذه النظرة لم تلبث أن اهتزت وبدأت تخضع للنقد والمراجعة منذ بداية السبعينيات من القرن العشرين على يد جيل جديد من المؤرخين والدارسين الأكاديميين، على رأسهم أندريه ريمون وعبد الرحيم عبد الرحمن وليلى عبد اللطيف وبيتر جران ونيللى حنا وغيرهم من أجيال الباحثين المهتمين بدراسة مصر تحت الحكم العثمانى، ممن بدأت كتاباتهم تجلوا لنا صورة جديدة، جد مختلفة عن هذه الحقبة، ليس بالضرورة أن تكون صورة مشرقة ، لكنها أدت إلى اهتزاز الصورة الأولى ، وكشفت عن قصور مصادرها، وفساد تعميماتها، وخضوعها لسيطرة فكرة المركزية الاوروبية، فجاءت الدراسات الجديدة بمعلومات وفيرة وآراء جديدة، أكثر دقة وموضوعية، نبهتنا إلى ضرورة إعادة اكتشاف وجه مصر خلال هذه القرون الثلاثة...

والأهم من ذلك أن هذه الدراسات أثارت قضية علاقتنا بالغرب فى شأن النهضة والحداثة، وهل كانت مصر تسير سيراً طبيعيا ومضطرداً نحو التطور والتقدم قبل مجىء الغرب ؟ أم أنها لم تلج أبواب العصر الحديث إلا بسببه؟ وهل كانت بسبيلها لأن تنجز عملية التحديث بنفسها وبقدراتها الذاتية وأن الغرب قطع عليها تطورها الطبيعى أم أنها مدينة للغرب في تطورها ونهضتها؟

والحاصل أن كثيراً من الدراسات الأكاديمية الحديثة قدمت إسهامات جادة كشفت عن جوانب عديدة ومختلفة من الحياة الإقتصادية والإجتماعية لمصر خلال الحكم العثمانى لها، كسرت حاجز المركزية الأوروبية، الذى روجت له النظرة الإستشراقية لتاريخ مصر خلال هذا العصر وكشفت عن جوانب خصبة من التطور والتقدم والحيوية الذاتية ... ومع ذلك فالقضية مازالت مطروحة للنقاش وتحتاج مزيداً من الدراسات الجادة والإجتهادات الموضوعية فى التفسير والتأويل... وما هذا الكتاب الذى بين أيدينا إلا شهادة عن الحركة العلمية والفكرية فى مصر خلال القرن السابع عشر، تصب فى هذه القضية من زاوية: هل عرفت مصر نهضة علمية وفكرية حقيقية وجادة قبل مجىء الغرب؟

لن استبق الكاتب إلى عقول قرائه على كل حال، لكننى أود التأكيد على أن مؤلفه ناصر عبدالله عثمان الباحث بمركز تاريخ مصر المعاصر، قدم بهذا الكتاب مساهمة

علمية رصينة فى هذه القضية، وأن دراسته هذه، المستمدة من أطروحة علمية نال بها درجة الماچستير تمثل عملاً علمياً جاداً وموثقاً ، يكشف عن جوانب مهمة من التاريخ العلمى والثقافى فى مصر تحت الحكم العثماني ، بل والتاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة.

لقد نجح ناصر عثمان في تسليط ضوء العلم على الحركة العلمية والفكرية، فدرس مجتمع العلماء ومكانتهم وعلاقتهم بالطبقة الحاكمة وبالمحكومين كما درس دور المؤسسات التعليمية جميعاً، وعلى رأسها الأزهر بطبيعة الحال، كذلك عالج نظم الدراسة والمناهج، بالإضافة إلى تناوله مختلف الجهود العلمية والنتاج الفكرى سواء فى مجال العلوم الدينية، وعلوم اللغة، والعلوم الإجتماعية، أو فى مجال العلوم العقلية كعلم الكلام والفلسفة والمنطق، والفلك والرياضيات، وعلوم الطب والحيوان والكيمياء، بل والموسيقى وغيرها...

وقد استطاع المؤلف الشاب أن يستفيد على نحو كبير من المصادر الإرشيفية للعصر وعلى رأسها الوثائق غير المنشورة كالحجج الشرعية ودفاتر الرزق وسجلات المحاكم الشرعية المختلفة، كما اعتمد على دراسة كم هائل من المخطوطات التى أنتجها العلماء، فضلاً عن كتب التراجم، وأجاد توظيف ذلك كله لإجلاء طبيعة وأهمية الحركة العلمية خلال هذه الفترة، وقدم لنا عملاً علمياً على درجة كبيرة من الأهمية يشكل إضافة جادة وجديدة لتاريخ مصر وتاريخ نهضتها.

والله ولى التوفيق،،

رئيس التحرير

أ.د. أحمد زكريا الشلّق

يوليو ٢٠٠٦

المقدمة

إن المقياس الصائب لحضارات الأمم إنما هو العلم . والأمم الواعية تحافظ على تراثها كما تحافظ على نهضتها وحضارتها ، وقد عاشت مصر عصورا من الازدهار العلمى والحضارة الراسخة ما أذن الله تبارك وتعالى لها، وتمثل ذلك في العصور الإسلامية الزاهرة حتى نهاية العصر المملوكى وعندما دخل العثمانيون مصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) تأثرت الحياة المصرية بما طرأ عليها من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية منذ ذلك الحين .

ولقد صرفت الدراسات المعنية بتاريخ مصر العثمانية معظم اهتمام الباحثين إلى تفاعلات السياسة وظروفها ومؤثراتها وتأثيراتها ، وعناصر التركيبة الإدارية والاقتصادية وهياكلها ، وقطعت في هذا الاتجاه شوطا لا بأس به ، وكان ذلك على حساب الاهتمام بالمجتمع في مصر العثمانية وحظوظه من التحضر والتخلف . وإن كانت ثمة بعض الدراسات قد اهتمت بدراسة النواحى العلمية في مصر العثمانية إلا أن هذا الأمر لم يتناول فترة القرن ال ١٧ م . الذى لم يحظ بدراسات كثيرة مستقلة ليس في مجال العلم فحسب ، بل في شتى ألوان الكتابة في التاريخ بكافة صوره . ومن ثم يعد هذا القرن من أكثر الحقب في تاريخ مصر غموضا بسبب ندرة الدارسات عن هذه الحقبة . بالإضافة إلى التعميمات الواسعة التى غرق فيها الكثيرون ممن اتخذوا في دراساتهم فترة الثلاثة قرون كإطار تاريخى . مما أدى إلى عدم وضع القرن الـ١٧ م في سياق واضح بالنسبة للقرن الـ١٦ م. أو الـ١٨ م الأمر الذى أعتبر من أهم أسباب اختيارى لهذا الموضوع في تلك الفترة . معترفا في الوقت نفسه أن إقدامى على مثل هذا الأمر يعد محاولة متواضعة لمعرفة هذه الحقبة التاريخية .

ومن الأسباب الهامة التى دفعتنى لاختيار هذا الموضوع في تلك الفترة - أيضا محاولة الرد على المزاعم التى تدعى بأن شعلة العلم قد انطفأت تماما في مصر والدول العربية تحت ظل الدولة العثمانية ، ومما جذبنى إلى هذا الموضوع أيضا ما احتواه مضمونه وهو العلم ، فكم لهذا المضمون من هدف تهفو إليه القلوب . لما فيه من معان سامية يرقى بها الجنس البشرى عامة ، إلى الحد الذى أصبح من أهم العوامل والمقومات التى تقاس بها الأمم والشعوب من حيث قوتها وعظمتها . وأفضليتها على الأمم الأخرى .

ودراسة هذا الجانب الهام من النواحى العلمية والفكرية يتطلب بالضرورة الإطلاع على أعمال علماء تلك الفترة وأهم ما أنتجوه في مختلف العلوم ، وهو ما يمثل في حد ذاته أهم العقبات التى واجهت الباحث في إعداد هذه الدراسة . وذلك لأن معظم تلك الأعمال ـ إن لم يكن جميعها ـ ما زالت مخطوطات ولم تر النور .

وضمن ما واجهنى من صعوبات في إعداد هذه الدراسة ما اتسمت به الوثائق من خط يصعب قراءته بسهولة ، الأمر الذى كان يحتاج إلي كثير من الجهد في قراءته ، علاوة على ما تحتاجه الوثائق من صبر ومثابرة حتى يعثر الباحث على ما يعنيه في موضوع بحثه.

وقد حاولت تغطية هذا الموضوع من خلال تمهيد وستة فصول وخاتمة.

فالتمهيد يقدم قراءة لأهم المتغيرات الفكرية والسياسية التى طرأت على العالم الإسلامى قبل العصر العثماني ومدى تأثير هذه المتغيرات على سير الحركة العلمية خلال ذلك العصر بصفة عامة ، والقرن الحادى عشر الهجرى (ال١٧ م) بصفة خاصة إضافة إلى قراءة سريعة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى عاصرت فترة الدراسة وتأثير ذلك ـ أيضا ـ على سير الحركة العلمية بها .

وأما الفصل الأول فيناقش عددا من الجوانب ذات الصلة الوثيقة بمجتمع العلماء . كالوضع الاقتصادى لهم وذلك من خلال الوظائف التى تولوها حينذاك ، أو ممارسة بعض الأنشطة الاقتصادية الأخرى كالتجارة والزراعة ، وكيفية استثمارهم للممتلكات التى كانت لديهم . كذلك التعرض لمحيطهم الاجتماعى من حيث علاقاتهم ومكانتهم الاجتماعية ، ومن ثم علاقاتهم بالشعب والحكام ـ وعلاقاتهم فيما بينهم ، وعلاقاتهم بالطلبة ، والتعرض لحياتهم الاجتماعية من حيث المصاهرات فيما بينهم ، أو مع مختلف طوائف الشعب ، هذا إلى جانب التعرض لأهم المشاركات السياسية التى شارك فيها العلماء ، والدور الذى لعبوه في الوقوف مع أفراد مجتمعهم حيال الطبقة الحاكمة . ومن خلال كل هذا سوف تكشف الدراسة إلى أى مدى ألتزم علماء ذلك القرن بما يتوافق مع العلم من مبادئ وقواعد .

ويتناول الفصل الثاني دراسة المؤسسات التعليمية بمصر ، بدءا من مؤسسات التعليم الأولى (من كتاتيب وزوايا) ، وحتى مؤسسات التعليم العالي (من مساجد

ومدارس وما لحق بها من مكتبات) وتتميما للفائدة فقد قسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث : الأول عن المؤسسات التعليمية داخل القاهرة ، الثاني المؤسسات التعليمية بالأقاليم ، وفي كل سوف تحاول الدراسة توضيح دور المجتمع وجهوده في المحافظة على المؤسسات التعليمية ، والنهوض بها وإنشاء الجديد منها ، والإشارة إلى تعليم المرأة وتعليم أهل الذمة . والثالث عن الأزهر باعتباره المؤسسة الجامعة آنذاك . وتوضيح بعض النقاط ذات الصلة الوثيقة به ، كالإشارة إلى من تولى منصب شيخ الأزهر إبان تلك الفترة . ونظم الدراسة والمناهج التعليمية التى كانت تدرس به ، ودوره في احتفاظ مصر بالريادة العلمية بين أقطار العالم الإسلامى آنذاك.

وبداية من الفصل الثالث وحتى السادس سوف تبرز الدراسة الجهود الفكرية لعلماء فترتها في العديد من العلوم ، فالفصل الثالث يتناول جهود العلماء في العلوم الدينية ـ من تفسير ، وحديث ، وقراءات وتجويد ، وفقه على المذاهب الأربعة ـ وما كانت تمثله هذه العلوم من اهتمامات هؤلاء العلماء وكيفية تناولهم لها . واهم القضايا التى تناولتها أقلام المعنيين بالدراسات الفقهية منهم ، والجديد الذى أتوا به في تلك الدراسات . وغير ذلك من الأمور الأخرى .

وأما الفصل الرابع فيوضح جهود علماء تلك الفترة في العلوم اللغوية ـ من نحو وصرف ، وفقه لغة ، وبلاغة ، وأدب وشعر ـ وبيان أنها كانت تحتل المرتبة الثانية ـ بعد العلوم الدينية ـ من اهتمامات هؤلاء العلماء ، وأهم الأشكال أو الصور التى جاءت عليها كتاباتهم ، وتوضيح أسلوب أو " ذوق " المدرسة المصرية في تفهم العلوم اللغوية بصفة عامة . وأثر ذلك على علماء فترة هذه الدراسة في التعامل مع هذه العلوم .

وأما الفصل الخامس فقد عنى بتوضيح جهود علماء تلك الفترة في العلوم العقلية ـ من علم كلام ، وفلسفة ، ومنطق . وفلك ، ورياضيات ، وطب ، وأوفاق وزيراجا وحرف ، وحيوان ، وكيمياء ، وموسيقى ـ ومكانة هذه العلوم من اهتمامات هؤلاء العلماء ، وأى من هذه العلوم نال مساحة أكبر من هذه الاهتمامات ، وما إذا كانت تلك الفترة قد شهدت العديد من المتخصصين في هذه العلوم وقيمة ما وضعوه من أعمال فيها . بالإضافة إلى ما إذا كانت تلك الفترة قد شهدت بعض المشاركين في العلوم المذكورة أملا.

وأما الفصل السادس فقد خص الحديث عن جهود هؤلاء العلماء في العلوم الاجتماعية ـ التاريخ والجغرافيا ـ متناولا هذه الجهود في الكتابات التاريخية بأقسامها الثلاث : السير والمغازى ، والتراجم ، الكتابات التاريخية التقليدية ، وتوضيح ما إذا كانت تلك الكتابات قد شهدت ـ حينذاك ـ حالة من البحث والإحياء أم لا ، والأسلوب أو "الفلسفة " التى سار عليها علماء تلك الفترة في كتاباتهم التقليدية وأهمية تلك الكتابات في تسجيل فترة هامة من تاريخ مصر ، هذا بالإضافة إلى جهود هؤلاء العلماء في الكتابات الجغرافية وما اتسمت به من قوة أو ضعف .

أما الخاتمة فقد تناولت أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج .

وقد اعتمدت الدراسة على مصادر متعددة يأتى في مقدمتها سجلات المحاكم الشرعية التى تعد من أهم وأغنى " الأرشيفات " التاريخية رصدا لوقائع الحياة اليومية بمختلف مظاهرها الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والتجارية والثقافية والتى تنفى الاعتقاد الشائع بأننا لا نمتلك مصادر أصلية عن تاريخنا الاجتماعى والاقتصادى قبل القرن التاسع عشر .

فقد أفادتنى هذه السجلات كثيرا بما احتوته من وثائق متضمنة الكثير من تفاصيل المحيط الاجتماعى للعلماء ، وتفاعلهم مع مجتمعهم ، وما مارسوه من أنشطة اقتصادية ، وغير ذلك الكثير مما يتعلق بهذا الأمر هذا بالإضافة إلى ما أمدتنى به من معلومات في غاية الأهمية والدقة عن المؤسسات التعليمية ـ بكافة أنواعها ـ من حيث الموارد المالية التى كان ينفق منها عليها ، ودور أفراد مجتمع تلك الفترة في رصد أموالهم على تلك المؤسسات والمحافظة عليها . وما تم إنشاؤه من مؤسسات خلال تلك الفترة سواء كان ذلك بالقاهرة أو بالأقاليم . هذا بخلاف الإشارة إلى ما كانت تتمتع به هذه المؤسسات من مكتبات غنية بالكثير من الكتب . واهتمامات أفراد المجتمع الثقافية ، وذلك بحرصهم على شراء الكتب وتكوين المكتبات الخاصة . ومثل هذا وأكثر، وما كان لي أن أشير إليه دون الرجوع إلى تلك السجلات

أيضا اعتمدت الدراسة على المصادر المخطوطة والتى تعد من نتاج علماء فترة هذه الدراسة في مختلف العلوم ، سواء كانت دينية أو لغوية أو عقلية أو اجتماعية . وقد أفادتنى هذه النوعية من المصادر في معرفة أهم القضايا التى كانت تشغل فكر علماء تلك الفترة . ومنهجية هؤلاء العلماء عند شروعهم في كتابة هذه الأعمال هذا بخلاف الوقوف على صحة الأقوال التى ترددت حول أعمال هؤلاء العلماء من أنها اتسمت بالسطحية وإعادة النسخ أو التكرار لأعمال السابقين .

ومما أفادني كثيرا من هذه المصادر ، الإجازات ـ التى أعطاها علماء تلك الفترة لطلابهم ـ وذلك بما أمدتنى به من معلومات قيمة عن اهتمام العلماء بالإسناد . وحرصهم على التثبت من صحة ما يتلقونه من تعليم ، هذا بالإضافة إلى معرفة العلوم التى كانت تدرس آنذاك .

ومن المصادر الهامة أيضا التى أفادتنى كثيرا في هذه الدراسة . كتب التراجم ويأتى على رأسها كتاب المحبى (خلاصة الأثر) ـ مطبوع ـ و(فوائد الارتحال) للحموى ـ مخطوط ـ ، وكتابى الخفاجى (خبايا الزوايا) ـ مخطوط ـ و (ريحانة الألبا) ـ مطبوع ـ ، وذلك لما احتوته هذه الأعمال من تراجم وتفاصيل في غاية الأهمية لعلماء فترة الدراسة ، ومما يزيد من أهمية هذه الأعمال أنها كانت معاصرة لتلك الفترة .

ومن المصادر الهامة التى اعتمدت عليها الدراسة أيضا كتاب " كشف الظنون " لحاجى خليفة ـ وذلك لما يسره لي من معرفة الأعمال التى عنى علماء ـ فترة الدراسة ـ بإعادة إنتاجها ، وإلى أى العلوم تنتسب ، إضافة إلى ما تضمنه هذا الكتاب من تقديم ما احتوته تلك الأعمال من موضوعات . هذا بخلاف الكثير من المصادر والمراجع العربية والمعربة الأخرى .

وإذا كنت قد أصبت في هذه الدراسة فإنما يرجع الفضل في ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، ثم إلى أستاذى الأستاذ الدكتور مالك أحمد رشوان ، حيث كان سيادته لي بمثابة المرشد والموجه طوال فترة البحث فما من لقاء معه إلا وكانت هناك إفادة علمية وإضافة لم أعرفها من قبل، وممن أدين لهم بالفضل ايضا كل من أستاذىّ الدكتور حسين هنيدى

والدكتور سعيد رزق حجاج بما كان لأرائهما الكثير من الاضافات لهذه الدراسة، كذلك أتوجه بخالص االشكر والعرفان إلى الدكتور محمد صابر عرب لأحتضانه ورعايته، وللدكتور أحمد زكريا الشلّق لتشجيعه وتحمسه لنشر هذه الدراسةكما يقتضينى الواجب أن أتوجه بكل الشكر إلى كلاً منَ العالمين المفكرين الدكتور رؤوف عباس ، والدكتور نيللى حنا بما كان لتوجيهاتهما الأثر الكبير فى بناء هذه الدراسة.

كما أتوجه بخالص الشكر إلى السادة العاملين بأرشيف دار الوثائق القومية ، وبقاعة المخطوطات بدار الكتب المصرية، وفي النهاية لا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أهلى (والدى واخوتى) الذين تحملوا الكثير من المتاعب في سبيل مساعدتى وتوفير المناخ المناسب لإتمام هذه الدراسة . وأنا على يقين تام من أننى مهما أسهبت في عبارات المدح والاعتراف بالجميل ما وفيتهم ولو جزء بسيط من حقهم ، ولذا لا أملك إلا أن أرجو ربى أن يحقق لهم ما يأملونه فيَّ .

وعلى الله قصد السبيل

ناصر عبد الله عثمان

تمهيد

من المفيد لنا قبل الخوض في الحديث عن الحركة العلمية أن نلقى الضوء على أهم المتغيرات التى طرأت على العالم الإسلامى العربى قبل حلول القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) . ومعرفة ما تركته تلك المتغيرات من تأثيرات على الحركة العلمية خلال فترة دراستنا . وبما أن الحركة العلمية تتأثر بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية . لذا رأت الدراسة أنه من الأفضل إلقاء إطلالة سريعة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى عاصرت تلك الفترة . ومدى تأثير تلك الأوضاع على الحركة العلمية .

عودة للوراء .

فلو عدنا للوراء قليلا إلى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) لوجدنا أن هذا القرن قد صحبته الكثير من المتغيرات التى كانت لها أياد واضحة في تشكيل صورة الحركة التأليفية في كثير من العلوم - في القرون التالية - وبخاصة فترة العصر العثماني . ويأتى على رأس تلك المتغيرات قيام علماء ذلك القرن باختصار ما دون في الكثير من كتب العلوم المختلفة كعلوم الفقه وأصوله والتفسير والنحو والبيان ، والمنطق ، وغير ذلك من العلوم . وكان من فرسان هذا الميدان كل من الإمام الفخر الرازى (١)، وابن الحاجب (٢). وابن مالك (٣). ومما لاشك فيه أن إقدام هؤلاء العلماء على تلخيص أفكار المتقدمين - في تلك العلوم - واختصارها كان له نتائجه السلبية على طلبة العلم المنتفعين بتلك العلوم . ومن هنا رأينا ابن خلدون يشير إلى ذلك الأمر ، ونتائجه السيئة على طلبة العلم قائلا : " ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ، ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة في ذلك الفن، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسرا على الفهم ، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان ، فاختصروها تقريبا للحفظ . كما فعله ابن الحاجب من الفقه، وأصول الفقه ، وابن مالك في العربية ، والخونجى في المنطق، وأمثالهم . وهو فساد في التعليم ، وفيه إخلال بالتحصيل وذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه ،

وهو لم يستعد لقبولها بعد . وهو من سوء التعليم كما سيأتى ، ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم وتزاحم المعاني عليها، وصعوبة استخراج المعاني من بينها " (٤). وقد كان ضمن التبعات التى ترتبت على هذا الأمر . أن كل من جاء خلف هؤلاء العلماء وضعوا تلك المختصرات نصب أعينهم فقضوا معظم أوقاتهم واستنزفوا جل جهدهم في شرحها وتبسيطها للمنتفعين بالعلوم التى احتوتها . هذا بخلاف ما يحمله هذا الأمر من مؤشر قوى وهو بداية تقلص الينابيع الفكرية منذ ذلك الحين .

ومن المتغيرات الهامة التى طرأت على العالم الإسلامى خلال ذلك القرن ـ السابع الهجرى الـ ١٣م ـ وكان لها عظيم الأثر على الحركة التألفية فيما تلاه من فترات . ما حدث في عام ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) . من سقوط بغداد في أيدى التتار ، وما فعله أولئك الطغاة بتلك المدينة الإسلامية العظيمة من الويل والدمار . وعاثوا فيها فسادا وإتلافا . وانهالوا على علمائها قتلا وإزهاقا . ولم يقتصروا على إزهاق الأرواح بل راحوا ينتقمون من الكتب والمؤلفات ـ وهى تراث الأجيال السابقة والأزمنة المتقدمة ـ فالقوا بهذه الكتب كلها في نهر دجلة . فقضوا بهذا العمل على بغداد قضاءً أدبيا وسياسيا . ثم أتى تيمورلنك في أواخر القرن السابع الهجرى ـ فذهب بالبقية الباقية من هذه المدينة البائسة، وتركها الناس تختصر بين يدى الطاغية ، وفروا بحياتهم إلى مصر وقد وقف سلاطينها يومئذ وقفتهم المشهورة ضد التتار . وأثبتوا للعالم الإسلامى أن انهزام هؤلاء الطغاة أمر ميسور وأن إنقاذ الحضارة الإسلامية من هجماتهم أمر غير عسير (٥).

وفتحت مصر أبوابها للوافدين من العلماء والأدباء والفضلاء . فكثرت الرحلة من هؤلاء إلى البلد الذى جمع سكانه بين الكرم ، والشجاعة . واستطاع أمراؤه وحكامه أن يدرأوا عنه خطر هذه الغارة التى بلغت حدها من التوحش والقسوة والشناعة . وهناك في مصر أمن العلماء على نفوسهم . وراحوا يلتفتون إلى واجبهم الذى أوحت به ظروفهم . فاتجهت نيتهم إلى إنقاذ الثقافة الإسلامية من مخالب الجهل والوحشية . وذلك بجمع المواد التى تتألف منها هذه الثقافة في كتب كثيرة على شكل موسوعات عظيمة لا تدع صغيرة ولا كبيرة من مواد هذه الثقافة إلا أحصتها (٦).

ولما كانت الموسوعات قد أحصت كافة جوانب الثقافة الإسلامية ، وأضحى ذلك النظام التصنيفى سائدا في العصر المملوكى ، لنا نتساءل إذا هل رسم هذا النظام لعلماء العصر العثماني فلسفة تأليفيه معينة ؟ أم لا

وللإجابة على مثل هذا السؤال يمكن القول أن الناظر في التراث العلمى الذى خلفه علماء العصر العثماني ، ليلمس بوضوح تلك النظرة التى نظرها علماء ذلك العصر للتراث الذى خلفه السابقون ، حتى انهم اعتبروا أن فهم ذلك التراث والاشتغال بتفهيمه للطلبة خير من الإقدام على التأليف . ومن ثم قاموا بتحديد بعض النقاط الهامة التى لا يتعداها التأليف . وكان من أكبر أنصار ذلك الرأى الشيخ العالم محمد بن علاء الدين أبو عبد الله شمس الدين البابلى الشافعى (ت ١٠٧٧هـ - ١٦٦٦م) (٧). الذى نراه يقول في هذا الشأن : " التأليف في هذه الأزمان من ضياعة الوقت ، فإن الإنسان إذا فهم كلام المتقدمين الآن وأشتغل بتفهيمه فذاك من أجل النعم ، وأبقى لذكر العلم ونشره . والتأليف في سائر الفنون مفروغ منه ، وكان إذا بلغه أحدا من علماء عصره ألف كتابا يقول : لا يؤلف أحد كتابا إلا في أحد أقسام سبعة لا يمكن التأليف في غيرها ، وهى : إما أن يؤلف في شىء لم يسبق إليه يخترعه ، أو شىء ناقص يتمه ، أو شىء مستغلق يشرحه ، أو طويل يختصره دون أن يخل بشىء من معانيه ، أو شىء مختلط يرتبه - أو شىء أخطأ فيه مصنفه يبينه ، أو شىء مفرق يجمعه .. .. " (٨).

وهكذا لو دققنا النظر إلى تلك السبع التى حددها علماء العصر العثماني للتأليف حولها ، لوجدنا أن ستا منها يتجه الجهد فيها نحو التراث الذى خلفه علماء العصر المملوكى وما قبله ، وواحد منها فقط نحو وضع المؤلفات المبتكرة أو المستقلة . ولعل هذه الفلسفة التأليفية تجعلنا نستشف أن هناك حالة من التحرج الشديد كان يعيشها علماء ذلك العصر تجاه وضع المؤلفات المبتكرة ، الأمر الذى جعلهم ينساقوا وراء وضع الحواشى والشروح حول التراث الذى خلفه من تقدمهم من العلماء . وهو ما سوف نراه بوضوح خلال تعرضنا للنتاج الفكرى الذى خلفه علماء القرن الحادى عشر الهجرى (الـ١٧ م) .

فهذه إطلالة سريعة على أهم المتغيرات التى طرأت على العالم الإسلامى قبل العصر العثماني ، وكان لها عظيم الأثر على الحركة العلمية خلال ذلك العصر ، أما عن

الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى عاصرت فترة الدراسة فنجدها كالتالي :

الوضع السياسى والاضطرابات العسكرية

بعد أن تم للسلطان سليم الأول[٩] في محرم ٩٢٣هـ (يناير ١٥١٧م) القضاء على الدولة المملوكية بإلحاق الهزيمة بآخر سلاطينها السلطان طومان باى ، وما تبع ذلك من فقدان مصر استقلالها ، وتحويلها إلى ولاية عثمانية ، ودخولها في مرحلة تاريخية هامة عرفت بـ" مصر العثمانية " . وخلال مدة بقاء السلطان سليم الأول بمصر ، والتى لم تتجاوز ثمانية أشهر (يناير ـ سبتمبر ١٥١٧م) ـ.قضاها في دراسة أحوال مصر الداخلية بنفسه ـ. استطاع أن يجمع بعض المعلومات عن الأحوال الإدارية والمالية حتى يسترشد بها آل عثمان في حكم مصر ، وإدارتها ، ومما لاشك فيه أن السلطان سليم الأول قد استنار بهذه المعلومات في وضع القواعد ، ورسم المبادئ العامة التى أقام عليها العثمانيون نظام الحكم في مصر ، وحين تولى السلطان سليمان [١٠] الحكم كان مهتما بوضع القوانين حتى عرف بـ" سليمان القانوني " فأكمل نظم الحكم التى وضعها والده ، وكانت تقوم على مبدأ تقسيم السلطة في مصر بين هيئات متعددة ، لكى تتنافس فيما بينها ، ويوازن بعضها بعضا ، حتى لا تستطيع إحداها أن تستأثر بالسلطة . وبذلك يتحقق هدف السلطان النهائى ، وهو بقاء مصر خاضعة للدولة العثمانية ، وبذلك تتضح فلسفة العثمانيين في حكم الشعوب الخاضعة لهم بالإبقاء على الموجود من نظم البلاد المفتوحة وتقاليدها وتحويلها إلى أداة من أدوات الحكم العثماني [١١].

وقد تكونت السلطة الحاكمة بمصر آنذاك من هيئات ثلاث : الباشا ومعاونوه ، والحامية العسكرية . والمماليك . وبعيدا عن الخوض في الحديث عن تلك الهيئات واختصاصات كل منها . سوف تعمد الدراسة للإشارة إلى بعض التحولات السياسية والإدارية الهامة التى حدثت في ذلك الحين ، وما خلفته من آثار على المجتمع المصرى ، والحركة العلمية ـ فالناظر في تاريخ مصر العثمانية يجد أن الحكم العثماني في فترته الأولى، وحتى الربع الأخير من القرن ١٦م كان قويا واستطاع الولاة العثمانيون خلال هذه الفترة توكيد نفوذ الدولة والإمساك بزمام الأمور . وتمكنوا من القضاء على

التمردات المحلية . ولكن أواخر ذلك القرن بدأت هذه التحولات تظهر على صورة أكبر . وهو ما حدث في بداية عهد الوزير على باشا الصوفي (١٢). حيث حدث أول زيف في العملة فاضطربت الأمور ، وبدأت قبضة الولاه على الجند تضعف فبدأوا يرفعون راية العصيان (١٣).

وأخذ العنصر المملوكى يسود وتعددت فتن جند السباهية(١٤) حتى وصل بها الأمر إلى حد التعدى على الولاة العثمانيين . فقتل محمود باشا (١٥) ٢٠ جمادى الثاني ٩٧٤هـ (٢ يناير ١٥٦٧م) ، وهوجم أويس باشا(١٦) ، وهو في الديوان في ٢٠ شوال ٩٩٧هـ (١٤ أغسطس ١٥٨٩م) (١٧) . عندما أراد أن ينظم أولاد العرب من المصريين في سلك الجيش (١٨).

ووصل الأمر إلى ذروته في الصراع بين الولاة والجند حينما تعدى الجند على الوزير إبراهيم باشا (١٩). وقتلوه في ١ جمادى الأولى ١٠١٣هـ (٢٥ سبتمبر ١٦٠٤م). واستمر الجند في عنادهم وظلمهم للرعايا ، حتى كان عهد الوزير محمد باشا، المعروف بـ" قول قران " (٢٠). الذى استطاع القضاء على أضخم فتن جند السباهية . وأبطل مظالمهم ، وقتل رءوسهم ، ونفى وشرد العدد الكبير منهم (٢١).

كما شهدت تلك الفترة بداية نفوذ العنصر المملوكى وسيطرته على أوجاق(٢٢) الحامية ـ وخاصة بعد انتشار أوجاق المتفرقة (٢٣)(٩٦٢هـ ـ ١٥٥٤م) . وأصبح كل أوجاق يدور في تلك البيوت المملوكية ، مثل الذوفقارية والقاسمية وغيرها . وقد كان أمراء هذه البيوت يشغلون مناصب الصنجقية التى كان أصحابها يشغلون المناصب الكبرى في الإدارة مثل القائمقامية ، وحكام الولايات الخمس الكبرى ، وإمارة الحج . كما أصبح أتباعهم يشغلون مناصب الكشوفية ـ أى حكم الأقسام الإدارية الصغيرة ، وبذلك أصبح العنصر المملوكى هو المسيطر وصارت تمردات الجند وصراعاتهم تتم تحت إشراف وباسم الأمراء المماليك الكبار ، وازدادت السيطرة المملوكية في مقاطعات الإدارات المالية ، ومقاطعات الأراضى الزراعية (٢٤).

ومن هنا استغل المماليك ازدياد نفوذهم ، وسيطرتهم على أوجاقات الحامية وانفرادهم بالمناصب الإدارية الكبرى، وقد أدى ذلك النفوذ الذى حصل عليه الأمراء المماليك وسيطرتهم على أوجاقات الحامية العثمانية إلى الدخول في صراع مع رجال

الإدارة العثمانية من ناحية ، وإلى نشوب صراع بين البيوت المملوكية ذاتها من ناحية أخرى ، من أجل الاستحواذ على السلطة والمراكز الإدارية العليا (٢٥).

ومن الطبيعى أن تنعكس آثار تلك الصراعات جميعها على الشعب المصرى . فكثيرا ما كان يصاحب تلك الصراعات حدوث أزمات اقتصادية ، واضطراب الأمن ، وفرض مظالم على أبناء الشعب من جانب المتصارعين ، كما قادت أبناء الشعب إلى صراعات محلية لمناصرة أهل منطقة لأحد الجانبين المتصارعين . وهكذا كان لها تأثيراتها السيئة على الشعب المصرى . ولا يخفى عليك مدى تأثير ذلك كله على الحياة التعليمية والثقافية نظرا لإعتماد الحركة العلمية على ازدهار الاقتصاد ، وظروف أمنية مستقرة .

الحالة الاقتصادية .

باستقراء مصادر ووثائق العصر العثماني يتضح لنا أن الكثير من الاضطرابات الاقتصادية سادت البلاد حينذاك ـ وما أكثرها حدوثا خلال فترة هذه الدراسة ـ نتيجة لعدة عوامل يمكن معالجتها على النحو التالي :

أولاً : تأثير النيل .

باعتبار أن مصر تعد في المقام الأول إقليميا زراعيا في أغلب مراحلها التاريخية حتى الفترة موضوع الدراسة ، حيث كانت البنية الاقتصادية قائمة على الإنتاج الزراعى ، ولما كان اقتصاد المجتمعات الزراعية يرتبط قوة وضعفا بحجم ما يتوفر لديها من مصادر الرى المختلفة ، فإن النيل كان يمثل ـ وما يزال ـ المصدر الرئيسى للرى والزراعة ، ولذا فإن حدوث قصور في منسوب النيل أو حدوث زيادة كان له خطورته في تهديد الاستقرار الاقتصادى في وإنذار بحدوث أزمة في مصر .

كما أن ذلك كان يعد سببا في غلاء أسعار السلع الغذائية الأمر الذى قد يتطور إلى إحداث مجاعة تعم سائر الأقاليم المصرية .ومن ذلك ما حدث في عهد على باشا السلحدار(٢٦) من الغلاء الشديد حيث بيعت وبية(٢٧) القمح بستة وثلاثين نصف فضة ـ في حين أن معدل سعر إردب القمح في وقت الرخاء كان يتراوح ما بين ٣٧,٥ أو ٤٠

باره ـ أو نصف فضة ـ فاشتدت الأزمة وضاقت الأحوال بالناس "فاضطروا إلى خطف العجين من المواجير ، والخبز من الأسواق" [٢٨]. وتكررت الظاهرة لنفس السبب في عهد الوزير محمد باشا[٢٩] .

وأحيانا ما كانت تصل تلك الحالات إلى إحداث مجاعة تعم سائر الأقاليم كتلك التى حدثت في محرم ١١٠٧هـ (أغسطس ١٦٩٥م) . عندما وصل ثمن إردب القمح بستمائة نصف فضة . والفول بخمسمائة فضة ، والشعير بأربعمائة فضة ، والأرز بثمانمائة فضة . إلخ . وعم القحط الشديد سائر الأرجاء مما دفع الناس إلى ترك ديارهم بشتى الأقاليم والفرار إلى القاهرة ـ العاصمة ـ ووصل الأمر بهم إلى ما هو أكثر من ذلك ، وهو أكل الجيف . وبيع أولادهم ليقتاتوا بثمنهم [٣٠]. وهكذا يتبين لنا تأثير عدم ثبات فيضان النيل في معدله المناسب للزراعة في إحداث اضطرابات عامة كانت تصيب الاقتصاد المصرى بالشلل التام ، بل وصل الأمر إلى حدوث المجاعات العامة كما رأينا بل ذكر البعض أن ذلك كان أهم الأسباب الرئيسية في حدوث الأوبئة أو الطواعين .

ثانياً : الأوبئة (الطواعين)

لقد منيت مصر في الفترة محل الدراسة بكثير من الأوبئة أو الطواعين التى لم يقف تأثيرها على الأوضاع الاقتصادية فحسب بل فقدت مصر بسببها الكثير من أرواح أبنائها . ونظرا لما تمثله هذه الظاهرة من أهمية بين الظواهر التاريخية بمصر في تلك الفترة ، وما تمخض عنها من نتائج ساهمت بقدر كبير في الأحداث التاريخية آنذاك . وجدنا اكتراثا غير عادى من مؤرخى تلك الفترة بتسجيل هذه الظاهرة ، جاهدين قدر الإمكان في الإشارة إلى حجم ما نتج عنها من خسائر بشرية . وكما سبق وأن أشير بأن هذه الظاهرة تكرر حدوثها في ذلك القرن كثيرا ، وذلك في سنوات مختلفة على النحو التالي:

سنين ١٠٠٨هـ (١٥٥٩م) [٣١]، ١٠ ـ ١٠١١هـ (١ ـ ١٦٠٢م)[٣٢] ١٠٢٨هـ (١٦١٩م) [٣٣]. ٣٠ ـ ١٠٣١هـ (٢١ ـ ١٦٢٢م) [٣٤] ١٠٣٣هـ(١٦٢٣م)[٣٥] ١٠٣٥هـ(٢٥ ـ ١٦٢٦م) [٣٦]. ٥٢/١٠٥٣هـ (٤٢ ـ ١٦٤٣م)، ١٠٦٥هـ (١٦٥٤ م) ١٠٧٨هـ (١٦٦٧م)[٣٧]. ١٠٨١هـ (١٦٧٠م)[٣٨] .١٠٨٨هـ (٧٧- ١٦٧٨م)[٣٩] ١٠٩٧ هـ (٨٥- ١٦٨٦م)[٤٠] ولنلمس فداحة هذه الأوبئة وحصادها لكثير من الأرواح

فى ذلك الزمن فلننشر الى الطاعون الذى وقع سنة ١٠٥٣/٥٢ هـ (٤٢- ١٦٤٣م) على زمن مقصود باشا والذى به عرف ن حيث ظهر فى بولاق أولا ثم فى القاهرة ثم عم سائر الاقاليم واستمر سبعة شهور وعنه قال البكرى : " وفي زمنه ـ أى مقصود باشا ـ الوباء الذى لم يقع مثله إلا في زمن على باشا وجعفر ـ المقدم ذكرهما ـ لأنه عم البلاد وفتت الأكباد ، وأخلى المنازل والبقاع من الشبان وذات القناع ووقع الخوف في قلوب الكبار والصغار ، وكل إنسان منتظر الموت أناء الليل وأطراف النهار ، وصارت الجنايز في الأسواق مثل قطارات الجمال كل ثلاثين دفعه . والصراخ في جميع الحارات ، وأما قسم الخدم والرقيق فلم يبق منهم شىء ، ومات فيه من بلغ الثمانين بالطعن ، وهذا أمر لم يوجد مثله في فصل من الفصول السابقة ، وبلغت مصلاة الجامع الأزهر إلى ستمائة واثنتين وستين جنازة في يوم واحد ، وباب النصر خمسمائة وأربعين جنازة . ومصلاة الشيخونية خمسمائة جنازة ، ومصلاة المارداني ثلاثمائة جنازة هذا كله في اليوم ، ومصلاة جامع الماس أربعمائة جنازة .. .. وقد ضبط من صلى عليه في تلك المصلاة ـ أو الأماكن ـ المذكورة فكانت تسعمائة واثنين وستين ألفا .. .. " (٤١). هذا وإن كانت تقديرات البكرى مبالغ فيها في ذلك الشأن إلا أنه يشتم منها رائحة فداحة الخسائر التى تنتج عن تلك الأوبئة .

وهكذا فكم هو من الواضح لنا مدى بروز ظاهرة الأوبئة بمصر خلال فترة هذه الدراسة ، وما ألحقته بمصر من خسائر فادحة ليس على المستوى الاقتصادى فحسب بل في فقدان الكثير من الأرواح الأمر الذى كان يصيب كافة أشكال الحياة بالشلل التام . ومن الطبيعى أن تتأثر الحياة التعليمية بمثل هذه الأزمات وذلك أن طرفا العملية التعليمية (المشايخ والطلاب) لم يكونا أحسن حظا من غيرهم ـ من فئات المجتمع المختلفة ـ في عدم الإصابة بمثل تلك الأوبئة ، بل إن رقة الحال التى كان عليها طرفا العملية التعليمية تجعلهم أكثر عرضة للإصابة ثم الوفاة .ولعل من أهم أشهر ضحايا تلك الأوبئة من علماء فترة الدراسة ـ وذلك على سبيل المثال لا الحصر ـ الشيخ العالم أبو بكر الكتامى (ت ١٠٥١هـ ـ ١٦٤١م) ـ أحد المتفردين في العلوم العقلية أنذاك ـ وذلك في طاعون (١٠٥١هـ ١٦٤٢/٤١م) (٤٢). والشيخ العالم أحمد السويدى ، والشيخ العالم على الأجهورى المالكى (٤٣) وذلك في طاعون (١٠٦٦هـ ـ ١٦٥٥م) (٤٤). وغيرهم الكثير

أما عن الطلبة فيفترض أنهم كانوا أكثر تعرضا للإصابة بالأزمات من أساتذتهم المشايخ . ومن ثم تكمن الخطورة في مدى قدرة المؤسسات التعليمية على الإسراع بعملية الإحلال بالعناصر من خريجى الأزهر ، لضمان مواصلة النشاط التعليمى ، ليس في الأزهر فحسب ، بل في جميع المؤسسات الأخرى المدارس والمساجد ، وكذا الكتاتيب في المدن والقرى . التى كانت تعتمد على هؤلاء الخريجين في القيام بأعباء التدريس بها (٤٥)، ولعل هذا الأمر يجعلنا نتساءل هل أمتلك علماء تلك الفترة من القدرة التى تمكنهم من تعويض ما يفقدونه من كوادر علمية جراء تلك الأزمات ؟ وما أهم الخطوات التى ساروا عليها لتحقيق ذلك ؟ هذا من جانب ، ومن جانب آخر إذ ليس ثمة أدنى شك من وجود الكثير من الأيتام الذين راح آباؤهم ضحايا لتلك الأزمات . فهل كان لأفراد المجتمع أى دور في إنشاء المؤسسات التعليمية لاستيعاب هؤلاء الأيتام؟ وغير ذلك من الأمور التى سوف تتعرض لها الدراسة .

الوضع الاجتماعى :

في الواقع إن المجتمع المصرى في ظل الحكم العثماني ليكشف عن وجود تعددية في الهيكل الاجتماعى ، حيث كان المجتمع آنذاك مكونا من طبقتين رئيستين ، الأولى . الطبقة الحاكمة (العثمانيين ـ المماليك) . الثانية: طبقة المحكومين ، وهم الذين ينتمون إلى الأصول المصرية ، وسوف تقوم الدراسة بالإشارة إلى كل منها على حده .

أولا : الطبقة الحاكمة .

لو اقتربنا من الفئة الحاكمة في تلك الفترة . نجد أنها كانت فئة أقلية شكلت أرستقراطية حاكمة ، تتوزع المناصب الإدارية والإشرافية على أحوال القاهرة فيما بينها . سواء أكانت تركية أم مملوكية ، وكان طابعها في غالب الأحيان الاستعلاء والصلف والكبرياء (٤٦).

ومما لا شك فيه أن تطبع الفئة الحاكمة بطابع الصلف والكبرياء . أدى إلى وجود عزلة بين هذه الفئة وبين الشعب المصرى . والناظر في الحكم العثماني وما انطوى عليه من خصائص يتبين له أن لهذه الخصائص أو العيوب دخل كبير في وجود هذه التعددية وما نتج عنها من وجود عزلة بين الفئة الحاكمة وأفراد الشعب المصرى . وأقرب تلك الخصائص تأثيراً ما كان في طبيعة الحكم العثماني غير المباشر بمعنى أن العثمانيين لم

يتصلوا بالجماهير اتصالا مباشرا . حيث كان الملتزم في الريف أداة للاتصال بين الحكومة والفلاحين العاملين بدائرة التزامه ، وكان شيخ الطائفة في المدينة بمثابة ضابط الاتصال بين السلطات العثمانية وأفراد الطائفة . وقد ارتاحت السلطات العثمانية لهذين النظامين ـ الالتزام والطوائف ـ لأنهما كانا يحملان عنها عبء تحصيل الضرائب من الممولين ، ويوفران عليها مشقة الاتصال بالجماهير وقد نجم عن هذين النظامين أن السلطات العثمانية لم تكن تتصل بالمصريين إلا عن طريق الملتزم أو شيخ طائفته . وفي ذات الوقت كان الفرد لا يستطيع أن يمارس نشاطه إلا إذا كان منتميا إلى طائفة يخضع لنظماها وتقاليدها ، وزعامتها ويحتمى بها (٤٧).

ثانيا : طبقة المحكومين .

تكونت تلك الطبقة ممن كان ينتمى إلى الأصول المصرية . وفي واقع الأمر إن أفراد هذه الطبقة لم يكونوا نسيجا واحدا خلال ذلك العصر ، بل انقسموا إلى عدة فئات تفاوتت فيما بينها من حيث المكانة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية .

فئة العلماء :

كان العلماء يمثلون فئة اجتماعية لها مكانة متميزة بالمجتمع في مصر العثمانية حيث كان لهم نفوذ بين أفراد المجتمع المصرى فهم موضع احترامهم وتقديرهم ، بسبب قيامهم برسالتهم العلمية وانشغالهم بأمور الدين(٤٨) هذا بالإضافة إلى قيامهم بدور الوساطة بين فئات المجتمع المصرى وسلطاته الحاكمة ، وذلك لسد الفجوة التى نجمت عن العيوب التى انطوى عليها نظام الحكم العثماني . هذا أيضا بخلاف حاجة البكوات المماليك للعلماء لتثبيت حكمهم المزعزع أمام السلطان العثماني ، كما أن دورهم كعلماء يحتم عليهم القيام بدورهم في الإصلاحات السياسية والاجتماعية .

فئة التجار :

لقد استطاعت هذه الفئة وخاصة أعيان التجار وكبارهم أن تكوّن لنفسها مكانة اجتماعية هامة.وأن تكون لها علاقات اجتماعية واسعة ذات نفوذ واسع. كما ساهمت في أعمال الخير مما أكسبها مكانة اجتماعية متميزة في المجتمع، بالإضافة إلى كونها وحدة

متماسكة وأن جميع منازعاتها تحل في إطارها (٤٩). وفوق كل ذلك لقد أدركت الأطراف المتصارعة من العسكريين طيلة العصر العثماني مدى الثقل السياسى والاجتماعى للتجار، وكان يتضح ذلك عند تأييد التجار لأحد الأطراف المتصارعة مما يقلب توازن القوى لصالحه (٥٠).

الطوائف :

في الحقيقة لقد كان معظم المجتمع المصرى خلال العصر العثماني مكونا من عدد كبير من الطوائف المهنية والحرفية وكان لكل طائفة شيخ ونقيب ، وكان الشيخ يختار من قبل أبناء الطائفة ، ليكون ممثلا لهم أمام الحكومة ، وبناء على هذا الاختيار كانت كل طائفة تقفل على نفسها مهنتها التى تخصصت فيها ولا تسمح بدخول أحد من غير أبناء طائفتها فيها ، وكانت العلاقات بين أبناء الطائفة تقوم على التعاون ، واحترام السلم الطائفى (٥١). وكما نوهنا سابقا من أنه كان للحكم العثماني أثر كبير في تكوين الطوائف وانتشارها على نطاق واسع شملت معظم الحرف حتى الشحاذين والقرادتية ، والمغنيين وغيرها .

أهل الذمة :

كان أهل الذمة من النصارى واليهود يمثلون شريحة هامة من شرائح أو فئات المجتمع المصرى . وكانت هذه الفئة تقصر نشاطها على أعمال التجارة . وخاصة في المجوهرات والأعمال المالية ، وبخاصة الصيرفة (٥٢). وقد كان لليهود نشاط ملحوظ في الأعمال الجمركية حيث كان الكثير منهم يشغل منصب " أمين الجمرك " ، وفي غالب حالات غش العملة كان لليهود " الصيارفة " دخل كبير فيها ، وقد سبق وأن أشير إلى مثل تلك الحالات (٥٣).

وهكذا فقد رأينا كيف أن البناء الاجتماعى للمجتمع المصرى خلال العصر العثماني كان مكونا من طبقتين رئيسيتين . طبقة أقلية حاكمة استولت على المناصب الإدارية والإشرافية الكبرى وطبقة محكومة شملت جميع أفراد الشعب المصرى ورأينا أن أبناء الطبقة الأخيرة قد انقسموا إلى فئات مختلفة ومتفاوتة فيما بينهم من حيث

الوضع الاجتماعى والاقتصادى والثقافي،كما تبين لنا كذلك أن الحكم العثماني كان له دخل كبير في وجود هذه التعددية وعلى الرغم من أن كل فئة من هذه الفئات كان يرأسها شيخ أو رئيس يتكلم بلسانها أمام الهيئة الحاكمة ـ وقد كان ذلك في إطار ضيق من التعامل بما يخدم مصالح الطبقة الحاكمة أكثر منه خدمة لأفراد الطائفة نفسها ـ بحيث أنه عند اشتداد الكروب والمحن بأبناء الشعب المصرى من قبل الطبقة الحاكمة ـ وما أكثر هذا حدوثا خلال ذلك العصر ـ لم يجد أبناء الشعب المصرى نصيرا لهم لإزالة تلك المحن عنهم إلا العلماء ، وبالفعل كان العلماء يلبون تلك النداءات.

تلك إذن نظرة عاجلة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى كانت سائدة خلال تلك الفترة . وما من شك في أن تلك الأوضاع سوف يكون لها تأثير فعال في مسار الحركة العلمية ، هو ما سنعرفه خلال هذه الدراسة .

الهوامش

(١) هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى الشافعى (ت ٦٠٦هـ ـ ١٢٠٩م) صاحب التفسير الكبير المسمى بـ " مفاتيح الغيب "

(٢) هو جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكى النحوى (ت ٦٤٦هـ ـ ١٢٤٦م) . ولد بقرية إسنا التابعة لمحافظة قنا الآن ـ وعرف بابن الحاجب لأن والده كان يعمل حاجبا للأمير عز الدين موسك ـ ابن خال صلاح الدين الأيوبى .

(٣) هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجباني الأندلسى (ت ٦٧٢هـ ـ ١٢٧٣م) نزيل دمشق. وإمام النحاة وحافظ اللغة . حيث حفظ كثيرامن مواد اللغة والأدب والنحو ، والقراءات . وله عدة مؤلفات قيمة ـ سوف يأتى التنويه عنها .

(٤) عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة . المطبعة البهية . القاهرة . ص ص ٣٩٣ـ ٣٩٤ .

(٥) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر (في العصرين الأيوبى والمملوكى الأول) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الثانية ١٩٩٩م ـ ص ٣١٥ .

(٦) نفس المرجع ص ٣٢٥.

(٧) هو أحد علماء القرن الحادى عشر الهجرى (ال١٧ م) . وأحد المتفردين أنذاك في الحديث والفقه . وهو أحفظ أهل عصره لمتون الأحاديث ، وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها ، وكان شيوخه وأقرانه يعترفون له بذلك .للمزيد عنه انظر محمد الأمين فضل محب الله المحبى : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر. المطبعة الوهبية بمصر المحمية، ١٢٨٤هـ ـ ١٨٦٧. ج٤ .ص ص ٣٩ ـ ٤٢ .

(٨) المحبى : ج٤ . ص٤١ ـ مصطفى الحموى . فوائد الارتحال ونتائج السفر في اخبار أهل القرن الحادى عشر ، مخطوط بدار الكتب ، م ٣٥٠٠٩ ، تاريخ ٣١٨٧، ج١ ص ٥٦٩ .

(٩) ولى السلطنة : ٩٨١ ـ ٩٢٧هـ / ١٥١٢ ـ ١٥٠٢م

(١٠) تولى السلطنة : ٩٢٧ ـ ٩٧٤هـ / ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م .

(١١) . السيد رجب الحراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث . دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٠ . ص ص ٦ ـ ٧

(١٢) مدة ولايته : غرة رجب ٩٧١ ـ سلخ روضان ٩٧٣هـ / ١٤ فبراير ١٥٦٤ ـ ٢٠ إبريل ١٥٦٦م .

(١٣) عبد الرحيم عبد الرحمن : تقديم كتاب أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، لأحمد شلبى بن عبد الغنى ، مكتبة الخانجى ١٩٧٨م ص ص ٣ ـ ٤

(١٤) كانت جند السباهية ، أو الأسباهية في ذلك العصر تتكون من ثلاثة أوجاقات ، من أوجاقات الحامية العثمانية هى : اوجاق جمليان ، أوجاق تفكجيان . أوجاق الجراكسة . وكانت مهمة جند السباهية الأساسية حفظ الأمن في الريف وحماية الطرق ، ولكنهم استغلوا نفوذهم في الريف

وفرضوا أنفسهم كثيرا من الامتيازات والضرائب غير الشرعية التى أرهقت السكان عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى في القرن الثامن عشر . ط م جامعة عين شمس ١٩٧٤م . ص ص ٥٣ ـ ٦٣ .

(١٥) مدة ولايته غزة شوال ٩٧٣ ـ ٢٠ جمادى أخر ٩٧٤هـ / ١٠ مايو ١٥٦٥ ـ ٢ يناير ١٥٦٧م .

(١٦) مدة ولايته : ١٢ جمادى أخر ٩٤٤ ـ رجب ٩٩٩هـ / ٣١مايو ١٥٨٦ ـ إبريل ١٥٩١م .

(١٧) عبد الرحيم عبد الرحمن ـ تقديم أوضح الإشارات ـ مصدر سبق ذكره ـ ص ٥

(١٨) عمر الأسكندراني ، وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر مراجعة الكبتن أ . ج سفدج ، ط مكتبة مدبولي سبتمبر/ ١٩٩٠م ص٧٦

(١٩) مدة ولايته : ١٤ الحجة ١٠١٢ ـ ١٣ ربيع الأخر ١٠١٣هـ / ١٤ مايو ١٦٠٤ ـ ٨ سبتمبر ١٦٠٤م.

(٢٠) مدة ولايته : ٧ صفر ١٠١٦ ـ غرة جماد أول ١٠٢٠هـ / ٤ يونيو ١٦٠٧ ١٢ يوليو ١٦١١م .

(٢١) للمزيد عن ذلك يرجع إلى ابن أبى السرور البكرى : كشف الكربة عن رفع الطلبة ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، مجلة الجمعية التاريخية . المجلد الثالث والعشرون ، ١٩٧٦م . ومحمد البرلسى السعدى : بلوغ الأرب برفع الطلب ـ ت: عبد الرحيم عبد الرحمن . مجلة الجمعية التاريخية ـ المجلد الرابع والعشرون ، ١٩٧٧م .

(٢٢) الوجاق : من التركية بمعنى الموقد والمدخنة . ثم أطلق على كل ما تنفخ فيه نار. فأطلق على البيت من وبر أو مدر ، ثم على الجماعة تتلاقى في مكان واحد ، ثم أطلق على الطائفة من الطوائف أرباب الحرف وعلى الصنف من أصناف الجند . أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتى من الدخيل ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩م . ص ١٩٤ .

(٢٣) وجاق المتفرقة : أنشئ هذا الوجاق في مصر سنة ١٥٥٤م ، وكان أهله على تأخر زمانهم أعلى منزلة ورواتب من أصحاب الوجاقات الأخرى . وفي أواخر القرن السادس عشر (١٥٩٥م) كانوا أكثر الوجاقات عددا ، ثم اضمحلوا في القرن السابع عشر تأصيل الدخيل ، المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٢٤) . ليلى عبد اللطيف أحمد : الإدارة في مصر العصر العثماني ، رسالة دكتورا . اجيزت من كلية الأداب ، جامعة عين شمس ١٩٧٥م ، ص ص ٤٩ ـ ٥١ ـ .

(٢٥) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ص ٤٩ ـ ٥١ . عبد الرحيم عبد الرحمن . تقديم تراجم الصواعق في واقعة الصناجق . لإبراهيم بن أبى بكر الصوالحى العوفي الحنبلى . ط: المعهد الفرنسى بالقاهرة ١٩٨٤م ، ص٦

(٢٦) مدة ولايته : ١٠ صفر ١٠١٠ ـ ٦ ربيع الثاني ١٠١٣هـ / ١٠ أغسطس ١٦٠١ ـ سبتمبر ١٦٠٤م.

(٢٧) الويبة سدس إردب .

(٢٨) الحاج مصطفى الحلبى : مختصر تاريخ مصر . مخطوط لدى مركز بحوث العالم التركى ، ص ٩ ـ ابن عبد الغنى : أوضح الإشارات مصدر سبق ذكره ص ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٢٩) مدة ولايته : ١٤ صفر ١٠٣٨ ـ أخر ربيع أخر ١٠٤٠هـ / ١٣ أكتوبر ١٦٢٨ ـ ٥ ديسمبر ١٦٣٠م.

(٣٠) الحاج مصطفى الحلبى : مصدر سبق ذكره . ص ص ٩١ ٩٢ . أبن عبد الغنى ك مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣١) نقلا من ناصر أحمد إبراهيم : الأزمات الاجتماعية . مرجع سبق ذكره ص ٣٠٣ .

(٣٢) البكرى : الروضة المأنوسة ، مصدر سبق ذكره ، ورقة ٢٣ . المنح الرحمانية ، مصدر سبق ذكره ورقتى ٥١ـ ٥٢ . النزهة الزهية ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٧٤ـ ١٧٥ ، مرعى الحنبلى : نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين ، مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم ميكروفيلم ٣٧٧٥ ، ح ١١٧٠٦ . ص ١٤٦ . مصطفى الحلبى : مصدر سبق ذكره، ص ص٨ ـ ٩ ، ابن عبد الغنى : مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٧ .

(٣٣) مرعى الحنبلى : مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٣ الاسحاقى : لطائف الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٨م ص ١٧٦ البكرى : المنح الرحمانية . ورقة ٧٩ . نفسه : النزهة الزهية ، ص ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ . مصطفى الحبلى : مصدر سبق ذكره ، ص ١١ . مجهول : تاريخ ملوك آل عثمان وولائهم إلى ولاية على باشا المتولي عليها، مخطوط بدار الكتب المصرية،تحت رقم ميكروفيلم ٤٩٨٤٧ ـ تاريخ تيمور ٢٤٠٨ . القلعاوى : مصدر سبق ذكره ، ورقة ١٤٢ .

(٣٤) مرعى الحنبلى : مصدر سبق ذكره ،ص ١٥٣ . البكرى : الروضة المأنوسة . مصدر سبق ذكره ورقة ٣٤ ، لنفسه : النزهة الزهية ، ص ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ . احمد بن سعد الدين العثماني . ذخيرة الإعلام بتواريخ الخلفاء الأعلام وأمراء مصر والحكام ، وقضاة قضاتها في الأحكام ، من فتحها الإسلامى العمرى إلى زمن الناظم ، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٥١١١١ ، تاريخ ١٠٤ ، ورقة ١٦٤ـ١٦٥ . مصطفى الحلبى بمصدر سبق ذكره ، ص ١١ ـ مجهول : تاريخ ملوك ، مصدر سبق ذكره القلعاوى : مصدر سبق ذكره ، ورقة ١٤٣ .

(٣٥) نقلا من ناصر إبراهيم : مرجع سبق ذكره . ص ٣٠٥ .

(٣٦) البكرى ، الروضة المأنوسة . مصدر سبق ذكره ، ورقة ٣٦ . نفسه : النزهة الزهرية : مصدر سبق ذكره ورقة ٢١٢ـ٢١٣ . مصطفى الحلبى : مصدر سبق ذكره ص ١٢ ابن عبد الغنى : مصدر سبق ذكره .ص ١٤١ .

(٣٧) مصطفى الحلبى : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤ . مجهول : تاريخ ملوك آل عثمان ، مصدر سبق ذكره . ابن عبد الغنى : مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥ . القلعاوى : مصدر سبق ذكره ، ورقة ١٥١ . ناصر إبراهيم : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠٧ .

(٣٨) مصطفى الحلبى : مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥ . مجهول : تاريخ ملوك آل عثمان ، مصدر سبق ذكره . ابن عبد الغنى أوضح الإشارات ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٥ . القلعاوى : مصدر سبق

ذكره ورقة ١٥٣ .

(٣٩) مصطفى الحلبى : مصدر سبق ذكر ، ص ٥٠ مجهول : تاريخ ملوك آل عثمان مصدر سبق ذكره . ابن عبد الغنى .أوضح الإرشارات : مصدر سيق ذكره ص ص ١٧٠ ـ ١٧١. القلعاوى : مصدر سبق ذكره ، ورقة ١٥٣ .

(٤٠) مصطفى الحلبى : مصدر سبق ذكره ، ص ٥٣ . ابن عبد الغنى : أوضح الإرشادات، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٦

(٤١) البكرى: الروضة المأنوسة، مصدر سبق ذكره، ورقه ٤٢ .

(٤٢) المحبى : خلاصة الأثر . مصدر سبق ذكره . ج١ ص ٥٨

(٤٣) هو العالم على بن زين العابدين محمد بن أبى محمد زين الدين عبد الرحمن بن على أبو الأرشاد نور الدين الأجهورى ـ نسبة إلى أجهور الورد قرية بريف مصر ـ المالكى ، شيخ المالكية في عصره ، بالقاهرة وأمام الأئمة وعلم الإرشاد ، كان محدثا فقيها رحله كبير الشأن ، طار صيته في الخافقين وعم نفعه . وعظمت بركته ، وقد جد فبرع في الفنون فقها وعربية،وأصلين ، وبلاغة ومنطقا، ودرس وأفتى وصنف وألف وعمر كثيرا ، ورحل الناس إليه من الآفاق للأخذ عنه فالحق الأحفاد بالأجداد . أخذ عن مشايخ كثيرين . وألف التأليف الكثيرة الدالة على قوته ـ وهو ما ستعرفه في حينه ـ المحبى : مصدر سبق ذكره ، ج٣ .ص ص ١٥٧ ـ ١٢٨ .

(٤٤) ابن الغنى : أوضح الإشارات : مصدر سبق ذكره ص ١٥٥ ـ القلعاوى : مصدر سبق ذكره ، ورقة ١٥١ .

(٤٥) ناصر إبراهيم : الأزمات الاجتماعية . مرجع سبق ذكره ،ص ٢٧٣ .

(٤٦) د . عبد الرحيم عبد الرحمن : دراسات في الحياة الاجتماعية في مصر إبان العصر العثماني ، من كتاب فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى في العصر العثماني ، تاريخ المصريين عدد (٣٨) . الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠م ، ص ٢٨٠ .

(٤٧) . عبد العزيز الشناوى : الأزهر جامعا وجامعة . مكتبة الأنجلو ١٩٨٣م . ج١ ، ص ص ١٥٤ ـ ١٥٦ .

(٤٨) . السيد رجب الحراز : المدخل إلى تاريخ ، مرجع سبق ذكره ص ٣٤.

(٤٩) عبد الرحيم عبد الرحمن : الحياة الاجتماعية ،مرجع سبق ذكره ص ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣

(٥٠) د . نللى حنا : تجار القاهرة في العصر العثماني ، ترجمة د . رؤوف عباس ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ١٩٩٧م ، ص ٥٩ .

(٥١) د . عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سبق ذكره . ص ص ٢٩٣ ـ ٢٩٨ .

(٥٢) نفس المرجع ، ص ٣٠١ .

(٥٣) يرجع إلى ص ١٣

الفصل الأول

مجتمـــع العلمـــاء

من الأمور التى اتفق الباحثون عليها عامة أن الديانات السماوية وضعت قواعد و ضوابط سامية على سلوك الناس وهى ما تسمى بالنظم الاجتماعية وغنى عن البيان أن هذه النظم سابقة في وجود الأفراد بوصفهم أفراد إذ ينشأ هؤلاء في الحياة الاجتماعية فيجدون أنفسهم أمام ما ينطوى عليه نظام المجتمع من أساليب الفكر و قوالب العمل و النظم العديدة و الأوضاع المتعارف عليها . و يرون أنفسهم ملزمين بأن يصبوا قوالب تفكيرهم و أنماط سلوكهم و مواقفهم الاجتماعية وفقاً لهذه المصطلحات و المعايير الاجتماعية (١) لذا لنا أن نتساءل هل كانت تلك القواعد و الضوابط يتم تطبيقها على مستوى جميع الأفراد عبر مختلف الأزمنة ؟ في الحقيقة إن كان الباحثون قد اتفقوا على وضع تلك القواعد و الضوابط قبل وجود تلك الطوائف و الجماعات . إلا أنهم اختلفوا حول درجة و مدى صرامة تلك القواعد و النظم في مراحل زمنية بعينها (٢)

ولو نظرنا إلي العلماء كجماعة أو طائفة نجد أنه علاوة على الضوابط و النظم التى اتفقوا عليها في المجتمعات التى يعيشون فيها كان للعلم في حد ذاته معان و أسس سامية تحتم على كل من ينسب لهذه الطائفة السير عليها . و لذا نجد أن طائفة العلماء من أكثر طوائف المجتمع المختلفة تطبيقاً لما وضع من ضوابط و نظم تتمشى مع وضعهم كعلماء أو فئة يعتبرها المجتمع قدوة يهتدى بها .

وفي هذا الفصل سوف تقوم الدراسة بدراسة الجوانب الاقتصادية للعلماء ثم أحوالهم الاجتماعية و العلاقة بينهم و بين أفراد مجتمعهم . هذا إلي جانب مشاركات العلماء في الجوانب السياسية . و من خلال كل ذلك سوف تكشف الدراسة إلي أى مدى التزام علماء فترتها بالضوابط و النظم التى تتمشى مع مكانتهم؟.

الجانب الاقتصادى :

في الحقيقة كانت رقة الحال هى السمة الغالبة على الكثير من علماء القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) . و لم يكن هذا الأمر مقصوراً على علماء تلك الفترة بل كان أمراً غالباً على طالبى العلم عبر العصور المختلفة . حتى كاد أن يكون الفقر

و قلة الغني من الصفات الواجب توافرها في طالب العلم . ومن هنا نرى أحد العلماء (٣) ينشد قائلاً:

من يطلب العلم بذل و ضيق العيش و الخدمة و الانقطاع
فهو الذى يفلح لا من غـدا يطلبـه بالعـز و الاتساع(٤)

ولكن ليس معنى هذا أن جميع علماء تلك الفترة أو غيرها من الفترات الأخرى قد لازمهم ضيق العيش ، بل وجد هناك من كانت حالته الاقتصادية طيبة . و بادىء ذى بدء قبل الشروع في إعطاء النماذج لمن اتصف بكلتا الحالتين علينا الإشارة أولا إلي المجالات الاقتصادية التى مارسها العلماء في فترة دراستنا هذه و أى من تلك المجالات كان قريب الصلة بالنواحى العلمية أو بعيداً عنها و من أهم تلك المجالات :-

الوظائف :

في هذا الأمر سنناقش الوظائف التى تولاها العلماء و هل كانت على وجه واحد أم وجوة متعددة ؟ و نظرة العلماء أنفسهم إلي تلك الوظائف ، و هل كانوا يسعون للحصول عليها؟ و نظرتهم إلي من يقوم بالسعى إلي نيلها ، و هل كان يوجد بينهم صراع على تولي تلك الوظائف ؟ ، و إن وجد هذا الصراع هل كان يعتبر نذيراً بتسرب الفساد إلى سلوكيات العلماء والإدارة العثمانية التى كان بيدها تولية الوظائف ؟ ، ومقارنة الفساد الذى تسرب إلى العلماء فى فترة الدراسة بالفترة التى بعدها (القرن الثانى عشر الهجرى ال ١٨ م) . هذا بالإضافة إلى معرفة ما إذا كان لهذه الوظائف أثر على توجيه الحركة العلمية توجها معينا أم لا .وغير ذلك من الأمور الأخرى .

بدراسة وثائق المحاكم الشرعية يتضح لنا أن الوظائف التى تولاها العلماء فى تلك الفترة كثيرة ومتنوعة ، كما يتضح أيضاً أن معظم تلك الوظائف كانت الأوقاف هى المصدر الرئيسى للإنفاق عليها . ومن ثم فإن الأوقاف هى التى قامت بتحديد تلك الوظائف بما فيها الوظائف التعليمية ، وما فى ذلك من الإشارة إلى تأثير الأوقاف فى سير الحركة العلمية خلال العصر العثمانى وما قبله – ولما كان للأوقاف أكبر الأثر فى الحياة العلمية آنذاك رأت الدراسة أن تفرد لهذا الأمر حديثاً خاصاً به . سنعرفه فى حينه .

ومن خلال القراءة لوثائق المحاكم الشرعية يمكن أن نصنف الوظائف التى تولاها

العلماء إلى وظائف تعليمية ، دينية ، إدارية ، خدمية ، وبعض المناصب الكبرى الأخرى، ولعل هذا الجدول يوضح هذا الأمر بصورة أفضل .

الوظائف التعليمية	الدينية	الإدارية	الخدمية	بعض المناصب الكبرى
- التدريس وتشمل تدريس كل من العلوم التالية:_	- الإمامة	- النظر على وقف	- خزن الكتب	- قاضى القضاء
- الفقه على المذاهب الأربعة	- الخطابة	- كتاب وقف	- وقادة	- قاضى بمحكمة
- التفسير	- الأذن	- مباشرة وقف	- بوابة	- مفتى السلطنة بمصر
- الحديث	- تصوف	- جباية وقف	- فراشة	
- القراءات	- قراءة القرآن (سورة - جزوسبع)	- النظر على مسجد	- خدامة	
- تأديب الأطفال	- مشيخة الأجزاء السبع	- التوقيع	- وزن خبز	
- الإعادة	- مشيخة الصوفية	- الشهادة	- سقاية	
- العرافة	- نقابة قراء	- كتابة غيبه[6]	- ملى فسقية	
- التلقين	- الترفية	- شاهد بمحكمة	- مزملة	
- سماع حديث	- القصادة			
- مشيخة الحديث	- الصلاة على الأموات			
- طلب[5] فقه على المذاهب الأربعة	- الإنشاد			
- طلب تفسير				
- طلب حديث				

تلك إذن أهم الوظائف التى كانت تعد كأول مجال أو نشاط اقتصادى يمارسه علماء القرن الحادى عشر الهجرى ال ١٧م.، وبالنظر إلى الجدول السابق يكون من السهل علينا أن نخرج بأكثر من ملاحظة على تلك الوظائف التى احتواها .

وأولى تلك الملاحظات مدى غلبة الصبغة الدينية على الوظائف من كافة جوانبها . وخاصة فيما يتعلق بالوظائف التعليمية ، حيث نجد أن التدريس فيها ينصب فى أربعة علوم جميعها من العلوم الدينية ، وهى علم الفقه على المذاهب الأربعة (الحنفى - المالكى - الشافعى - الحنبلى). وعلوم التفسير ، والحديث ، والقراءات . بل نجد ما هو أكثر من ذلك فكلا من علمى التفسير والحديث حُددت بعض الكتب التى تدرس فيهما ، ففى علم التفسير نجد من الكتب التى حُددت فيه تفسير البيضاوى(٧) وتفسير الطحاوى والكشاف للزمخشرى (٨) أما الحديث فنجد من الكتب التى حُددت فيه صحيح البخارى (٩).ومما لاشك فيه أن اقتصار الأوقاف على هذه العلوم الدينية وتقنين الوظائف لها . إضافة إلى تحديد بعض الكتب المتعلقة بها . كان له أثر كبير فى سير الحركة العلمية نحو العلوم الدينية ، مما أوجد باعثا على تشجيع دراسة هذه العلوم وإقبال الطلبة عليها .

على أنى أنبه إلى أن هذا الأمر لم يكن وليد العصر العثمانى إذ تمتد جذوره إلى العصرين السابقين (الأيوبى والمملوكى) وذلك بحكم أن معظم الأوقاف التى حددت تلك الوظائف يرجع تاريخ رصدها إلى العصرين السابقين له (الأيوبى والمملوكى) . ولا يخفى أن السبب فى تركيز أصحاب تلك الوقفيات - والذين كان أكثرهم من السلاطين والأمراء - على تدريس الفقه بمذاهبه الأربعة هو محاولة سلاطين الدولة الأيوبية القضاء على أى اثر للمذهب الشيعى فانتهج خلفاؤهم من سلاطين الدولة المملوكية هذا الأمر بعدهم .

ومن البديهى أن نلاحظ على تلك الوظائف أن معظمها كانت وظائف متوسطة أو ضعيفة ، ولا سيما فى العائد الذى سوف يجنى من ورائها وخاصة إذا ما قورنت بالوظائف التى كان يستحوذ عليها أفراد الطبقة الحاكمة .

القضاء

أما فيما يتعلق بالمناصب القضائية وخاصة منصب قاضى القضاة فنجد ثمة من

تولى هذا المنصب من العلماء المصريين خلال القرن الحادى عشر الهجرى ال ١٧ م. وهو فى حد ذاته يعتبر أمراً فريداً ، ذلك لأن العثمانيين عندما استولوا على مصر عقب انتصارهم على المماليك وإسقاط دولتهم عام ٩٢٣هـ (١٥١٧م) . تنبهوا إلى الدور الخطير الذى يلعبه القضاء سواء فى الحياة الاجتماعية أو السياسية ولذا عمدوا للسيطرة على القضاء المصرى ، وذلك بإحلال قاض عثماني حنفى - وهو ما أطلق عليه قاضى عسكر(١٠) - لرئاسة القضاء المصرى وإلغاء ما كان معمولاً به من نظام قضاة القضاة الأربعة . ولكن كان من العسير على السلطان سليم الأول (١١) . أن يحدث تغييراً مفاجئاً فى النظام القضائى المصرى ، فأقر أثناء وجوده فى مصر النظام القديم . حيث ابقى القضاة الأربعة الذين كانوا على رأس القضاء المصرى فى عهد السلطان الغورى .(١٢)

ولكن لم يدم هذا الأمر طويلاً حيث أن العثمانيين عمدوا إلي وضع خطة تمت بها السيطرة على نظام القضاء في مصر ، و تم تنفيذ هذه الخطة على عدة مراحل كالتالي :-

أولاً: تنفيذاً لأول خطوة نحو عثمنة القضاء في مصر قام السلطان العثماني سليم الأول بإقرار قاض مع قضاة القضاة الأربعة (١٣) أطلق عليه قاضى العرب وجعل مقره المدرسة الصالحية(١٤)، و منع نواب القضاة بمصر و الشهود قاطبة أن لا يعقدوا عقداً لأحد من الناس ، ولا يكتبوا إجازة ، ولا وكالة ، ولا شيء من الأشغال إلا بهذه المدرسة و بين يديه ،وأخبر ابن إياس أن الناس و القضاة قد لحقهم عظيم الضرر من جراء هذا الأمر . كما استشهد بقول الشيخ بدر الدين بن الزيتوني في معنى ذلك (١٥).

منعنا الحكم و الأشهاد أيضاً   فيا سنة الكرى عينى فزورى
منعنــا كلنــا مـــن غير ذنب   كأنـــا قـد آتيناهم بزور(١٦)

ثانياً :- تنفيذاً لما رسم من خطوات لعثمنة القضاء المصرى ، نرى أن خاير بك(١٧) نائب السلطنة العثمانية بمصر مضى قدماً في تنفيذ هذا الأمر ، إذ أنه في يوم السبت مستهل ربيع الأول ٩٢٤ هـ-(١٥١٨م) أمر نواب القضاة أن يبطلوا الرسل و الوكلاء من المدرسة الصالحية ، و أن لا يحكموا إلا في بيوتهم من غير رسل ولا وكلاء ، ويشير ابن إياس إلي أن هذا الأمر لم يتم و لم يعمل به النواب(١٨). ولعل هذا القول يشير إلي أن الرسل و الوكلاء كانوا غير راضين على ما قام به خاير بك ، و لذا فلم يلتزموا بما أقر به .

ثالثاً:- ثم تبع ذلك عدة خطوات أخذت طابعاً أكثر تدخلاً عما قبلها . منها أن

العثمانيين عمدوا إلي إجلاس أحد أمرائهم على تكية بباب المدرسة الصالحية يسمونه "المحضر" و حوله من الإنكشارية (١٩) حيث كان لا يقضى أمراً من الأحكام الشرعية حتى يعرض عليه ، وكان يقف المتخاصمان بين يديه و يقرر في كل محاكمة مبلغاً مقداره ستة دراهم على كل دينار . كما كان لا يأخذبتنفيذ ما يراه من أحكام على المتخاصمين من ضرب و سجن وفي كل لا يأخذ بمشورة القضاة . و هكذا سلب الكثير من سلطاتهم القضائية . ونرى ابن إياس يعلق على ذلك بقوله " وقد ضعفت شوكة الشرع في هذه الأيام جداً " كما استشهد بقول القائل (٢٠):-

يا رب زاد الظلم و استحوذوا　　　و الفعــل ليس يخفى عليك

و مــا لنا إلاك فانظــر لنـــا　　　ونجنا منهم وخذهم إليك(٢١)

رابعاً :- ومن تلك التدخلات المباشرة ما قام به الأمير إسكندر بك في يوم الخميس عاشر رجب ٩٢٥ هـ (١٥١٩م) . من معارضته الشديدة لقضاة القضاة فيما كانوا يصدرونه من أحكام شرعية ،(٢٢) وتأكيداً لهذا التدخل من قبل إسكندر بك في الأمور القضائية أصدر خاير بك أوامره بإبطال نقباء قضاة القضاة الأربعة . و منع بعض الوكلاء و الرسل الذين كانوا يجلسون على باب المدرسة الصالحية .

خامساً:- و استمراراً لتضييق الخناق على نظام القضاء المصرى ما قام به خاير في رجب عام ٩٢٦هـ (١٥٢٠م) . من إصدار أوامره لقضاة القضاة بأن يقلصوا عدد نوابهم بعزل عدد كبير منهم ، ومقتهم و أغلظ عليهم في القول حيث قال لهم : "اعزلوا جماعة من نوابكم المناجيس ".حيث استغل في ذلك شكوى امرأة ضد أحد نواب قاضى القضاة الحنفى بأنه ضربها ثمانين عصاة.(٢٣)

سادساً :- وسيراً على هذا الدرب قام خاير بك في ١٦ ذى الحجة ٩٢٧هـ ١٧ نوفمبر ١٥٢١م بإتخاذ عدة قرارات وضعت حداً لحرية القضاة المصريين ، و ذلك بناء على أمر عثماني عرف باليسق العثماني هى :

أ :- اقتصار كل قاض من القضاة الأربعة على سبعة نواب لا غير ، بعدد أيام الأسبوع . نائباً في كل يوم .

ب :- على كل قاض أن يجلس في بيت قاضى القضاة التابع له في اليوم المحدد له و ينظر الدعاوىٰ التى تعرض عليه هناك بمفرده.

جـ: - أن يكتفى كل نائب بشاهدين فقط .

د:- أن يأخذ القاضى على عقد زواج البكر ستين نصفا ، و على الثيب ثلاثين نصفا لا غير .

هـ:- توزيع المبالغ التى تحصل من العقود بين العاقد و الشهود مع تحديد نصيب لبيت المال.

و:- أن عقد الزواج و اعتماد الطلاق لا يتمان إلا في بيت من بيوت القضاة الأربعة.

ز:- يحظر على القضاة و الشهود الحكم بالمدرسة الصالحية.

ح:- يمنع جميع النواب و الشهود من مباشرة الأحكام الشرعية عدا من يتم اعتمادهم(٢٤).

سابعاً:- وفي جمادى الآخرة سنة ٩٢٨هـ - مايو سنة ١٥٢٢م . أقدم العثمانيون على تنفيذ المرحلة قبل الأخيرة نحو عثمنة القضاء المصرى و ذلك عندما أرسل السلطان سليمان القانوني إلي مصر قاضياً عثمانياً عرف بـ :" قسام التركات " سواء كانت أهلية أو غيرها ، ولا يعارضه أحد من الناس في ذلك ، و أن يأخذ ما يتحصل من كل تركة العشر لبيت المال أن يأخذ على عقد البكر ستين نصفاً ، و الثيب ثلاثين نصفاً ، و لم يستطع أحد من قضاة القضاة معارضته(٢٥).

ثامناً:- ففى أواخر جمادى الأخرة سنة ٩٢٨هـ - مايو ١٥٢٢م. حدثت آخر جولة في عثمنة القضاء المصرى ، حيث تم للدولة العثمانية انتزاع السلطة القضائية من أيدى علماء الأزهر بمصر ، و صار قضاء مصر عثمانياً (الرياسة و الإدارة و النظم) و ذلك بوصول القاضى العثماني " سيدى جلبى " والذى سبقه وصول مرسوم السلطان سليمان إلى خاير بك والذى كان يحوى عدة فرمانات هى :-

أ- إقالة قضاة الأربعة بمصر من مناصبهم .

ب- إعطاء جميع الصلاحيات القضائية على المذاهب الأربعة لقاضى عسكر سيدى جلبى. جـ- إبطال جميع النواب والشهود بمصر .

د - اقتصار كل نائب على اثنين من الشهود فقط .

و - أن تكون المدرسة الصالحية هى المقر الدائم للنواب الأربعة .

ز - عدم التصديق على أى أمر من الأمور الشرعية إلا بعد عرضها على قاضى عسكر

وبعد وقوف الأمير خاير بك على مرسوم السلطان سليمان أصدر أوامره للقضاة ونوابهم وشهودهم بأن يلزموا بيوتهم ولا يتحدثوا فى الأمور الشرعية ، فامتثلوا لذلك (٢٦).

وهكذا فقد راينا أن عملية عثمنة القضاء المصرى قد استغرقت ما يقرب من خمس سنوات ، ولم يستطع العثمانيون القيام بهذه العملية جملة واحدة وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى عظم المكانة التى تتمتع بها مصر سواء أكانت سياسية أو علمية. ويتضح هذا الأمر جليا إذا ما قورن بما حدث فى الأقطار الإسلامية الأخرى . ففى الشام مثلا عند عودة السلطان سليم إلى بلاده بعد تدعيمه للحكم العثمانى بمصر - وأثناء إقامته بالشام أمر قاضى القضاة الشافعى بها وهو " شهاب الدين بن فرفور " بأن يتقلد بالمذهب الحنفى ويترك المذهب الشافعى . وأن لا يحكم بالشام غير قاضى القضاة الحنفى . وأبطل عمل قضاة الثلاثة الباقين كما أبطل الوكلاء والرسل ونواب القضاة (٢٧) .

ولنا أن نتساءل إذاً هل نجحت عملية عثمنة القضاء المصرى وباتت مناصب القضاء فى مصر قاصرة على العثمانيين دون المصريين ؟ فى واقع الأمر إن مجريات الأحداث خلال ذلك العصر اثبتت بما لا يدع مجالا للشك عجز العثمانيين عن القيام بمهام القضاء فى مصر جميعها ، إذ تكشف لنا وثائق المحاكم الشرعية مدى اعتماد القضاة العثمانيين على العلماء المصريين لكى يساندونهم فى القيام بالمناصب القضائية . ولم يقتصر الأمر عند ذلك فحسب ، بل استعانوا بالعلماء المصريين كشهود ووكلاء أيضاً .
وقبل الشروع فى الإشارة إلى بعض أسماء من تولوا مناصب القضاء خلال فترة دراستنا لنا أن نتساءل هل كانت هناك أولوية لدى العثمانيين فيمن يتولي مناصب القضاء من المصريين . أم الكل سواء ؟ فى الحقيقة واستكمالا لعملية عثمنة القضاء المصرى ، جعل العثمانيون الأولوية لمن يتولى مناصب القضاء من المصريين لمن نال قسطاً كبيراً من التعليم بالمدارس العثمانية الموجودة بالعاصمة استانبول . لاسيما فيمن تولي منصب قاضى القضاة أو قاضى عسكر .

وهاك بعض أسماء الذين تولوا مناصب القضاء كنواب وذلك على سبيل

الاستشهاد لا الحصر . فنجد ممن تولي القضاء بأكبر المحاكم آنذاك وهى محكمة الباب العالي . الشيخ أبو المكارم عبد المنعم الشهير بالزيادى الشافعى(٢٨). والشيخ ابو عبد الله شمس الدين محمد ابن أحمد الوراثى الصديقى المالكى(٢٩) والشيخ عثمان الفتوحى الحنبلى (٣٠). وممن تولي القضاء بمحكمة الصالحية النجمية ، الشيخ زين الدين عبد القادر على البرلسى المالكى (٣١). وبمحكمة القسمة العربية الشيخ زين الدين عبدالمنعم البكرى (٣٢). وبمحكمة طولون الشيخ شمس الدين محمد أبو الحسن الدميرى المالكى (٣٣). وبمحكمة بولاق الشيخ ابو عبد الله محمد بن زين الدين عبد الباسط الشهير نسبه بالساطى الشافعى(٣٤). ولم يقتصر هذا الأمر على محاكم القاهرة ، بل نجد أن العلماء المصريين قد تولوا المهام القضائية فى محاكم الأقاليم أيضاً. من هؤلاء الشيخ محمد بن أحمد المعروف بالحتاتى الحنفى ، الذى باشر القضاء فى كل من أسيوط والجيزة (٣٥) وممن باشر القضاء بمحاكم الأقاليم أيضاً الشيخ شهاب الدين الحنفى . وذلك بثغر الإسكندرية (٣٦) ، وغيرهم الكثير . وهكذا استطاع العلماء أن يجبروا الإدارة العثمانية على الاستعانة بهم ، بعد أن صعب عليها تحويل القضاء فى مصر إلى عثماني صرف

وأما بالنسبة لمناصب الشهود وغيرهم فقد أشارت دراسة سابقة إلى أن تلك المناصب كانت ميدانا خالصا للعلماء المصريين لم يلها عالم عثمانى إلا فى حالات نادرة (٣٧) . وتزخر وثائق المحاكم الشرعية بأسماء المصريين الذين تولوا هذه المناصب (٣٨) وكما أمدتنا الوثائق بأسماء من تولوا هذه المناصب أمدتنا بالمهام التى كانت منوطة بهم ، حيث ذكر ذلك عند تقرير الشيخ زين الدين صالح الطبلاوى شاهداً بالقسمة العسكرية ، بأن ينظر في مصالح المسلمين ، و يحمل الشهادات ، وقسمة المخلفات على الأوجه المرضية (٣٩).

هذا من ناحية مناصب القضاة كنواب ، أما من ناحية منصب قاضى القضاة أو قاضى عسكر ، ففى واقع الأمر أنه طيلة مدة العصر العثماني ندر من ولى مهام هذا المنصب من العلماء المصريين . و سبب ذلك ما سبق كما نوه إليه أن لا يتولى مهام هذا المنصب إلا من نال قسطاً كبيراً من التعليم في المدارس العثمانية " الثمان " الموجودة بالأستانة . سواء كان تركيا أم لا حيث أوضحت لنا الوثائق و المصادر أن هذا المنصب قد تولاه الأتراك . وغيرهم كالشوام مثلاً.

وفيما يبدو أن المصرى الوحيد الذى تولي مهام هذا المنصب خلال ذلك العصر الشيخ العالم شهاب الدين أحمد الخفاجى الحنفى (ت ١٠٧٩ هـ - ١٦٥٨م) . و لرب سائل يسأل إن كان الأمر كذلك فلم إنفرد الخفاجى بتولية هذا المنصب دون غيره من العلماء المصريين ؟ على الرغم من وجود الكثير من الذين ارتحلوا إلي الأستانة ، و نالوا قسطاً من التعليم بمدارسها ، و كان أقصى ما نالوه مناصب نواب القضاة في بعض المحاكم. و يرجع هذا الأمر في اعتقادى إلي عدة أمور توافرت في الخفاجى دون غيره من علماء مصر في تلك الفترة و من أهمها :

أولاً: مدى تفوق الخفاجى و براعته في تحصيل العلوم ، الأمر الذى لم يتوفر لغيره ممن ارتحل إلي الأستانة – و هذا ما سوف تعرفه في حينه خلال تلك الدراسة .

ثانياً :– طول المدة التى قضاها الرجل في الأستانة و تعلمه على يد الكثير من فضلائها في عدة علوم مختلفة كالطب و الرياضيات و غيرها .

ثالثاً:– احتفاظه بعلاقات طيبة مع كبار المسئولين في الأستانة ، الأمر الذى رشحه لتولي ذلك المنصب .

رابعاً :– أنه تدرج في تولي بعض المناصب القضائية في المدن الموجودة بالعاصمة (الأستانة) و كان أخرها مدينة سالانيك ، و ذلك قبل أن يسند إليه المنصب في القاهرة[٤٠].

منصب مفتى السلطنة :

لقد أوجد العثمانيون منصب مفتى السلطنة ليرأس الهيئة الإسلامية الموجودة ببلادهم ، و كان يلقب بشيخ الإسلام . و اعتبره العثمانيون موازيا للصدر الأعظم في رتبته . و لذا أعطى هذا المفتى من قبلهم كثيراً من الحقوق فقد كان له الحق في تعيين و عزل كل المفتين في السلطنة . كما كان يقوم بتعيين القضاة من مذهب أبى حنيفة في كثير من مراكز الولايات، كما لم تكن تعلن أية حرب أو تعقد معاهدة إلا بعد أخذ رأيه في كل شئون الدولة الهامة ، بالإضافة إلي ذلك فقد كان لصاحب هذا المنصب الحق في إصدار فتوى بعزل السلطان نفسه.[٤١]

وىما يعتقد أن إنشاء هذا المنصب في مصر كان مرتبطاً بالتغيير الذى أصاب نظام القضاء المصرى ، و دليلنا على صحة هذا الاعتقاد أن هذا المنصب كان يعطى لمن هو أكثر

علماً بين الشافعية بمصر ، دون غيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى ، و خاصة أتباع المذهب الحنفى مثلاً . و ذلك لتعويض الشافعية عن فقدانهم المركز الأدبى بعد عثمنة القضاء نظراً لما كان يتمتع به المذهب الشافعى من الانتشار و غلبة رجاله آنذاك .

والظاهر فيما يبدو أنه منذ بداية العقد الثاني من القرن الحادى عشر الهجرى الـ١٧م. قد حدث تحول فيما يجب توافره من شروط لتولي هذا المنصب إذ أننا نجد أنه قد تقلد هذا المنصب منذ تلك الفترة عدد ممن ليسوا في صدارة فقهاء الشافعية ، مما يدفعنا إلي الاعتقاد بأن هذا المنصب بات منصباً شرفياً أكثر منه عملياً . و حدث هذا الأمر تحديداً بعد وفاة الشيخ العالم محمد بن أحمد بن حمزة الملقب بـ شمس الدين ابن شهاب الدين الرملى المنوفي المصرى (٩١٩-١٠٠٤هـ / ١٥١٢ - ١٥٩٥م)[٤٢].

إذ انه بعد وفاة الشيخ الرملى و طبقاً لما سجلته وثائق المحاكم الشرعية اتضح أن هذا المنصب أصبح منصباً وراثياً توارثه أفراد السادة البكرية [٤٣] و تناقلوه فيما بينهم . و في الحقيقة فإن المصادر التاريخية أشارت إلي أن هؤلاء السادة سعوا إلي تولي هذا المنصب والاحتفاظ به ، و ذلك مما يزيد من مكانتهم الاجتماعية . و كانت أولي محاولاتهم عندما قام الشيخ أبو السرور بن محمد بن على بن عبد الرحمن الصديقى (١٠٠٧هـ - ١٥٩٨م) بإرسال رسالة إلي دار السلطنة تتضمن طلبه لمنصب مفتى السلطنة [٤٤].

ولعله بعرض بعض الأسماء التى تولت هذا المنصب من السادة البكرية يتضح لنا كيف تمكنوا من الاحتفاظ بهذا المنصب دون غيرهم . فمنهم الشيخ محمد شمس الدين البكرى الصديقى[٤٥] والشيخ محمد زين العابدين البكرى الصديقى [٤٦]. والشيخ أبو المواهب البكرى الصديقى[٤٧] والشيخ أحمد أفندى زين العابدين الصديقى [٤٨]. والشيخ عبد الرحمن البكرى الصديقى[٤٩] ، محمد أفندى البكرى الصديقى [٥٠] ، والشيخ محمد زين العابدين البكرى الصديقى [٥١] ،وغيرهم .

فساد الإدارة وتأثيره على العلماء

من المؤكد أن الإدارة هى عصب أية دولة وأنه بحدوث أى خلل فيها سوف يترك أثاراً ظاهرة على قطاعات عديدة من الدولة ومن تلك القطاعات القطاع الوظيفى ، وذلك بحكم أن توزيع الوظائف أمر مخول إلي الإدارة . فهى التى توزع تلك الوظائف على من يستحقها ، وأنه طالما حاد القائمون على الإدارة عن الصواب فى توزيعهم للوظائف فمن

الطبيعى أن يكون لهذا الأمر مردوده عند المستحقين لتلك الوظائف . من حدوث صراع بينهم على توليها . بخلاف تأثير ذلك على علاقتهم . وسوف تقوم الدراسة من خلال هذه الأطروحة ، رصد هذا الأمر ، وخاصة فى الفترة محل الدراسة لبيان أثر ذلك على العلماء .

فبداية علينا تحديد من كان بيده تولية الوظائف وتوزيعها . فمن خلال الإطلاع على وثائق المحاكم الشرعية . والمصادر التاريخية المعاصرة لتلك الفترة ، اتضح أن كلا من مفتى السلطنة بالأستانة ، وقاضى القضاة بمصر ومن ينيبه فى هذا الأمر هم الذين كان بيدهم تولية الوظائف . وقد أوضحت ما تم بشأن عثمنة القضاء المصرى وجهود العثمانيين على تغطية المناصب القضائية فى كافة أنحاء البلاد وقيامهم بالاستعانة بالعلماء المصريين لسد هذا العجز الوظيفى فى المناصب القضائية ولكن من الواضح أيضاً أن القضاة العثمانيين أثبتوا عجزهم عن التزام العدالة فى كثير من الأمور المخولة إليهم . ومنها بالطبع توزيع الوظائف وقد يرجع سبب ذلك إلي أمرين أولهما . ما حدث تحديداً منذ الربع الأخير من القرن السادس عشر من ازدياد تدخل الجند فى شئون الإدارة بمصر وقد كان القضاء أحد المرافق التى أصيبت بآفة هذا التدخل(٥٢). والآخر أن القضاة العثمانيين بدءاً من قاضى عسكر إلي قاضى الناحية أصبحوا يحصلون على مناصبهم عن طريق الشراء . ومن هنا فإنهم عملوا على استغلال مناصبهم فى جمع الأموال لتعويض ما دفعوه ثمنا لهذه المناصب (٥٣).

وكان نتيجة ذلك أن تولى المناصب القضائية من ليس لها بأهل فمنهم من كان يجهل قواعد الشريعة(٥٤). ومنهم كان من يتعدى على الأوقاف والجهات المرصدة على المؤسسات الدينية والتعليمية والقائمين بها (٥٥). ومنهم من كان يثقل من كاهل أفراد المجتمع بأخذ الرشاوى والهدايا عند عرض القضايا . وقد كثرت الشكاوى حول تلك التجاوزات (٥٦).

ومن الأمور التى اعتد بها عند الاختيار و كانت ذات أثر سلبى يعكس معايير اختيار موظفى القضاء ، تحيز من بيدهم الأمر لمذهب بعينه كالتحيز للمذهب الحنفى ، الأمر الذى دفع الكثيرين إلي التمذهب بالحنفية بحثاً عن وظيفة ، و إعطاء أولوية لمن تربطهم بالمسئولين علاقة شخصية ، فأصبح المترددون على دهاليز الإدارة يظفرون بالوظائف دون حق .

و قد أثر ذلك سلباً على بعض العلماء طالبى الوظائف الذين أخذوا يبحثون عن الحصول على الوظيفة بطرق غير مشروعة كالرشوة و التكالب على الوظائف ، ولا شك أن تلك السلوكيات تؤدى إلي تفشى الأمراض الاجتماعية ، و السلوكيات المشينة بين طوائف العلماء .

وقد أدت المعايير السيئة إلي استئثار بعض العلماء بأكثر من وظيفة بينما ظل الكثيرون في دائرة البحث عن وظيفة صغيرة تعينهم على توفير متطلبات الحياة ، ومن الذين تبوءوا أكثر من وظيفة في وقت واحد الشيخ شمس الدين محمد الرفاعى الشافعى الذى شغل أكثر من ثلاثين وظيفة ما بين تدريس و شهادة ، وقراءة ، وخدامة ،وخزن كتب ، وغير ذلك في عدة أوقاف مختلفة(٥٧). ومنهم أيضاً الشيخ شهاب الدين أحمد ابن الشيخ منصور الطبلاوى الذى قرر فيما يقرب من ست و عشرين وظيفة (٥٨). ومن هؤلاء أيضا الشيخ مصطفى أفندى الرومى . الذى شغل ما يقرب من إحدى وعشرين وظيفة(٥٩).

ومما هو جدير بالملاحظة أن الوظائف الموزعة على مثل هذه النوعية من العلماء الكثير منها يمنح للعالم بصورة مجزئة حسب نسب مختلفة كالسدس و الربع و الثلث . وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل وزعت بالقيراط والقيراطين !! الأمر الذى يحمل في طياته إحتمالاً سببه مؤكد وهو أن العالم الذى كان يؤول إليه جزء من الوظيفة بهذا القدر لم يكن يعنيه القيام بأدائها بقدر ما كان يعنيه اخذ الراتب فقط . هذا علاوة على أن تجزئة الوظائف وتوزيعها بهذا الشكل من انتشار – ما يمكننا أن نطلق عليه – تجارة الوظائف بين علماء العصر العثماني . إذ توزع الوظيفة بين أكثر من عالم يقومون ببيعها لشخص واحد و هذا ما سوف تشير إليه الدراسة في حينه .

وهنا نجد أنفسنا أمام سؤال يطرح نفسه و هو ما رد الفعل المنعكس على أفراد المجتمع المصرى من كون العالم كان يجمع في وقت واحد بين الوظائف الكبيرة كالتدريس في بعض المدارس الكبيرة و الوظائف الصغيرة الخدمية ؟ في الحقيقة لقد كان المجتمع يستنكر مثل هذه الأمور و يعجب منها غاية العجب . ومما يدل على ذلك ما أخبرنا به الشيخ محب الدين المحبى في رحلته التى قام بها إلي مصر – خلال القرن الـ١٧م – من أن أحد الشيوخ والذى لقب بـ " الذيب " تشاجر مع رجل مسن في المدرسة الأشرفية(٦٠) .فوكزه الشيخ فقضى عليه ، فسئل عن سبب حضور الشيخ الذيب بالأشرفية ، فقيل أن

الشيخ مع كونه مدرسا بالمدرسة الشيخونية (٦١). بخمسين عثمانياً ، يعمل بوابا بالمدرسة الأشرفية و يصف لنا صاحب الرحلة رد الناس غلى ذلك بقوله : " و كان ذلك أمراً قضى الناس منه العجب ، و حصل على المذكورين غاية الإنكار لهذا السبب " (٦٢)

ومن التساؤلات الهامة في هذا الشأن أيضاً هل أوجد سوء توزيع الوظائف بهذا الشكل جواً من المنافسات و الصراعات بين العلماء مما يؤدى إلي إفساد العلاقة فيما بينهم ؟ في واقع الأمر كثيراً ما كانت تحدث بين العلماء الصراعات و المنافسات على تولي الوظائف.

ونظراً لوجود ما أشرنا إليه من الاعتبارات التى استحدثها القضاة عند توزيع الوظائف كانت الغلبة للقادرين على تقديم الرشوة للقضاة ومن كان على صلة بهم ،على أن ينوه إلي أنه لا يمكن تعميم الحكم السابق على معظم علماء فترة هذه الدراسة .

ولعل أهم الصراعات و المنافسات التى حدثت بين علماء فترة دراستنا ما حدث بين كل من الشيخ العالم مرعى الحنبلى (٦٣) (ت ١٠٢٣هـ-١٦٢٣م). و الشيخ العالم إبراهيم الميموني (٦٤) (ت ١٠٧٩هـ- ١٦٦٨م) . حيث نجد أن الشيخ الميموني استغل علاقاته الوطيدة مع القضاة و أرباب الدولة في الاستيلاء على الكثير من الوظائف . وكثيراً ما استولي على الوظائف بعد أن تؤول إلي الشيخ مرعى مما أوجد تنافراً كبيراً بين العالمين.

ومما هو جدير بالذكر في هذا الشأن أن الضراع الذى حدث بين كل من الحنبلى والميموني من أجل الوظائف ، و ما لحق بالحنبلى من أذى الميموني جعله يعرض بالميموني، و يشتكى منه و من الإدارة القائمة على توزيع الوظائف في كثير من مؤلفاته العلمية ككتابه "بديع الإنشاء و الصفات " (٦٥). و في تاريخه المسمى " نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء و السلاطين " (٦٦) . وغيرهما من الكتب . و ليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل قام الحنبلى بوضع عمل مستقل خص الحديث فيه عن الشكوى من الميموني سماه بـ " النادرة الغريبة و الواقعة العجيبة " (٦٧). ولكن لسوء الحظ لم يتمكن الباحث من العثور عليه، في حين قد وجدنا له عملاً أخر سماه " قلائد العقيان في فضائل آل عثمان "(٦٨) . تحدث فيه عن تلك القضية ، حيث ذكر فيه الرجل

ما لحق به أذى من معاصره الميموني ، كما أخذ يسرد لنا الكثير من الوظائف التى تولاها الميموني ، و التى تعدت الخمسين وظيفة . و ذلك استناداً لما ذكره الحنبلى في كتابه " القلائد " المذكور. ومصادر أخرى (٦٩)

وهكذا فمن الواضح أن قوة صلة الميموني بالقضاة وأرباب الدولة هى التى مكنته من تولي الكثير من الوظائف ، ولذا فإن فقد هذه الصفة كان يؤدى إلي الحرمان من الحصول على هذه الوظائف ، ومن ذلك ما نراه في الشيخ يوسف الشامى الذى يخبرنا محب الدين المحبى عنه في رحلته إذ يقول : " أنه في العلوم العربية والفنون الدقيقة أفضل من في مصر على الحقيقة – وبعد هذا الثناء نراه يتعجب من قلة ما رتب له من وظائف إذا يقول : والعجب أنه مع اشتماله على هذه الفضائل والكمالات ليس له من الجهات في مصر إلا نحو أربعة عثامنة !! . ثم أشار إلي سبب ذلك قائلاً : ثم أن المذكور قليل التردد إلي القضاة (٧٠).

وقد أدى حصول غير المستحقين وإهمال أصحاب الاستحقاق في ضوء الضوابط التى أشرنا إليها إلي إصابة بعض العلماء بالإحباط فأخذوا ينعتون عصرهم بأنه لم يعد عصر العلم والعلماء ، بل عصر الجهل والجهلاء ، وأكثروا من ترديد ذلك في نثرهم ، ونظمه في أشعارهم ، فمن هؤلاء القاضى تقى الدين التميمى (ت ١٠١٠هـ– ١٧٠١م) الذى أنشد قائلاً (٧١).

أصحابنـــا نـوب الزمـان كثيرة وأمـر منها رفعة السفهــاء
فمتى يفيق الدهر من سكراته وأرى اليهود بذلة الفقهاء (٧٢) .

وأنشد السيد عبد الرحيم العباسى في ذلك أيضا (٧٣).

أرى الدهـر يكرم جهالـــه وأعظـــم قـدراً بـــه الجاهل
وأنظـــر حظـــى بـــه ناقصا أيحسبنى أننـــى فاضل (٧٤)

وهكذا فقد رأينا ما اعترى الوظائف من خلل بسبب تسرب الفساد إلي النظام الإدارى بمصر العثمانية ، والظاهر أن ذلك الخلل لم يكن هو الخلل الوحيد الذى أعترى الوظائف بسبب ذلك الفساد ، بل اعترتها عدة أمور أخرى أخرجتها عن مسارها الصحيح، ولعل من أهم تلك الأمور عملية بيع أو تجارة الوظائف .

تجارة الوظائف :

وهى أن يقوم المتولي للوظائف والمرتبات بالنزول عنهما نظير ثمن محدد بينه وبين المشترى ، وهى من الأمور التى استشرت طيلة العصر العثماني ، حتى استدعى ذلك ظهور الرسائل الفقهية (٧٥) التى تعالج ذلك الأمر سواء لمناهضته ، أو بتكييف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الجديدة مع الفقه والفقهاء .

وباستقراء ما تمكنت من الوصول إليه من وثائق المحاكم الشرعية يتضح أن كافة الفئات الاجتماعية المختلفة دخلت في تلك التجارة . وأن هذا الأمر لم يقتصر على طائفة العلماء فقط . وإن كان هذا الأمر أكثر انتشاراً بين جماعة الشيوخ والعلماء بحكم أنهم أكثر الناس استفادة من تلك الوظائف .

وفي الحقيقة فإن سجلات المحاكم الشرعية غنية بالوثائق الدالة على ممارسة علماء فترة دراستنا لذلك . ونظراً لصعوبة القيام بحصر تلك الوثائق لكثرتها فسوف تقوم الدراسة بالاكتفاء بذكر بعض النماذج ، مع التركيز على الوثائق التى تحمل أقرب التواريخ بين تولي الوظيفة والنزول عنها لآخر . حتى يتبين لنا ممارسة تلك العملية بصورة مؤكدة . فمن ذلك ما نراه من تفرغ كل من الشيخ ناصر الدين بن على البنوفرى والشيخ أبو العز بن عبد المنعم من وظيفة مشيخة السبع بالجامع الأزهر للشيخ شرف الدين يحيى بن شهاب الدين أحمد البلخى الحنفى ، بعد ثمانية وثلاثين يوما من توليهما لتلك الوظيفة (٧٦) ومن ذلك أيضا ما قام به الشيخ محمد بن أحمد المغربى الذى تفرغ عن وظيفة تصوف مالكى بالمدرسة الشيخونية للشيخ يوسف ابن الشيخ يوسف الاستنبولي ،بعد تولي المغربى لها بنحو ستة أشهر فقط (٧٧).وغيرها الكثير(٧٨)

وفي استطاعة المرء أن يلاحظ خلال قراءته لتلك الوثائق إجراء عملية البيع والشراء لتلك الوظائف . على أن الظاهرة الملحوظة في تلك الوثائق خلوها من الثمن الذى حدد لتلك الوظائف وتفسير ذلك فيما يعتقد أنه حتى نهاية النصف الأول من القرن الـ ١٧م كانت توجد هناك بعض الأصوات التى تناهض دخول الوظائف سواء كانت دينية أو تعليمية في ظل الممارسات التجارية . ولذا عمد أصحاب المصلحة من تلك العمليات إلي

منع ذكر الثمن المحدد بينهما حتى لا تظهر بصورة البيع المباشر، لكى لا يصدموا مع المعارضين لذلك .

على أنه منذ بداية النصف الثاني من القرن الـ ١٧م رأينا أن عملية الفراغ تلك أخذت شكلاً سافراً . حيث بدأت الوثائق تظهر عملية البيع بشكل مباشر ، وذلك بذكر اتفاق كل من المتفرغ والمشترى وتحديد السعر وتدوينه في العقد.

وتفسير ذلك على ما يبدو أن هذا الأمر أصبح ظاهرة اجتماعية ، اعترف بها الفقهاء على اختلاف المذاهب ، وخفتت الأصوات التى كانت تناهض ممارسته، ولذا لم ير القضاة أدني تحرج من إظهار عملية الفراغ بصورة البيع بشكله المباشر .

ومن النماذج التى توضح استغلال المجتمع المصرى بكافة فئاته للوظائف واعتبارها إحدى الاستثمارات الاقتصادية الهامة ، ما نراه من الاتفاق الذى تم بين كل من الشيخ زين الدين أبو السرور ابن الشيخ شمس الدين محمد الشهاوى الحنفى الأزهرى ، والأمير خليل بن محمد من طايفة كمليان (٧٩). والوكيل عن كل من حسن بن على القصاص ، والمصونة جركس ، والمصونة توحيد وغيرهم . على أنه متى أحضر الأمير خليل المذكور للشيخ أبى السرور الشهاوى في غاية شهر رجب ١٠٩٩ هـ (١٦٨٨م) مبلغاً وقدره ثلاثة عشر ألف نصف فضة ، فإن الشيخ أبو السرور سوف يفرغ للأمير خليل عن وظيفة النظر والتحدث على وقف قانصوه بن درويش – جد الشيخ أبو السرور لأمه – وعن وظيفة قراءة بالوقف المذكور – وأنه متى انتهى ذلك التاريخ المحدد ، ولم يقبض الأمير خليل الشيخ أبى السرور المبلغ المتفق عليه كان لاحق للأمير خليل بمطالبة الشيخ أبو السرور الفراغ عن أى من الوظيفتين كما أنه لا حق للموكلين المذكورين قبل الشيخ أبو السرور . ولا في جانب الوقف ما عدى استحقاقهم فيه . وقدره في كل سنة ثلاثمائة وثلاثين نصف فضة . وذلك بحضور كل من الشيخ العالم شمس الدين محمد شاهين الأرمناوى الحنفى . والشيخ العالم برهان الدين إبراهيم البرماوى الشافعى . والشيخ العالم زين الدين عبد الباقى الزرقاني المالكى ، والشيخ العالم زين الدين أبو العز الواطى المالكى ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن إبراهيم النوسى الحنفى ، والشيخ زين

الدين مصطفى بن عيسى بن محمد الأرمناوى الحنفى ، وأخيه الشيخ شمس الدين محمد ، والشيخ شمس الدين محمد الشهاوى، والشيخ نورالدين على الرحماني ، والشيخ زين الدين موسى المالكى ، وغيرهم الكثير من الفضلاء والأعيان بمصر أنذاك (٨٠).

ولعلك تلمح معى من خلال تلك النماذج مدى التطور الذى طرأ على عملية الفراغ في الوظائف ، وأن أصحاب المصلحة في تلك العلميات بدأوا يتخلصون من أى تحرج في ممارستها ، وأظهرها بصورة البيع المباشر، على أن أهم ما يلاحظ في النموذج الأخير من تلك النماذج كثرة عدد الحضور من الشيوخ والعلماء ليشهدوا على إتمام هذا الأمر ، وهو ما يؤكد ما أشرنا إليه سابقا من أن الفقهاء رضخوا للأمر الواقع واعترفوا بأن هذا الأمر أصبح ضمن الظواهر الاجتماعية . وهو ما يمكن أن يطلق عليه تكييف الفقه لملائمته بالأوضاع المستجدة في المجتمع .

الأنشطة الاقتصادية الأخرى لدى العلماء :

لقد عرضت لنا تلك الدراسة الوظائف التى كان يتولاها العلماء من قبل الإدارة العثمانية والتى كانت تعتبر وظائف معينة على مواصلة الحياة العلمية، كما أتضح لنا أيضا أن سوء توزيع تلك الوظائف كان يلازم الكثير من العلماء الأمر الذى كان يحيلهم بدوره إلي امتهان بعض المهن ذات العائد الاقتصادى الضعيف للتكسب منها ، فمنهم من كان يعمل نساخاً أو خطاطاً ، أو يقوم ببيع الكتب في حوانيت الكتب المجاورة للجامع الأزهر.

ومما هو واضح من تلك الوظائف التى مر ذكرها أو المهن التى سبق الإشارة إليها أن أصحابها في الغالب كانوا يعيشون في ضيق من العيش أو في حالة من الكفاف . ولكن هل كان جميع العلماء يتجهون للعمل بتلك الوظائف والمهن ؟ أم تطلع البعض منهم إلي ممارسة الأنشطة الاقتصادية الأخرى وهل كان معظم العلماء ينحدرون من أسر فقيرة ؟ في الحقيقية ومما لاشك فيه أن العلماء كفئة اجتماعية كان يوجد بينهم فروق سواء كان من ناحية الوضع الاقتصادى ، أو التطلع نحو تحسين المستوى المعيشى ، فمن ناحية الوضع الاقتصادى وجد الكثير من العلماء ينحدرون من أسر فقيرة ولكن البعض كان ينتمى إلي الأسر الثرية ، ولعل أقرب الأسر ثراءً إلي ذهننا "الأسرة البكرية" والتى

أشرنا إليها فيما سبق - كما وجد هناك من العلماء من ترك له والده ثروة كبيرة استغلها في حياته العامة ، ومن هؤلاء الشيخ العالم محمد بن إبراهيم المعروف بابن الصائغ المصرى الحنفى (ت ١٠٦٦هـ- ١٦٥٥م) والذى قيل عنه " أنه لم ير في مصر أحسن من شكله وملبوسه ، وعمامته ، ولا ألطف من مصاحبته ومنادمته . وكان والده من أكابر التجار المياسير ، خلف له أموالا كثيرة" (٨١).

أما تطلعات هؤلاء نحو تحسين المستوى المعيشى فيتضح لنا من الأنشطة الاقتصادية التى مارسها العلماء .

العلماء في ميدان التجارة والماليات:

لما تطلع بعض العلماء إلي تحسين مستواهم المعيشى اقتصاديا رأوا أن أقصر الطرق إلي ذلك ممارسة النشاط التجارى ، ولذا نرى أن بعضا من طائفة العلماء - في فترة دراستنا تلك - قد مارسوا النشاط التجارى ليس على المستوى المحلى فقط . بل على المستوى الدولي أيضا كما أنهم تاجروا في كثير من المنتجات المختلفة ، سواء كانت زراعية أو صناعية (٨٢)

وممن كان له نشاط تجارى ملحوظ من علماء تلك الفترة شيخ القراء في زمانه الشيخ العالم عبد الرحمن بن شحاذة اليمنى (ت ١٠٥٠هـ- ١٦٤٠م) . مما أدر عليه الأموال الكثيرة ، فانعكس ذلك على علاقاته مع طلبه العلم والفقراء ، حيث كان كثير الإحسان إليهم والبر بهم . ولا يمر عليه يوم إلا ويعطى من ماله الشئ الكثير لمن يحتاج له(٨٣).كما كانت له معاملات تجارية مع غيره من التجار، ومن ذلك هذا الدين الذى كان له على التاجر محمد بن فخر الدين على بن القسطنيوني الإسكندرى ، وكان قدره من القروش الفضة الكبار الأبى مشط ٢٤٠٠ قرش (٨٤).

ولنا أن نتساءل لم كان النشاط التجارى أكثر الأنشطة الاقتصادية التى مارسها العلماء كبديل للوظائف ؟ ويمكننا الإجابة على ذلك بأن من المعلوم لدينا أن التجارة تعد من أقصر الطرق للحصول على الأرباح وتكوين الثروات ، وهذا ماأيقنه العلماء فأقبلوا على مزاولة النشاط التجارى كما رأينا. كما أن مزاولة النشاط التجارى مع شئ من

التنظيم لا يمثل أية عقبة أمام العالم في مواصلة حياته العلمية ، بعكس الأنشطة الاقتصادية الأخرى كالصناعة والزراعة والتى تتطلب من الشخص أن يفرغ الشيء الكثير من وقته وجهده لمزاولتها . وليس ثمة ما هو أدل على ذلك ما يلمس من العالم عبد الرحمن اليمنى (ت ١٠٥٠ هـ - ١٦٤٠م) . فعلى الرغم من مزاولته للنشاط التجارى كان يعد شيخا للقراء في عصره ، وكان يفد إليه الطلبة من شتى الأقطار لتلقى علم القراءات منه .

أملاك العلماء وكيفية إدارتها :

لقد تعددت صنوف أملاك العلماء ما بين أرض زراعية وعقارات منزلية ، ومحلات تجارية ، ومراكب للصيد ، وغيرها . وبما أن طبيعة العمل لإدارة تلك الملكيات يتطلب تفرغ صاحبها للقيام بذلك ،وهو ما يتعارض مع متطلبات الحياة العلمية، التى تحتاج هى الأخرى أكبر قدر ممكن من وقت العالم للقراءة والتأليف والتدريس ، ومن ثم تعامل العلماء مع ملكياتهم بأسلوب استثمارى يضمن حسن استغلالها مع مواصلة حياتهم العلمية .وهذا ما سوف تقوم الدارسة بتوضيحه .

الأراضى الزراعية :

سبق وأن أشير أن بعض العلماء كانوا يمتلكون الأراضى الزراعية سواء عن طريق الشراء أو الإرث ، أو كانت عبارة عن رزق إحباسية مرصدة على العالم من الأوقاف على طريق البر والصدقة. أو تلك التى آل التصرف فيها إلي العلماء عن طريق نظارة الأوقاف . وقد تطلب الأمر من العلماء أن يقوموا بتأجير تلك الأراضى حتى يتفرغوا تماما لمواصلة حياتهم العملية[٨٥].

في الحقيقة لم يقف تعامل العلماء مع الأراضى الزراعية عند القيام بتأجيرها فقط، بل نرى ثمة من قام باستئجارها أيضا . ومن هؤلاء الشيخ العالم إبراهيم الميموني (ت ١٠٧٩ هـ- ١٦٦٨م) . الذى قام باستئجار قطعة أرض مساحتها ستة وأربعون فدانا كائنة بناحية المطرية ، بالإضافة إلي عشرة أفدنة كانت بأراضى أطرجيوس بالضواحى ،وجميعها تتبع وقف سودون بن زاده لمدة ثلاث سنوات عن أجرة قدرها خمسة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرون نصفا من الفلوس النحاس لكل سنة[٨٦].

ولرب سائل أن يسأل لم قام بعض العلماء باستئجار الأراضى الزراعية مع أنه قد أشير إلي أن العمل بالأراضى الزراعية يتعارض مع متطلبات الحياة العلمية ؟ وللإجابة على ذلك أقول : أنه ليس من المحتم على كل من استأجر أرضا زراعية أن يقوم بزراعتها بنفسه ، إذ يمكن أن يشارك فيها آخرين ، أو أن يقوم بتأجيرها لغيره مرة أخرى ، إذ أن نظام عقود إيجار الأرض الزراعية في ذلك الحين ، كان يسمح للمستأجر أن يقوم بتأجير الأراضى الزراعية التى استأجرها . ولذا فإن العلماء المشايخ قد وجدوا متسعا من الوقت للإشراف على زراعة أراضيهم القريبة من القاهرة أو الكائنة في زمامها . وقد لوحظ حرص بعض هؤلاء مثل الشيخ الميموني والشيخ كريم الدين على الجمع بين الاشتغال بالعلم والإشراف على زراعة بعض الأراضى ، وعليه فإنا نجد العلماء كثيراً – ما كانوا يؤجرون أراضيهم التى تقع بعيداً عن دوائر نشاطهم العلمى .

الممتلكات الأخرى :

وثمة بعض الممتلكات الأخرى كانت توجد للعلماء كالعقارات المنزلية(٨٧) والمحلات التجارية ، ومراكب الصيد (٨٨) ، وغيرها وقد تعامل العلماء مع هذه الممتلكات تعاملوا فيما امتلكوه من أراضى زراعية وذلك بتأجيرها ليتفرغوا لحياتهم العلمية .

وهكذا فقد مارس بعض العلماء النشاط التجارى ولم يقف نشاطهم عند التجارة الداخلية بل امتد إلي التجارة الدولية ، كما وجد منهم من امتلك الأراضى الزراعية والعقارات والمحلات التجارية ،وغيرها ومع ذلك فقد ظلوا يؤدون دورهم العلمى . وعموما فليست سعة النشاط التى أشرنا إليها كانت سمة عامة لجميع العلماء ، وإنما تفاوتت أحوال ملكياتهم وأنشطتهم ولم تك على وتيرة واحدة .

ومع وجود ملكيات واسعة للمشايخ العلماء أو بعضهم فإنهم لم يرقوا إلي مستوى الصدارة الاقتصادية في المجتمع وظل البون شاسعا بينهم وبين طوائف صدارة المجتمع الأخرى كما يوضح ذلك الجدول التالي :-

وبعد فلعلك تلمح الفارق الكبير بين تركات صفوة المجتمع السياسى ، وتركات صفوة المجتمع الثقافي (العلماء) . فمجموع تركات الساسة كما هو واضح تبلغ

مقارنة بين تركات بعض العلماء والساسة			
أ- بعض الصفوة من العلماء		ب- بعض الصفوة من الساسة	
الاســـــم	إجمالي التركة	الأســـــم	إجمالي التركة
نور الدين علي الحلبي الشافعي	٢٤٤٠٥ بارة [٨٦]	قيطاس بك (أمير اللواء الشريف السلطاني	٦٧٨٦٠٠٦بارة [illegible]
أحمد الشوبري الحنفي	١٧٣٩٠ بارة [illegible]	حسن بك (أمير اللواء الشريف السلطاني)	٢٠٧٣٢٥٤ بارة[illegible]
حسن الشرينلالي الحنفي	١٤٢١٣ بارة[٨٨]	دولار (جورجي مستحفظان)	٧٠٠٣٢٠ بارة [illegible]
علي الدين الأجهوري المالكي	٥٦٤٧٩ بارة [illegible]	أحمد أفندى ابن حسن أفندي (كاتب طايفة المتفرقة	٥٥٥٢٤٧ بارة[illegible]
عبد القادر البغدادي الأديب	١٤١٩٠٠بارة[illegible]	الأمير ذو الفقار (كاشف وملتزم)	٤٨٥٢١١ بارة [illegible]
شمس الدين محمد الشوبري الشافعي	١٩٦٢٩بارة [illegible]	ريحان (اغادار السعادة) [١٠٠].	٣٦٢٩٩٥ بارة[illegible]
إجمالي التركات	٢٧٤٠١٦		١٠٩٦٣٠٣٣بارة
إجمالي نسبة تركات العلماء إلي تركات الساسة	٢,٤٩ %		

[١٠٩٦٣.٣٣] أى متوسط الفرد ما يقرب من [١٨٢٦١٧٢] بينما مجموع أو إجمالي تركات العلماء. [٢٧٤٠١٦] أى أن متوسط الفرد منهم حوالي . [٤٥٦٦٩] أى بنسبة ٢,٥٪ إلي متوسط أحد أفراد الساسة وبذلك يكون قد اتضح لنا مدى ضعف الحالة الاقتصادية التى كان يعيشها العلماء في فترة هذه الدارسة ، ولك أن تتخيل إن كانت هذه هى حالة الصفوة المنتقاة من علماء تلك الفترة فما بالنا بحالة من كان دونهم .

وهذا يدل على أن علماء القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) . لم يغتروا بالدنيا ويفتتنوا بها، وإن كانت قد ظهرت بعض النماذج التى حادت عن الطريق السوى الذى رسمه العلماء لأنفسهم فاستولت على الكثير من الوظائف ، أو دخلت في عملية تجارة الوظائف فإن المشجع لها على ذلك مدى الفساد الذى أعترى الجهاز الإدارى في مصر آنذاك . وإن كان هذا مبرزا غير كاف لانخراطهم في هذا الطريق

الجانب الاجتماعى للعلماء

في هذا الجانب سوف تحاول الدارسة كشف بعض الجوانب المتعلقة بالمحيط الاجتماعى للعلماء كنظرة المجتمع لهم ، وعاداتهم في الأفراح والمهور والزواج وعلاقتهم بالطلبة ، وعلاقتهم فيما بينهم ، وغير ذلك من الأمور الأخرى .

نظرة المجتمع إلي العلماء وجهود العلماء في ترسيخ تلك النظرة :

لقد استحوذ العلماء خلال العصر العثماني على مكانة اجتماعية عظيمة داخل مجتمعهم فمن ناحية كانت السلطات الحاكمة تقدرهم وتخشى غضبهم ولا يردون لهم مطلبا، حيث أدركت الهيئة الحاكمة مدى تأثير العلماء على الشعب المصري وأن في استطاعتهم تأليب العامة ، كما أدركوا المكانة التى كان يحظى بها العلماء عند الإدارة العثمانية العليا بالأستانة والسلطان العثماني ، ولذا كانت الهيئة الحاكمة بمصر حريصة على عدم إغضاب العلماء والعمل على تنفيذ متطلباتهم .

ومن ناحية أخرى عظمت مكانة العلماء عند أبناء مجتمعهم ، فعلاوة على أن فئات المجتمع نظرت إلي العلماء على أنهم الملاذ الأوحد تجاه ما يصادفها من متاعب وصعاب من قبل الهيئة الحاكمة ، فقد كانت تنظر إلي العلماء نظرة كلها إجلال واحترام ، وأنهم بالفعل المثل العليا والقدوة التى يقتدى بها . ولقد انعكست تلك النظرة على تعامل أفراد المجتمع وسلوكهم مع العلماء . ومن ذلك الإسراع بإخلاء الطريق حيثما يرون به ،

وهذا كثير ومن أمثلته ما كان يحدث مع الشيخ العالم عبد الرحمن بن شحاذة اليمنى (ت١٠٥٠هـ- ١٦٤٠م) حيث كان إذا مر في الطريق يعرفه الناس ،ويسرعون بإخلاء الطريق له ليمر به(١٠١).

ولكن كيف قام العلماء بتدعيم تلك المكانة وترسيخها في مجتمع مصر العثمانية؟ إن الناظر في أحوال العلماء في ذلك الحين يجد أنهم عمدوا إلي الإندماج داخل المجتمع المصرى مع الاحتفاظ بهيبتهم كاملة أمام الطبقة الحاكمة ولتحقيق ذلك سار العلماء في أكثر من اتجاه . حيث حرصوا على ألا ينغلقوا على أنفسهم اجتماعيا ، وعملوا على إيجاد جو من الترابط الاجتماعى القوى بينهم وبين أفراد مجتمعهم ،وذلك من خلال عملية التزاوج والمصاهرة. هذا من جانب ومن جانب أخر كان العلماء حريصين على فض المنازعات التى كانت دوما ما تحدث بين أفراد المجتمع المصرى،وتسجل لنا وثائق المحاكم الشرعية الكثير من مثل هذه الحالات،حتى أصبح هناك ما يمكن أن نطلق عليه تجاوزاً فرقا مكونة من العلماء لفض مثل هذه المنازعات(١٠٢).

هذا من جانب جهود العلماء في تحقيق الاندماج مع مجتمعهم بكافة فئاته. أما عن جهودهم للاحتفاظ بكامل هيبتهم أمام الطبقة الحاكمة ، فنراهم قد عملوا على تحقيق ذلك بأكثر من خطوة . أهمها حرص العلماء على التعفف عن طلب الوظائف بإلحاح لأن ذلك يسيئ إلي وضعهم ولذا نجد أن الكثير من علماء فترة هذه الدراسة كانوا محل احترام الطبقة الحاكمة. نرى منهم الشيخ العالم إبراهيم اللقاني المالكى (ت ١٠٤١هـ- ١٦٣١م) الذى يخبرنا صاحب الفوايد عن تحقيق هيبته العظيمة عند الطبقة الحاكمة فيقول :" كان رضى الله عنه شيخاً كبيراً عظيم القدر مشهوراً ، مسموع القول في طائفة العلماء، مهابا عند السلاطين والوزراء يأتون إلي مكانة خاضعين له،مقبلين لأقدامه وهو غير مكترث بهم ولا ملتفت إليهم ، وكانت ورقته إليهم لا تزيد على الكف سواء كانت لكبير أو صغير .. "(١٠٣) . وغير ذلك(١٠٤).

وهناك أمر هام اعتمد عليه العلماء للمحافظة على مكانتهم واعتبروه من أهم الأسلحة في وجه السلطات العثمانية ،وتمثل ذلك في سلاح الفتوى وذلك لإدراك العلماء مدى خطورة هذا السلاح عند السلطات العثمانية ليس على مستوى الوزراء والأمراء فحسب ، بل على السلاطين أنفسهم ،وهو ما اتضح من خلال حجم السلطات التى أعطاها العثمانيون لمفتى السلطنة بالأستانة ، حتى كان ضمن سلطاته إصدار فتوى بعزل

السلطان. إذ باستقراء وثائق المحاكم الشرعية الخاصة بذلك العصر يتضح أن العلماء قد عملوا على الاستفادة من سلاح الفتوى بما فيه صالح مجتمعهم وحماية أفراده من جور العسكريين وغيرهم. ولعل عجز القضاة العثمانيين في تغطية المناصب القضائية وعدم تمكنهم من الفصل في المشكلات التى تعرض عليهم ، أعطى الفرصة وأفسح المجال أمام فتاوى العلماء لحل أمثل لمعظم قضايا المجتمع.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المجتمع نفسه أدرك مدى تأثير الفتوى على السلطات الحاكمة . فكان أفراده يحرصون على الحصول على فتاوى العلماء في القضايا التى سوف يعرضونها على القضاة قبل المثول أمامهم. وليس هذا فحسب بل نجد أن الفتوى قد أوجدت وعيا لدى أفراد المجتمع فحرصوا على الوقوف على رأى الشريعة في مختلف أمورهم الاجتماعية(١٠٥).

ومما هو جدير بالذكر في هذا الشأن أن علماء القرن الحادى عشر الهجرى الـ ١٧ م لم يستغلوا إصدارهم لتلك الفتاوى في كسب مادى ، سواء أكان بقبولهم الهدايا من أفراد المجتمع. كما كانوا أرفع خلقا من أن يقبلوا رشاوى للفصل في تلك القضايا. وليس ثمة ما هو أدل على ذلك مما حدث مع الشيخ العالم على الأجهورى المالكى (ت ١٠٦٦هـ- ١٦٥٥م) حينما أتاه رجل مغربى طالبا منه فتوى بجواز رجوعه إلى زوجته التى طلقها ثلاثا فرفض الأجهوري ذلك الأمر وبعد فشل المغربى فى إغراء الأجهورى بالمال قام بضربه بالسيف على رأسه فقد على إثرها بصره (١٠٦)

العلماء وعاداتهم في (الأفراح - الزواج - الطلاق)

في الحقيقة تكاد تكون المصادر التاريخية قد التزمت الصمت عند الحديث عن مثل تلك الجوانب الاجتماعية ، مما يجعل الأمر يتسم بالصعوبة على الباحث عند تناولها بالحديث . وبالإطلاع على وثائق المحاكم الشرعية التى تناولت بعضا من هذه الجوانب دون البعض الأخر سوف نحاول توضيح ما أمكن استجلاؤه حول الموضوعات المراد دراستها .

الأفراح :

لعل هذا الأمر يكون من أكثر الأمور التى التزمت فيه المصادر التاريخية الصمت، ولكن مبدئيا يمكننا أن نقول أن الاستعداد لمثل هذا الأمر وهيئته يكون متوقفاً على عدة عوامل، ولعل من أهمها العامل الاقتصادى فبناءً على الحالة الاقتصادية للفرد يكون

استعداده وترتيبه للأفراح الخاصة به. وكما نوهنا سابقا إلي أن حالة الكثيرين من العلماء كانت تتسم بالفقر والضعف الأمر الذى يشير إلي أن استعداد مثل هؤلاء العلماء لإقامة أفراحهم كانت انعكاسا لحالتهم الضعيفة .

ولم يخل الأمر من وجود من تيسرت حالته الاقتصادية فكان يقوم ببعض الاستعدادات ومن ذلك فرح العالم محمد بن أبى السرور البكرى (ت ١٠٨٧هـ-١٦٧٦م) الذى أعده له والده أيام الوزير محمد باشا(١٠٧) والذى بلغ درجة كبيرة من الحسن ، الأمر الذى جعل البكرى يذكره (يفخر به) في الكثير من كتبه كلما تعرض للتأريخ لفترة محمد باشا السابق(١٠٨).

الزواج والمهور :

لقد أثبت العلماء من خلال علاقاتهم الأسرية وإقدامهم على الزواج أنهم لم يكونوا منغلقين على أنفسهم اجتماعيا ، بل تجاوبوا مع فئات مجتمعهم المختلفة كما أنهم لم يستغلوا مكانتهم الاجتماعية - التى أشرنا إليها - في عقد زيجات لجلب أى عائد مادي يذكر - كما حدث ذلك مع بعض علماء الفترات الأخرى وخاصة القرن الثاني عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) وما يليه- وليس أدل على ذلك من قيام علماء فترة هذه الدارسة بالزواج من جواريهم التى كانوا يمتلكونها ، وذلك بعد عتقهم لهن. وذلك كزواج الشيخ العالم أحمد الحموى من مستولدته صالحة خاتون بنت عبد الله بعد عتقه لها ، وأصدقها صداقا قدره ستمائة نصف فضة(١٠٩).وغير ذلك الكثير(١١٠).

وبعد فلنا أن نتساءل لماذا كان العلماء يقبلون على الزواج من جواريهم مثل ما رأينا،هل كان ذلك سببه ضعف الحالة الاقتصادية لدى العلماء ؟ أم أن هناك غير ذلك من الدوافع ؟ في تصورى أن العلماء لم يقبلوا على الزواج من الجوارى لضعف حالتهم الاقتصادية ، ومما يؤيد ذلك أمران توضحهما النماذج التى ذكرتها ، أولهما أن معظم الجوارى اللاتى ارتبط بهن العلماء كانوا ملكا لهم ثم قاموا بعتقهن ، والآخر يتضح من خلال المهور التى كان يدفعها العلماء لهؤلاء الجوارى وأنها لم تقل كثيراً عن بعض المهور التى كانت تدفع للفتيات الأحرار ، بل يوجد ما هو أكثر من ذلك حيث اتضح خلال الإطلاع على وثائق المحاكم الشرعية أن ثمة الكثير من المهور التى كانت تدفع للفتيات الأحرار آنذاك تقل عن المهور التى دفعها العلماء لزوجاتهم الجوارى . ولذا نستطيع القول بأن العلماء ربما قصدوا بالزواج من جواريهم بعد عتقهم لهن توجيه أبناء مجتمعهم إلي

تحرير جواريهم حتى تكون ضمن الخطوات العملية إلي تقليص ظاهرة الرق التى كانت إحدى الظواهر الاجتماعية المنتشرة في تلك المجتمعات آنذاك.

وأما عن المهور وقيمتها فغنى عن البيان أن ارتفاع قيمة المهور وانخفاض يرجع الى حالة الزوج الاقتصادية والعرف السائد فى المجتمع كذلك .

وهكذا يتضح لنا أن العلماء لم يكونوا منغلقين على أنفسهم اجتماعيا بل اندمجوا مع فئات مجتمعهم المتنوعة بعملية التزاوج فيما بينهم . كما أنهم عملوا على تشجيع أبناء مجتمعهم على تحرير الإماء والأرقاء الذكور وذلك بتطبيق ذلك عمليا على أنفسهم أولاً، وهو ما رأيناه من القيام بعتق جواريهم ثم التزوج منهن.

علاقة العلماء بالطلبة :

يعتبر الحديث عن هذا الجانب في علاقات العلماء ضمن الأمور التى غضت الطرف عنها المصادر التاريخية ، وعلى الرغم من ذلك إلا أننا نلمس في بعض الإشارات التى سجلتها المصادر المعاصرة لتلك الفترة ، أن العلاقة بين العلماء وطلبتهم – أنذاك – قائمة على زرع الثقة في نفوس الطلبة ، وأن العلماء كانوا يهدفون إلي إعداد الطلبة لتحمل المسئولية من بعدهم ، وتهيئتهم للقيام بالدور الذى سوف يؤدونه في مستقبلهم ، ومن أنهم سوف يكونون العون لأمتهم سواء للأخذ بأيديهم إلي طريق العلم ، أو مساندتهم والوقوف معهم في وجه السلطات العثمانية أى مواصلة الدور الذى كان يقوم به الشيوخ العلماء حتى تتصل وتستمر خدمة العلماء لمجتمعاتهم ، وقيامهم بالدور الذى يتطلبه الإسلام وواجباته .

وقد حرص العلماء الشيوخ – فيما تذكر المصادر – على تقوية صلتهم بطلابهم ورفع الكلفة السائدة بين الأساتذة – كآباء – والطلاب –كأبناء – إذ حاول البعض الاقتراب من طلابه ، وتوسيع دائرة العلاقة القائمة على طلب العلم إلي رحاب أوسع فتكون بينهم ما يمكن أن نسميه – تجاوزاً – بالأخوة – أو الصداقة – فها هو ذا الشيخ العالم محمد أبو عبد الله بن علاء الدين البابلى الشافعى (ت ١٠٧٧هـ– ١٦٦٦م) كان متودداً لطلبته متفقداً لهم بالإحسان ، وإذا غاب عنه أحدهم سأل عنه، فإن كان مريضا عاده ، وإن كان مشتغلاً أرسل إليه بالسلام. وكان أكثر حبه للطلبة الفقراء[١١١].وهاك أيضا الشيخ العالم شعبان الفيومى الأزهرى الشافعى (ت ١٠٧٥هـ– ١٦٦٤م).الذى كان كثير

الدعاء لمن يقرأ على يديه من الطلبة(١١٢).

وهناك أمر آخر كان العلماء يحرصون عليه في معاملتهم مع الطلبة، أنهم كانوا يشجعون الطلبة على الجرأة ، وزرع ذلك في نفوسهم حتى لا يهابوا أحداً عند مخاطبة الحكام والمسؤولين . ومن ذلك ما حدث بين الشيخ العالم شهاب الدين أحمد السبكى الشافعى (ت ١٠٣٢هـ ـ ١٦٢٢م) ، وتلميذه الشيخ العالم سلطان المزاحى الشافعى (ت ١٠٧٥هـ ـ ١٦٤٤م) . حيث أن الشيخ سلطان حضر إحدى صلوات الجمعة مع أستاذه السبكي في المدرسة الباسطية . وكان الشيخ السبكى يقدم ابنه للخطبة ، وبعد أن يفرغ منها يتقدم هو للإمامة كما تعود على ذلك ، وعندما أراد أن يتقدم لهذه الصلاة ـ إماما ـ أمسك تلميذه الشيخ سلطان بيده ، وقال له : يا سيدى تفيدوا أن شرط إمام الجمعة أن يكون خطيبا أو سمع الخطبة ـ حيث كان الشيخ السبكى ثقيل السمع ـ فقدم ولده حينئذ للصلاة بدلا منه ، وقال للشيخ سلطان : جزاك الله خيراً(١١٣). ولعلك تلمح معى مدى الجرأة التى خاطب بها الشيخ سلطان أستاذه السبكى ، وسوف يتضح لك كيف أثرت هذه التربية على الشيخ سلطان ، وهو يعامل الحكام وجرأته في الحق .

وتشير المصادر إلي كثير من حالات الاستجابة والاستنارة من الأساتذة بآراء تلاميذهم ، والتلاميذ بآراء أساتذتهم ، كما أن الأساتذة لم يتورعوا عن الإشادة بمكانة تلاميذهم العملية ومن ذلك ما نجده من الشيخ العالم إبراهيم اللقاني المالكى (ت ١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م) . حيث أشار أنه بعد فراغه من وضع منظومته الشهيرة بـ " جوهرة التوحيد " . أوصاه أستاذه الشيخ أحمد الشرنوبى أن لا يعتذر لأحد عن ذنب أو عيب بلغه عنه ، بل يعترف به ، ويظهر التصديق على طريق التورية ، تركا لتزكية النفس (١١٤) .ومن ذلك ما حدث بين الشيخ العالم عبدالرحمن اليمنى الشافعى (ت ١٠٥٠هـ ـ ١٦٤٠م) وتلميذه الشيخ العالم على الشبراملسى الشافعى (ت ١٠٨٧هـ ـ ١٦٧٦م) حيث أن الشيخ اليمنى كان يحب الشبراملسى كثيراً ويكثر من الثناء عليه . فترامى إلي أسماع اليمنى أن الشبراملسى يحضر دروس أحد العلماء في علم البلاغة . فقال له: بلغنى أنك تحضر فلانا، وأنك والله أفضل منه ، وحلف عليه أن لا يحضر دروسه – أى دروس العالم الآخر– فيما بعد ، فامتثل الشيخ الشبراملسى لأمره(١١٥). وغير ذلك كثير (١١٦). ولم يخرج العلماء في ذلك عن المنهج الإسلامى في تربية طلاب العلم وتشجيعهم

علاقة العلماء فيما بينهم :

إذا انتقلنا إلي طبيعة العلاقة التى كانت قائمة بين العلماء فيما بينهم خلال فترة هذه الدراسة. نجدها لم تختلف كثيراً عن طبيعة العلاقة التى تكون بين الأجيال المتعاصرة من العلماء ، حيث كانت تسودها الأجواء الطيبة في أغلب الأحيان . لكن في الوقت نفسه لم تكن تخلو من وجود بعض المنافسات ، هذا بخلاف ما كان يحدث من بعض الخلافات والمواقف السلبية في بعض الأحيان. وغنى عن البيان أن المتحكم في كل هذا هو مدى تمسك جيل من العلماء أو بعض الأجيال المتعاقبة لتلك القيم أو النظم التى تتوافق مع طبيعة العلم والعلماء. وابتعادهم عن الدنيا وعدم الافتتان بها. وسوف تقوم هذه الدراسة بتوضيح أى الجوانب كانت غالبة على طبيعة العلاقة بين علماء فتراتها .

كان يسود العلاقة بين علماء فترة تلك الدراسة جو من التفاهم والحب والترابط . ولقد بنت الدراسة هذه الرؤية على كثرة النماذج الطيبة التى ذكرتها المصادر المعاصرة لتلك الفترة ، فمن ذلك ما كان سائداً بين كل من الشيخ العالم زين العابدين بن يحيى الدين بن ولي الدين بن جمال الدين يوسف بن زكريا بن محمد الأنصارى السبكى الشافعى (ت ١٠٦٨هـ- ١٦٥٧م) . والشيخ العالم على الشبراملسى الشافعى (ت ١٠٨٧هـ- ١٦٧٦م) . حيث نجد أن العلاقة الطيبة قد جمعت بين هذين العالمين وهما في مراحل تعليمهما الأولي ، ثم أخذت تترسخ هذه العلاقة فيما بينهما كلما تخطوا إحدى المراحل التعليمية والسنية . وشاركا في مشوارهما العلمى الكثير من الشيوخ . ثم تلازما ملازمة الجفن للعين ، وكان الشبراملسى يحب زين العابدين ، ويثنى عليه ، ويعظمه في جميع شئونه، وعندما توفي زين العابدين وكان ذلك في حياة الشبراملسى ، فأثر ذلك في الشبراملسى وجزع عليه وكاد أن يشق عليه ثوبه لقوة العلاقة التى كانت بينهما(١١٧).

وفوق هذا فقد وجد من قوة العلاقة والاحترام بين العلماء آنذاك أن كان العالم يترك درسه وطلبته إذا رأى من تربطه به علاقة حميمة ليحمل عنه نعله ويهيئ له مكان درسه ، وليس في هذا الصنيع عجباً ، فهو ما نراه بعينه بين كل من الشيخ العالم على الحلبى الشافعى (ت ١٠٤٤هـ- ١٦٣٤م). والشيخ العالم سلطان المزاحى الشافعى (ت

١٠٧٥هـ- ١٦٦٤م) .فعلى الرغم من المكانة العلمية التى كان يحظى بها الشيخ سلطان بين علماء الأزهر آنذاك . إلا أنه كان عندما يرى الشيخ على الحلبى ماراً في المسجد يقوم تاركا درسه وطلبته ليقبل يدى الشيخ على ، ويحمل عنه نعليه ويضعهما في خزانة الشيخ على ، ويفرش له سجادته التى يجلس عليها لإلقاء درسه ، وبعدها يعود الشيخ سلطان إلي درسه لإتمامه(١١٨).

وكان ضمن مظاهر قوة العلاقة التى بين الشيخين السابقين التعاون على الإنتاج الثقافي ، حيث نجد ذلك عندما عزم الشيخ على الحلبى على وضع مؤلفه الشهير في السيرة النبوية المسمى بـ " إنسان العيون في سيرة النبى المأمون" . قام الشيخ سلطان بتحريرها معه تحريراً تاماً وكان من مردود تلك العلاقة أن قام الشيخ على بوقف كتبه على الشيخ سلطان(١١٩).

وكان مما يعد من أهم روابط العلاقة الحسنة بين علماء تلك الفترة أنهم طبقوا المبدأ الإسلامى - (اسألوا أهل الذكر) - ففى تواضع جم سلم بعضهم بالتخصص فراح - إكمالاً للفائدة العلمية - يبحث عن العارفين بالتفاصيل الدقيقة لصنف من العلوم ، ولم يتورعوا عن السؤال والاستقصاء في سبيل إخراج العمل العلمى بصورة جيدة . وهذا ما حدث بين كل من أديب مصر في عصره الشيخ العالم شهاب الدين الخفاجى الحنفى (ت١٠٦٩هـ- ١٦٥٨م) . والشيخ العالم عبد القادر البغدادى (ت ١٠٩٣هـ- ١٦٨٢م). الذى كانت له دراية باللغتين التركية والفارسية، وأخبار الفرس، وأنه انفرد بذلك . بمصر في عصره . ولذا كان الخفاجى مع جلالته وعلو مكانته بين أقرانه يراجع البغدادى في المسائل الغريبة لمعرفته بها ، ويعتمد عليه في نقل الغريب من اللغة، وكان لا يفارقه في معظم أوقاته . وقد اجتمع صاحب الفوايد مع البغدادى ومدحه بقوله :" ياسيدى ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك - فرد عليه البغدادى معترفا بفضل ومكانة الخفاجى بقوله :- جميع ما حفظته قطرة من غدير الشهاب ... ولو رأيت الشهاب لما عرفتنى في الناس(١٢٠).

وكان ضمن صور إجلال العلماء لبعضهم البعض وطيب العلاقة بينهم آنذاك ، الاعتراف بمنطقة النفوذ العلمية للغير ، بحيث أنه إذا وجه إلي أحدهم سؤال من قبل أفراد المجتمع . كان يؤثر للإجابة عن هذا السؤال صاحب التفرد في هذا الشأن عن نفسه . ومن ذلك ما نراه بين كل من الشيخ العالم إبراهيم اللقاني المالكى (ت ١٠٤١هـ-

١٦٣١م) . والشيخ العالم إبراهيم الميموني الشافعى (ت١٠٧٩هـ- ١٦٦٨م) . الذى قام بوضع عدة مؤلفات هامة ، منها المؤلف الذى وضعه عن البيت الحرام عند ما سقطت جدرانه سنة (١٠٣٩هـ- ١٦٢٩م) – وسمى مؤلفه هذا بـ " تهنئة أهل الإسلام بتجديد بيت الله الحرام)(١٢١).ومما أتفق لكلا الشيخين السابقين أنهما حجا معاً عام ١٠٤١هـ (١٦٣١م). فأقبل الناس يهرعون إلي الشيخ اللقاني للسلام عليه، وكان كلما وجه إليه سؤال عن البيت الحرام . كان يشير إلي الميموني ويقول :" سلوا مولانا هذا ، فإن له في ذلك تأليفا عجيباً (١٢٢)". فعلاوة على ما كان يتمتع به اللقاني من المكانة العلمية في الأقطار الإسلامية وليس في مصر وحسب كان يشير إلي الميموني الذى يعتبر أحد تلامذته بقوله "مولانا" فلك أن تتخيل إذا مدى الاحترام الذى كان يكنه علماء تلك الفترة لبعضهم البعض.

وعلى النقيض من تلك الإشارات التى تدل على مدى طيب العلاقة التى كان يحياها الكثير من العلماء فيما بينهم خلال تلك الفترة ، لم يخل الأمر من وجود بعض الحالات التى شهدت تشوها في العلاقة بين بعض العلماء ومن الطبيعى أن تكون هناك أسبابا أدت إلي سوء العلاقة بين هؤلاء العلماء ونجد على رأس هذه الأسباب . التنافس الوظيفى وهو ما حدث بعينه بين كل من الشيخ العالم مرعى بين يوسف الحنبلى (ت ١٠٣٣هـ- ١٦٢٣م) والشيخ العالم إبراهيم الميموني الشافعى (ت ١٠٧٩هـ- ١٦٦٨م) وهو ما أشارت إليه الدراسة في موضع سابق .

وضمن الأمور التى كانت تعتبر سببا في تشويه العلاقة بين العلماء آنذاك وجود بعض التنافر والحسد الذى كان يتولد في نفوس البعض تجاه من بلغ درجة كبيرة من العلم وحظى بمكانة عالية بين معاصريه ، لاسيما وإن اقترن ذلك مع شغله لبعض الوظائف الهامة . وقد تمثل هذا الأمر بعينه مع الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى (ت ١٠٣١هـ- ١٦٢١م). الذى قد بلغ قدراً كبيراً من المكانة العلمية ، وهو ما تدل عليه مؤلفاته الكثيرة التى وضعها في علوم شتى ، حتى قال فيه المحبى :" وهو أعظم علماء هذا التاريخ آثاراً". – وهذا ما ستعرفه بشكل أوضح في حينه – وأنه علاوة على ذلك تولي تدريس المدرسة الصالحية . الأمر الذى أوجد الحسد في نفوس معاصريه تجاهه ، لكون هذه المدرسة كانت معدة لأعلم علماء الشافعية . وكان معاصروه هؤلاء لا يعرفون

مكانته لانزوائه عنهم وإقباله على التأليف ولما حضر الدرس فيها ، ورد عليه من كل مذهب فضلاؤه منتقدين عليه. وشرع في إقراء مختصر المزني ، ونصب الجدل في المذاهب . وأتى في شرحه بما لم يسمع من غيره، فأذعنوا لفضله ، وصار أجلاء علماء وقته يبادرون لحضور درسه والأخذ عنه . ولكن مع كل ذلك لم يخل من طاعن وحاسد حتى دس عليه السم، مما تسبب منه نقص في أطرافه وبدنه من كثرة التداوى(١٢٣) !!. وقد أشارت إحدى الدراسات السابقة إلي أن اعتقاد المناوى للتصوف هو ما أوغر الحسد والبغضاء في نفوس معاصريه من العلماء تجاهه حتى وصل الأمر إلي دس السم له (١٢٤) . على أنه إذا كان المناوى بالفعل متصوفا، إلا أني لا أميل إلي أن هذا الأمر هو السبب الرئيسى أو الدافع لدس السم له. وذلك لانتفاء روح التعصب والبغض الشديد عند العلماء تجاه التصوف ورجاله كما تصورها تلك الدراسة . أضف إلي ذلك أن المناوى على الرغم من تصوفه إلا أنه أخذ موقفا معاديا ضد المغالين في تصوفهم.- وهو ما ستعرفه عند تناول الدارسة لعلم الكلام .

وثمة أمر أخر كان سببا في تشويه العلاقة بين هؤلاء العلماء .وهو أن التفاف الطلاب حول بعض العلماء كان يظهر غيظ وضيق الآخرين .حيث أن التفاف الطلاب حول شيخ بعينه كان المؤشر الرئيسى على البراعة والنجاح ، والمقياس الحقيقى للإبداع العلمى ، وإذا كان واجب العلماء أن يزيدهم التنافس علماً وإطلاقاً ليصب ذلك في صالح الحركة العلمية في المجتمع في ذلك العصر. فإن البعض قد أرداها غير ذلك فقد جرت محاولات من بعض الشيوخ لفض حلقات العلم من حول الآخرين . من أمثلة ذلك ما حدث بين كل من الشيخ العالم عبد الرحمن المحلى الشافعى (١٠٩٧هـ-١٦٨٦م) . والشيخ العالم محمد الشوبرى الشافعى (ت ١٠٦٧هـ- ١٦٥٦م) . حيث أن الشيخ عبد الرحمن المحلى قد صحب الشيخ العالم على الشبراملسى الشافعى (ت ١٠٨٧هـ- ١٦٧٦م). وأصبح الشبراملسى لا يصدر إلا عن رأى المحلى لكن في نفس الوقت كان الشبراملسى يحضر دروس الشوبرى- الذى تقدم ذكره- لكونه أسن منه-، ومع ذلك كان الشوبرى يعتقد زيادة فضل الشبراملسى . ولذا كان الشوبرى يكثر المطالعة ويمعن النظر في تحرير المسائل الفقهية لأجل الشبراملسى وإذا توقف الشوبرى في أثناء مطالعته في شئ ولم يظهر الجواب منه فإنه يعرضه على الشبراملسى فيجيب عنه ، فلما رأى المحلى ذلك منع الشبراملسى من حضوره درس الشوبرى ، وأقسم عليه بالله

سبحانه أن لا يفعل ذلك ، فحاول الشبراملسى أن يخلصه من اليمين فلم يقدر وفي الوقت نفسه لم تطب نفس الشبراملسى أن يتكدر خاطر المحلى فترك حضور الدرس . ولما بلغ الشوبرى ذلك تألم غاية التألم وظهر منه التغير الشديد على المحلى ،ودعا عليه بدعوات منها أن الله سبحانه يقطعه من الجامع الأزهر ، كما قطع الشبراملسى عن حضور درسه، وبالفعل لم يطب المقام للمحلى في القاهرة ، فترك الجامع الأزهر ، وهاجر إلي دمياط وقطنها إلي أن توفي بها(١٢٥).

ولعلك تلمح فيما سبق ذكره مدى التعاون الشديد الذى كان بين المتعاصرين من أجل تفهم المسائل العلمية ،وهو ما رأيناه بين كل من الشيخ المحلى والشبراملسى من ناحية ، والشيخ الشوبرى والشبراملسى من ناحية أخرى . ومما لاشك فيه أن هذا أسلوب من أساليب التعليم يعين على فهم العلوم بصورة أفضل ، ناهيك عن خلق جو من الترابط والتوافق بين العلماء المتعاصرين ، لأن الجهد الفردى - مهما بلغ - أقل نتيجة من تضافر جهود مجموعة من العلماء .

وإجمالاً يمكن القول أن المواقف الإيجابية والمعاملة الحسنة كانتا السمة الغالبة في العلاقة بين العلماء خلال فترة هذه الدراسة . وأهم ما يلاحظ - على ما سبق - أن العمل على تحصيل العلم بصورة أفضل كان الباعث الحقيقى لتلك العلاقة الطيبة .ولم يخل الأمر من وجود بعض الخلافات التى حدثت بين بعض العلماء ،وهو أمر طبيعى يحدث بين المتعاصرين عبر مختلف العصور.

الجانب السياسى للعلماء

رأينا فيما سبق التركيبة الاجتماعية التى كان عليها المجتمع المصرى في خلال العصر العثماني . فقد تبين لنا مدى البون الشاسع الذى كان بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة ، ومن ثم احتاج الأمر إلي وجود واسطة للتقريب بين الطبقتين وتقوية الصلات بينهما، وقد رأينا أن المصريين نظروا إلي شيوخ طوائفهم وملتزميهم فلم يروا منهم حراكا لدفع الظلم عنهم ،وإنما اقتصر دورهم على جمع الضرائب ودفعها للطبقة الحاكمة ، مما جعل المصريين يبحثون عمن كان أهلا للقيام بهذا الدور فانتبهوا إلي الأزهر وعلمائه ، حيث وجدوا أن السلطات العثمانية والمملوكية تعترف بمكانتهم وتعتبرهم زعامة شعبية يخشى جانبها ، فأدرك المصريون تلك المكانة والزعامة فكانوا يلجئون إلي الأزهر ورجاله كلما اشتد بهم الحال .

وقد جرت بمصر خلال العصر العثماني الكثير من الأحداث السياسية التى أثبت العلماء في الكثير منها أن لهم الوضع السياسى المستقل المؤثر . وأهم الجوانب السياسية التى شارك فيها العلماء في ذلك الحين هى:-

أولاً : مشاركتهم في تشكيل الديوان

لقد تمثلت أولي الجوانب السياسية التى شارك فيها علماء مصر خلال العصر العثماني في مشاركتهم في تشكيل الديوان الكبير ، الذى أنشأه السلطان سليمان القانوني . وذلك ليكون بمثابة أداة رقابية على أفعال الباشا وتصرفاته ، حيث كان هذا الديوان يضم خلاصة العناصر التى تشترك في إدارة مصر فيحضره طائفة من الموظفين مثل الدفتر دار[١٢٦] والمهردار [١٢٧] .كما كان يحضره قاضى عسكر أفندى (قاضى القضاة) ، والمفتون على المذاهب الأربعة ، وكبار رجال الدين ، وأمير الحج ، ورؤساء الحامية العثمانية وغيرهم . وكان الباشا يدعو هذا الديوان إلي الاجتماع أربع مرات في الأسبوع للبحث في شئون الباشوية من النواحى الإدارية والمالية والقضائية[١٢٨].

وكما أشير إلي أن السلطان العثماني سليمان القانوني ، أنشأ هذا الديوان ليكون رقيبا على تصرفات الباشا ، فلذا كان لهذا الديوان سلطة كبيرة في إدارة الحكومة ، حيث لا يستطيع الباشا أن يبرم أمراً إلا لموافقة أعضاء هذا الديوان وإذا وقع خلاف بين الباشا وأعضاء هذا الديوان يؤجل البت في هذا الخلاف إلي أن يرجع إلي الأستانة ، كما أعطيت لأعضائه الصلاحيات الكبرى والتى منها أن لهم طلب عزل الباشا[١٢٩].

ثانيا : الدفاع عن الطبقة المحكومة

يعد قيام العلماء بالدور الدفاعى عن الطبقة المحكومة ضد الطبقة الحاكمة من العثمانيين والمماليك من أهم مشاركاتهم السياسية في ذلك الحين. وإن كانت المصادر التاريخية المعاصرة لتلك الفترة لم تتحدث كثيراً عن مواقف أولئك العلماء ضد الطبقة الحاكمة ، إلا أنها ذكرت لنا بعضا من تلك المواقف التى أثبت العلماء من خلالها وقوفهم بجانب مجتمعاتهم وعدم الاقتصار على القيام بدور الوساطة فقط .

ومن أمثلة تلك المواقف المشرفة للعلماء ما حدث في أولي سنين الحكم العثماني بمصر أثناء إتمام عملية عثمنة القضاء المصرى، وخاصة في شهر ذى الحجة ٩٢٧هـ- (نوفمبر ١٥٢١م) . عند إقدام الإدارة العثمانية على فرض رسوم على عقود الزواج .

فما أن أدرك العلماء مدى الكرب الذى لحق بالناس جراء هذا الأمر ، حتى أسرعوا بالتحرك لمعارضة الإدارة العثمانية . وكان تحركهم في يوم السبت السابع من محرم ٩٢٨هـ(ديسمبر ١٥٢٢م)

هذا وان كانت مساعى وتهديدات العلماء "لخاير بك" لم تؤت ثمارها(١٣٠) ، إلا أنها عملت على تنبيه الإدارة العثمانية على أن المجال أمامها ليس خاليا لإملاء ما يحلو لها من تصرفات في المجتمع المصرى، ولعل ذلك يتضح من مخاطبة خاير بك للعلماء في بداية الأمر ، ثم عدوله عن الصلف والاستعلاء الذى خاطبهم به في البداية وهنا يمكن الإشارة إلي عدم نجاح العلماء في تحقيق ما أرادوا بصورة دقيقة .

ومن الأحداث الجسام التى أضرت بالناس ضرراً بالغاً مما دفعهم إلي الهرولة إلي العلماء لتخليصهم مما ألم بهم . ما حدث في عهد الوزير قرة محمد باشا . عندما انتشرت العملة الزائفة في الأسواق المصرية، الأمر الذى ترتب عليه أن ضاعت رؤوس أموال الكثير من الناس ، فاشتد الحال عليهم بسبب ذلك ، وتحكى لنا المصادر التاريخية المعاصرة لتلك الأحداث تصرف الناس بعد اشتداد الأمر عليهم إذا تقول " فاجتمع أهل الأسواق ودخلوا الجامع الأزهر وشكوا أمرهم للعلماء ، وألزموهم بالركوب والتوجه إلي الباشا في شأن ذلك فركب الشيخ محمد النشرتى ، وركب خلفه جميع العلماء ، فمضوا إلي الباشا فعرضوا عليه الأمر كله ، وما لحق الأهالي بالضرر منه ، فما كان من الباشا إلا أن عقد الديوان في الحال ، وجمع الأمراء والصناجق وأغاوات البلكات ، وتشاوروا في ذلك ، فأجمعوا رأيهم بأن يقطعوا فضة جديدة بدار الضرب ، وتوزع على الصيارف بالقاهرة ، وينادى بإبطال المعاملة بالعملة الزائفة ، وإنذار من يتعامل بها بالعقاب الشديد ، حتى تم القضاء على تلك الحادثة وعادت الأمور إلي نصابها مرة أخرى . وهنا نسجل نجاح العلماء في تحقيق ما فيه مصلحة الناس واعتدال الأمور لصالح المجتمع المصرى(١٣١).

وهكذا تم القضاء على الأسباب التى أضرت بالمجتمع ـ آنذاك ـ ومما لا شك فيه أن الفضل في ذلك يعود إلي تدخل العلماء وشعورهم بالمسئولية الكاملة تجاه مجتمعهم - ويعد هذا من أقوى الدلائل على قرب الصلة التى ربطت بين العلماء وأفراد مجتمعهم وأن العلماء بالفعل كانوا هم بمثابة أولي الأمر لهذه المجتمعات .

ثالثا : دور العلماء في حماية اللاجئين السياسيين لهم

لقد أثبت العلماء بالفعل من خلال هذا الدور أن لهم كيانهم السياسى المستقل الذى لم يدر في فلك حكومة أو حزب وأن لهم وضعيتهم السياسية النابعة من شرف ما حملوا من علوم الشريعة الإسلامية الغراء. كما دلت أفعالهم على أنهم جبهة سياسة تشكل حرما آمنا يحتمى فيه المطاردون السياسيون ، وأن الأزهر حرم مصر الأمن ، يلجأ إليه كل ذى مظلمة(١٣٢).

وضمن المواقف التى أثبت فيها العلماء ذلك الموقف الذى ترتب عن الصراع الذى احتدم بين كل من الحزبين المملوكين، الفقار والقاسمى - في سنة ١٠٧١هـ-(١٦٦٠م) وذلك عندما تعصب رجال الحزب الفقارى لعثمان زعيم مصر آنذاك لمنع كل من الحزب القاسمى والحكومة المصرية المتمثلة في الوزير مصطفى باشا(١٣٣). وباقى جهازه الحكومى من القصاص من عثمان- المذكور - عما اقترفه من جرائم قتل لبعض الأفراد من طايفة العزب(١٣٤) وما نتج عن ذلك من حدوث الواقعة التى أشارت إليها المصادر آنذاك بـ " واقعة الصناجق "(١٣٥).

ولقد انتهى هذا الصراع بانتصار حكومة مصطفى باشا، ورجال الحزب القاسمى، ولذا فقد اجتهد كل منهما في تتبع الفقاريين بالقتل والاعتقال والنفى ،والطرد من الوظائف والمناصب ومصادرة الأموال .

ومن ذلك ما حدث في يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الأول عام ١٠٧١هـ (١٧ نوفمبر ١٦٦٠م) . عندما عقد وزير مصر مصطفى باشا اجتماعا طارئا بديوان مصر حضره القاسميون . حيث أصدر فرمانا بنفى ثمانية وعشرين أميراً ، وقائداً عسكريا من الفقارين خارج مصر ، بعد تجريدهم من مناصبهم وأموالهم. فلما علم هؤلاء المعينون بهذا الفرمان اتجه اثنان إلي دمياط تنفيذاً للفرمان ، وأما الباقون فقد اتجهوا إلي الجامع الأزهر للاحتماء بحرمه والاستنجاد بعلمائه . فما كان من علماء الجامع الأزهر إلا أن عقدوا اجتماعا برئاسة الشيخ سلطان المزاحى الشافعى شيخ الأزهر (ت ١٠٧٥هـ- ١٦٦٤م) في السابع عشر من ربيع الأول عام ١٠٧١ هـ - ٢ نوفمبر ١٦٦١) . وذلك للتباحث حول مسألة هؤلاء الفقاريين اللاجئين إلي الجامع الأزهر ، واتفقوا في نهاية اجتماعهم على فرض الحماية لهؤلاء اللاجئين ، والمطالبة برد حقوقهم . كما اتفقوا أيضاً على انتداب أربعة من

كبار علمائهم ليتباحثوا مع الوزير مصطفى باشا ، حول حرية وأمن وحقوق هؤلاء اللاجئين . ووقع الاختيار على كل من الشيخ العالم سلطان المزاحى الشافعى والشيخ العالم على الشبراملسى الشافعى ، والشيخ العالم محمد المتولي والشيخ العالم موسى القلينى ، وصعد هؤلاء للشيوخ الأربعة إلي القلعة ، واجتمعوا بوزير مصر مصطفى باشا ، فعرفوه بمجيئ بعض الجند إلي الجامع الأزهر بعد سماعهم بنبأ خروجهم من مصر ، مع قطع مرتباتهم وضبط بلادهم ، وأكد العلماء أن هذا الأمر لا يجوز لأنه لو وقعت منهم ذنوب وكانت تغفر بالتوبة فقد تابوا . وقد أنهوا حديثهم معه قائلين : إن على العلماء إبلاغ أولي الأمر بما يترتب على الوقايع من الأحكام الشرعية والنصح لهم ، كما أمر بذلك الله سبحانه وتعالي ورسوله(صلى الله عليه وسلم)

وقد أظهر مصطفى باشا اقتناعه بما قاله العلماء ووعدهم بعقد الديوان ، وأنه سوف يصدر أوامره بالصفح عن هؤلاء العسكريين المعنيين بالنفى . وتأكيداً لضمان تنفيذ هذه الوعود نجد أن العلماء أصروا على إبقاء الحجة المتضمنة بالعفو عن هؤلاء الجند بأيديهم ضمانا لتنفيذ ما جاء فيها ،كما أن قاضى القضاة قام بدفع هذه الحجة إلي العلماء بعد تقييدها بالسجل المحفوظ بالديوان العالي. وأبقيت عند الشيخ العالم سلطان المزاحى(١٣٦).

وعلى الرغم من أن رجال الحزب الفقارى كانوا على خطأ في صراعهم ضد وزير مصر ورجال الحزب القاسمى ، إلا أن العلماء لم ينظروا إليهم على أنهم جماعة مارقة ويجب عدم مساندتهم ، بل نظروا إليهم على أنهم قوم احتموا بالأزهر وعلمائه ، ويتحتم عليهم توفير الأمان لهم. ولذا فقد رأينا أن العلماء قد ساروا في أكثر من اتجاه لتحقيق الأمان لهم . وتم لهم ذلك الأمر . ومما لاشك فيه أن صدور قرار العفو عن جميع أفراد الحزب الفقارى والعسكريين التابعين له يعد نجاحا عظيما لجبهة علماء الأزهر آنذاك .

وبعد فقد رأينا أن علماء تلك الفترة كانوا أكثر تمسكا بصفات الورع والتقوى والاشتغال بأمور الدين الحنيف ، وبالنظم والقواعد التى تتفق مع العلم ومكانته ، حتى يضفى ذلك على مكانتهم الاحترام بين مجتمعهم وبالفعل فقد رأينا مدى انعكاس تلك الأمور التى تمسك بها العلماء على نظرة المجتمع لهم كما رأينا ما ترتب على نظم الحكم العثماني من وجود بون شاسع بين الطبقة الحاكمة - الأقلية - والطبقة المحكومة التى

شملت جميع أبناء الشعب المصرى ، وأن هذا الأمر خلق الحاجة الماسة إلي إيجاد وساطة تربط بين هاتين الطبقتين ، الأمر الذى قام به العلماء على خير وجه ، بعيدين عن توظيف ذلك الأمر لجلب منفعة شخصية لهم .

كما رأينا أن المحيط الاجتماعى للعلماء في تلك الفترة كان قريبا منهم وسارعوا إلي الإندماج فيه ، كما لمسنا مدى طيب علاقتهم بطلبتهم والهدف الذى كانوا ينشدونه من وراء تلك العلاقة وهو تأهيل هؤلاء الطلبة لحمل الرسالة من بعهدهم ، والقيام بها على أكمل وجه ، إضافة إلي مدى التوافق الذى كان يخيم على علاقاتهم . وكان العمل على الارتفاع بالمستوى العلمى هو القاسم المشترك في هذه العلاقة .

وفي النهاية رأينا مدى انعكاس هذه الأشياء جميعها على وضع العلماء لدى الطبقة الحاكمة ،ومدى الهيبة التى كان يحظى بها العلماء عند أفراد تلك الطبقة الأمر الذى ساعد العلماء كثيراً على أن يملوا على الحكام ما يرونه من متطلبات فيها صالح مجتمع مصر إبان العصر العثماني.

هوامش الفصل الأول

(١) محمد عبد السميع عثمان : أسس علم الاجتماع ، المفاهيم و القضايا ، ص١٦٥.

(٢) نيللي حنا : مرجع سبق ذكره ، ص ٥٩.

(٣) هو الشيخ العالم نجم الدين الغزى (ت :١٠٦١ هـ- ١٦٥٠م) صاحب التصانيف الكثيرة ، ومن أشهرها تاريخه المسمى ب"الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة "

(٤) بحر الرجز ، و قد عقب المحبى على البيتين السابقين في كتابه المذكور ج ٤ ، ص ١٩٤ بإنشاده ما يلى :

من يطلب العلم بعز الغنى　　　يبطر ولا يفلح ما صنع

لعلم طغيان كما للغنى　　　و العلم بالطغيان لا يفلح. (بحر الرجز)

(٥) كثيرا ما كان صاحب الوقف أو المؤسسة التعليمية يعتمد إلى تعيين أحد الأشخاص لكتابة اسم من يغيب سواء كان موظفا ، أو طالب علم ، ليخطر بذلك ناظر الوقف لاتخاذ ما يراه فى مثل هذه الحالة ، إما انذار ، أو العزل ، أو تعيين آخر .

(٦) وظيفة الطلب ، إما تعتبر ضمن الوظائف آلتى كان يحددها صاحب الوقف على سبيل الإعانة لطلبة العلم ، معنى أن يكون طالب لعلم ما ، كعلم الفقه على المذهب الحنفى ، دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالي ، س ٨٧ ص ١٢٥ ، م ٥١٨ أو فقه مالكى نفس الأرشيف والمحكمة : س ٧٧٧، ص ٨٣ ، م ٣٠٩ - أوفقه شافعى - نفس الأرشيف والمحكمة : س ٨٦ . أو س ٣٦. م ٢٣٠ أو فقه حنبلى ، نفس الأرشيف والمحكمة : س ٨٤-ص ١٩٠ -م ٨٩٣. أو لعلمى التفسير والحديث - نفس الأرشيف والمحكمة : س ٧٩ ، ١٣٥ - م٦٢٧.

(٧) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالي س ١٧٤ ، ص ٣٠٨ ،م ٨٩٨ - تاريخ (ربيع الأول ١١٠٠ هـ- ١٦٢٨م).

(٨) نفس الأرشيف : محافظ الدشت ، محفظة رقم ١٤٦ ، ص ٢٧٦ ، تاريخ (رمضان ١٠٣٨ هـ- ١٦٢٨م)

(٩) نفس الأرشيف والمصدر : حفظة رقم ١٧٧ ، ص ٢٩٣ ، تاريخ (رمضان ١٠٦٧ هـ-١٦٥٦م)

(١٠) ويعرف بقاضى عسكر أفندى ، وقد أنشئ هذا المنصب فى عهد السلطان مراد الأول (٧٦٢-٧٩٢هـ/ ١٣٦٠ - ١٣٨٩م) . وقد أخذ لقب قاضى عسكر من مرافقته للجيش العثماني . ليلى عبد اللطيف : الإدارة فى مصر ، مرجع سبق ذكره ص ١١

(١١) ولى السلطنة ٩١٨ - ٩٢٧ / ١٥١٢ - ١٥٢٠ / .

(١٢) ولى أمور البلاد ٩٠٦ - ٩٢٢ / ١٥٠١ - ١٥٢١ / .

(١٣) وكانوا أنذاك القاضى كمال الدين الطويل الشافعى والقاضى محمود بن الشحنة الحنفى ، والقاضى يحيى الدين بن الدميرى المالكى ، والقاضى شهاب الدين لفتوحى الحنبلى . ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٨٤ م، ج٥ ،ص ٣٦٥ .

(١٤) هذه المدرسة بخط بين القصرين ، بناها الملك الصالح نجم أيوب بن الكامل ، عام ٦٤٠هـ ١٢٤٢ م، وهو أول من عمل بديار مصر دروساً أربعة فى مكان واحد . المقريزى : الخطط المقريزية - مكتبة الأداب القاهرة ١٩٩٦ م، ج٤ ، ص ٢٠٩ .

(١٥) أبن اياس : المصدر السابق ، ج٥، ص ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(١٦) بحر الوافر .

(١٧) مدة ولايته بمصر ٩٢٢-٩٢٨هـ/ ١٥١٧ - ١٥٢٢ م.

(١٨) ابن اياس : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٣٤.

(١٩) الانكشارية هم الجنود المكونين لجيش المشاه الذى أنشى في عهد السلطان العثماني أورخان (٧٢٦هـ -١٣٢٦م) . و كانت نواته من أهل الفتوة في الأناضول ثم اعتمد على أبناء النصارى البلقان بعد تتركيهم و تنشئتهم على الإسلام . تأصيل الدخيل : مرجع سبق ذكره ، ص٣١ .

(٢٠) ابن اياس : ج٥ ، ص ص ٢٤٣-٢٤٤.

٢١) بحر الرجز .

(٢٢) ابن إياس : ج٥ ، ص٣٠٥ .

(٢٣) نفس المصدر . جـ٥ ، ص٣٤٢.

(٢٤) المصدر نفسه : جـ٥ ، ص ص ٤١٧ -٤١٨ . عبد الرحيم عبد الرحمن : القضاة في مصر العثمانية ضمن فصول من تاريخ مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٢٥ -٣٢٦ .

(٢٥) ابن اياس : جـ٥ ، ص ص ٤٥١ -٤٥٢ .

(٢٦) ابن اياس : جـ٥، صص ٤٥٣ - ٤٥٤ - . عبد الرحيم عد الرحمن - مرجع سبق ذكره ص.ص ٣٢٨ -٣٢٩ .

(٢٧) ابن اياس : جـ ٥ ، ص ٢٤٣ .

(٢٨) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالي س ٧٥ ، ص ٣٨٤ ، ١٥٥٣ تاريخ (١٠١٠ -١٦٠١ م).

(٢٩) نفس الأرشيف : والمحكمة ، س ١٣٩ ، ص ٢٦٩ تاريخ (ربيع الثانى ١٠٧٥هـ - ١٦٦٤م)

(٣٠) نفس الأرشيف : والمحكمة س ١٢٣ ،ص ٢٧٣ .م ١٣٩٩ (شوال ١٠٥٦هـ ١٦٤٦ م) .

(٣١) نفس الأرشيف : محكمة القسمة العسكرية ، س ٦١ ، ص ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، م ٥١٥ ن تاريخ

(ربيع الاخر ١٠٦٥ هـ - ١٦٥٤ م) .

(٣٢) نفس الأرشيف : محافظ الددشت ، محفظة رقم ١٧٧ ، ص ٩٣٨ - ٩٣٩ ، تاريخ (ربيع الأول ١٠٦٩ هـ ١٦٤٨ م)

(٣٣) نفس الأرشيف : محكمة القسمة العسكرية س ٥٩ ، ص ٢٥٢ ، م ٢٣٧ ، تاريخ (صفر ١٠٦٢ هـ - ١٦٥١ م)

(٣٤) نفس الأرشيف : محكمة بولاق س ٣٣ ، ص ٣٤٨، م ١٢٣٧ ، تاريخ (صفر ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢م

(٣٥) المحبى : خلاصة االأثر ، مصدر سبق ذكره ، جـ ٣ ، ص ٣٦٦ .

(٣٦) دار الوثائق القومية : محكمة الإسكندرية ، س ٥٣ ، ص ٣١٨ ، م ٧٣٣ ، تاريخ (جمادى الأولي ١٠٨٥ هـ ١٦٧٤ م) .

(٣٧) عبد الجواد صابر إسماعيل : مصر تحت الحكم العثماني ، مطبعة الحسين القاهرة ١٩٨٩م ، ص٦٣.

(٣٨) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية ، س ٦٦، ص ٢٣٢، م٢٤٢، تاريخ (ربيع الأول ١٠٥٤هـ ١٦٤٤م).

(٣٩) نفس الأرشيف و المحكمة س٧٤ ، ص ص ١٥٨- ١٥٩ ، م ٢٤٢ ، تاريخ جمادى الأولي (١٠٨٩هـ - ١٦٧٨ م) . س ٦١ ، ص ٥٤٥ ، م ٩٠٢ ،تاريخ (شوال ١٠٦٥ هـ - ١٦٥٤ م) .

(٤٠) شهاب الدين الخفاجى : ريحانة الالبا و زهرة الحياة الدنيا ، مطبعة بولاق القاهرة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م ، ص ٣٦٣ - حاجى خليفة : سلم الوصول إلي طبقات الفحول - مخطوط بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم ١٧٤٢١ ن تاريخ ٥٢ ، ص ١٤٦ - الحموى : فؤائد الارتحال ، مصدر سبق ذكره جـ ١ ، ص ١١٦٩ .

(٤١) ليلى عبد اللطيف : الإدارة ، مرجع سبق ذكره ص ١٠ - محمود صالح منسى : معالم تاريخ الشرق الإسلامى في العصور الحديثة ، ص ٢٥ .

(٤٢) الذى لقب بالشافعى الصغير ، كما ذهب جماعة من العلماء إلي أنه مجدد القرن العاشر الهجرى الـ١٦م . و له تأليف عديدة هامة في مذهبه و غيرها في عدة علوم أخرى وعنه قال المحبى : " أنه شيخ مصر على الإطلاق " و يعتبر آخر من تولي ذلك المنصب و ذلك بوصفه اعلم علماء الشافعية في زمنه . المحبى : جـ ٣ ، ص ص ٣٤٢ -٣٤٣ - جـ ١ ، ص ١١٧ .

(٤٣) السادة البكرية : هم بيت من البيوت الكبيرة ، اكتسبوا شرفهم من انتسابهم إلي خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم - أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - و قد اكتسبوا مكانة اجتماعية و اقتصادية و ثقافية كبيرة في مجتمع مصر العثمانية ، و زادت هذه المكانة علوا خلال القرن (الـ١٧م) حيث أنهم كانوا قريبى الصلة بالطبقة الحاكمة ، حيث تصاهروا معهم و كان الوزراء

ينزلون بيوتهم يحضرون أفراحهم ومجالسهم الأدبية ، كما أنهم كانوا يسكنون بأرقى المناطق بالقاهرة ، كالأزبكية وبركة الرطل و الفيلة و غيرها . هذا إلي جانب امتلاكهم الكثير من العقارات و الاراضى الزراعية بالقاهرة ، و غيرها كالدقهلية و بهتيم و غير ذلك من الممتلكات الأخرى كالمحلات التجارية و المراكب الملاحية . الخ . أما عن وضعهم الثقافي فهذا ما سوف يتضح لك من ثنايا هذه الدراسة . البكرى: المنح الرحمانية ، مصدر سبق ذكره ، ورقة ٥٣ أ . ب . دار الوثائق القومية : محكمة بولاق ، س ١٩ ، ص ٤٢ ، م ١٧٣ تاريخ (ذى الحجة ١٠٠٣هـ - ١٥٩٤م) . س ٢٠ ، ص ٨٩ ، م ٤٣٧ ، تاريخ (صفر ١٠٠٤ هـ - ١٥٩٥م) . س ٣٥ ، ص ١٢٨ ، م٥٠٠ ، تاريخ (محرم ١٠٣٨ هـ - ١٦٢٧ م).

(٤٤) المحبى : جـ ١ ، ص ١١٧ .

(٤٥) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالي ، س ٧٩ ، ص ١١٢ ، م ٥١٩ ، تاريخ (رمضان ١٠١١هـ - ١٦٠٢م) .

(٤٦) نفس الأرشيف : محكمة القسمة العسكرية ، س ٢٨ ، ص ١٧٢ ، م ٣٣٤ ، تاريخ (محرم ١٠١٨ هـ - ١٦٠٩ م) .

(٤٧) نفس الأرشيف و المحكمة : س ٣٣ ، ص ١٣١ ، م ١٩٩ ، تاريخ (رمضان ١٠٢٧ هـ - ١٦١٧)

(٤٨) نفس الأرشيف : محكمة بولاق ، س٣٨ ، ٣٥ ، م ١١٧ ، تاريخ (رمضان ١٠٤٥هـ - ١٦٣٥م).

(٤٩) نفس الأرشيف : محكمة القسمة العسكرية، س ٥٠ ، ص ٣٩٨ ، م ٥٧٦، ثاريخ (جمادى الأخر ١٠٥٣ هـ - ١٦٤٣ م).

(٥٠) نفس الأرشيف و المحكمة ، س ٦٠ ص ٤٤٨ ، م ٦٥٩ ، تاريخ (جمادى الأولي ١٠٦٤ هـ - ١٦٥٣م).

(٥١) نفس الأرشيف : محافظ الدشت ، محفظة رقم ١٧٧ ، ص ٩٢٧ ، تاريخ (ربيع الأول ١٠٦٩هـ - ١٦٥٨م) .

(٥٢) عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سبق ذكرة ، ص ٣٣٢

(٥٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٥ .

(٥٤) فمن ذلك ما حدث من أحد النواب بمحكمة الإسكندرية ، وهو القاضى على المالكى الذى حكم بإرجاع الزوجة عائشة بنت فسيفس إلى زوجها عامر الشهير بابن الريفية ، وهى مطلقة بالثلاث منه - فقرر القاضى يوسف أفندى الحنفى - الناظر فى الأحكام الشرعية بالإسكندرية بلإقالته من منصبة . دار الوثائق القومية : محكمة الإسكندرية س ٤٤ ، ص ٢٩٧ بدون أرقام بتاريخ (١ محرم ١٠٣٤ هـ - ١٦٢٤ م) .

(٥٥) ومن ذلك ما أشتكى به السمنحقون لبعض الأوقاف بالإسكندرية ، أن المؤسسات الدينية

والتعليمية المرصود عليها تلك الأوقاف قد خربت وذلك لإنقطاع ما كان يرد عليها من الأوقاف وهو مبلغ (٩٠٠٠٠) نصفه فضة وأن الوارد توقف عند (٥٠٠٠٠) نصف فقط . ليس هذا فحسب بل أن قاضى الولاية يأخذ من الرقم الأخير (٢٠٠٠٠) نصف أى ما يبلغ نسبة ٤٠٪ من هذا المبلغ فى حين أنه يتحق (١٠٠٠) نصف فقط . دار الوثائق القومية : محافظ الدشت ، محفظة رقم ١٤٧ ، ص ٢٧ ، تاريخ (شوال ١٠٣٩هـ - ١٦٢٩م)

(٥٦) من ذلك ما نراه من شكاوى الأهالى ضد أحد النواب بمحكمة دمياط ، يدعى أحمد الزاهد ، مما كان يرتكبه من الموالسة ، والتجاوز فى الأمور والحيل والأحوال الذميمة الغير لأئقة به كقاضى ، وما صدر منه فى حق الرعايا من الظلم والبلص ، وأخذ الرشوة بالسب والأذية ، والقذف والإضرار لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأمر الذى دفع بقاضى القضاء لعزله . در الوثائق القومية : محكمة دمياط ، س ١٤٢، ص ٢٨١ ،م ٣١٩ ، تاريخ (ذى الحجة ١٠٨٦ هـ - ١٦٧٥ م)

(٥٧) دار الوثائق القومية : محافظ الدشت . محفظة رقم ١٤٥ ، ص ٢٠٧ ، تاريخ (ذى القعدة ١٠٣٨هـ - ١٦٢٨م) .

(٥٨) نفس الأرشيف : و المصدر . محفظة رقم ١٤٥ ، ص ٣٠٥ ، تاريخ (رجب ١٠٣٨ هـ - ١٦٢٨م).

(٥٩) نفس الأرشيف والمصدر ، محفظة رقم ١٧٧ ،ص ٢٩٣ تاريخ (ربيع الأول ١٠٦٨ هـ - ١٦٥٧م).

(٦٠) ذكر على مبارك : هى بجوار مدرسة تربة أم الصالح بقرب المشهد النفيسى ، كما أشار إلي أن كلا من السخاوى و المقريزى لم يترجما لها ، و لذا فإنه يرجع أن تكون هى تربة الملك الأشرف خليل صلاح الدين بن الملك المنصور قلاوون . على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ، الهيئة المصرية العامة ، الثانية ١٩٨٧م ، جـ ٦ ، ص ٤ .

(٦١) ذكرها المقريزى باسم الخانقاه و هى تقع بخط الصليبة تجاه جامع شيخون أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخوا العمرى في سنة ست و خمسين و سبعمائة (١٢٥٦م)... وقد رتب بهادروساً عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة و درساً للحديث النبوى ، و درساً لاقراء القرآن بالروايات السبع ، وجعل لكل درس مدرساً و عنده جماعة من الطلبة ، و شرط عليهم حضور الدرس . و حضور وظيفة التصوف .. و رتب لكل من الطلبة في اليوم الطعام و اللحم و الخبز ، و في الشهر الحلوى ، و الزيت و الصابون ووقف عليها الأوقاف الجليلة .. المقريزى : الخطط ، جـ٤ ،ص ٢٨٣ .

(٦٢) رحلة محب الدين المحبى إلي مصر - مخطوط بدار الكتب في ١١٢ صفحة - ميكروفيلم ٢٨٦٠٧ تاريخ تيمور ١٣٧٨ - ص ٣٦ .

(٦٣) هو الشيخ مرعى بن يوسف بن أحمد بن أبو بكر بن أبو يوسف الكرماني - نسبة إلي طور كرم قرية بقرب نابلس - المقدسى الحنبلى - أحد أكابر العلماء الحنابلة بمصر - كان إماماً فقيها ، ذا

إطلاع واسع على نقول الفقه و دقائقه ، و معرفة باقى العلوم المتداولة ولد بطور كرم في ربيع الأول سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) . حفظ القرآن وجوده ببيت المقدس ، ثم ارتحل إلي مصر و ثم تصدر للإقراء و التدريس بالجامع الأزهر . و له التأليف العديدة و التى قال عنها صاحب الفوا يد : " بأنها صارت بها الركبان في أطراف البلدان ، و مع كثرة الأعداد و الأضداد و الحساد ما أمكن أحد أن يطعن فيها أو ينظر بعين الازدراء فيها " . - وهذا ما ستعرفه في ثنايا عرض هذه الدراسة - الحموى : فوائد الارتحال ، مصدر سبق ذكره ، جـ ٣ ، ص ص ٩٦٢، ٩٦٣ .

(٦٤) هو الشيخ إبراهيم بن محمد بن عيسى المصرى الشافعى الملقب برهان الدين الميموني - ولد سنة ٩٩١ هـ - (١٥٨٣م) . و قد أخذ عن والده ، وغيرهم. و في حقه قال المحبى : " الإمام العلامة الفهامة المحقق المدقق خاتمة الأساتذة المتبحرين . كان يية ظاهرة في علم التفسير و العربية ، أعجوبة باهرة في العلوم العقلية و النقلية .. و كان مترفها في عيشه ، كريم النفس رقيق الطبع ، حسن الخلق وجيها جللا عند عامة الناس و خاصتهم مسموع الكلمة .." المحبى : جـ١ ، ص ص ٤٥ ٤٦ .

(٦٥) فمن شكواه في هذا الكتاب قوله : " و قد حصل لي بسبب بعض المباشرين في الأوقاف في استحقاق معلوم تدريس بمصر المحروسة غاية الظلم و الإجحاف بل العدم المحض مع أن أداء الحقوق فرض ط الحنبلى : بديع الإنشاء و الصفات ، مطبعة الجو ائب بالأستانة ١٢٩٩ هـ - ١٨٨١م ، ص ص ٤-٥٠

(٦٦) ومن تعرضه لهذا الأمر في الكتاب ما نراه عند تعرضه لمدرسة السلطان حسن إذ يقول في ذلك " وقد وليت مشيخة هذه المدرسة ، و باشرت فيها التدريس فنازعنى فيها بالدنيا رجل يقال إبراهيم الميموني له من الوظائف كل يوم نحو ألف عثماني " . الحنبلى : نزهة الناظرين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧ .

(٦٧) الحموى : فوا يد الارتحال ، مصدر سبق ذكره ، جـ٣ ، ص ٩٦٦ .

(٦٨) هذا ما ذكره الحنبلى لمرتبات تلك الوظائف - قائلا العقيان فى فضائل آل عثمان ، مخطوط بمكتبة رفاعة ٦٠تاريخ صص ٨٤ - ٩٦ -٩٧ .

(٦٩) دار الوثائق القومية : محافظ الدشت ، محفظة رقم ١٧٧ ، ص ١٢٦ بتاريخ (ربيع ثانى ١٠٦٨ هـ - ١٦٥٧ م) ولمعرفة المزيد يرجع إلى أصل الرسالة

(٧٠) محب الدين المحبى : رحلة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥

(٧١) الخفاجى : ريحانة الالبا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٣

(٧٢) بحر الكامل

(٧٣) الخفاجى : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ - مما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن هذا الأمر لم يكن قاصراً على علماء فترة هذه الدراسة ، بل عم كل من لحقه ظلم بسبب ذلك عبر العصور

المختلفة - وللمزيد في ذلك يرجع للخفاجى نفس المصدر . ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٧٤) بحر المتقارب .

(٧٥) فمن تلك الرسائل رسالة الشيخ بدر الدين القرافي الذى قال في أولها :" قد كثر السؤال عن مسألة كثيرة الوقوع بمصر المحروسة لازالت برباع العلم مأنوسه - وهى.أن الرجل يكون له في وقف قراءة ، وتدريس أو أمامة أو خطابة أو غير ذلك فيسقط حقه من ذلك لآخر ، ويفرغ له عنه بعد أن يأخذ منه مالا يتصرف المفروغ له في تلك الوظيفة ،وقد رفع إلي من ذلك سؤال نظما ،وذلك عندما جرى ذكر المسألة لدى قاضى القضاة ، ثم يقر بأن " هذا السؤال لم أقف عليه لأحد من علماء مذهبنا نصا مع كثرة وقوع هذه المسألة بمصر خصوصا في أواخر القرن التاسع ، وفي هذا القرن العاشر" بدر الدين القرافي: الدره المنيفة في الفراغ عن الوظيفة ، مخطوط بدار الكتب المصرية - تحت رقم ميكروفيلم ٥٣٦٣٨ - فقه مالك ٣٥٤ . ورقة ١ أ- ب .

(٧٦) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالي س ٧٧ ، ص ١٢٦ ، م ٥٣٢ بتاريخ(ربيع الأول ١٠١١ هـ - ١٦٠٢م) .

(٧٧) نفس الأرشيف والمحكمة ، س ٨٢ ، ص ٢٢، م ١٠٨٠ بتاريخ (محرم ١٠١٣هـ٠ ١٦٠٤م) .

(٧٨) نفس الأرشيف: محكمة الباب العالي س ٨٦ ، ص ٤٤ ، م ٢٨٨ بتاريخ(رمضان ١٠١٥هـ - ١٦٠٦م) .س ١٢٣- ص ٣١٩ ،م ١٥٧٠ بتاريخ (ذى القعدة ١٠٥٦ هـ - ١٦٤٦م) ،محكمة دمياط ، س ١٠١ ، ص .ص ٤٩ - ٥٠ ، م.م ١٥٨ - ١٦٠ بتاريخ (محرم ١٠٦١ هـ - ١٦٥٠م).

(٧٩) فرقة كمليان أو كوكليان - كان أفراد هذه الفرقة من الفرسان الذين اشتركوا مع السلطان سليم في فتح مصر - وكانت مهمتهم توطيد الأمن في الأقاليم - ومنع البدو من غزو المناطق الزراعية ، أو تهديد طرق القوافل . قانون نامة مصر - مصدر سبق ذكره.ص ٩ .

٨٠) دار الوثائق القومية : محافظ الدشت ، محفظة رقم ٢٠٦ ، ص ص ١٨٤-١٨٥ بتاريخ(جمادى الأخر ١٠٩٩هـ - ١٦٨٨م) .

(٨١) المحبى : جـ ٣ ، ص ٣١٧

(٨٢) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالي ، س ٨٤ ، ص ٢١٩ ، م ١٠٢٧ ، تاريخ (رجب ١٠١٣هـ ـ ١٦٠٤م) .

(٨٣) الحموى : فوايد الارتحال - جـ ٣ . ص ٢١٣ .

(٨٤) دار الوثائق القومية : محافظ الدشت ، رقم ١٤٢ ، ص ٤١ بتاريخ (رمضان ١٠٣٨هـ - ١٦٢٨م)

(٨٥) نفس الأرشيف : محكمة جامع الحاكم س ٥٦٥ ص ٢٣٦ ، م ٨٠٤ ٠ بتاريخ ربيع الثانى ١٠٤٤هـ - ١٦٣٤ م)، ص ٣٠٥ ،م ١٠٤٣ (بتاريخ شوال ١٠٤٤ هـ ١٦٣٤ م)ن س ٥٧٢ ،ص ٢٨٩ (بتاريخ جمادى الأول ١٠٩٢ هـ - ١٦٠٨م)

(٨٦) نفس الأرشيف : محكمة الباب العالي س ١١٩ ، ص ٢٦، م ١٤٨، بتاريخ (ربيع الأول ١٠٤٨هـ- ١٦٣٨م) .

(٨٧) نفس الأرشيف : محكمة الحاكم س ٥٦٥ ، ص ٥٣٣ ، م ١٨٦٢ بتاريخ (ذى الحجة ١٠٤٥هـ- ١٦٣٥م) .

(٨٨) نفس الأرشيف : محكمة الباب العالي ، س١٥١، ص ص ٢٣٧- ٢٣٨، م ٩٤٢ بتاريخ (ربيع الأخر ١٠٨١هـ- ١٦٧٠م

(٨٩) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية س ٤٤ ، ص ص ١٣-١٦ ،م ١٤ بتاريخ (١٠٤٤هـ - ١٦٣٤م)

(٩٠) نفس الأرشيف والمحكمة : س ٤٢ ، ص ص١٥٣ - ١٦٣ ،م ٢٥٧ ، بتاريخ (محرم ١٠٤١ هـ - ١٦٣١م)

(٩١) نفسه والمحكمة : س ٦١ ، ص ص ٦٧٩ - ٦٩٠ ، م ١١٣ بتاريخ (جماد الأولى ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٥ م).

(٩٢) نفسه والمحكمة : س ٦٣ ، ص ص ٢٠٥ - ٢١٧ ، م ٣٤٢ بتاريخ (رجب ١٠٦٨ هـ - ١٦٥٧م)

(٩٣) نفسه والمحكمة : س ٦٤ ، ص ١٤٣ ،م ١٩٩ بتاريخ (ذى القعدة ١٠٦٩ هـ ١٦٥٨ م

(٩٤) نفسه والمحكمة العسكرية س ٦٦ ، ص ص ٦٧ - ٧٠،م ٨٨ بتاريخ (شوال ١٠٧٣هـ - ١٦٦٢م)

(٩٥) نفسه والمحكمة س ٦٢ ، ص ص ٢٢ - ٢٥، م ٣٩ بتاريخ (١٠٦٦ هـ - ١٦٥٥م)

(٩٦) نفسه والمحكمة : س ٧١ ، ص ص ٨٩ - ٩١، م ٢٣٥ بتاريخ شوال - ١٠٨٤هـ - ١٦٧٣)

(٩٧) نفسه والمحكمة : س ٧٦ ، ٦٩٩، م ٩٥٣ بتاريخ (ربيع الثانى ١٠٣٩ هـ ١٦٨٢ م)

(٩٨) نفسه والمحكمة : س ٦٤ ، ص ٢٨٧ - ٢٩٠ ، م ٤٢٦ بتاريخ (رجب ١٠٧٠هـ - ١٦٥٩)

(٩٩) نفسه والمحكمة : س ٨٠ م ص ص ٤٠ - ٤٢ ،م ٥٨ بتاريخ (ذى العقدة ١٠٩٧ هـ ١٦٨٦ م)

(١٠٠) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية س ٦٢ ، ص ص ٤٢٦٠٤٢م ٦٥٤ بتاريخ (ربيع الثانى ١٠٦٧ هـ - ١٦٥٦ م)

(١٠١) الحموى : فوائد الارتحال ، مصدر سبق ذكره، جـ ٣ تحت رقم ميكروفيلم ٣٥٨٩٩، تاريخ (٣١٨٧، ص ٢١٣) .

(١٠٢) فمن ذلك تلازم كل من الشيخين العالمين محمد الخرشى المالكى (ت ١١٠١هـ- ١٦٨٩م) ومحمد النشرتى المالكى (ت ١١٢٠هـ ـ ١٧٠٨م) في فض الكثير من مثل هذه النوعية من المنازعات . دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية ، س ٧٦ ، ص ص ٦٢٧ ـ ٦٢٨ ، م ٨٦٩ ، تاريخ (ربيع الأول ١٠٩٣هـ ـ ١٦٨٢م).

١٠٣) الحموى : مصدر سبق ذكره ، جـ ٢ تحت رقم ميكروفيلم ٣٥٣٢٩، تاريخ ٣١٨٧، ص ص ١٥-١٦ .

(١٠٤) وممن كان مهاب الجانب في تلك الفترة أيضا ، الشيخ العالم أحمد القليوبى الشافعى (ت ١٠٦٩هـ- ١٦٥٨م) . وقد وضح المحبى لنا هذا الجانب مبينا السبب فيه بقوله : " وكان مهابا لا يستطيع أحد أن يتكلم بين يديه ألا وهو مطرق رأسه وجلا منه وخوفا لا يتردد إلي أحد من الكبراء ، ويحب الفقراء..." وهناك الشيخ العالم على المحلى الشافعى (ت ١٠٩٠ت-١٦٧٩م) الذى كان يقول الحق وينكر المنكر ويخاطب الحكام بالغلظة ولا يها بهم ، الأمر الذى لحق به الامتحان والابتلاء الكثير بسبب ذلك .المحبى : مصدر سبق ذكره جـ ١ ، ص ١٧٥. الحموى : مصدر سبق ذكره، جـ ٣

(١٠٥) نفس الأرشيف : محكمة الإسكندرية، س ٤٢، ص ١٩١ ، م ٦١٤ بتاريخ (رجب ١٠١٦هـ-١٦٠٧م) .

(١٠٦) محمد ضيف الله بن محمد الجعلى الفضلى : الطبقات ، ط المطبعة المحمودية ، القاهرة ١٣٤٨هـ- ١٩٣٠، ص ١٠ .

(١٠٧) مدة ولاية ٣ شوال ١٠٠٤هـ ١٣ ذى الحجة ١٠٠٦هـ/ ٢ يونيه ١٥٩٦م-١٨ يونيه ١٥٩٨م

(١٠٨) البكرى : المنح الرحمانية - مصدر سبق ذكره - ورقة ١٥٣ .

(١٠٩) نفس الأرشيف : محكمة القسمة العسكرية ، س ٧٥، ص ص ٢٢-٢٣. ٢٦ بتاريخ (ربيع الأول ١٠٩٠هـ - ١٦٧٩م)

(١١٠) منها زواج الشيخ عبد الله ابن الشيخ إبراهيم الأجهورى من مرقوقته صفية المرأة بنت عبد الله - الروسية الجنس - وذلك بعد عتقه لها ، وأصدقها صداقا قدره ألفى نصف فضة . نفس الأرشيف : الدشت، رقم ٢٠٤ ، بتاريخ (جمادى الأخرة ١٠٩٥ هـ- ١٦٨٤م) .

(١١١) الحموى - مصدر سبق ذكره ،جـ ١ ، ص ص ٥٦٦- ٥٦٧.

(١١٢) نفس المصدر : جـ ٢.ص ٨٦٨ .

(١١٣) المحبى : مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ـ الحموى : مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ص ص ٩٥٧ ـ ٩٥٨.

(١١٤) الحموى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٠.

(١١٥) المحبى : مصدر سبق ذكره جـ ٢ - ص ٣٥٨ .

(١١٦) الحموى : مصدر سبق ذكره جـ ١. ص ص ٥٥٧- ٥٥٨ .

(١١٧) المحبى : مصدر سبق ذكره .جـ٢ - ص ١٩٩ .

(١١٨) الحموى : مصدر سبق ذكره - جـ ٣ . ص ٦٩٤ .

(١١٩) المحبى : مصدر سبق ذكره - جـ ٣ - ص ١٢٣ .

(١٢٠) الحموى : المصدر السابق - جـ٣- ص.ص ٢٨٥- ٢٨٦ .

(١٢١) هـذا المؤلـف قـام الميـموني بـوضـعـه عـنـدمـا عـمـد السيـل في شـعـبـان ١٠٣٩هـ (١٦٢٩م).عقود البيت الحرام ففسخها ، ثم جددها السلطان مراد ابن السلطان أحمد (١٠٣٢هـ- ١٠٤٩م / ١٦٢٢- ١٦٣٩م) وترجع أهمية هذا المؤلف أنه عمل على تهدئة المجتمع وإرجاع الأمن له . لأنه بسقوط أركان البيت انزعج الناس بتلك المصيبة . وانضم إليها ما روى عن على ـ رضى الله عنه- أنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - قال الله سبحانه وتعالي إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره" فزاد قلقهم واضطرابهم ، فالفة بيانا لما خفى عليهم ونصحا لهم ورتبه على ثلاثة مباحث ، الأول في الجواب عن أسئلة ، وهى هل حفظ محل البيت من دخول الطوفان . الثاني : في أن محل البيت هل خلق قبل السماء والأرض أو لا : الثالث : في فضل الحجر الأسود . حاجى خليفة - كشف الظنون عن السامى الكتب والفنون - دار الفكر ١٩٨٧م . المجلد الأول - ص ٥١٨.

(١٢٢) العياشى : مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٤٤ .

(١٢٣) المحبى : مصدر سبق ذكره - جـ ٢ . ص ٤١٣ .

(١٢٤) . توفيق الطويل : التصوف في مصر إبان العصر العثماني ، سلسلة تاريخ المصريين العدد رقم (٢١) - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٨م . ص ١٦٦.

(١٢٥) المحبى : مصدر سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ص ٤٠٥- ٤٠٦ .

(١٢٦) الدفترادار : الدفتر من الكلمة اليونانية دفتيرا فُموُوِئ بمعنى جلد الحيوان لأنه كان يستعمل للكتابة . دار - فارسية - ومعناها الصاحب ، فالدفتردار لغويا : هو صاحب الدفتر. وكان الدفتردار بمثابة وزير المالية . للمزيد يرجع إلي تأصيل الدخيل ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٩٨- ١٠٤ .

(١٢٧) المهردار : هو أمين خاتم الباشر . حسن أفندى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية ، حققه ونشره د . محمد شفيق غربال ، تحت عنوان مصر عند مفرق الطرق ١٧٩٨- ١٨٠١م ، حولية كلية الأداب .

(١٢٨) السيد رجب الحراز : المدخل إلي تاريخ مصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩ .

(١٢٩) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ القومية وتطور نظام الحكم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م ، ص ١٨.

(١٣٠) للمزيد عن معرفة هذه المساعى ينظر ابن اياس : ج ٥ . صص ٤٢٧ -٠ ٤٢٨ وإلى اصل الرسالة ص- ص

(١٣١) أحمد شلبي بن عبد الغني : مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٠٨ - ٢٠٩ . أحمد الدمرادس . الدره المصانة في أخبار الكنانة ، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن ، المعهد الفرنسي بالقاهرة ١٩٨٩ م ، ص ٦٥ . الملواني : تحفة الأحباب ، مصدر سبق ذكره ص ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(١٣٢) . عبد الجواد صابر إسماعيل : دور الأزهر السياسي في مصر إبان الحكم العثماني ، مكتبة وهبه، ص ٣٢.

(١٣٣) مدة ولايته : شوال ١٠٧٠ ـ شوال ١٠٧١هـ /يونيو ١٦٦٠ ـ يونيو ١٦٦١م.

(١٣٤) فرقة العزب : جماعة من الجنود حرم عليها الزواج ، وهى سابقة على نشأة الإنكشارية عند العثمانيين ، وقد عهد إلي هذه الفرقة حماية القلاع في القاهرة وخارجها وحماية الباشا ، وكانت تلي طائفة المستحفظان في الأهمية . قانون نامه ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٤ ـ ١٥ .

(١٣٥) وقد لخص صاحب تحفة الأحباب هذه الواقعة عند حديثه عن الوقائع التى حدثت أيام مصطفى باشا حيث قال عنها " أثارت فتنة الفقارية ، وهى الواقعة التى دمرتهم وخذلتهم وكان الداعى لذلك قتل خمسة انفار من العزب في بلد غثمان الوالي فترفعوا واثبتوا عليه فقتل عثمان المذكور ، وبيرم اوده باشا ، وخرج الصناجق الفقارية من مصر إلي جهة الصعيد ثم عادوا إلي الجهة البحرية، فتهيأ الباشا للسفر خلفهم ، وأمر العساكر بالتجهيز ، فحضر له أحمد بيك ، والتزم له بالسفر خلفهم وحده ، وأن يحضرهم له ، فالبسه قفطانا وتوجه خلفهم ، فأدركهم بالطرانة - إحدى قرى مركز كوم حماده ، محافظة البحيرة فقتلهم هناك ، و عاد إلي مصر برؤوسهم وطلع إلي الديوان في موكب عظيم ، ثم سافر أحمد بك برؤوسهم إلي الروم .وذلك في صفر ١٠٧١ هـ(١٦٦٠م) . الملواني : تحفه الأحباب ، مصدر سبق ذكره. ص ١٨٩ - وللمزيد من التفضيل عن هذه الواقعة يرجع إلي إبراهيم الصوالحى العوفي - تراجم الصواعق ، مصدر سبق ذكره .

(١٣٦) الصوالحى العوفي : مصدر سبق ذكره ، ص ص ٨٤- ٨٥ . عبد الجواد صابر: دور الأزهر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢

الفصل الثانى
المؤسسات التعليمية

سوف نتناول فى هذا الفصل الحديث عن المؤسسات التعليمية ونشاطها عبر المراحل المختلفة ، بدءاً من مؤسسات التعليم الأولى - كالكتاب - وحتى مرحلة التعليم العالى - (الأزهر) - هذا بخلاف بعض المؤسسات الأخرى كالزوايا والأسبلة وغيرها . ولما كانت جميع تلك المؤسسات جل اعتمادها على الأوقاف ، رأت الدراسة أن تفرد حديثاً فى بداية هذا الفصل عن الأوقاف وموقف سلاطين ذلك العصر منها ، واهتمام الأهالى بالحركة التعليمية ومؤسساتها ، وأشكال ذلك الاهتمام .

الأوقــاف :

قيل أن أول من أحدث الأوقاف وأرصدها على جهات الخير من المدارس والمارستانات ، والأشخاص والمستحقين لها هو " الملك العادل نور الدين - محمود ابن الملك عماد الدين زنكى ، وذلك لضمان وصولها إلى المستحقين بسهولة ، لما كان وصول الفقراء والضعفاء إلى الخلفاء والملوك أمراً عسيراً ومتعذراً ، وقد أكثر الملك " نور الدين " من رصد الأراضى والأموال على تلك الجهات حتى حاول رجاله أن يثنوه عن هذا الأمر ولو بالاستعانة بهذه الإيرادات فى الجهاد قائلين له : " إن فى بلادنا إيرادات عظيمة وخيرات كثيرة ، وصلات عظيمة للفقراء ، والفقهاء والصوفية فلو استعنت بها الآن فى الجهاد وعطايا الجند لكان أمثل ". فغضب غضباً شديداً وقال : " والله إنى لأرجو النصر به ولكن ، فإنما ترزقون بضعفائكم كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عنى وأنا نايم فى فراشى بسهام لا تخطئ ، وأصرفها إلى من لا يقاتل عنى إلا إذا رآنى بسهام قد تخطئ ، وقد تصيب ؟! ثم إن هؤلاء القوم لهم نصيب فى بيت المال أصرفه عليهم . فكيف أقطعه عنهم ؟.(1)

ثم تبع الملك العادل نور الدين فى هذا الأمر السلطان صلاح الدين الأيوبى ، الذى رأى أن يفرد جزءاً كافياً من أراضى بيت المال للعلماء وللصرف على المؤسسات التعليمية كالمدارس وغيرها ، ثم سار على نهجه فى ذلك خلفاؤه من سلاطين بنى أيوب، وسلاطين الدولة المملوكية الذين تباروا فى إنشاء المؤسسات التعليمية ، ورصد الأوقاف للصرف عليها .

واستمر هذا الوضع قائماً ، وفى ازدياد إلى أن ظهرت الدولة العثمانية على مسرح الحياة المصرية ، حيث واجه السلطان سليم الأول . عظم حجم الأوقاف المصرية . ومع أنه لم يكن هناك تقديرات محددة عن حجم الأوقاف المصرية آنذاك ، إلا أن بعض المصادر ترى أن الأوقاف كانت تمثل عشرة قراريط من أراضى مصر . (٢) أى حوالى (٦٦، ٤٤٪) من جملة أراضى مصر الزراعية ، إذ أن المساحة الكلية كان يرمز لها بأربعة وعشرين قيراطاً. (٣) وعلى الرغم من عظم هذه المساحة لم يتعرض السلطان سليم لتغيير شئ منها ، بل أقرها على ماهى عليه . (٤)

وإن كان السلطان سليم الأول لم يتعرض للأوقاف المصرية إلا أن بعض خلفائه لم يسيروا على دربه فى هذا الشأن ، إذ هموا بالسطو على تلك الأوقاف ، خاصة وأن أراضيها لم تكن خاضعة للخراج ، أو ما يمكن أن نطلق عليه " الضريبة" . وذلك كما يشير " لانكرية. إلى أن الحالة الوحيدة التى تخضع فيها أراضى الوقف للميرى عندما يوقف أحد الملتزمين جزءاً كبيراً من ممتلكاته على مسجد ، أو أن يوقف عليه قرية بأكملها ، فإن المسجد فى هذه الحالة يصبح ملتزماً ويكون مكلفاً بدفع الميرى المفروض على هذه القرية . (٥) هذا فى حين نرى أن إحدى الدراسات قد أشارت إلى أن بعض الأوقاف والرزق قد خضعت للميرى ، حتى أوقاف المساجد . (٦)

ونظراً لأن العلماء كانوا هم أكثر فئات المجتمع استفادة من الأوقاف فلنا أن نتساءل ماذا كان موقف العلماء من محاولات الدولة العثمانية الاستيلاء على الأوقاف ؟ لقد استطاع العلماء أن يقفوا فى وجه سلاطين الدولة العثمانية عندما كانوا يفكرون فى الاستيلاء على تلك الأوقاف ، أو فرض الضرائب عليها ، وليس ثمة ما هو أدل على ذلك من استئساد العلماء عندما وقفوا فى وجه السلطان "سليمان القانونى " فى عنفوان الدولة العثمانية لمنع حدوث مثل ذلك (٧)

هذا وإن كان قد حدث خلال القرن العاشر الهجرى الـ١٦م إلا أنه قد حدث مثيله خلال فترة هذه الدراسة ـ القرن الحادى عشر الهجرى الـ١٧م . وذلك عندما أصدر السلطان محمد الرابع . (٨) فرمانا إلى وزير بمصر عمر باشا(٩) ، بإعداد سجلات الرواتب والعلوفات مفصلة ، ثم إرسالها إلى الأستانه للنظر فى شأنها ، وما نتج عن هذا الفرمان من تكدير خواطر العلماء وطلبة العلم ، والمستحقين لهذه الإيرادات ، وانقباض قلوبهم ، بما جعل المستحقين لهذه الإيرادات يهرولون إلى العلماء ملتمسين منهم الشفاعة عند

السلطان للعدول عن هذا الفرمان ، فانتخب العلماء الشيخ إبراهيم الميمونى (ت١٠٧٩هـ ـ ١٦٦٨م). الذى كتب رسالة موضحاً فيها مدى اعتماد العلماء وطلبة العلم والفقراء على مرتبات تلك الأوقاف ، وأن توقفها يعنى توقف الحركة العلمية إجمالاً ، وما يتبعه من خراب الديار المصرية ، وغير ذلك من الأمور الأخرى ، ثم أرسلها إلى السلطان فى مقر سلطنته ، وما لبث الأخير أن استجاب لتلك النداءات ، وعدل عن فرمانه بخصوص هذا الشأن .(١٠)

وثمة محاولة أخرى حاولت فيها الدولة العثمانية إبطال المرتبات والاستيلاء على الأوقاف ، وهو ما حدث خلال القرن الثانى عشر الهجرى الـ١٨م.عندما أمر السلطان " محمود خان " بإبطال المرتبات من العلوفات ، ولكن لم يكتب لتلك المحاولة النجاح . وذلك لتصدى العلماء لها ، حيث قام شيخ الأزهر ـ آنذاك ـ الشيخ عبد الله الشبراوى (ت١١٧١هـ ـ ١٧٥٧م). بنهج منهج من سبقه من العلماء فى هذا الصدد ، حيث قام بتحرير رسالة للسلطان موضحاً مدى أهمية تلك الرواتب على سير الحركة التعليمية بمصر، إلا أن أهم ما يلاحظ تلك الرسالة ، النبرة التهديدية التى لوح لها الشيخ الشبراوى فى خطابه للسلطان محمود فأشار إلى أن إبطال تلك المرتبات والعلوفات ربما يتسبب فى حدوث ثورة عارمة من قبل الشعب ضد الدولة ، وقال : " ولربما قامت الرعية ، وهاجت واضطربت أحوالها وماجت . لأن قطع الأرزاق يفضى إلى قبيح الأفعال وسوء الأخلاق ".(١١)

وهكذا رأينا مدى استئساد العلماء ودفاعهم عن مصالحهم ومصالح غيرهم فى الحفاظ على تلك الأوقاف وما تدره عليهم من مرتبات ، وإن هذا الدفاع لم يتأثر بهيمنة الدولة العثمانية التى كانت تعيش فترات عنفوانها .

ولم تقتصر محاولات السطو على الأوقاف المصرية إبان العصر العثمانى على السلاطين وحدهم ، بل شهدت محاولات من قبل المباشرين على الأوقاف أيضاً. ولكن كما تصدى العلماء للمحاولات السابقة من قبل السلاطين، تصدوا أيضاً لمحاولات غيرهم . ومن ذلك ما حدث عندما أراد الناظر على وقف السيفى يشبك بن مهدى الدوادار .. أن يغير فى عوائد ذلك الوقف ، والتى منها أن يصرف من ريعه ما يشترى به ستمائة رغيف يومياً ، تفرق على مجاورى الجامع الأزهر ، فتحرك العلماء وذهبوا إلى وزير مصر آنذاك إبراهيم باشا وأوضحوا له مدى الخسائر التى سوف تلحق بالمجاورين إذا لم

تصل لهم تلك الجراية فعند ئذ أحال الوزير إلى قاضى القضاة أمراً بأن تسير الأمور كما نص عليها واقفها . (١٢)

ولم يكن الاستيلاء على الأوقاف السمة العامة لسلاطين الدولة العثمانية وإنما وجد منهم من أولى تلك الأوقاف بعضاً من الاهتمام وقام بنفسه بالمشاركة فيها ، حيث وجد منهم من أوقف قرئ بأكمها على جهات خيريه وذلك مثل السلطان مراد ابن السلطان سليم (١٣) الذى أنشأ تكية بالمدينة المنورة ، ورباطاً بقباء ظاهر المدينة ، وقرر بالرباط أرباب وظايف ومجاورين ، كما رتب بالتكية طعاماً يطبخ صباحاً ومساء ، كما رتب قمحاً لأهل الحرمين الشريفين وأوقف على ذلك عدة قرى فى مصر ، بعضها كان بناحية نكلاً والضاهرية بإقليم البحيرة ، وناحية سبك الأحد وسنهرا بالمنوفية ، ونواحى سندوب ، ومنية سمنود ، وأبو الحسن بالدقهلية ، وناحية كوم برا بالجيزة ، وكل من نواحى بلغيا ، ودنديل ، والعتامنة ، ودشنا ، والضوابط ، وإهناس الخضراء بالوجه القبلى. حيث يجهز كل سنة من متحصل تلك النواحى قدر ألفين ومائتى أردب من الحبوب لترسل إلى التكية ـ المذكورة ـ ومجاورى الحرميـن الشريفين ، ومن النقد ما يقدر بـ سبعة عشر كيساً تصحب مع أمير الحـاج الشـريف المصرى لتوزع على أربابها من مجاورى الحرمين الشريفين. (١٤) وغير ذلك الكثير . (١٥) ولعلك تلاحظ عظم الأوقاف التى أوقفها هؤلاء السلاطين ، والتى وصلت فى بعض الأحيان إلى عدد من القرى ، على أن أهم ما يلاحظ ـ فيما سبق عرضه ـ أن تلك الأوقاف أرصدت على جهات خيرية دينية بحتة ـ الحرمين الشريفين ـ بمعنى أنها جاءت على حساب النواحى التعليمية ومؤسساتها، ويمكن تفسير ذلك بأن سلاطين الدولة العثمانية أيقنوا من أن الأمر الذى يجعل الشعوب الإسلامية تلتف حولهم هو العمل فى خدمة النواحى الدينية ، وليس ثمة ما يتعلق بتلك النواحى لدى تلك الشعوب أكثر أثراً من خدمة المقدسات الشريفة والمتمثلة فى الحرمين الشريفين ، ولعل هذا الأمر يجعلنا نتساءل هل كان لقلة اهتمام سلاطين الدولة العثمانية بالنواحى التعليمية بمصر ، وقلة رصدهم للأوقاف عليها مردود لدى أفراد المجتمع المصرى آنذاك ؟ فى الواقع وبعد دراستنا لسجلات المحاكم الشرعية الخاصة بذلك العصر يتضح لنا أن المجتمع المصرى قد شعر بمدى عظم المسئولية الملقاة

على عاتقه تجاه النهوض بالحركة التعليمية ومواصلة مسيرتها ، خاصة بعد التأكد من قلة اهتمام سلاطين الدولة العثمانية ، بمثل هذه النواحى الحضارية ، وقد جاءت أكثر اهتمامات المجتمع آنذاك منصبة على المؤسسة التعليمية نظراً لأهميتها فى استمرار الحركة وأداء دورها . وذلك على أشكال متعددة منها تبارى أفراده فى وقف ممتلكاتهم على المؤسسات المتنوعة ، إضافة إلى الإقدام على إنشاء المؤسسات الجديدة ـ آنذاك ـ هذا بجانب وقف مكتباتهم الخاصة على تلك المؤسسات ، وسوف نتعرض لتلك الأمور تفسيراً فى موضوعاتنا القادمة .

وأما الحديث عن المؤسسات التعليمية فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة مباحث الأول الإشارة إلى المؤسسات التعليمية داخل القاهرة ، والثانى المؤسسات التعليمية بالأقاليم ، الثالث خاص بالحديث عن الأزهر ، وذلك نظراً لمدى أهميته العلمية ، وباعتباره أعلى المراحل التعليمية آنذاك .

أولاً : المؤسسات التعليمية داخل القاهرة :

فى هذا الحديث سوف نتناول دراسة المؤسسات التعليمية بكافة أنواعها داخل القاهرة والإشارة إلى المؤسسات التى مارست النشاط التعليمى أثناء فترة تلك الدراسة مع تكثيف الضوء على المؤسسات التى قام أفراد المجتمع بإنشائها آنذاك ، وتوضيح المؤسسات التى استحوذت على اهتمام طوائف المجتمع المصرى مع بيان أسباب ذلك .

أ ـ الكتاتيب :

يعتبر الكتّاب من أقدم دور التعليم التى عرفتها الدول الإسلامية ، وقد عرفته الشعوب السابقة للإسلام .[١٦] ومن هنا استدل البعض على أن الكتّاب قد وجد على نوعين ، نوع كان لتعليم القراءة والكتابة والحساب . وغير ذلك . وهو سابق للنوع الثانى الذى ظهر بعد انتشار الإسلام ، إذ شمل الثانى تعليم كل من القراءة والكتابة والحساب مع تحفيظ القرآن الكريم .[١٧] " والكتّاب فى العادة مكان متواضع " عبارة عن غرفة فسيحة بعض الشيء ، فرشت بالحصر يجتمع فيها الأطفال مع مؤدبهم .[١٨] وقد انتشر هذا النوع من التعليم فى جميع أنحاء مصر ، حيث لم يكن قاصراً على العاصمة فقط، بل كان فى كل مدينة كبيرة ، وقرية صغيرة .

وقد احتفظ الكتّاب طوال العصور بصفة إسلامية بحتة ، وكان فى البلاد الإسلامية خاصة المكان الرئيسى لتعليم الصغار القرآن ، ولذا فقد استمتع بمكانة كبيرة الأهمية فى الحياة الإسلامية ، لأن تعليم القرآن للأطفال بصفة خاصة كان أمراً عظيم الخطر فى الإسلام ، حتى لقد اعتبره كثير من العلماء فرضاً من فروض الكفاية ـ ويقول رسول الله (: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه ".[١٩] ومن هنا نجد أن النبى (حض على ضرورة التعليم فكلف كل أسير من أسرى بدر بتعليم اثنى عشر طفلاً من أبناء المسلمين على سبيل الفدية .[٢٠]

ولقد انتشر الكتّاب مع انتشار الإسلام فى الأمصار ، ويعد بناء الكتاتيب لتعليم أبناء المسلمين القرآن ، والقراءة ، والكتابة والدين عملاً من أجل الأعمال وأكرمها عند الله تعالى ليتنافس فيها المتنافسون من عباده المخلصين.[٢١] وقد شعر المجتمع فى مصر العثمانية بهذا الأمر ، إذ أنه من خلال الإطلاع على وثائق المحاكم الشرعية الخاصة بذلك العصر يتبين لنا مدى تنافس الأفراد فى إنشاء هذا النوع من المؤسسات التعليمية ، بخلاف الأوقاف الكثيرة التى كانت ترصد على الكتاتيب ، ولذا يقول الأستاذ "خدا بخش": أن التعليم الأولى أو تعليم الكتاتيب نما نموا طبيعياً دون تدخل من جانب الحكومة، وليست العصور المتأخرة فقط هى التى تمتاز بنشر التعليم الأولى ، بل إننا نجد مثل تلك العناية بالتعليم من جانب الأفراد من تلقاء أنفسهم فى العصور الإسلامية المتقدمة ، فنجد مكتباً فى كل قرية ملحقاً أو غير ملحق بمسجد .. ". [٢٢]

وعن نظم الدراسة بالكتاب فقد كانت تبدأ فى سن السادسة ، وكان على الصبيان أن يحضروا معهم المصحف ، أو أحد أجزائه ، وعادة ما تكون البداية بجزء " عم " حيث أن معلمى الكتاتيب كانوا يرون أن من الأيسر على التلميذ أن يبدأ بقراءة جزء " عم " لصغر سوره ، وكانت أدوات الكتابة التى يعتمد عليها الطلبة فى تلك المؤسسة هى الألواح الخشبية مع أقلام البوص ، وكانت طريقة التحفيظ فى تلك المؤسسات تعتمد على التكرار والقراءة بصوت مرتفع ، وما أن ينتهى الطالب من مرحلة التهجى حتى ينتقل إلى مرحلة القراءة السريعة بدون تهج ، وكان الأطفال يقسمون إلى عدة فئات ، فالمبتدئون تكون مجالسهم بعيدة عن الفقيه " المؤدب " والمتقدمون فى القراءة والكتابة يكونون قريبين منه .[٢٣]

وكانت طريقة التعليم بالكتّاب هى أن يكلف الفقيه كل طفل بعمل ما فهذا يحفظ " الماضى " وذاك يكتب فى لوحه ، وثالث يعمل غير ذلك ، وهكذا حتى إذا ما أتم كل عمله توجه للفقيه يسمعه ما حفظه ، ويعرض عليه ما كتب ثم يكلفه بعمل آخر ، وهكذا يعطى كل طفل قسطه بدوره فترى الفصل فى نشاط دائم فهذا الطفل يقبل ثم يدبر . وذاك يقرأ بصوت مرتفع ، وآخر يكتب فى لوحه ، والفقهية أو مساعده " العريف " يستمع إلى الأطفال الذين يقرأون ، فيصلح لهم أخطاؤهم مع انهماكه فى الوقت نفسه بإملاء الطفل الجالس بجانبه، أو بالاستماع إلى ماضيه . (٢٤)

أما مواعيد الدراسة بهذه المؤسسة فتبدأ من الصباح وحتى قبل العصر ، وذلك على مدار أيام السنة ، ما عدا يوم الخميس الذى يستمر فيه اليوم الدراسى إلى ما قبل الظهر . هذا بخلاف العطلات الرسمية كأيام الجمع والأعياد والمناسبات الدينية الهامة . (٢٥) وقد تولى التدريس بهذه المؤسسة "المؤدب " أو الفقيه الذى لم يشترط فيه إلا أن يكون من أهل الخير والعفاف ، وأن يكون حافظاً لكتاب الله العزيز ، وأن يكون أهلاً لإقراء الأطفال وتعليمهم.(٢٦) وكان يساعده فى تلك المهام التعليمية " العريف " الذى كان يقوم بتنظيم الحلقة التعليمية داخل الكتاب ، كما كان يقوم بتدريب الأطفال على الكتابة على الألواح الخشبية ، علاوة على ذلك كان يقوم بضبط اليوم الدراسى بتلك المؤسسة حين غياب الفقيه . (٢٧) ويشترط فى العريف ما كان يشترط فى الفقيه من كونه رجلاً من أهل الخير والدين والصلاح ، حافظاً لكتاب الله العزيز . (٢٨)

ولعلك تلمح أن تلك الشروط ـ الواجب توافرها فى كل من المؤدب والعريف ـ خالية من التفرد أو التخصص ، وذلك لعدم احتياج المناهج المقررة على الطفل فى تلك المرحلة لشئ من هذا القبيل ، إذ نراها مقتصرة على تعليم الطفل كيفية النطق بحروف الهجاء وحفظ القرآن الكريم ، وبعض مبادئ الاستخراج ـ الحساب – مع تعليمه الأدب وهى شروط رائعة على الرغم من بساطتها وعدم كثرتها .

وعند إتمام الطفل مرحلته التعليمية بالكتّاب ، وذلك بإتمامه حفظ القرآن الكريم كان يقام احتفال بهيج يشترك فيه جميع الصبيان من زملائه فى المكتب، ويسمى هذا

الاحتفال بـ " الختمة " وبعد الانتهاء من الدراسة فى الكتّاب كان الصبى إما أن يتجه إلى الأزهر أو أحد المساجد التعليمية الكبرى ، مثل مسجد السيد البدوى (بطنطا) وإما أن يعود إلى الاشتغال بالزراعة ، أو بغيرها من الحرف .[٢٩]

وكما نوهنا سابقاً إلى أن الكتّاب كمؤسسة تعليمية قد حظى خلال العصر العثمانى باهتمام كبير من قبل أفراد المجتمع المصرى ، والإدارة ، ويرجع ذلك الاهتمام إلى عدة اعتبارات أهمها كثرة عدد الفقراء اليتامى من أبناء الشهداء وضحايا الأوبئة ، والحرص على ضمان مستقبل سوى لهم ، وأن النظرة السائدة إلى مثل تلك الأعمال فى تلك الأونة وحتى وقتنا هذا على أنها من أعمال البر للتقرب إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومن تلك الاعتبارات عامل اقتصادى حيث تعتبر الكتاتيب أقل تمويلاً وتكلفه من المؤسسات الأخرى، ولذا فإن سبيل انتشارها بين كبار الواقفين وصغارهم كان أمراً ميسوراً .

وليس هناك ما هو أدل على اهتمام المجتمع المصرى العثمانى بالكتّاب كمؤسسة تعليمية من إشراف قاضى القضاة بنفسه على تلك المؤسسة فى بعض الأحيان ، ومن ذلك ما سجلته لنا الوثائق الأرشيفية حيث أشرف قاضى القضاة على عملية إلحاق طفل من أيتام المسلمين بأحد الكتاتيب بعد عزل غيره ، الذى بلغ الحلم ، كما أشارت إلى أن مثل هذه العمليات كانت فى العادة تجرى على أيدى الأطباء المتخصصين الذين يفحصون تلك الكتاتيب وتقديم تقرير عن الأطفال الذين بلغوا تلك المرحلة العمرية لعزلهم ، وإلحاق آخرين مكانهم .[٣٠]

وكما أشير سابقاً إلى أن الكتاتيب كانت واسعة الانتشار فى مصر خلال العصر العثمانى ، فقد تمكنت الدراسة من رصد أكثر من تسعة وثمانين كتّاباً[٣١] " تضم التلاميذ الدارسين داخل مدينة القاهرة ، وقد أنشئت داخل القاهرة خلال القرن الحادى عشر الهجرى الـ١٧م عدة كتاتيب مما يدل على مدى اهتمام المجتمع بالحركة التعليمية ، والعمل على استمرارها ، وإنعاشها . ومن الطبيعى أن تأتى تلك الكتاتيب متفاوتة من حيث سعتها وعدد الدارسين بها ، ومن حيث الرواتب (الجارية) والمنح التى تعطى للأطفال والفقيه والعريف ، وذلك حسب الوضع الاقتصادى والمالى للواقف ، ولإتمام

الفائدة أثرنا ترتيب جدول يتضمن الكتاتيب التى تم إنشاؤها فى القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى وقد حاولنا تقسيمها حسب استيعابها للتلاميذ ورتبناها حسب قدم افتتاحها .

أ ــ الكتاتيب التى أعدت لاستقبال أكثر من عشرة أطفال :

تاريخ الإنشاء أو الوقف	اسم الكتب وهو غالباً اسم الواقف
١٠٠٠هـ ــ ١٥٩١م .	مكتب الأمير سليمان محمد الجباص (٣٢)
١٠٠٣هـ ــ ١٥٩٤م .	مكتب العلاى مغلطاى الجمالى (٣٣)
١٠٤٨هـ ــ ١٦٣٨م .	مكتب مصطفى بيك مير للواء الشريف السلطانى (٣٤)
١٠٩٢هـ ــ ١٦٨١م .	مكتب مصطفى بن حسن جور بجى مستحفظان (٣٥)

ب ــ الكتاتيب التى أعدت لاستقبال عشرة أطفال :

تاريخ الإنشاء أو الوقف	اسم الكتاب وهو غالباً اسم الواقف
١٠٠٧هـ ــ ١٥٩٨م.	ــ مكتب الجمالى محمد بن عبد الله (٣٦)
١٠١٧هـ ــ ١٦٠٨م.	ــ مكتـب شـهاب الديـن أحمد بن محمد بن شمس الدين محمد الشهير نسبه بالرويعى (٣٧)
١٠١٧هـ ــ ١٦٠٨م.	ــ مكتب ناصر ابن الحاج يحيى الشهير بابن ميسرة الحلبى. (٣٨)
١٠١٩هـ ــ ١٦١٠م.	ــ مكتب الشيخ زين الدين عبد المعطى بن شمس الدين محمد بن شهاب الدين محمد البنوفرى . (٣٩)
١٠هـ ــ ١٦م.	ــ مكتب إسماعيل أبو طاقية . (٤٠)
١٠٣٤هـ ــ ١٦٢٤م.	ــ مكتب الأمير يوسف بن عبد الله الجاويش بالديوان العالى (٤١)
١٠٣٤هـ ــ ١٦٢٤م.	ــ مكتـب الحـاج صفى الدين بن الشمس محمد عبد القادر من طايفة عزب السويس . (٤٢)
١٠٣٦هـ ــ ١٦٢٦م.	ــ مكتب الأمير يوسف من أعيان أمراء الجراكسة . (٤٣)
١٠٣٦هـ ــ ١٦٢٦م.	ــ مكتب الأمير يوسف ابن عبد الله . (٤٤)
١٠٣٨هـ ــ ١٦٢٨م.	ــ مكتب الأمير رضوان آغا بن عبد الله . (٤٥)
١٠٤٣هـ ــ ١٦٣٣م.	ــ مكتـب الأمـير سـليمان ابـن الأمـير ولى من أعيان أمراء الجراكسة (٤٦)
١٠٤٨هـ ــ ١٦٣٨م.	ــ مكتب خليل أفندى مقاطعجى الشهير بمصر ــ كان ــ (٤٧)
١٠٨٢هـ ــ ١٦٧١م.	ــ مكتب الأميرحسن بن عبد الله جوربجى طايفة مستحفظان (٤٨)

جـ الكتاتيب التى أعدت لاستقبال أقل من عشرة أطفال :

اسم الكتاب وهو غالباً أسم الواقف	تاريخ الإنشاء أو الوقف
ـ مكتب الأمير سفيان بن عبد الله أمين الشون المصرية، ومن أمراء المتفرقة. (٤٩)	١٠٠٩هـ ـ ١٦٠٠م.
ـ مكتب الشيخ زين الدين عبد اللطيف المعروف بأبى يونس القرافى. (٥٠)	١٠١٠هـ ـ ١٦٠١م.
ـ مكتب الأمير عابدين بيك أمير اللواء الشريف السلطانى (٥١)	١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م.
ـ مكتب الشريف بدر الدين حسن بن شمس الدين محمد الرديني. (٥٢)	١٠٩٩هـ ـ ١٦٨٨م.

د ـ مكاتب الأسبلة :

اسم الكتاب وهو غالباً أسم الواقف	تاريخ الإنشاء أو الوقف
ـ مكتب أحمد أغا جاهين . (٥٣)	١٠٠٥هـ ـ ١٥٩٦م.
ـ مكتب إبراهيم جور بجى مستحفظان . (٥٤)	١٠١١هـ ـ ١٦٠٢م.
ـ مكتب خليل أنما مستحفظان . (٥٥)	١٠١٨هـ ـ ١٦٠٩م.
ـ مكتب مصطفى أغا ابن عبد الرحمن أغا دار السعادة(٥٦)	١٠٣٢هـ ـ ١٦٢٢م.
ـ مكتب مصطفى بك طبطباى . (٥٧)	١٠٤٦هـ ـ ١٦٣٦م.
ـ مكتب على أغا دار السعادة . (٥٨)	١٠٨٨هـ ـ ١٦٧٧م.
ـ مكتب يوسف أغا قزلار أغا دار السعادة . (٥٩)	١٠٩١هـ ـ ١٦٨٠م.

ويستطيع المرء بسهولة أن يخرج بعدة ملاحظات من هذه الجداول، لعل أولها وأهمها هو ذلك العدد الكبير من تلك الكتاتيب تم إنشاؤها خلال فترة هذه الدراسة ، وهو ما يعكس لنا اهتمام المجتمع بالحركة العلمية آنذاك . ومن تلك الملاحظات أيضاً أن معظم من انشأوا هذه الكتاتيب من الأمراء العسكريين ، وليس فى هذا الأمر أدنى غرابة ، وذلك لارتفاع مستوى الوضع الاقتصادى للعسكريين ، أو من لهم اتصال وثيق بالفئة الحاكمة ، والناظر فى أمر هؤلاء العسكريين وغيرهم يجد أنهم قد قصدوا من إنشاء مثل هذه المؤسسات تخليد أسماءهم بمثل هذه الأعمال . ولم يخل الأمر كما هو ملاحظ من إقدام شخصيات من فئات اجتماعية أخرى لإنشاء مثل هذه المؤسسات ، وعلى رأسهم

التجار ، وهذا يوضح لنا مدى مشاركة هؤلاء فى أوجه الخير ، وتنوير المجتمع . كما أنهم فى حاجة إلى متمرسين فى علم الحساب العلم الذى كان يلازم تحفيظ القرآن الكريم للطفل فى هذه المرحلة التعليمية .

كما يلاحظ أيضاً أنه لم يوجد هناك تقنين ثابت لعدد الأطفال الذين يدرسون بالكتّاب كمرحلة تعليم أولى ، وبعد الإطلاع على الوثائق - التى تحدثت فى هذا الشأن - نجد الأمر بعينه وهو عدم وجود تقنين ثابت من حيث المبالغ والجرايات التى كانت تقدم للعاملين والدارسين بتلك المؤسسة ، وكما نوه سابقاً إلى أن هذا الأمر متوقف على الحالة الاقتصادية للواقف .(٦٠)

على أن أهم شئ يشار إليه فى هذا الشأن أن أصحاب تلك الكتاتيب سواء أكانوا فى العصر العثمانى ، أم قبله ، قد حرصوا عند تشييدهم لمثل هذا النوع من المؤسسات التعليمية ، على توفير الأجواء الصحية لها . وضماناً لتحقيق هذا الغرض كانت أكثر الكتاتيب تبنى فوق الأسبله ، ولذا كان يطلق على الكتّاب " كتّاب السبيل " وذلك ضماناً لتوفير الهواء النقى ودخول الشمس به ، مما يساعد الأطفال صحياً وذهنياً على استيعاب ما يدرس لهم . إضافة إلى ذلك كان كل صاحب كتّاب يخرج من وقفه راتباً شهرياً لرجل يتعاطى تنظيف الكتّاب وملحقاته . هذا علاوة على إخراجه مبلغاً فى كل سنة ثمناً للحصر التى يفرش بها الكتاب سنوياً .

وربما صح لنا أن نتساءل بعد هل كانت جميع الكتاتيب فى تلك الفترة كتاتيب عامة أو مجانية ، أم وجدت بعض الكتاتيب الخاصة ؟ فى الواقع لم تفصح لنا المصادر التاريخية المعاصرة لتلك الفترة عن وجود كتاتيب خاصة فى ذلك الحين ولكن وجدت بعض الإشارات فى مصادر أخرى ، يفهم منها أنه كانت توجد كتاتيب من هذا النوع ، فمن تلك الإشارات أن ثمة من الآباء من كان يعمد قبل وفاته إلى تحديد أجرة معلم أطفاله فى الوصية التى يوصى بها حتى يضمن لهم مستقبلاً تعليمياً سوياً . (٦١) وهو ما يعطينا انطباعاً عن إدراك المجتمع آنذاك لأهمية العلم ، وحرص أفراده على تعليم أبنائهم.

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن الأهداف التعليمية المرتبطة بإنشاء الكتاتيب كانت تدور حول محورين : محور علمى ، يهدف إلى تعليم القرآن الكريم ، والخط العربى ، وبعض مبادئ الحساب . الثانى خلقى ، ويتمثل فى التأدب بأداب القرآن ، والسنة والخلق الإسلامى . كما اتضح لنا أيضاً مدى اهتمام المجتمع فى تلك الفترة بالتعليم ،

وإقبال الناس على الإكثار من إنشاء . الكتاتيب وذلك لاستيعاب الأعداد الكبيرة من أبناء المتوفين فى ظروف مختلفة ضماناً لمستقبل سوى لهم .

ب ـ الزوايـا :

الزوايا جمع مفرده زاوية ، وهى مأخوذة من الفعل انزوى . بمعنى اتخذ ركناً من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد . وقد أنشئت الزوايا فى أول الأمر ملحقة بالمساجد ، ثم تطورت إلى أبنيه صغيره للتعليم والصلاة والعبادة يتخذها أحد المشايخ المشهورين بالتقوى والصلاح سكناً له ، ولمن يرد عليه من المارة ، ويقوم بالوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه من الناس . ولذا يمكن القول بأن الزاوية قد تشابهت مع الكتّاب من حيث ظروف التنشئة والتطور فى أن كـلاً منهما بدأ فى أول الأمر ملحقاً بالمسجد ثم تحول إلى بناء مستقل (٦٢).

وفى حقيقة الأمر أكثر المجتمع المصرى فى العصر العثمانى من إنشاء هذا النوع من دور العبادة والتعليم ، كما أقبل أفراده سواء كانوا من الذكور أو الإناث على وقف أموالهم على تلك المنشآت ، وربما يرجع تفسير ذلك إلى أن تمويل الزاوية ـ كمنشأة ـ لا يحتاج إلى أموال باهظة بالقياس إلى المنشآت الأخرى ، إضافة إلى أن النهج الذى غلب على نمط العبادة فى مثل هذه الدور هو النهج الصوفى ، ونظراً لانتشار التصوف فى المجتمع آنذاك ، فقد انعكس ذلك على أفراده فى الإكثار من مثل هذه المنشآت . وكان الغرض الرئيسى لإنشاء الزاوية الاعتكاف والتعبد وليس التعليم ، الأمر الذى يجعل الباحث يقع فى حيرة من أمره فى الجزم بأن جميع الزوايا فى تلك الفترة أكانت تقام بها حركة علمية أم لا ؟. وللخروج من مثل هذه الحالة ، فسوف تقوم الدراسة بالإشارة إلى الزوايا التى أكدت المصادر أنها فتحت أبوابها لطلاب العلم .

ويعتبر من أهم الزوايا شهرة خلال العصر العثمانى ، زاوية السادة الخلوتية ـ برأس خان الخليلى ـ ، وزاوية السادة الوفائية ـ بالقرافة الصغرى ـ وترجع شهرة كل من هاتين الزاويتين إلى أن سادات كل طريقة قد اتخذوا من زاويتهم المقر الرئيسى لهم ، ولذا قاموا برصد الكثير من الأموال عليها ، وتبعهم فى ذلك مريدوا كل طريقة ، فتباروا فى رصد الأموال على زاوية الطريقة التى يتبعونها . (٦٣) الأمر الذى أضفى على كل من الزاويتين المركز الأدبى والثقل الاقتصادى ، فكان لهذا أكبر الأثر فى ازدياد شهرة هاتين الزاويتين.

أضف إلى ذلك اهتمام سادات كل من هاتين الطريقتين بالعلم وتكوين المكتبات الخاصة مما دفع البعض إلى وقف مكتباتهم وما لديهم من كتب على الزاوية التى تتبع طريقته(٦٤).

ومن تلك الزوايا ، زاوية الشيخ عمر البسطامى(٦٥) ، التى كان الشيخ جلال الدين المحلى يقوم بتدريس الفقه الشافعى بها وزاوية الشيخ خير الدين الكركى.(٦٦) ، وزاوية فارس المجاورة لمحكمة طولون آنذاك(٦٧) وزاوية الزينى(٦٨) عمر. وزاوية محمد جلبى الروزنامجى.(٦٩) وغيرها الكثير.

ولم يخل الأمر من وجود بعض الزوايا التى أنشئت خلال فترة هذه الدراسة ومنها الزاوية التى أنشأها الأمير درويش جلبى ابن الأمير لطف الله جلبى من أمراء المتفرقة ـ بظاهر القاهرة خارج بابى زويلة والخرق بخط قناطر السباع ـ حيث رتب فيها عشرة أطفال ليتعلموا القراءة والكتابة ويحفظوا القرآن الكريم . وقد قرر فيها مؤدباً ليكون معلماً للأطفال العشرة . ومن الأمور المهمة التى تضمنتها وقفية تلك الزاوية الاهتمام بوضع منهج دراسى يلتزم المعلم بتعليمه للتلاميذ ، كما أوضحت بعض الطرق التربوية المتبعة فى ذلك الوقت حتى يسير عليها المؤدب فى تعليم الأطفال ، فجاء فيها أن يقوم المؤدب بتعليم التلاميذ حفظ القرآن الكريم بالتلقين ، والكتابة ، والمراجعة لهم فى ترجيع الآيات ، ويعلمهم الحفظ ، الاستخراج في الكتب ، وكيفية الوضوء فى الصلوات .. هذا بخلاف ما رتب من منح ورواتب تعطى للأطفال ولمؤدبهم ، وخبز يفرق عليهم ، وراتب شهرى ، وثمن كسوة تفرق عليهم فى شهر رمضان وثمن ألواح ، وأدوية ، وأقلام ، ومداد وغير ذلك(٧٠) وكأنها قد جمعت بذلك بين كل الأسس التى يعتد بها ما يعرف بالعلم الضرورى عند المسلمين دراسة وتطبيقاً بالإضافة إلى تأمين معاش ملائم لكل من التلاميذ والعاملين على حد سواء ، ووفرت الأدوات الضرورية اللازمة لنجاح العملية التعليمية المرجوة .

وثمة زاوية أخرى تم إنشاؤها خلال تلك الفترة ، وهى زاوية المصونة مؤمنة بنت الشيخ أبو الأكرم بن وفاء حيث قررت أن تضم أربعة أطفال للتعلم فيها، كما رتبت لهم لمؤدبهم ، ولمساعده العريف الرواتب الشهرية ، والمنح السنوية .(٧١)

وهكذا فقد رأينا لمحة عن الدور الذى كانت تؤديه الزوايا خلال تلك الفترة وهى التعبد والاعتكاف ، وأنها كانت مساندة لمهام الكتّاب التعليمية ، بل وجدنا أنها تعدت

الكتّاب فى مناهجه التعليمية فى بعض الأحيان ، كتدريس الفقه الشافعى فى زاوية الشيخ عمر البسطامى ، والتفسير فى زاوية محمد جلبى الروزنامجى ، على أن أهم ما فى الأمر أن الزوايا على الرغم من أن أكثر منشيئها وراصدى الأوقاف عليها من المتصوفة. لم يقوموا بإدخال التعاليم الصوفية ضمن المناهج التعليمية التى يتلقاها التلاميذ فى تلك الزوايا.

جـ ـ الخوانق :

قال المقريزى : الخانقاة كلمة فارسية ، معناها بيت ، وقد استحدثت فى الإسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة ، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة.(٧٢) وقد أشار على مبارك إلى أن اسم الخانقاة قد اندثر بمرور الزمن ، وأطلق عليها اسم التكية ، والتكايا أماكن لإقامة الدراويش من الأعاجم.(٧٣) والواضح من هذا التعريف أن الخانقاه وضعت فى الأصل كمكان يختلى فيه الصوفية للعبادة ، ولكن مع ذلك كانت هناك بعض تلك المنشآت قد خرجت عن مهمتها الأساسية ، ومارست نشاطاً تعليمياً .

ويكاد التعليم فى هذا النوع من المؤسسات ينصب على الأحاديث وروايتها. (٧٤) هذا فضلاً عن التعاليم الصوفية ، وتعد أشهر الخانقاوات وأولها حدوثاً فى مصر خانقاة سعيد السعداء ، وهى التى كانت تعرف فى زمن الدولة الفاطمية بـ" دار سعيد السعداء " وهو الأستاذ قنبر أو(عنبر) . وعندما تم الأمر لصلاح الدين فى حكم مصر حوّل تلك الدار لإقامة الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الإسلامية المختلفة ووقفها عليهم فى سنة٥٦٩هـ(١١٧٣م)(٧٥) وإلى جانب الممارسات الصوفية لتلك الخانقاة كان يقام بها نشاط تعليمى ملحوظ ، حتى نرى أن الوثائق الأرشيفية كانت تصفها بـ"مدرسة الخانقاه سعيد السعداء ". ويبدو أن نشاطها العلمى قد استرعى انتباه بعض أفراد المجتمع مما دفعهم إلى أن يرصدوا أموالهم عليها . (٧٦)

ومن الخانقاوات أو التكايا التى مارست النشاط العلمى فى تلك الفترة تكية سليمان باشا ، الواقعة بخط جامع قوصون ، ممن قرر بوظايف التعليم بها الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الدايم ابن الشيخ الرفاعى الحسينى الحنفى الذى قرر فى وظيفة طلب فقه حنفى ".(٧٧) كما قرر فى نفس الوظيفة الشيخ فضل الدين بن منلا على النقشبندى ، وكان راتب كل منهما ثلاثين نصفاً شهرياً . (٧٨)

ويبدو أن الجوانب الدينية والاجتماعية ـ من إيواء الفقراء والمنقطعين وإجراء الجرايات والرواتب عليهم ، قد غلبت على الجوانب التعليمية فى هذا النوع من المؤسسات، وقد يرجع إقبال الخانقاوات على التعليم أو انصرافها إلى جوانب أخرى إلى الصفة التى أرادها الواقفون ومن يزودونها بالأموال .

د ـ المساجد :

يعتبر المسجد أول مؤسسة تعليمية عامة فى الإسلام ، يدخلها الناس للصلاة والدرس وكل من تهفو نفسه إلى ذكر الله تعالى ، ويتطلع عقله إلى نور العلم وطمأنينة الحقيقة ، لذا كان أصحاب الرسول(صلى الله عليه وسلم) أوائل المتعلمين فى المساجد يتحلقون حول أفقههم علماً ، وأوعاهم لكتاب الله حفظاً وتدبراً ، ويأخذون عنه ما يزيدهم إيماناً ، وما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم ، لتكون دنياً المسلمين وأخراهم على ما يرضى الخالق ويسعد المخلوق.

ولهذا يعد الحديث عن المسجد حديثاً عن المكان الرئيسى لنشر الثقافة الإسلامية ويرجع السبب فى جعل المسجد مركزاً ثقافياً إلى أن الدراسات فى سنى الإسلام الأولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه ، وهى ما تتصل بالمسجد أوثق اتصال.[٧٩] وأهم ما ميز التعليم بالمسجد أن الأشعة التى تنبثق منه أسطع نوراً وأقوى تأثيراً فى النفس من تلك التى تنبعث من أى مكان آخر.[٨٠] وهو ما يفسر لنا احتفاظ المسجد بمكانته العلمية والتعليمية فى المجتمعات الإسلامية ، وأن ظهور المدارس وانتشارها فى الأقطار الإسلامية لم يؤثر على تلك المكانة وسوف لا تتمكن أى مؤسسة من الاقتراب من موقع المسجد أو منافسته فى إشعاع النور الذى يعلم المسلمين ما تصلح به دنياهم وأخراهم .

وثمة ما يميز الدراسة فى المسجد أيضاً ، وهو الحرية المطلقة بالنسبة للمدرسين والطلبة فى اختيار مناهج الدراسة ، وأسلوبها وأوقاتها . إلا فى تلك الحالات التى يقوم فيها صاحب وقف ما على أحد المساجد بترتيب الدروس والأوقات الأمر الذى يجعل كلاً من المدرسين والطلبة ملزمين بهذا الأمر .

ويعد المسجد من أهم المؤسسات التعليمية التى شهدت نشاطاً تعليمياً ملحوظاً بمصر العثمانية . فقد تمتعت مصر بكثير من المساجد الكبيرة المشهورة والتى مارست النشاط التعليمى خلال تلك الفترة ، سواء أكان ذلك داخل العاصمة . (القاهرة) أو

الأقاليم. فمن المساجد أو الجوامع الهامة التى ارتبطت بالتعليم فى القاهرة ، جامع ابن طولون الذى أسس عام ٢٦٣هـ (٨٧٦م) حيث ارتبط منذ نشأته بالتعليم ، فبعد بنائه حمل إليه أحمد بن طولون صناديق المصاحف ، ونقل إليه القراء والفقهاء .. وقد مر الجامع بفترة خراب حتى نزل إليه المغاربة بباعرهم فى موسم الحج ، ثم أصلحه السلطان حسام الدين لاجين ٦٩٦هـ (١٢٩٦م). لنذر كان عليه ـ ثم رتب فيه دروساً لإلقاء الفقه على المذاهب الأربعة ، ودرساً للتفسير ، ودرساً للحديث ، ودرساً للطب وآخر للقراءات، وغيرها للميقات . وفى سنة سبع وستين وسبعمائة (١٣٦٥م). جدد الأمير يلبغا العمرى الجامكى درساً بهذا الجامع فيه سبعة مدرسين للحنفية. وقرر لكل فقيه من الطلبة فى الشهر أربعين درهماً ، وأردب قمح ، فانتقل جماعة من الشافعية إلى مذهب الحنفية . [٨١] ومما هو جدير بالذكر أن العمل بهذه الدروس مجتمعة ظلت مستمرة طيلة العصر العثمانى . [٨٢]

ومن ذلك تدريس الحديث الشريف[٨٣] ، وعلم القراءات[٨٤] ، والفقه على مختلف المذاهب " الشافعى ، الحنفى[٨٥]،الحنبلى[٨٦] ، هـذا بخلاف الوظائف التى وضعت لإعانة الطلاب على مواصلة رحلتهـم العلمية ، كوظيفة طلب فقه شافعى[٨٧] ، أو حنفى[٨٨] ، أو طلب حديث[٨٩] ، وتفسـير[٩٠] وغير ذلك من الوظـائف .

ومن الجوامع التى مارست النشاط التعليمى أثناء فترة دراستنا ، جامع الماردانى ، والذى أشار إليه المقريزى بأنه يقع بجوار خط التبانة خارج باب زويلة ، وقد كان مكانه أولاً مقابر أهل القاهرة ، ثم عمر أماكنها . وفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (١٣٧٧م). أخذت الأماكن من أربابها ثم هدمت ، وبنى مكانها هذا الجامع ، وبلغت نفقات إنشائه زيادة على ثلثمائة ألف درهم ، أى (نحو خمسة عشر ألف دينار) ، سوى ما حمل إليه من الأخشاب والرخام وغيره من جهة السلطنة ، وقد كان من أحسن الجوامع آنذاك . [٩١] وفيما يبدو أن اتصال هذا الجامع بالنشاط العلمى كان سابقاً لفترة الحكم العثمانى، وهو ما يتضح من الأوقاف التى كان ينفق منها على الأنشطة التعليمية والتى يرجع تاريخها إلى ما قبل العصر العثمانى . وليس ثمة ما هو أدل على رواج النشاط العلمى بهذا الجامع من وجود وظيفة كاتب غيبة على المدرسين والطلبة به. [٩٢] هذا بخلاف وجود الوظائف التعليمية الأخرى كوظائف الأطلاب [٩٣] وهى التى أشير إليها بأنها وظائف وضعت لاعانه طلبة العلم فى مواصلة مسيرتهم العلمية ـ وغيرها وفيما يبدو أيضاً أن النشاط العلمى بهذا الجامع قد دفع الكثير من أفراد المجتمع المصرى فى فترة هذه الدراسة إلى

رصد أموالهم للإنفاق على نشاط هذا الجامع .(٩٤)

ومن الجوامع التى شهدت رواجاً تعليمياً إبان تلك الفترة ، الجامع الحسينى أو(المشهد الحسينى) الذى كانت تدرس فيه علوم شتى كالفقه، والتفسير، والحديث. ومن كان يدرس فيه فى ذلك الحين الشيخ أبو السرور الصديقى، الذى ألقى به درساً فى علم التفسير أمام وزير مصر محمد باشا!!.(٩٥) ولم تحظ مؤسسة دينيه تعليمية باهتمام أفراد المجتمع آنذاك، من رصد الأموال عليها، كما حظيت بذلك مؤسسة المشهد الحسينى.(٩٦) ويعد حضور الوزير إحدى جلسات التعليم ـ وإن كان ذلك نادر الحدوث ـ من الأمور التى تدعو إلى الاعتقاد بمدى اهتمام المسئولين بتلك المؤسسات ونشاطها التعليمى والدينى .

وثمة العديد من المساجد الأخرى التى مارست النشاط التعليمى إبان تلك الفترة، منها الجامع العمرى(٩٧) (جامع عمرو بن العاص). ومسجد الشيخ بدر الكاين بروضة مصر القديمة بالقرب من النيل.(٩٨) والمسجد الواسطى ببولاق(٩٩).والجامع الأبيض.(١٠٠) ومسجد علقمة الطاهرة الكاين بين القصرين.(١٠١) ومسجد الشيخ أحمد الزاهد الواقع بخط المقدس خارج القاهرة.(١٠٢) والمسجد الصغير داخل الصاغة(١٠٣) وجامع الفاكهانى (١٠٤) وجامع الجاى(١٠٥) وجامع أمير كبير خارج القاهرة(١٠٦)، ومسجد المغاربة الكاين بباب الشعرية(١٠٧) وغير ذلك من المساجد الأخرى .

وهكذا كانت القاهرة تزخر بعدد كبير من المساجد التى كانت تمارس نشاطاً تعليمياً رائجاً فى تلك الفترة ، ولم يؤد ظهور المدارس وانتشارها بأعداد كبيرة إلى تعطيل دور المسجد فى أداء رسالته التعليمية ، كما اتضح لنا أيضا من خلال المناهج التى كانت تدرس بالمساجد آنذاك أن المرحلة التعليمية بالمسجد كانت تعد من مراحل التعليم العالى ، مثلها فى ذلك مثل المرحلة التعليمية بالمدرسة . وهو ما سوف يتضح لنا من خلال الحديث عن المدرسة .

هـ ـ المدارس :

اهتم كثير من الباحثين قدماء ومعاصرين بالمدرسة الإسلامية مولداً ووظيفة، واختلفت وجهات نظرهم فى ميلاد هذه المؤسسة الإسلامية، فمنهم من يرى أنها لم

تعرف إلا بعد الأربعمائة من سنى الهجرة، وأن أول من بنى مدرسة فى الإسلام أهل نيسابور الذين أسسوا المدرسة البيهقية وغيرها . ومن الباحثين من جعل مدارس نظام الملك السلجوقى هى بداية للمدارس الإسلامية، وكان ذلك عام ٤٥٩هـ (١٠٦٦م)عندما فرغ من نظامية بغداد التى قررت فيها رواتب الفقهاء .

ومهما يكن من اختلاف حول النشأة ، فإن أهم ما فى الأمر هو الاتفاق حول الوظيفة التربوية للمدرسة ، وارتباط ذلك بأسباب نشأتها حيث ترتب على الجهود التى بذلها الشيعة لنشر دعوتهم عن طريق المعاهد العلمية قيام كل من السلاجقة ، والأيوبيين فى العراق ، وفارس ، والشام ، ومصر ببذل جهودهم التعليمية لمحاربة الشيعة ، ونصرة المذهب السنى بنفس السلاح الذى استخدمه الشيعة من قبل وهو إنشاء المدارس . وقد كان هذا السبب محور الاهتمام فى إنشاء المدارس ، فضلاً عن أسباب أخرى مثل النمو التعليمى فى مجال العلوم العقلية ، والطبيعية ، والرياضية ، مما كان يستلزم مكاناً آخر غير المسجد الذى يجب أن يحاط بالجلال والخشوع بعيداً عن المناقشات الجادة والتجارب المعملية . أضف إلى ذلك أيضاً الظروف الاجتماعية التى كانت تتطلب توفير بعض الدخول الثابتة لفئة من العلماء وهناك أيضاً ما كان يرجى من التماس الأجر والثواب من الله تعالى.وثمة سبب آخر وهو استرضاء الشعوب ، وعامة الناس وبخاصة أن منشئ المدارس فى معظمهم لم يكونوا من العرب إذ كانوا فى بعض الأحيان مملوكين لغيرهم ثم تحرروا (شأن سلاطين المماليك وأمرائهم) وكانوا يشعرون بأنهم أقل شأناً من الخلفاء العرب . ومن ثم وجدوا فى إنشاء الجوامع والمدارس والربط وغيرها ، مع تقريب العلماء، وترتيب الرواتب لهم وسيلة تكسبهم احترام الناس ، والظهور بمظهر المدافع عن الإسلام عن طريق الاهتمام بميادين التعليم .

وكما سبق وأن نوهنا فإن محاولة القضاء على محاولات الشيعة فى نشر مذهبهم هو أحد الأسباب التى دفعت بالسلاجقة والأيوبيين ومن بعدهم ، سلاطين الدولة المملوكية وأمرائها فى الإكثار من إنشاء المدارس ، ولذا جاءت وظيفة المدارس السنية وخاصة فى الاتجاه العلمى بما يخدم ذلك المخطط الذى يرمى إلى القضاء على أى جذور وأفكار للمذهب الشيعى - حيث سارت على نظام التخصص الدقيق فى مناهجها العلمية ، على أن تختص مجموعة منها بتدريس مذهب معين من المذاهب السنية الأربعة بينما تختص مجموعة أخرى بتدريس مذهب ثان .. وهكذا . وبذلك يكون الجو

المذهبى السائد بين السكان هو الجو السني ، حتى يتسنى للدولة القضاء على البقية الباقية مما كان عالقاً فى أذهان سكان مصر ، وغيرها من الدول الأخرى من مبادئ المذهب الشيعى أو شعائره ، أو حتى ذكرياته .(١٠٨) على أن وظيفة المدرسة لم تقف فى تخصصها عند دراسة تلك المذاهب الأربعة، بل حدث فيها تطور منهجى آخر، إذ رأينا أن هناك من المدارس التى اختصت بدراسة الحديث الشريف، كالمدرسة الكاملية (١٠٩)التى تأسست عام ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) ودار الحديث الشيخونية(١١٠)، والمدرسة الخروبيه(١١١) التى تأسست فى أول الدولة البرجية، وغيرها الكثير، ثم حدث تطور آخر فى نظام الدراسة بهذه المدارس، حيث أدخلت عدة علوم مساعدة أو معاونة فى برامجها ، فإلى جانب الفقه، والحديث، والتفسير والقراءات والمنطق، والحساب، أضيفت البلاغة، والنحو والهندسة، وعلم الفلك ، والموسيقى . على مستويات مختلفة حسب الحاجة إليها.(١١٢)

وفيما يتصل بوظيفة المدرسة أيضاً يلاحظ أن المدرسة على الرغم من أنها قد أسست أصلاً للتدريس ، وكمقر الأساتذة والطلاب ، والموظفين المرتبطين بالمدرسة ، إلا أنها كانت تؤدى مهمة الجامع فى الصلوات الخمس. أما صلاة الجمعة فكانت فى المسجد الجامع ، واستمر ذلك الوضع إلى عام ٧٣٠هـ (١٣٢٩م). عندما استجد منبر بالمدرسة الصالحية(١١٣) ، والمدرسة الحجازية(١١٤) ، وبعض المدارس الأخرى وإضافة إلى هذا الاتجاه الذى يقارب بين وظيفة المدرسة والجامع كان يوجد اتجاه آخر بصورة محدودة جمع بين المدرسة والخانقاه ، وتمثل ذلك فى مدرستين بصورة واضحة ، المدرسة المهمندارية،(١١٥) والمدرسة الجمالية (١١٦) . ومن هنا يتضح إلى أى مدى حدث تقارب بين المدرسة والجامع حتى أقيمت الخطبة فى بعض المدارس ، كما حدث تقارب بين المدرسة والخانقاة حتى ظهرت المدرسة الخانقاة ، وذلك خلال العصر المملوكى .

واستكمالاً لتلك التطورات التى طرأت على وظيفة المدرسة خلال العصر المملوكى ، فثمة تطور آخر طرأ على وظيفة المدرسة إبان العصر العثمانى، وهو ما حدث فور إرساء مقاليد الحكم العثمانى بمصر من إقدام الإدارة العثمانية على اتخاذ أشهر المدارس التعليمية لتكون مقراً للمحاكم الشرعية بمصر ، فمن ذلك عندما اتخذت دار الحديث المدرسة الكاملية لتكون مقراً لمحكمة القسمة العربية . (١١٧) ، والمدرسة الصالحية مقراً لمحكمة الصالحية النجمية وغير ذلك من المدارس الأخرى . كما نجد نفس التطور قد

طرأ على وظيفة الجامع أيضاً . حيث بات بعض الجوامع مقاراً للمحاكم الشرعية وهو جزء من وظيفته الأساسية فى الدولة الإسلامية الأولى فمن ذلك الجامع الطولونى الذى صار مقراً لمحكمة طولون . (١١٨) وجامع قوصون مقراً لمحكمة قوصون ، وجامع الشيخ أحمد بن الزاهد مقراً لمحكمة الزاهد ، وهكذا.

ولربما صح لنا أن نتساءل لماذا آثر العثمانيون تلك المؤسسات التعليمية دون غيرها لتكون مقراً للمحاكم الشرعية ؟ ويعتقد أن الإجابة عن هذا السؤال تكمن فى عدة أسباب لعل من أهمها ما كانت تتمتع به تلك المؤسسات من الانتشار والتوزيع الجغرافى داخل تجمعات القاهرة السكانية ، إضافة إلى ما كانت تكتسبه تلك المؤسسات من شهرة واسعة بين أفراد المجتمع المصرى ، الأمر الذى يوفر على الأهالى التردد على تلك المحاكم بسهولة . أضف إلى ذلك ما كانت تتمتع به تلك المؤسسات من أبنية فخمة ومتينة، وهو ما يوفر على الإدارة العثمانية الكثير من الأموال لإنشاء مبانى جديدة تكون مقراً للمحاكم الشرعية . ومما لا شك فيه أن حدوث مثل هذا التطور على وظيفة المدرسة فى ذلك العصر ، جعل العلماء أكثر احتكاكاً بأفراد مجتمعهم، وتفاعلاً مع قضاياهم . والعمل على حل تلك القضايا وإبرام الصلح بين المتخاصمين . وهو ما لمسناه وأشرنا إليه فى الفصل السابق من هذه الدراسة.

وعن المدارس التى كانت تقام بها حركة تعليمية بالقاهرة خلال القرن الحادى عشر الهجرى (الـ١٧م) . فقد تمكنت الدراسة بقدر ما أتيح الإطلاع عليه من مصادر معاصرة لتلك الفترة من رصد ما يقرب من إحدى وستين مدرسة ، الأمر الذى يوحى برواج الحركة التعليمية آنذاك ، ولم تكن تلك المصادر التى يرجع إليها فى هذا الشأن تمدنا بشئ ذى بال كالوصف الكامل لسير الحركة التعليمية فى تلك المؤسسات ، والرواتب التى كان يأخذها المدرسون ، ومواعيد العمل بها ، وتصنيف المقررات العلمية التى كانت تدرس بها ، وعدد الطلبة الملحقين بتلك المؤسسات وغير ذلك من الأمور المختلفة . الأمر الذى يجعل الباحث يعجز عن توضيح مثل تلك الأمور . على أن أهم ما يمكن أخذه من تلك المصادر استمرارية هذه المدارس فى مواصلة مسيرتها العلمية والثقافية ، ولعل إثبات مثل هذا لكفيل بالرد على بعض الآراء التى قالت بأن المدارس التى أنشئت فى مصر خلال العصرين الأيوبى والمملوكى ، قد أتى عليها العصر العثمانى ولم يبق سوى الازهر الذى كان يخرج منه شعاع العلم فى تلك الفترة .

ونظراً لكثرة عدد المدارس الذى أشير إليه من قبل فقد ألحقت بالدراسة قائمة بها (١١٩)
ومن الأمور التى يحملها هذا العدد فى طياته اهتمام المجتمع المصرى وأفراده فى مصر العثمانية بالمدارس ، خاصة وأن الكثير منها قد أنشئ فى الفترات التى سبقت عهدهم . فقد اتضح من خلال الدراسة إدراك المجتمع لأهمية تلك المدارس ، واعتبارها من أهم موروثات الفترات السابقة فعمل أفراده على المحافظة عليها ، وتفقد أحوالها .

وعن كيفية حفاظ المجتمع على تلك المؤسسات فإن الوثائق تعطينا صورة صادقة عن ذلك الأمر وصوره المختلفة ، وأولها تفقد المجتمع لأحوال تلك المدارس والتحرك السريع لإنقاذ ما لحق بها من خراب ، والعمل على إعادة الحياة إليها مرة أخرى ، سواء كان هذا التحرك بالقيام بإنقاذ المدارس والإنفاق عليها من المال الخاص . كما فعل الأمير بهرام بلوك باشى ابن الأمير يوسف من إنقاذ المدرسة الطيبرسية التى تقع بجوار منزله بمصر القديمة . (١٢٠) أو أن يقوم أفراد المجتمع بالإسراع إلى قاضى القضاة وإخباره ، عن المدارس التى لحقها الخراب ، والعمل على إنقاذها(١٢١) .

وتأكيداً على تضامن أفراد المجتمع فى المحافظة على المنشآت التعليمية وعلى رأسها المدارس ، كانوا يعلنون القطيعة على من كانت تمتد يده إلى تلك المدارس بالخراب ، ولا يرضونه جاراً لهم ، وفوق ذلك كانوا يتضامنون فى إصلاح بعض المدارس (١٢٢). وكأن واقع حالهم يذكرنا بقول الله تعالى : " ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ".(١٢٣)

على أنه من الحق أن نقول فى هذا الصدد : إذا كان الحكم العثمانى قليل التدخل فى مثل هذه الشئون ، إلا أن الإدارة العثمانية بمصر وعلى رأسها الباشا، كانت تستجيب لتحركات أفراد المجتمع نحو الحفاظ على تلك المدارس، ومختلف المؤسسات التعليمية وتعمل على التحرك السريع لإنقاذ تلك المؤسسات ، فعندما كانت تصل إلى مسامع الوزير بأن إحدى المدارس قد تعطلت كان يرسل إلى قاضى الجهة التى توجد بها المدرسة للكشف عنها ، والعمل على إصلاحها ،(١٢٤)

وهناك صورة أخرى تكشف حالة من حالات اهتمام أفراد المجتمع المصرى بالمدارس التعليمية فى تلك الفترة ، وهى قيام القادرين من أفراد المجتمع آنذاك بوقف ما

لديهم على تلك المدارس ، وذلك لعلمهم التام بمدى اعتماد المؤسسات التعليمية بصفة عامة على الأوقاف ، ومن ذلك ما حدث فى المدرسة الجنبلاطية ". [١٢٥] والمدرسة الجانبكية[١٢٦]ومدرسة ملغباى[١٢٧] ، والمدرسة المزهرية[١٢٨]، والمدرسة الجوهرية[١٢٩] ، والمدرسة البقرية[١٣٠] ، ومدرسة أم السلطان الأشرف[١٣١] ـ التى كانت تعرف بمدرسة خوند بركة ، والمدرسة الطيبية [١٣٢] ، وغير ذلك من المدارس الأخرى . وعلى الرغم من ضآلة الأوقاف التي أوقفت على تلك المدارس إلا أنها تعتبر ترجمة صادقة لمدى اهتمام أفراد المجتمع بهذه المؤسسة التعليمية وحرصهم على النهوض بها واستمرار مسيرتها التعليمية .

وقد يدفعنا هذا الاهتمام الذى لمسناه من قبل أفراد المجتمع المصرى نحو الحفاظ على المدارس التعليمية إلى التساؤل ، هل قام هؤلاء بفتح مدارس جديدة ؟ أم أن نشاطهم ظل محصوراً فى الصور السابقة ؟ وبناء على ما أتيح للدراسة الإطلاع عليه من مادة تبين أن مشاركة المجتمع فى افتتاح مدارس جديدة كان محدوداً للغاية ، ومن المعتقد أن هذا الأمر يرجع إلى عدة أسباب منها ضعف الحالة الاقتصادية التى كان يعيشها الكثير من أفراد المجتمع ، ودليلنا على صحة هذا التعليل ما لوحظ على ضعف الموارد الاقتصادية التى أوقفت على المدارس التى أنشئت خلال تلك الفترة ، وما رتب فيها من عدد المدرسين والطلبة ، ويتضح هذا بصورة أكبر عند مقارنة ما أوقف على مدارس تلك الفترة ، بما أوقف على مدارس الفترات السابقة كالعصرين الأيوبى والمملوكى . وقد يكون ضمن هذه الأسباب أيضاً ما لاحظه أفراد المجتمع آنذاك من كثرة عدد المدارس ، مما جعلهم يعتقدون أنها كافية ولا داعى لإنشاء مدارس جديدة .

أما أهم المدارس التى أنشئت في فترة الدراسة فهى :ـ

١ ـ مدرسة التى برمق :

تنسب هذه المدرسة [١٣٣] إلى الشيخ العالم محمد بن محمد المعروف بألتى برمق (ت١٠٣٣هـ ـ ١٦٢٣م). وفيما يبدو أن ضعف الموارد التى أوقفت عليها، أدى إلى تحويلها فى نهاية الأمر إلى زاوية . [١٣٤]

٢ ـ مدرسة الأمير مصطفى :

وتنسب إلى الأمير أرنؤد بن حسين زعيم مصر وكاشف الدقهلية آنذاك ـ وذلك سنة ١٠٤٨هـ (١٦٣٨م) وكانت تقع بخط شارع البحر الأعظم المطلة على النيل ، ومما يبدو أن الأمير مصطفى قد قصد من هذه المدرسة أن تجمع بين مهام المدرسة ، ومهام

المسجد ، كما يبدو أيضا أن التدريس قد انحصر فيها على المذهب الشافعى دون غيره . وهو ما يتضح من خلال الشروط التى شرطها صاحب المدرسة عند إنشائها . إذ كان مما اشترطه منح المدرس فيها ، وهو الشيخ محمد البيروتى الشافعى فى كل شهر ستين نصف فضه . (١٣٥)

٣ ـ مدرسة محمد باشا أبو النور :

محمد باشا أبو النور ، هو أحد الوزراء ، قدم مصر سنة إحدى وستين وألف.(١٣٦) وكانت له اهتمامات خاصة بالحركة التعليمية ، وخاصة المنشآت الخاصة بها . وقد لقب بأبى النور لأنه أمر فى أيام ولايته لنظار الجوامع بالقاهرة والفسطاط أن يبيضوا الجوامع والمساجد ، والرباطات والمشاهد ، فبيضوها جميعاً ، ولذا لقب بهذا اللقب ، وعندما قدم مصر وزار القرافة ، وقبر الصحابى عقبة بن عامر الجهنى (١٣٧) أمر ببنائه فبنى ، وجعل فيه مسجداً عظيماً .(١٣٨) ومدرسة للحديث الشريف وصهريجاً ، ومكتباً للأطفال يقرؤن فيه القرآن ، ومرتب عشرة أنفار يقرؤون القرآن الكريم كل ليلة اثنين ، وقرر عدا الرواتب والأجور للموظفين . راتباً من الخبز والشوربة ، وجوامك(١٣٩) تصرف بهم . ومن شروطه فى وقفه أن يكون الناظر على وقفه أغاة مستحفظان بقلعة مصر. (١٤٠) وذلك حتى يضمن الاستمرارية لوقفه ، وعدم الاستيلاء أو التعدى عليه من أى أحد . نظراً للقوة التى كان يتمتع بها أغاة تلك الطائفة آنذاك .

٤ ـ مدرسة إسماعيل باشـا :

وهى بجوار ديوان السلطان قايتباى ، أنشأها إسماعيل باشا الوزير سنة سبع ومائة وألف (١٦٩٥م) (١٤١) ورتب لها اثنى عشر طالبا من الأربعة مذاهب، واثنين من الطلبة يقرآن فى صحيح البخارى من أول شهر رجب إلى آخر شهر رمضان(١٤٢) .

ولعل أهم ما يلفت النظر فى هاتين المدرستين زيادة الاهتمام بعلم الحديث ، وأن واحدة منها اقتصرت على هذا العلم دون غيره ، وفيما يبدو أن هذا الأمر جاء كنتيجة طبيعية للتقدم الذى طرأ على دراسة هذا العلم منذ بداية القرن الحادى عشر الهجرى (الـ١٧م) وهو ما سوف تشير إليه الدراسة فى حينه ـ ومما يعتقد أيضاً أن الباشاوات قد أولوا اهتماماً واضحاً بهذا العلم فى تلك الفترة التى شهدت كثرة اضطرابات الجند والخروج المتكرر على الإدارة العثمانية ، إضافة إلى ما كانت تواجهه الدولة العثمانية من تحديات خارجية من الدول الأوربية ، الأمر الذى كان يحتم على الإدارة تشحيذ الهمم

وتعبئة المجتمع ضد الطوائف المارقة ، والتحديات الخارجية ، وليس ثمة ما هو أقدر على ذلك من الاستعانة بالأحاديث النبوية ، التى تدعو إلى الجهاد . وأن طاعة أولى الأمر واجبة ـ ونبذ كل من يحاول الخروج على هذا الأمر .

وهكذا فقد رأينا عظم عدد المدراس التى كانت تمارس بها الحركة التعليمية أثناء فترة دراستنا وقد استمر كثير منها فى تأدية عمله بعد تلك الفترة. وأن الأمر لم يكن قاصراً على الأزهر وحده ، وأن العصر العثمانى لم يعمد إلى تعطيل تلك المدارس ويساعد على اندثارها كما زعم البعض على أن أهم ما لاحظناه فى هذا الشأن مدى تكاتف أفراد المجتمع فى المحافظة على هذه المدارس ، والعمل على حمايتها ، والنهوض بها واعتبارها من أهم موروثات السلف ، وتبين لنا ذلك بوضوح من خلال الصور المختلفة التى عرضناها . ولعل هذا جميعه عكس لنا مدى اهتمام المجتمع آنذاك بالتعليم ، والمحافظة على أهم مقوماته .

واستكمالاً للحديث عن مقومات الحركة التعليمية فى تلك الفترة كان من الأحرى بنا أن نشير إلى المكتبات ، ومدى اهتمام المجتمع بها والعمل على إغنائها، وهل ظلت المدارس التى أشير إليها محتفظة بما كانت تحتويه من كتب داخل مكتباتها ؟ أم أنها تبددت فى فترة العصر العثمانى كما زعم البعض؟ وغير ذلك من الأمور المتعلقة بهذا الشأن .

و ـ المكتبات :

كان للمكتبات فى الإسلام شأن جد عظيم ـ فمنذ التنزيل الأول " اقرا " للقراءة والكتابة : وللمقروء وللمكتوب اهتمام كبير، ولذا نرى أن مؤسسات الإسلام التعليمية ارتبطت ارتباطا وثيقاً بالمكتبات ، وذلك تحقيقاً للفائدة المرجوة من التعليم ، فالجامع وهو مؤسسة الإسلام العظمى كان مقراً للدراسة والمكتبة ، وإدراكاً لمدى أهمية المكتبة حرص الكثير من سلاطين كل من الدولتين الأيوبية ، والمملوكية ، عند إنشائهم المدارس على توفير الكتب من مالهم الخاص ، لتكون سهلة المنال لطلبة المدرسة ومدرسيها وأيضاً لأن طبيعة المدرسة وهى داخلية ، الأمر الذى يستلزم توفير الكتب فى كل وقت ، استدامة للحياة العلمية فيها .

ومن البديهى أن نوعية الكتب التى تحويها هذه المكتبات كانت بدورها تخضع للهدف الذى أنشئت من أجله المدرسة وخدمته ، فكانت مكتبة المدرسة الشافعية ، تمتلئ

بكتب المذهب الشافعى ، أو معظمها كذلك مثل مكتبة المدرسة الملكية . (١٤٣) وبهذا فهى تعد مكتبات متخصصة حسب المناهج التى التزمت المدارس بدراستها ، وهذا لا يعنى أنه لم توجد المكتبات الشاملة ويكثر هذا فى مكتبات المدارس التى يدرس بها أكثر من علم كالمدرسة الفاضلية(١٤٤) التى كان بها مكتبة ضخمة " قيل أنها كانت تضم أكثر من مائة ألف مجلد ، ومصحف من الحجم الكبير ، وقد قيل أن القاضى الفاضل صاحب تلك المدرسة اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار .

وأيا كان الاهتمام بالكتب وإنشاء المكتبات التابعة للمدارس التعليمية فى العصر المملوكى - وما قبله ، ففى الواقع لم تختلف درجة هذا الاهتمام عند أفراد المجتمع المصرى إبان الحكم العثمانى ، وخاصة تلك الفترة التى نتناولها بالدراسة حيث ظهر مدى اهتمام أفراد المجتمع باقتناءالكتب وإنشاء المكتبات الخاصة ، مع العمل فى نفس الوقت على المحافظة على المكتبات التى ورثوها عمن قبلهم .

فمن زاوية الاهتمام باقتناء الكتب وتكوين المكتبات الخاصة ، طبقاً لما سجلته وثائق المحاكم الشرعية يتضح أن ثمة اهتماماً ملحوظاً باقتناء الكتب على مستوى الأفراد، وأهم ما يلاحظ فى هذا الأمر أن هذا الاهتمام لم يكن قاصراً على فئة اجتماعية بعينها ، بل شارك فيه الكثير من فئات المجتمع المصرى ، فالعلماء ، والعسكريون ، والصوفية ، والتجار كل هؤلاء كان منهم من أهتم باقتناء الكتب وتكوين المكتبات الخاصة . ومن الطبيعى أن تختلف درجات الاهتمام باقتناء الكتب من شخص لآخر ، ونوعية الكتب التى يحرص كل شخص على اقتنائها وأهم ما يلاحظ فى هذا الشأن ارتفاع أسعار الكتب التى كانت تحتويها مكتبات الأفراد . وهو ما يؤكد بصدق الوعى الثقافى لدى أفراد المجتمع المصرى آنذاك ، إذ نجد أن من بعض الكتب ما قد بلغ سعره اثنا عشر ألف بارة . (١٤٥) أى ما يوازى ثمن مائتى أردب قمح فى أوقات الرخاء فى ذلك الحين - كما نجد أن قيمة المكتبة الخاصة أحياناً كانت تستحوذ على نسبة كبيرة من إجمالى سائر ممتلكات الفرد ، فهناك من كانت قيمة مكتبته حوالى ٣٣٪ من قيمة جميع ممتلكاته . (١٤٦)وهناك من كانت قيمة مكتبته حوالى ٥٠٪ من قيمة ممتلكاته .(١٤٧) وهناك ما هو أكثر من ذلك ، إذ كان هناك من بلغت قيمة مكتبته حوالى ٧٤٪ من إجمالى تركته . (١٤٨)

وهناك أمر هام يلاحظ فى هذا الصدد ، هو أن الاهتمام بالكتب والعمل على

تكوين المكتبات الخاصة ، كان بصورة أوسع عند المجتمع القاهرى عن غيره من مجتمعات الأقاليم . (١٤٩) وقد يكمن سبب ذلك فى القاهرة وما تمتلكه من إمكانيات غير موجودة فى الأقاليم ، كالمؤسسات التعليمية العظيمة الشأن كالأزهر وغيره من المدارس التعليمية الأخرى ، وكثرة حوانيت الوراقين ، واستقرار النساخ بها ، أضف إلى ذلك ما كانت تتمتع به القاهرة من الأسواق الكثيرة التى كانت تباع بها تركات الموتى ، وعلى رأسها الكتب التى كانوا يمتلكونها .

أما فيما يتعلق بمدى محافظة أفراد المجتمع المصرى على مكتبات المدارس التى ورثوها عن أسلافهم ، فقد دلتنا الوثائق الأرشيفية ـ المتعلقة بتلك الفترة ـ على ذلك بما تحمله فى طياتها من إشارات واضحة على استمرارية وظيفة " خازن الكتب " الذى يقوم بخدمتها وصونها عن التعرض لأى تلف ـ وذلك فى كثير من المدارس التعليمية ، ونرى على سبيل المثال لا الحصر مكتبة المدرسة المحمودية(١٥٠) ، ومكتبة مدرسة أبو الطيب ـ الكائنة بخط الخرشنف آنذاك ـ(١٥١) ومكتبة مدرسة جوهر الالا(١٥٢)، ومكتبة المدرسة السابقية ،(١٥٣) ومكتبة المدرسة الصرغتمشية(١٥٤)، ومكتبة المدرسة المؤيدية(١٥٥) ، ومكتبة المدرسة البرقوقية . (١٥٦) ومكتبة مدرسة السلطان حسن (١٥٧) ومكتبة مدرسة قايتباى (١٥٨) ، وغير ذلك . وبعد فلعل وجود مثل هذا العدد من مكتبات المدارس ، واستمرار بقائها حتى فترة دراستنا يشكل رداً كافياً على بعض المتحاملين على العصر العثمانى الذين صرحوا بأن خزائن الكتب التى يرجع تاريخ إنشائها إلى العصور السابقة للعصر العثمانى ، قد تبددت ولم يبق منها إلا القليل الموجود بالجامع الأزهر . (١٥٩)

ولم يقف الوعى الثقافى والإدراك لقيمة الكتاب فى الثقافة والتعليم لدى أفراد المجتمع المصرى ـ آنذاك ـ عند حد الاهتمام باقتناء الكتب ، وتكوين المكتبات الخاصة، والمحافظة على ما احتوته مكتبات أسلافهم التى كانت بالمدارس وحسب بل نرى حرص الكثير من أصحاب المكتبات الخاصة على توفير ما كانوا يمتلكونه من كتب ، وإتاحة الإطلاع عليها لغير القادرين من طلبة العلم ، حتى أن الذين أوقفوا كتبهم على أولادهم خاصة كانوا يشترطون أن كتبهم تلك لا تمنع عمن يطلب منها شيئاً من طلبة العلم ، سواء بالإطلاع أو الاستعارة .(١٦٠) وضماناً لبقاء تلك الكتب وصونها من التبديد لجأ أصحاب

هذه المكتبات لتحقيق ذلك بعدة طرق ، أولها وأهمها أن يجعلوا كتبهم هذه وقفاً من بعدهم على طلبة العلم ."وقفاً شرعياً على طلبة العلم الشريف المقيمين بالديار المصرية من العلماء والفقهاء ينتفعون بذلك مطالعة ، واقرءا ، وحفظاً واستنساخاً وساير الإنتفاعات الشرعية الوقفية فى مثل ذلك أبد الأبدين .. "(١٦١) وبهذا تتم الحماية لتلك الكتب حتى من الورثة أنفسهم " إضافة إلى ذلك وضعت بعض القيود على عملية الإطلاع والاستعارة الخارجية ، حيث كان لا يسمح بإخراج الكتاب كاملاً إلا للفقراء من طلبة العلم . وبعد التعهد بردّه مرة أخرى. هذا فى حين وجد من اشترط أن لا يخرج من كتبه التى أوقفها كتاباً كاملاً إلا بمقدار كراس ، أو كراسين فقط . (١٦٢) ولعل ذلك يكشف عن شدة حرص أصحاب هذه المكتبات على الحفاظ على كتبهم .

وما من شك فى أن الكتب أو المكتبات التى أوقفت على طلبة العلم آنذاك ، قد تفاوتت فيما بينها من حيث الكمية ، ونوعية العلوم التى تتضمنها ، وذلك حسب مدى اهتمامات الواقف ، وميوله العلمية ، وأهم ما يؤخذ من مثل هذه المكتبات أنها تعطينا إطلالة على ثقافة المجتمع فى تلك الفترة . الأمر الذى يدفعنا بدوره إلى أن نتساءل ما العلوم التى اهتموا بها ؟ أم اهتموا بجميع أنواع المعرفة ؟ فى الواقع وبعد مراجعة الوثائق يتضح لنا أن نسبة الاهتمام الأكبر كانت تتجه نحو العلوم الدينية ، واللغوية . الفقه ، التفسير ، الحديث ، النحو ، اللغة ، البلاغة ،الأدب .. إلخ .وذلك نظراً للنسبة الغالبة لكتب تلك العلوم على كتب العلوم الأخرى ، ويظهر هذا جلياً فى المكتبات التى اقتصرت كتبها على العلوم الدينية واللغوية(١٦٣) ، أو تلك التى تضم كتب هذه العلوم مع كتب العلوم العقلية وغيرها .(١٦٤) وفى حالات ضيقة وجدت بعض المكتبات التى كادت كتبها تقتصر على كتب العلوم العقلية ، وهو ما نراه فى مكتبة الطبيب شهاب أحمد ابن الشيخ خطاب ، عين أعيان السادة الأطباء باليمارستان المنصورى آنذاك ، والتى تعد من المكتبات المتخصصة ، حيث أن معظم ما جاء بها من كتب ينتمى لعلم الطب . (١٦٥)

وثمة اختلاف آخر كان يوجد بين اهتمامات الواقفين لهذه المكتبات حول الأماكن التى اختاروها لتكون مقراً لكتبهم ، فمنهم من اختار الجامع الأزهر ليكون مقراً لكتبه ـ وسوف نشير إلى ذلك فى حينه ـ وهناك من اختار زاوية من إحدى الزوايا كمقر لكتبه .(١٦٦) على أنه قد وجد من اختار منزله ليكون مقراً للمكتبة ليتردد عليها طلبة العلم

للتزود منها ، وهذا ما نراه من الأمير محمد قانصوه بيك مير اللواء السلطانى بمصر - حينذاك - الذى أوقف مكتبته العلمية على طلبة العلم ، واتخذ من منزله مقراً لها ، وتحت نظر أولاده وتعبر هذه المكتبة عن مدى ولع الأمير محمد بالثقافة ، واقتناء الكتب العلمية، وذلك نظراً لما احتوته المكتبة من كتب كثيرة ومتنوعة (كالتفسير ، والحديث ، وعلم الكلام، والفقه ، والفرائض واللغة ، والتاريخ ، والبلاغة ، والأدب ، والحكمة، والتصوف، والطب، وعلم الحرف ، والزايرجا ، والفنون، والصنايع، إضافة إلى الكتب الفارسية ، والتركية .. إلخ ".(١٦٧) وأهم من ذلك كله ، فهرسته لتلك الكتب ، وذلك بجمع كتب كل علم على حده ، وكأنه بهذه الفهرسة كان يعد مكتبته لتكون مكاناً يرتاده طلبة العلم للتزود منها بطريقة سهلة وإذا كان الكثير من أصحاب المكتبات الخاصة قد أوقفوا كتبهم على طلبة العلم بصورة عامة - كما رأينا - إلا أنه وجد البعض قد حددوا شخصاً بعينه فأوقفوا عليه مكتباتهم ومن خلفه ذريته . (١٦٧)

ويتضح مما سبق غنى القاهرة بالمؤسسات التعليمية المتنوعة فى تلك الفترة ، وهو ما يدحض جميع الأراء التى شوهت تلك الفترة وذكرت أنها كانت السبب فى إندثار معظم المدارس والمكتبات التى تم إنشاؤها فى الفترات السابقة . كما اتضح لنا أيضاً مدى حرص أفراد المجتمع على المحافظة على تلك المؤسسات والاهتمام بها وصونها من التلف والبوار ، وقد تجسد هذا الاهتمام كما رأينا فى أكثر من صورة ، فمن المحافظة على المؤسسات وصونها من البوار إلى رصد أموالهم عليها ، إلى جانب زيادة تلك المؤسسات بإنشاء أخرى جديدة لاستيعاب الأعداد المقبلة على التعليم . هذا بخلاف ما قاموا به من تزويد مكتبات تلك المؤسسات بكتبهم الخاصة ، وإتاحة الإطلاع عليها بسهولة ويسر.

المؤسسات التعليمية بالأقاليم :

فى واقع الأمر تواجهنا صعوبات جمة فى إعطاء صورة كاملة للمؤسسات التعليمية بسائر الأقاليم المصرية ، نظراً لأن المعلومات التى تضمنتها المصادر التاريخية المعاصرة - لتلك الفترة - بالغة الضآلة فى هذا الصدد ، وبالرغم من ذلك لم تعدم مصادر أخرى تميط اللثام عن هذا الجانب فى بعض الأقاليم ، الأمر الذى يعطينا تصوراً عاماً عن سير ونشاط الحركة التعليمية بالأقاليم آنذاك ، وبداية يجب التنويه على أن طرق التعليم ومنشآته تختلف كثيراً بين القرى والمدن ، ولذا رأت الدراسة أن تشير فى عجالة سريعة إلى نظرة المجتمع القروى إلى التعليم ، وأثر ذلك على نشاطه ، وإنشاء المؤسسات التعليمية

بالقرى ، وذلك قبل الشروع فى الحديث عن هذه الجوانب فى المدن التى تعتبر عواصم الأقاليم المصرية .

كانت نظرة القروى إلى التعليم فيما مضى تتأثر بعاملين:

أولهما: مجموعة القيم السائدة فى حياته والتى يسعى إلى تحقيقها.

وثانيهما: حاجاته الرئيسية على أساس أن الفلاحة هى مهنته الأولى والأخيرة ، هذا إلى جانب العزلة النسبية التى كانت تعيش فيها القرى وما ترتب عليها من سيادة نمط واحد من التفكير وضيق الأفق ، وما صحب هذا كله من وجود العائلة كوحدة واحدة يعيش فى إطارها الفرد ، وهى التى تشكل مظاهر نشاطه ، وتحدد علاقاته ، وبالتالى تتحكم فى مستقبله ، وطريقة حياته وقد ترتب على ارتباط القروى بهذه القيم والتقاليد حالة اهتمامه بالتعليم أو إهماله له . (١٦٩)

وقد ترتب على ما سبق ذكره أن أتى اهتمام القرى بالتعليم ضئيلاً الأمر الذى ترتب عليه أن اقتصر التعليم فى القرى آنذاك على الكتّاب ، الذى لم يكن يخضع لأى إشراف حكومى ـ كما هو الحال فى القاهرة ـ وإنما كان يدار عن طريق فقيه القرية ، الذى كان فى نفس الوقت صاحب الكتّاب ، وواضع برامج الدراسة فيه ، ولذا فإن الدراسة فى هذه الكتاتيب كانت تختلف من كتّاب لآخر، فقد اقتصرت الدراسة فى بعض هذه الكتاتيب على تحفيظ القرآن فقط دون سواه على اعتبار أن حفظه يغنى عن كل دراسة ـ وذلك فى حالة الكتاتيب التى يديرها بعض الفقهاء العمياء . أما فى حالة الكتاتيب التى يديرها الفقهاء الآخرون ، فكان دور الكتّاب يتعدى تحفيظ القرآن إلى تعليم القراءة والكتابة وقد تطور دور بعض الكتاتيب فى بعض القرى ، إلى تعليم بعض مبادئ الحساب لحاجة الزراع لمعرفة بعض الحسابات البسيطة وربما كان مرجع نشاط الكتاب العلمى إلى ثقافة الفقيه القائم عليه . (١٧٠)

ومرة أخرى تلبية لعادات المجتمع القروى ، كان قد اقتصر التعليم فى كتاتيب القرى على الأطفال الذكور دون الإناث ، وكان من يذهب إلى هذه الكتاتيب آنذاك ينتمى لإحدى فئتين ، الأولى بعض أبناء العائلات الموسرة من الفلاحين ، إذ كانوا يرون أنه لابد من تعليم بعض أبنائهم شيئاً من أمور الدين، وكان هذا الابن يحظى مقابل حصوله على التعليم فى الكتّاب بمركز اجتماعى خاص بين أفراد أسرته وقريته ويعفى من بعض الأعمال فى الحقل ، كامتياز له. كذلك كان يحظى باحترام عائلته، ويصبح موضع

ثقتهم، ويستشيرونه فى معظم أمورهم ويحترمون رأيه . وثانيهما بعض أبناء الفقراء الذين يجدون فى حفظهم القرآن مصدراً لكسب عيشهم ، عن طريق ترتيله فى المنازل ، أو على القبور ، أو فى المآتم ، كما جرت بذلك التقاليد (١٧١). على الرغم من أن القرآن الكريم قد أنزل لهداية الأحياء وليس للترحم على الموتى فقط .

وقد كان المستوى التعليمى فى كتاتيب القرى بدائياً إلى درجة كبيرة لا يخرج فى معظمة عن دائرة تحفيظ بعض الموضوعات الدينية ، التى ربما تكون مغلوطة فى معظمها ، وصحتها تتوقف على مستوى ثقافة الفقيه الذى يقوم بتدريسها ، وقدرته على تحصيلها تحصيلاً صحيحاً أو خاطئاً ، ومع ذلك يجب ألا يغيب عن الذهن أن كتّاب القرية، رغم هذه الصورة التى كان يوجد عليها ، فإنه لعب دوراً مهماً فى ثقافة أهل القرية فى ذلك الوقت ، فشئ خير من لا شئ . (١٧٢)

أما عن دور الفقيه نفسه فى ثقافة المجتمع الريفى خارج نطاق الكتّاب . فقد كان كبيراً وإن لم يكن سليماً ، فقد امتد نشاط الفقيه إلى نواح كثيرة من حياة الفلاحين ، وأصبح يتصدر مجالس الفلاحين لإلقاء دروس الوعظ وتعريف الناس بعض الأمور حسب اعتقاده ، وكثيراً ما كانت أقوال هؤلاء الفقهاء تلقى التصديق ، واعتقد الناس أنه لا يرقى إليها الشك ، حيث أن الفقيه يدعى أنه حصل هذه الآراء من أصولها . (١٧٣)

تلك إذا صورة لما كان عليه المستوى التعليمى فى القرية ، بعنصريه الكتّاب والفقيه. ولو أردنا إيجاد تفسير لهذا المستوى ، فيعتقد أن هذا يرجع إلى أمرين :

أولهما : تلك النظرة التى كان ينظرها القروى إلى التعليم ، وأنه كان يعتقد طالما أن القراءة والكتابة بعيداً عن مجاله الأساسى - الزراعة - فإن التعليم يعتبر مضيعة للوقت،والأولى استغلال ذلك الجهد فى الزراعة.

ثانيهما : أن أولى الأمر من السلاطين والأمراء فى ذلك الحين كان جل اهتماماتهم التعليمية منصبة على العاصمة (القاهرة) والمدن الكبرى التى تعد عواصم الأقاليم . أما القرى فكانت لا تتعدى كونها مخازن الغلال ومصدر الإنفاق على المؤسسات التعليمية التى أنشئت بالعاصمة ، والمدن الكبرى ، وهو ما سوف نلاحظه عند التعرض للمؤسسات التعليمية بالمدن التابعة للأقاليم. وقد رأت الدراسة أن تبدأ بالمدن التابعة للوجه البحرى وذلك نظراً لوفرة المادة التى تتعلق بتلك الجهات .

أ - أقاليم الوجه البحرى :

لو نظرنا إلى النشاط التعليمى ، والحرص على إنشاء المؤسسات الخاصة به فى أقاليم

الوجه البحرى نجدها أحسن حظاً من أقاليم الوجه القبلى ، وقد يرجع ذلك إلى اعتبارات عدة ، من أهمها ، قرب تلك الأقاليم من العاصمة (القاهرة) هذا إلى جانب أن ثمة بعض تلك الأقاليم قد تمتعت بموقع استراتيجى أضفى عليها أهمية كبرى كمدينتى دمياط والإسكندرية ، اللتين كانتا من أهم الحصون والموانى التجارية بمصر . وما من شك فى أن الحالة التعليمية كانت تتفاوت من إقليم لآخر ، وتبعاً لما أمكن الحصول عليه من مادة تفيد فى هذا الصدد ، سوف تشير الدراسة إلى أهم أقاليم الوجه البحرى ، وأكثرها نشاطاً علمياً .

ـ دميـــاط :

تعد دمياط(١٧٤) ـ فى فترة دراستنا ـ من أغنى وأنشط الأقاليم المصرية بصفة عامة فى المجال العلمى والثقافى ، ويرجع ذلك إلى ما كانت تتمتع به ، من كونها ميناء هاماً ، ومركزاً تجارياً كبيراً . ومن الحق أن نقول أن الشهرة العلمية التى اكتسبتها دمياط لم تكن وليدة تلك الفترة ، بل ترجع جذورها إلى العصور التى سبقت العصر العثمانى ، إذ أنه كان من أهم أسباب النشاط العلمى بهذه المدينة ، ما كانت تتعرض له مصر من هجمات صليبية من قبل الغرب الأوروبى عبر التاريخ ، حيث كانت دمياط تتحول خلالها إلى رباط هام تنشط من خلالها همم العلماء القاطنين بها ، لتوعية السكان وحثهم على الجهاد، ومقاومة تلك الهجمات . ولهذا حظيت دمياط بشئ كبير من اهتمام السلاطين حيث قاموا بإنشاء الكثير من المؤسسات التعليمية بها كالكتاتيب ، والمساجد والمدارس ، وغير ذلك ، ورصد الأوقاف الكثيرة عليها ضماناً لاستمرار مسيرتها العلمية ، وهو ما سوف نلاحظه فى حديثنا عن المؤسسات التى استمرت إلى فترة دراستنا .

ودمياط كأى مدينة كبرى تنقسم المؤسسات التعليمية بها إلى مؤسسات التعليم الأولى ، ومؤسسات التعليم العالى ، ويأتى على رأس مؤسسات المرحلة الأولى ـ الكتّاب ـ ويلاحظ أن الكتّاب فى دمياط لا يوجد مستقلاً وإنما كان غالباً ما يلحق بشئ آخر . وذلك أن كثيراً من المدارس والجوامع الكبرى كانت تضم بداخلها الكتاتيب التى كانت تعنى بتعليم الصبية فى مرحلة الطفولة قبل انتقالهم إلى المرحلة الأعلى ، وهى الدراسة بالمدرسة أو الجامع التابع لهما الكتّاب،ومن الكتاتيب المستقلة بهذه المدينة ، مكتب مصطفى جوربجى بن حسين الينكجرى ـ بمصر آنذاك ـ الذى كان ملاصقاً لمقام العارف بالله الشيخ عيسى المنشى المطل على النيل . (١٧٥) ويعد هذا المكتب من المنشآت التى أقيمت فى القرن ـ محل الدراسة .

وبما يعد من مؤسسات المرحلة التعليمية الأولية كل من الزوايا، والتكايا، والمقامات . إذ أنه مما يلاحظ فى هذا الصدد ، أن قاطنى دمياط أحسنوا استغلال تلك المنشآت فى أغراض تعليمية ، وعدم قصرها على الأغراض الدينية أو الصوفية . وهناك الكثير من نماذج تلك المنشآت التى استغلت فى مهام تعليمية ، منها زاوية الراجحيه(١٧٦) ، وزاوية ابن قفل(١٧٧) . أما التكايا فنجد منها تكية العجمى(١٧٨) ، وتكية الصاروخى(١٧٩) . ومن المقامات ، مقام الشيخ عبد الله الشريف - الكاين آنذاك بالجبانة الصغرى بالثغر(١٨٠)

هذا عن مؤسسات التعليم الأولى بدمياط ، أما مؤسسات مرحلة التعليم العالى فنجدها تنحصر ما بين المسجد الجامع ، والمدرسة ، فبالنسبة للجوامع نجد على رأسها الجامع الكبير أو "جامع البحر ". الذى كان يعد من أهم المؤسسات التعليمية وأكثرها نشاطاً بدمياط خلال العصر العثمانى ، إلى الحد الذى شبه نشاطه العلمى بالنشاط الذى كان يوجد بالجامع الأزهر آنذاك(١٨١) ، وبما يكشف عن دوره بصورة أدق ، ما نجده فى إشارات المصادر المعاصرة - لتلك الفترة - من كثرة عدد الطلبة الذين كانوا يقرءون بهذا المسجد. فمن ذلك مجلس الشيخ العالم محمد المعروف بابن النقيب البيروتى الشافعى(١٨٢) (ت١٠٦٤هـ - ١٦٥٣م). الذى كان يضم مائة وثلاثين طالبا هذا بخلاف العدد الكبير من المجاورين بهذا المسجد . (١٨٣)

أما عن المناهج العلمية التى كانت تدرس بتلك المؤسسة فنجد أنها كادت تنحصر فى العلوم الدينية كتدريس علم الفقه على المذهبين الشافعى والحنفى وعلمى الحديث(١٨٤)، والتفسير(١٨٥) ، ولعل هذا النشاط العلمى قد جذب انتباه الكثيرين من أصحاب القدرات المالية على رصد أموالهم أو جزء منها على هذا المؤسسة. مما يعتبر من أهم العوامل التى ضمنت استمرار الحركة التعليمية بها ومن ذلك ، وقف وزير مصر سنان باشا ، وما قام به الحاج حجازى ابن الحاج شمس الدين الحويلية فى عام ١٠٣٤هـ (١٦٢٤م) من رصد بعض أمواله على النشاط التعليمى بالبايكتين الموجودتين بهذا الجامع حيث قرر فيهما أربعة مدرسين لتدريس المذهب الشافعى ، وجعل لهم راتباً وقدره ألف وثمانون نصف فضة سنوياً(١٨٦) ، كما قرر أيضاً مؤدب أطفال براتب مائة وثمانية نصفاً فضة سنوياً . (١٨٧) وغير ذلك من الأوقاف الكثيرة(١٨٨).

وهناك جوامع أخرى كانت تقام بها حركة علمية نشطة آنذاك ، ونجد منها جامع لقمان[١٨٩] ، وجامع النعمان[١٩٠] ، وجامع البكرى ـ أو (جامع بين الفرضين) [١٩١] والجامع البدرى[١٩٢] . وغير ذلك من الجوامع الأخرى .

وأما عن المدارس التعليمية فقد تمتعت دمياط بوجود كثير من المدارس التى شهدت رواجاً علمياً كبيراً ، والتى كانت لها اعتمادات مالية ضخمة ، الأمر الذى أعطاها شكلاً استقلالياً ـ حتى يمكننا القول أن كل مدرسة كانت تمثل كلية مستقلة لها مواردها المالية الخاصة بها ـ مما انعكس على أدائها التعليمى آنذاك ، وضماناً لاستمرار هذا الأداء كان القائمون على هذه المدارس يحرصون دوماً على إجراء محاسبات على عوائد أوقاف كل مدرسة على حدة وصرفها على المستحقين سنوياً . ويأتى على رأس تلك المدارس ، المدرسة المتبولية ـ التى أنشأها السلطان الأشرف قايتباى ، وتعتبر هذه المدرسة النموذج الأمثل للمدارس المستقلة ، وذلك لضخامة مواردها الاقتصادية ، واشتمالها على عدة ملحقات ، منها مطبخ لطبخ الطعام للمدرسين والطلبة والموظفين بها . [١٩٣] إضافة إلى مكتب لتعليم الأطفال . [١٩٤] وقد كانت هذه المدرسة وقفاً على الفقهاء الشافعية ، ومن مدرسيها الشيخ نور الدين أبو الحسن على الدنجيهى الشافعى[١٩٥]، و الشيخ العالم شمس الدين محمد الشوبرى الشافعى[١٩٦]، والشيخ شمس الدين محمد بن علم الدين سليمان[١٩٧] ، وغيرهم .

والمدرسة المعنية ومن مدرسيها الشيخ زين الدين عبد الصمد بن محمد الشافعى[١٩٨]، وكان ضمن ملحقاتها مكتب لتعليم الأطفال[١٩٩] ، إضافة إلى مكتبة لخزن الكتب .[٢٠٠]

ومن مدارس دمياط والتى شهدت نشاطاً تعليمياً ملحوظاً ـ فى ذلك الحين ـ المدرسة المسلمية[٢٠١]،والمدرسة الحلمية[٢٠٢] ، والمدرسة العوتبانية[٢٠٣]، والمدرسة البرقوقية أو الفارقانية.[٢٠٤] والتى كانت تضم مكتباً لتعليم الأطفال[٢٠٥]. والمدرسة الفاعية[٢٠٦] ، والمدرسة الناصرية[٢٠٧] . وغير ذلك من المدارس الأخرى ، كما تم إنشاء مدارس جديدة إبان فترة الدراسة منها ما أنشأه الأمير مصطفى أرنؤد زعيم مصر، وكاشف إقليم الدقهلية ـ آنذاك ـ والتى بناها بجوار وكالته المطلة على النيل[٢٠٨].

تلك الأمور توضح لنا مدى النشاط والرواج العلمى الذى كانت تعيشه مدينة دمياط خلال فترة الدراسة ، ولعل أهم العوامل التى أدت إلى هذا النشاط العلمى واستمراره ، اهتمام السلاطين بإنشاء المؤسسات التعليمية ، ورصد الأوقاف عليها ، هذا

إلى جانب المتابعة المستمرة للقائمين على تلك المؤسسات بإجراء المحاسبات لعوائد ما أرصد عليها من أوقاف ، وصرفها على مستحقيها بالوجه الأمثل ، الأمر الذى حمى تلك الأوقاف من التبديد وغيره ، هذا بخلاف ما رصده أفراد المجتمع من أموالهم على تلك المؤسسات .(٢٠٩)

- الإسكندرية

تعتبر الإسكندرية ضمن أهم المدن المصرية التى عايشت نشاطاً علمياً مزدهراً إبان تلك الفترة ، ويعود ذلك إلى أمور عدة منها ، ما كانت تتمتع به من موقع استراتيجى هام ، وكونها ميناء تجارياً هاماً ، ومن أهم الثغور المصرية ، أضف إلى ذلك أنها كانت تعد أهم الموانى لرسو سفن الحجاج المغاربة، وأنها كانت بمثابة محطة ثابتة لهم يتجمعون فيها(٢١٠). وما كان ينتج عن هذا التجمع من احتكاك علمى بين هؤلاء المغاربة ، وبين السكان المقيمين بتلك المدينة ، وليس ثمة ما هو أدل على ذلك من غلبة انتشار المذهب المالكى فيها على غيره من المذاهب الأخرى . هذا إلى جانب ما كان يحظى به العلم من مكانة فى نفوس ساكنى تلك المدينة، وحرصهم الشديد على المحافظة على المؤسسات التعليمية ، وتحركهم السريع لإنقاذ ما تخرب منها(٢١١) .وعند تيقنهم من أن المؤسسة التعليمية أو الدينية قد استحكم الخراب بها ، وأصبح لا طائل منها كانوا يطالبون بصرف ريع وقفها واستثماره على إحدى المؤسسات التعليمية الأخرى ، هذا بخلاف نداءاتهم المستمرة إلى القضاة بتغيير نظار الأوقاف التى تعطلت المؤسسات التى يشرفون عليها، سواء كان بسبب التغيب عن الثغر أو وجود أى عائق تسبب فى عدم مباشرة مهامهم، وما من شك فى أن هذا كله قد انعكس على المؤسسات التعليمية ونجاحها ، وأداء دورها فى هذا البلد.

ومن الحق أن نقول أن الإسكندرية كانت غنية بمؤسساتها التعليمية والدينية ، إذ نرى من إشارات المصادر ما يؤكد ذلك ، فقد ذكر أنها ضمت العدد الكبير من المؤسسات التى كان لها استحقاق فى عوائد جمرك الإسكندرية ومنها اثنان وثلاثون مقاماً ، وتسعة عشر جامعاً وزاوية ، وإحدى عشر سبيلاً(٢١٢) . ولكن لسوء الحظ لم تشر المصادر إلى تحديد ما إذا كان يقام بجميع هذه المؤسسات حركة تعليمية أم لا ، ونظراً لعدم تسليمنا بإطلاق ذلك الحكم ، سوف نلتزم بالإشارة إلى المؤسسات التى أكدت المصادر قيام حركة تعليمية فيها والإسكندرية كأى مدينة كانت مؤسساتها تدور ما بين مؤسسات تعليم أوّلى ، وتعليم عال ، ومن مؤسسات التعليم الأوّلى ، مكتب حمزة

بيك[٢١٣]. والمكتب الملحق ـ كان ـ بمقام سيدى عبد الله اليمانى[٢١٤]. هذا إلى جانب الكتاتيب الملحقة بعدد من المدارس .

أما عن المدارس فنجد منها المدرسة الفخرية [٢١٥] ، والمدرسة العونية[٢١٦]، والمدرسة الدمامنية وهى من المدارس التى كان يلحق بها مكتب لتأديب الأطفال[٢١٧]، والمدرسة الحنفية ، التى كانت مقراً للمحكمة [٢١٨] ـ وهى بذلك كانت تؤدى نفس الوظيفة التى تؤديها مدارس القاهرة فى العصر العثمانى - والمدرسة الواسطية الواقعة غرب المدينة آنذاك[٢١٩]، ومدرسة الشيخ محمد البنوفرى، والتى كانت بالجزيرة الخضراء[٢٢٠]، وهناك أيضاً المدرسة الخلاصية[٢٢١] الواقعة غرب الثغر آنذاك ، والمدرسة الشبراوية . [٢٢٢]

ولم تقف مدارس الإسكندرية عند هذا الحد بل كان هناك بعض المدارس الجديدة الى أنشئت إبان القرن ـ محل الدراسة ـ وهو ما يؤكد اهتمام أفراد المجتمع فى تلك المدينة بالاهتمام بالتعليم والعمل على النهوض به ، وزيادة مؤسساته ، ومن ذلك ما نراه من الشيخ العالم شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ بدر الدين حسن الشهير نسبه بالشيرازى المالكى ، وبنائه مدرسة تعليمية بالجزيرة الخضراء خارج مدينة الإسكندرية[٢٢٣] ـ وحرصاً منه على ضمان استمرار المسيرة العلمية بمدرسته تلك ، عمل على زيادة مواردها ، ومن محاولاته فى ذلك ما قام به من تقديم عرض على قاضى الإسكندرية يخبره بأن ضريح أبو بكر المحروقى معطل وصار خراباً ، وأنه يطلب نقل معلوم ما أرصد عليه ، والبالغ ثلاثمائة وستون نصف فضه ، ليصرف على المدرسة التى أنشأها.[٢٢٤]

وهناك مدرسة أخرى أنشئت خلال ذلك القرن ، وهى المدرسة التى أنشأها الخواجا (التاجر) عثمان ابن الخواجا زين الدين شحاذه القسطينى والتى كانت بالجزيرة الخضراء ـ خارج الإسكندرية أيضاً ـ ونجد ضمن ملحقاتها مكتباً لتأديب الأطفال ، إضافة إلى ذلك كانت تؤدى مهام المسجد ، من إقام الصلاة ، والخطبة [٢٢٥] وغير ذلك ، وأهم ما يلاحظ على كلتا المدرستين أنهما أقيمتا بالجزيرة الخضراء خارج الإسكندرية ، مما يعطينا انطباعاً على أن هذه البقعة كانت تمثل مدينة أو كتله سكنية جديدة ، مما جعل

أفراد المجتمع يشعرون بأهمية التعليم فى مدينتهم ، ففتحوا المدارس لاستيعاب طلاب العلم بها .

ـ الأقاليم الأخرى فى الوجه البحرى :

ومن أقاليم الوجه البحرى التى شهدت حركة علمية نشطة إبان تلك الفترة . إقليم الغربية ، الذى تمتع بعدد من المؤسسات التعليمية سواء تلك التى تنتمى إلى مرحلة التعليم الأولى، أو التعلم العالى فمن مؤسسات التعليم الأولى، مكتب تأديب الأطفال الكاين بباب السلسلة[٢٢٦] ـ آنذاك ـ وزاوية الشيخ شهاب الدين الطبلاوى الشافعى التى كان يتم فيها قراءة القرآن الكريم ، وتحفيظه ، وتدريس الحديث الشريف . [٢٢٧]

أما عن مؤسسات التعليم العالى به ، فنجد منها تلك المدرسة التى كانت تقع بناحية ابن الكنانين ، وهى من منشآت العصر المملوكى ـ الجركسى[٢٢٨] ـ على أن من أكثر مؤسسات هذا الإقليم شهره فى هذا المجال ـ الجامع الأحمدى ـ نسبة إلى السيد أحمد البدوى ومن الحق القول بأن شهرة هذا الجامع فى المجال التعليمى لم تقف عند حدود إقليم الغربية بل تخطته إلى أقاليم الدلتا بوجه عام حيث كان يجذب إليه كثيراً من طلبة تلك الأقاليم لتلقى التعليم فيه ، لكونه أقرب مسافة وأقل كلفة من التعليم بالعاصمة[٢٢٩] بل تعدى نشاطه أقاليم الوجه البحرى إلى نزوح بعض طلاب العلم من الوجه القبلى لتلقى العلم على يد علمائه .

وقد خرج من هذا الإقليم العديد من العلماء الذين كان يشار إليهم بالتفرد فى مختلف العلوم ومنهم من كان مقصداً لطلبة العلم من المشرق والمغرب ، كالشيخ العالم محمد بن قاسم بن إسماعيل البقرى المقرى (ت١١١٠هـ ـ ١٦٩٨م). نسبة إلى دار البقر ، قرية من قرى المحلة بالغربية حيث نجده بعد إتمام حفظ القرآن الكريم ببلده ، انتقل إلى القاهرة لإتمام تعلميه بالجامع الأزهر إلى أن تفرد فى علم القراءات والتجويد ، فقصده الطلاب ، وتخرج على يديه خلق كثير من المشرق والمغرب . [٢٣٠]

وهناك أقاليم أخرى فى الوجه البحرى كانت ذات نشاط تعليمى ملحوظ فى ذلك الحين ، ومنها إقليم الدقهلية ، الذى كانت توجد به ، مؤسسات تعليمية تمثل المرحلتين الأولية ، والعليا ، فمن مؤسسات المرحلة الأولى نجد مكتباً لتأديب الأطفال ، وكان ملحقاً بالجامع الذى كان يقع بخط المقسم ، أنشأه مصطفى جاويش الشهير بأبى طبق . [٢٣١] ومن مؤسسات المرحلة الثانية ، جامع المحمودية بالمنصورة ، وكان من مدرسيه الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن المالكى . [٢٣٢] كما نجد من تلك الأقاليم أيضاً إقليم

السويس إذ نرى من مؤسساته التعليمية ـ فى ذلك الحين ـ مدرسة الجعفرية ـ [٢٣٣] وغير ذلك من المؤسسات الأخرى .

هكذا وعلى الرغم من ضآلة إشارات المصادر إلى المؤسسات التعليمية لبعض الأقاليم ، إلا أنها تعطينا دلالات شبه واضحة على مدى نشاط الحركة التعليمية ، واهتمام أولى الأمر بالتعليم فى تلك الأقاليم .

ب ـ أقاليم الوجـه القبلى :

أما عن نشاط المؤسسات التعليمية بأقاليم الوجه القبلى فبداية نذكر أن هناك تفاوتاً فى نشاط المؤسسات التعليمية وعددها بين إقليم وآخر حسب أهمية الإقليم وتأثيره ، على أنه وإن كانت المصادر قد أوضحت لنا النشاط التعليميى لبعض أقاليم الوجه البحرى . وصمتت عن البعض الأخر، نراها كادت تلتزم الصمت فلم تفصح لنا عن حالة الكثير من أقاليم الوجه القبلى إلا فى حدود ضيقة للغاية .

فلو نظـرنا إلـى أقاليـم الوجـه القبلى إبان فترة العصر العثمانى نجد أن أكثرها ثقلاً ، إقليـم جرجا . ويرجع ذلـك إلى أن التنظيم الإدارى لمصر العثمانية قد ارتكـز فى تقسيمه لمصر على خمسـة أقاليـم إدارية كبرى ، أربعة للوجه البحـرى ، وإقليم واحد للوجه القبلى ـ وهو المتمثل فى إقليم جرجا ـ[٢٣٤] وقد يعـزى هـذا إلى ما كانت تتمتع به جرجا من أهمية اقتصادية فى ذلك الحين، حيث كانت تعـد مركز التموين الأول للبلاد ، وخاصة من القمح.[٢٣٥]ونظراً لأهميتها تلك كان منصب توليها من المناصب التى تتم بصدور فرمان سلطانى مصحوب بخلعة سلطانية لصاحب المنصب.[٢٣٦] وقد انعكست الأهمية السياسية على النشاط التعليمى لهذه المدينة ، أو هذا الإقليم خلال ذلك العصر . إذ كانت جرجا تعتبر من أنشط مدن الوجه القبلى فى الجوانب العلمية سواء فى غناها بالمؤسسات التعليمية ، أو وفرة العلماء الذين أثروا الحركة التعليمية والفكرية .

فعن المؤسسات التعليمية بتلك المدينة نجد الكثير من مؤسسات التعليم الأولى المتمثلة فى الكتاتيب . إذ نرى منها مكتب الأمير على بك ، ومكتب الشيخ عبد الرحمن بن عبد المنعم الخياط ـ وكان يقع بسوق الجزارين ـ والمكتب الذى كان يقع بالقرب من الجامع الصيفى ، ومكتب الصنجق بلصق جامع الفقراء ومكتب الشيخ سعيد ، ومكتب الست جرجا المشهور بالأربعين ، ومكتب يقع بجوار مسجد عيسى أغاه

ـ وقد يكون من إنشائه ـ ومكتب سيدى الشيخ على نور الله ، ومكتب الشيخ على المفقود العنانى ، ومكتب بجوار مسجد الداودية ومكتب بالقرب من ضريح العلامة الشيخ أحمد الشرقاوى . ومكتب بالجهة الغربية بالقرب من جامع الشيخ عبد الرحمن المعروف بجامع الأسيوطى ، ومكتب المستولى بالجهة القبلية من جامع الأمراء ، ومكتب بضريحى الأمير على بك الفقارى ، والشيخ أحمد بن مصطفى الناظر . (٢٣٧) وثمة مكتب تم إنشاؤه ـ فى فترة هذه الدراسة ، وهو المكتب الذى أنشأه الوزير محمد باشا ـ وقد اشتمل هذا المكتب على مصلاة ، ومن تحته سبيل ، وحوض ، وساقية ، وقد رصد له محمد باشا ـ قطعة أرض مساحتها ثمانون فداناً . (٢٣٨) إلى غير ذلك من الكتاتيب التى كانت منتشرة بتلك المدينة، إبان تلك الفترة .

أما مؤسسات التعليم العالى بتلك المدينة فنجد أنها قد تمثلت فى الجوامع التى مارست حركة تعليمية نشطة آنذاك . ومن هذه الجوامع ، جامع المتولى أو الجامع المعلق، الذى أنشأه الأمير محمد أبو السنون حاكم جرجا ، وذلك فى حدود المائة الثامنة للهجرة تقريباً .. والذى كان يعد من أجلّ مساجد جرجا مبنى بالحجر النحيت . وكان من مدرسيه الشيخ العالم عبد الجواد الكبير الأنصارى (ت١٠٩٠هـ ١٦٧٩م). والشيخ عبد الرحمن بن عبد المنعم ، والشيخ عبد البرعنانى مفتى السادة الحنفية بالصعيد آنذاك(٢٣٩) ومن بين هذه الجوامع أيضاً ، جامع الأمير على بك الفقارى ، ومن مدرسيه الشيخ محمد الملقب بأصيل الدين بن محمد بن محمد أصيل الدين(ت١١٠٥هـ ـ ١٦٩٣م) وهو أحد من تولى إفتاء مدينة جرجا فى زمنه ، وله مؤلفات عديدة فى عدة علوم مختلفة منها الفقه، والحديث ، والتوحيد ، واللغة ، وقد قام بالتدريس بأكثر من مؤسسة تعليمية بجرجا ، منها الجامع المشار إليه حيث كان يدرس به علم الحديث ، وذلك فى كل من شهر رجب ، وشعبان ، ورمضان . (٢٤٠) .

وهناك جامع آخر كانت تقام به حركة علمية نشطة فى جرجا أثناء تلك الفترة ، وهو جامع الفقراء ، الذى كان يعرف أيضاً بجامع الزبدة ، وكان يحتوى ، على مكتبة غنية بالكتب فى عدة علوم مختلفة وممن درس به . الشيخ محمد أصيل الدين ـ المتقدم الذكر(٢٤١) ـ والشيخ منصور بن محمد بن منصور المالكى ، البرديسى الأصل . الجرجاوى الموطن والنشأة ، والذى قام بوقف مكتبة له غنية بكثير من كتب العلم وفنونه بهذا الجامع . (٢٤٢)

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الشأن أن جرجا قد شهدت إنشاء مؤسسات تعليمية من هذا النوع إبان فترة هذه الدراسة ، ومن ذلك الجامع الذى أنشأه أحمد بن حمادة ابن محمد الفاضل المقدم للباب العالى بمحكمة جرجا آنذاك وذلـك بالجهـة الغربية من المدينة ، وقد أوقف عليه عدة أوقاف ، يرجع تاريخـها إلى سنة ١٠٩٤هـ (١٦٨٣م). [٢٤٣] وبهذا يكون قد اتضح لنا مدى النشـاط التعليمـى والفكرى اللذين كانت تحياهما مدينة جرجا ، التى كانت تعد قصبة الصعيد آنذاك وهو ما لم يتوفر فى أية مدينة من مدن الصعيد الأخرى .

وهناك عدة مدن أخرى من مدن الوجه القبلى كان يوجد بها عدد من المؤسسات التعليمية ، ولكن فى الحقيقة ليس بنفس القدر الذى لاحظناه بمدينة جرجا، ومن بين هذه المدن **مدينة أسيوط** ، التى نرى من مؤسساتها التعليمية مكتب السبيل الكاين بالتربة ـ آنذاك ـ ومن معلميه فى فترة دراستنا ، كل من الشيخ حسين بن عبد الباسط، والشيخ أحمد ابن الشيخ على الفقية.[٢٤٤] ومن مدارسها مدرسة العلاى أبو دقن، التى أنشئت فى بداية القرن العاشر الهجرى٩٠٤هـ (١٤٩٨م). [٢٤٥] والمدرسة الشريفية ، التى أنشأها القاضى السيد الشريف زين الدين ، فى بداية القرن العاشر الهجرى أيضاً وتحديداً فى عام ٩٠٨هـ ـ (١٥٠٢م). [٢٤٦] ومما هو واضح أن أسيوط من المدن التى كانت تعانى من تجاهل ولاة الأمر ، وقلة اهتمامهم بأنشطتها العلمية ، الأمر الذى أدى إلى قلة إنشاء المؤسسات التعليمية بها ، مما أدى بدوره إلى ندرة ظهور شخصيات علمية منها، كالتى رأيناها فى جرجا مثلاً.

ومن مدن الوجه القبلى ذات النشاط العلمى الملحوظ فى تلك الفترة أيضاً **مدينة ملوى** التى كانت تعد مركزاً لولاية الأشمونيين ـ وقتها ـ وقد أضفى هذا الوضع الإدارى على ملوى بعضاً من الأهمية ، الأمر الذى انعكس بدوره على إنشاء المؤسسات التعليمية بها ، فمن مؤسسات التعليم الأولى مكتب عابدين حاويش [٢٤٧] ومكتب السبيل الذى أنشأه المقدم أحمد بن المقدم على ، مقدم ولاية جرجا . [٢٤٨] وزاوية الشيخ أبو بكر بن على بن حماد التونى . [٢٤٩] أما عن المدارس فنجد منها مدرسة الشيخ شهاب الدين أحمد الدجى [٢٥٠]. والمدرسة المعزية ـ نسبة إلى منشئها القاضى عز الدين محمد بن عساكر.[٢٥١]

وثمة مدينة أخرى كانت تعد فقيرة فى مؤسساتها التعليمية آنذاك وهى **مدينة البهنسا** ، ومن مؤسساتها التعليمية نجد مكتب السبيل الكاين ـ كان ـ بناحية أهطو، وهو من إنشاء أحمد بن عمر المقروش . (٢٥٢) وكل من زاوية ومكتب السبيل بخط الركنين، إنشاء أمير اللواء مصطفى حاكم ولاية البهنساوية ـ آنذاك ـ وذلك بجوار منزله .(٢٥٣) ومكتب السبيل إنشاء الشيخ أبو البركات ـ الذى كان مقاماً ـ بناحية العساكرة . (٢٥٤) وغير ذلك من المؤسسات الأخرى .

وهكذا فقد لاحظنا مدى ضآلة المؤسسات بمدن الوجه القبلى بعكس ما رأينه فى كل من القاهرة ومدن الوجه البحرى ، وقد لمسنا أيضاً فى ثنايا العرض السابق أسباب هذا التفاوت الكبير، والتى يأتى على رأسها عدم اهتمام أولى الأمر بمدن الوجه القبلى ، إذ تركز اهتمامهم على العاصمة ومدن الوجه البحرى . هذا إلى جانب ضعف الحالة الاقتصادية فى مدن الصعيد بصفة عامة . مما أدى إلى اختفاء أهم الظواهر التى كانت تعتمد عليها الحركة العلمية فى ذلك الوقت ، وهى ظاهرة الوقف ، والتى ينفق منها على المنشآت التعليمية وكثيراً ما تواصل فيها الحركة العلمية على أن من أهم ما يمكن ملاحظته فى هذا الصدد أن الحركة التعليمية والفكرية لم تكن قاصرة على القاهرة وحدها، بل انتشرت كما رأينا فى معظم أقاليم مصر ـ مدنها وقراها ـ بل نجد ما هو أهم من ذلك أن نسبة الإقبال على التعليم كانت عند أبناء الأقاليم أكثر مما هو عند أبناء القاهرة . ومما يدل على صحة ذلك أن معظم مشاهير العلماء الذين أثروا الحركة العلمية والفكرية فى مصر إبان فترة تلك الدراسة ، كانوا ينتمون فى الأصل إلى الأقاليم ، إذ بدأوا مراحل التعليم الأولى بالأقاليم ـ ثم انتقلوا إلى القاهرة ليجاوروا بالجامع مع الأزهر مرحلة التعليم العالى ـ لاستكمال مسيرتهم التعليمية ، إلى أن أصبحوا فيما بعد حملة العلم ينقلونه إلى الأجيال المتعاقبة ، وهو ما سيتضح لنا عند تعرض الدراسة للإنتاج الفكرى لعلماء مصر فى ذلك الحين .

وعلى أية حال فبعد الانتهاء من الإشارة إلى المؤسسات التعليمية ونشاطها فى كل من العاصمة ، ومعظم المدن المصرية ، كان من المحتم علينا قبل الشروع فى الحديث عن مرحلة التعليم العالى آنذاك ـ والمتمثلة فى الجامع الأزهر ـ أن نشير ولو فى عجالة سريعة إلى تعليم المرأة ـ والتعليم عند أهل الذمة فى تلك الفترة .

تعليم المــرأة :

فى الحقيقة تواجهنا صعوبات شتى فى تحديد مدى مشاركة المرأة فى التعليم ـ إبان تلك الفترة ـ وذلك لأن المعلومات التى وصلتنا من المصادر التاريخية المعاصرة بالغة الضآلة فى هذا الصدد ، وبالرغم من ذلك فقد استطعنا الوصول إلى بعض المعلومات ، والتى فى ضوئها يمكن القول بأن المرأة كانت لها اهتمامات علمية لا تقل عن الرجل ، وإنه يمكن لها أن تبلغ ما بلغه الكثير من الرجال من تحصيل العلوم ، وتولى المناصب العلمية الهامة متى توفرت لها البيئة العلمية المناسبة لذلك . ومن أمثلة ذلك السيدة نفيسة بنت الشيخ أبو الحسن البكرى الصديقى ، التى وصلت بعلمها إلى أن تكون فى مصاف الأساتذة المعلمين ، إذ نرى بمن أخذ العلم منها الشيخ العالم أحمد بن شهاب الدين العجمى الشافعى (ت١٠٨٦هـ ـ ١٦٧٥م). (٢٥٦) ومن تلك النماذج أيضاً . بنت العالم الطبيب أحمد بن سراج الدين الملقب بـ " شهاب الدين" المعروف بـ ابن الصائغ الحنفى (ت١٠٣٦هـ ـ ١م). رئيس الأطباء فى زمانه ـ إذ نرى أنها من فرط علمها بعلم الطب ، قد صارت رئيساً لأكبر مستشفيات مصر ـ آنذاك ـ وهى البيمارستان المنصورى . (٢٥٧)

ومن الحق إذا أن نشير إلى أن قلة ظهور المرأة فى المجالات العلمية ـ فى تلك الفترة ـ يرجع أساساً إلى الظروف البيئية التى تنشأ فيها الفتاة وأنه متى توفرت لها الأجواء المناسبة يمكن أن يظهر نشاطها بصورة واضحة ، وهو ما لمسناه فى النماذج السابقة . ومن الحق القول أن العلماء فى تلك الفترة لم يفرضوا قيوداً على تعليم المرأة بل العكس من ذلك . إذ علت نداءات العلماء تطالب بتعليم المرأة ليس فى مجال العلوم الدينية فحسب بل في العلوم العقلية ، والتخصص فى مجالات دقيقة . ومن بين هذه النداءات، ما قام به الشيخ العالم عمر الدفرى الحنفى (ت١٠٧٩هـ ـ ١٦٦٨م). فى كتابه الفقهى " الدرة المنيفة فى فقه الإمام أبو حنيفة ".(٢٥٨) أثناء تعرضه لمسألة إطلاع الطبيب على موضع المرض بالنسبة للمرأة فبعد إصدار فتواه بإجازة هذا الأمر ومشروعيته ، حث الطبيب الرجل على أن يقوم بتعليم المرأة هذا التخصص ـ وهو ما يطلق عليه (طب النساء) مبيناً العلة فى ذلك ، إذ يقول : " ولكن ينبغى للطبيب أن يعلم امرأة إن أمكن، لأن نظر الجنس ، وهو نظر المرأة إلى المرأة ، أخف من نظر الرجل إلى المرأة .. ".(٢٥٩)

وكما رأينا فيما سبق ـ من هذه الدراسة ـ مدى مشاركة الرجال فى النهوض بالحركة التعليمية خلال تلك الفترة من رصد ما كانوا يمتلكونه على المؤسسات التعليمية،

والقيام بإنشاء الجديد منها نلمس هذا الأمر بعينه عند المرأة ، فها هى السيدة فاضلة ابنة الشيخ أبو عبد الله محمد شمس الدين البكرى الصديقى الأشعرى ، التى أنشأت جامعاً بالقرافة ، مجاوراً لمقام والدها ولمقام الإمام الشافعى" وأوقفت عليه جميع ما تملك، ومما رتبته بهذا المسجد خمسة أطفال يتعلمون القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وقد رتبت لكل يتيم منهم جراية وراتب(٢٦٠)

وهناك السيدة أمنة بنت الأمير بشير التى أوقفت كل ما تملكه على القراء المعينين بالمدرسة الجوهرية . (٢٦١) والسيدة أم الهدا ابنة الشيخ أبو الأكرم بن وفا - صاحب التكية والسجادة - قامت بإنشاء زاوية بها جناح لتأديب الأطفال ، وتعليمهم القراءة والكتابة ، هذا بخلاف ما رصدته من أموال على زاوية سادات بنى الوفا . (٢٦٢)

وعلى أية حال فإن المرأة فى فترة دراستنا تلك - قد مارست حقوقها الاجتماعية كاملة ، فكانت تدير الأوقاف كما كان يديرها الرجال . (٢٦٣) كما كانت تنتخب لترأس طوائف بعض الصناعات الحرفية ، كالتمشيط ، والنقش ، وأن تكون مرجعاً لتعليم هذه الحرفة لغيرها من النساء . (٢٦٤) كما كانت على دراية تامة بنظم العصر الذى تعيشه فكانت تختار أيا من قضاة المذاهب الأربعة الذى يكفل لها كافة حقوقها . وبهذا يتضح لنا أن المجالات العلمية لم تكن قاصرة على الرجال وحدهم ، بل شاركتهم فى ذلك المرأة، وأنه متى توفرت لها العوامل المساعدة لذلك ظهرت ظهوراً واضحاً كما رأينا سابقاً. على أنه يمكن أن يستوقف الباحث أن المرأة التى شاركت فى مجالات العلم والدراسة والمؤسسات الاجتماعية لم تطالب بافتتاح دور مخصصة لتعليم النسوة أو البنات ، وكان من المتوقع أن نشهد إحداهن - مثلاً - تدعوا إلى هذا العمل أو يقوم بإنشاء كتاتيب أو دور علم لتعليم الفتيات بصورة مستقلة ، ولعل هذا كان من الممكن أن يساهم بصورة فعالة فى دفع الكثير من الأسر لبناتهن للحصول على قسط منظم من الدراسة .

كما أن إدراتهن للمؤسسات الخيرية أو الاجتماعية لم يصحبها دعوتهن لتخصيص بعض الأماكن للنسوة والبنات بصورة مستقلة ، بل أن اللاتى قطعن شوطاً بارزاً فى بعض العلوم أشارت المصادر إلى أن تلاميذهن كانوا رجالاً ولم يكونوا من النسوة .

- التعليم عند أهل الذمة :

تعد دراسة النواحى التعليمية والثقافية عند أهل الذمة (الأقباط - اليهود) من أصعب الدراسات التاريخية خلال العصر العثمانى ، وذلك راجع إلى طبيعة مصادر

ذلك العصر فكما رأينا - كم ساعدتنا تلك المصادر ، وخاصة وثائق الوقف فى معرفة الكثير عن المؤسسات التعليمية والثقافية الإسلامية نجد العكس تماماً عند بحثنا لرصد المستوى الثقافى التعليمى عند أهل الذمة ، حيث أن الوثائق السابقة لا تعطينا أية معلومات لها قيمة فى هذا السياق، وقد أرجع هذا الأمر لأسباب شرعية تتعلق بصياغة هذه الوثائق " شكلها " حيث أن كافة المذاهب الفقهية منعت إظهار أى غرض للواقف يتعارض مع التشريع الإسلامى ، وبالتالى منعت تماماً الوقف على تعليم أى دين آخر غير الدين الإسلامى كما أنها قيدت الوقف على الكنيسة مباشرة ، وسمح الفقهاء للقبط ، وغيرهم من أهل الذمة ، بالوقف على الفقراء والمساكين وجهات الخير العامة ، وكان لابد من تسجيل الوقفيات فى المحاكم الشرعية ، حتى تكون تحت مراقبة الشرع . وعلى ذلك لم يسمح بذكر أية نواح تعليمية أو ثقافية عند القبط ، بالرغم من وجود دلائل كثيرة على وجودها بجوار المؤسسات الإسلامية .(٢٦٥) على أنه إذا كان لهذا الرأى وجاهته إلا أنه يمكننا أن نضيف إلى ذلك حرص المؤسسات الدينية للنصارى واليهود على خصوصية حياتهم ، وبخاصة فى الأمور ذات الصلة بالكنيسة والعبادة ، والأمور الاجتماعية . ولو توفر عنصر الانفتاح بصورة واضحة وصريحة لسجلت أقلام المؤرخين التفاصيل المتعلقة بالأمور التعليمية تماماً كما أوضحتها فى المؤسسات الدينية الإسلامية أو العلمية الإسلامية ، ومن هنا فإنا نعتقد أن الحياة المغلقة ـ وهى صفة سائدة عند اليهود على وجه الخصوص ـ قد صعبت لمهمة الباحث فى هذا المضمار .

وأيا كان الأمر كذلك ، فإنه مما لا شك فيه أن أهل الذمة كانت لهم مؤسساتهم التعليمية الخاصة بهم ، ويأتى فى مقدمتها الكتاتيب ، والتى على ما يبدو أنها كانت ملحقة بأماكن عبادتهم ـ (الأديرة ، والمعابد) ـ وقد كانت أولى الخطوات التعليمية بالنسبة لأطفالهم تبدأ فى محيط الأسرة حيث يلقن الطفل المبادئ المسيحية ، أو اليهودية حسب ديانته وبعد ذلك يرسل الطفل إلى الكتّاب ، وهو تقريباً نفس النمط الذى يسير عليه الطفل المسلم مع ملاحظة اختلاف الديانة .

والمنهج الدراسى المتبع فى هذه الكتاتيب بسيط إلى حد ما ويتلخص فى تعليم الأطفال القراءة والكتابة ، ومبادئ الحساب والتعاليم الدينية ـ وقد أولت هذه الكتاتيب اهتماماً خاصاً بتلقين الأطفال مبادئ الحساب لتفتح أمامهم مجالات الالتحاق بالإدارة المالية . ذلك الباب من الإدارة الذى عمل كل من الأقباط واليهود على احتكار ألوان

معينة منه .(٢٦٦) وهيئة التدريس فى هذه الكتاتيب كانت بسيطة إلى حد كبير ، وتتشابة مع مثيلتها فى الكتاتيب الإسلامية. (٢٦٧) إذ يقوم على تعليم الأطفال " مؤدب الأطفال " (٢٦٨) ويساعده فى ذلك العريف . ولم يقف التشابه بين الكتاتيب الإسلامية ، وكتاتيب أهل الذمة عند هذا الحد فحسب ، إذ كما رأينا أن مؤسسات التعليم الإسلامية كانت تعتمد ميزانيتها على الأوقاف والهبات والعطايا من المحسنين نرى هذا الأمر بعينه فى كتاتيب أهل الذمة فكما نوهنا إلى أن تلك الكتاتيب كانت ملحقة بالكنائس والأديرة فقد كان كل من الأقباط واليهود يتبارون فى الإنفاق على تلك المؤسسات الدينية ولكن احتفاظ هؤلاء بخصوصياتهم جعل التقدير الدقيق بكمياتها وإمكاناتها صعب المنال .

ـ مرحلة التعليم العالى ـ الأزهر الشريف ـ :

لقد قدر للأزهر منذ أن بدأ الفاطميون إنشاءه عام ٣٥٩هـ (٩١٩م). أن يكون حدثاً مهما ، فمنذ بداية الصلاة فيه عام ٣٦١هـ (٩٢١م). كان كعبة العلم والعلماء بمصر ، والحصن الحصين لعلوم الإسلام ، واللغة العربية ، للمحافظة عليها ، والعمل على إنمائها وتطو:ها ، وكما هو معروف فإن الجامع الأزهر استغل من قبل الفاطميين لنشر مبادئ مذهبهم الشيعى ، وظل هذا طيلة حكمهم بمصر، إلى أن تم لصلاح الدين الأيوبى القضاء على دولتهم، وإقامة دولته الأيوبية السنية المذهب ، فعمد إلى إغلاق الجامع الأزهر وتعطيل نشاطه التعليمى والثقافى لكونه من أهم المراكز نشراً للمذهب الشيعى ، ثم قام بإنشاء المدارس التعليمية التى تهتم بالمذهب السنى ، ورصد الأوقاف عليها إلى أن استولى المماليك على الحكم فى مصر ، فاتجة سلاطينهم إلى إعادة الأزهر لأداء دوره مرة أخرى ، وهنا تغيرت الاتجاهات العلمية للأزهر تماماً، فأتجه نحو الدفاع عن المذهب السنى، والزود عنه ضد أية اتجاهات مضادة، وفى عصر هؤلاء السلاطين تبلورت الصورة الكاملة لهذا الجامع بأن أصبح الجامعة التعليمية ، ليس فى مصر فقط ، بل فى شتى الأقطار العربية والإسلامية ، وأصبحت مصر منارة تهوى إليها قلوب العطشى من طلبة العلم فى الأقطار الإسلامية المختلفة .

واستمر هذا الوضع قائماً إلى أن استولى العثمانيون على مقاليد الحكم بمصر ، وتبعاً لهذا الأمر فقد امتدت يد التغيير من قبل العثمانيين على كثير من وجوه الحياة فى مصر آنذاك ، ما عدا الجامع الأزهر الذى لم تطله يد التغيير ، نظراً لمكانته العلمية التى كان

يحظى بها فى مصر وغيرها من الدول الإسلامية الأخرى وكما توفرت العوامل التى زادت من مكانة الجامع الأزهر فى العصر المملوكى فتحول إلى الجامعة الأم توفرت له أيضاً عدة عوامل فى العصر العثمانى جعلته يسير فى نفس الدرب ويأتى على رأس هذه العوامل، عدم تدخل العثمانين فى شئونه التعليمية ، إذ تركوا نظم الدراسة به تسير كما هى ، فلم يفرضوا مثلاً الدراسات التركية عليه ، أو جعل اللغة التركية لغة الدراسة به ، وثمة عامل أكثر أهمية وهو الاستقلال المالى للأزهر، وهو ما يجنبه أى من ألوان الخضوع للنفوذ العثمانى . ومن تلك العوامل انفراد الأزهر بريادة دور العلم إبان تلك الفترة ، بمعنى أنه لم تكن توجد آية مؤسسة تعليمية تنافس الأزهر، كما أن النشاط التنصيرى الذى اتبعته الدول الغربية فى الدول العربية. لم تطل يدها مصر خلال ذلك العصر، بل كان ظهورها فى لبنان منذ بداية النصف الثانى من القرن الـ ١٩م.(٢٦٩) ومن المعتقد أن تلك كانت إحدى نتائج وجود الأزهر كحصن الإسلام فى مصر وتأكيداً للمركز الإنفرادى الذى تمتع به الأزهر فى تلك الفترة لم يعترف المجتمع لعالم بالعالمية ، إلا إذا تخرج فى الأزهر ودرس به .(٢٧٠) وكان من أجل الخدمات التى قام بها الأزهر للمسلمين والعرب فى العصر العثمانى ، وغيره من العصور السابقة عليه، واللاحقة له، حفاظه على اللغة العربية، وعلومها (٢٧١) هذا بخلاف العلوم الإسلامية الأخرى .

ولإعطاء صورة أكثر قربا عن الأزهر خلال العصر العثمانى ـ وخاصة أثناء فترة دراستنا سنركز على نقاط نعتقد أنها ستفيد فى هذا الصدد . مثل مصادر الإنفاق على الأزهر ، ومدى مشاركة مجتمع تلك الفترة فى تزويدها . وطرق ومناهج التدريس بهذه الجامعة . والقول فى مشيخة الأزهر ، ودور الأزهر فى احتفاظ مصر بالريادة العلمية على مستوى العالمين العربى والإسلامى ـ آنذاك ـ وتوطيد العلاقة بين مصر وغيرها من الدول الإسلامية الأخرى .

أولاً : مصادر الإنفاق على الأزهر :

منذ اللحظة الأولى لعقد الحلقات الدراسية بالأزهر قام كل من الخليفة الفاطمى العزيز بالله ووزيره يعقوب بن كلس باتخاذ أهم الخطوات نحو ضمان استمرار المسيرة التعليمية بهذا الجامع ، وهى قيامهم باعتماد ما يشبه ميزانية عامة للإنفاق على الجوانب العلمية ، حيث رتبوا من أموالهم الخاصة ، أو أموال الدولة رواتب للذين يتولون أمور التدريس بهذه المؤسسة ، ومنذ ذلك الحين نرى الإنفاق على الجامع الأزهر يرجع إلى

مصدرين أساسيين : هما الأحباس (الأوقاف) . والصدقات العامة ، والخاصة . فأما الأحباس الخاصة فكان يرتبها الأكابر والأغنياء ، على نحو ما فعل الوزير ابن كلس ، وأما الصدقات فهى نصيب الأزهر من الأعطية والصدقات السلطانية وغيرها مما كان يوهب وتعطى فى مختلف المواسم والمناسبات.(٢٧٢) ومنذ تلك اللحظة تبارى الخلفاء الفاطميون ، وسلاطين وأمراء العصر المملوكى وأغنيائه فى رصد أجزاء من أموالهم الخاصة للإنفاق على العملية التعليمية بالأزهر .

أما عن حجم المشاركة فى الإنفاق على الأزهر خلال العصر العثمانى، وخاصة الفترة محل الدراسة ، فعلاوة على استمرار الأوقاف التى رصدت على الأزهر من قبل سلاطين وأمراء الفترات السابقة، وعدم تعرض العثمانيين لهذه الأوقاف كانت هناك مشاركة من قبل الإدارة العثمانية للإنفاق على الجامع الأزهر والاهتمام به ، لكن هذه المشاركة كانت ضئيلة للغاية إذا ما قورنت بغيرها من مشاركات السابقين ويرجع هذا - كما أشير سابقاً - إلى قلة التدخل الحكومى من قبل العثمانيين فى الأقطار التابعة لهم - فمن تلك المشاركات ما قام به الوزير الشريف محمد باشا . (٢٧٣)الذى قام بتجديد عمارة الجامع الأزهر ، والقبلة القديمة به ، وغير أستار الأروقة التى كانت من حصر وجعلها أخشاباً مدهونة بالدهان الأخضر كما رتب به ما يطبخ من العدس كل يوم للفقراء.(٢٧٤) وما قام به الوزير حسن باشا(٢٧٥) من إنشائه رواقاً لطلبة المذهب الحنفى سمى برواق الأحناف - تجاه رواق اليمنيين - وعمر فيه عدة خزاين ليحفظ بها المجاورون أمتعتهم وأسبابهم ، كما قام بتجديد صحن الجامع الأزهر . (٢٧٦)

وأيا كان الأمر من قلة مشاركة القائمين على الإدارة العثمانية فى الإنفاق على الجامع الأزهر فى تلك الفترة ، نجد ثمة الكثير من أفراد المجتمع قد أدركوا مكانة الأزهر وأهميته العلمية والتعليمية فتباروا فى رصد أموالهم الخاصة عليه ، ومما هو جدير بالذكر هنا أن أفراد المجتمع من المصريين عند رصدهم الأموال على الأزهر أوقفوها على نشاطه العلمى بصفة عامة ، دون اختصاص رواق بعينه ، وهو ما يعطنا انطباعاً بأن المصريين قد أدركوا أهمية استمرار الأزهر فى أداء دوره ، وأنهم مسؤولون عنه ، بعد أن ظهر لهم أن الإدارة العثمانية لم تقدم له ما يستحق من رعاية . إذ نرى منهم من أوقف عدداً من القاعات التى تصلح سكناً لبعض المجاورين ، أو وضع كتبهم بها . (٢٧٧) وهناك من رصد ماله لتسبيل الماء لسقى الطلبة . (٢٧٨) أو من رصد أمواله على مطبخ الجامع

الأزهر لتجهيز ما يحتاجه الطلبة من طعام وغيره . [٢٧٩] كما نجد أن منهم من أوقف أمواله على الأزهر دون تحديد نشاط بعينه . [٢٨٠] وعند اختيار رواق وتحديده كان يقع الاختيار على رواق بنى معمر[٢٨١] وذلك لأن هذا الرواق لم يقتصر على جنسية ، أو مذهب فقهى دون غيره. [٢٨٢] بينما نجد أن الأفراد المنتمين إلى بعض الأقطار المختلفة عند رصدهم الأموال على الجامع الأزهر كانوا يختارون الرواق الممثل لبنى جلدتهم ، ومن أشهر الأروقة التى حظيت باهتمام الواقفين فى ذلك الحين ـ كل من رواق الأتراك أو (الأروام) ورواق المغاربة، فبالنسبة للأول يرجع الاهتمام به إلى استحواذ الأتراك على المناصب السياسية والعسكرية الهامة . فمن أمثلة الواقفين على ذلك الرواق الأمير نصوح أحد أمراء الجراكسة.[٢٨٣] وغيره الكثير [٢٨٤]

ومن الجدير بالذكر أن المهتمين بهذه المؤسسة فى ذلك الوقت لم تقف اهتماماتهم عند حد رصد الأشياء العينية التى يصرف منها على العملية التعليمية، والقائمين عليها من طلبة ومدرسين ولكن تخطت ذلك إلى تزويد مكتبات الأروقة بالكتب التى كانت تحتويها مكتباتهم الخاصة، وبناء على ميول الواقف واختيارهم لرواق بعينه، كان يضع كتبه فى مكتبة الرواق الذى اختاره. فهناك من أوقف كتبه على رواق الجبرت.[٢٨٥]ومنهم من أوقف كتبه على رواق الأروام.[٢٨٦] وآخر قد أوقف كتبه على رواق بنى معمر.[٢٨٧] هذا فى حين أن البعض قد اختصوا طلبة مذهب فقهى بعينه بتلك الكتب، نظراً لغلبة المذهب الذى يدرسونه عليها. كوقف الكتب على طلبة العلم من الشافعية . [٢٨٨] أو طلبة العلم من المالكية . [٢٨٩] كما نجد أن ثمة من لم يحدد رواقاً بعينه ، ولا طلبة مذهب دون غيره ، بل أوقف كتبه على المجاورين بالجامع الأزهر بصفة عامة ، كالشيخ خفاجى ابن محمود بن الشمس محمود الشمريقى.[٢٩٠] والشيخ محمد جمال الخولافى.[٢٩١] والأمير مصطفى ـ كان ـ[٢٩٢] حيث أوقف كل منهم كتبه على الطلبة المجاورين بالجامع الأزهر . وهكذا اختلفت أوجه المساهمة من أفراد المجتمع ، وتعدد صور مساهماتهم ليشاركوا جميعاً فى دفع عجلة التقدم العملى والإسلامى .

وبهذا يكون قد أتضح لنا مدى إدراك أفراد المجتمع لأهمية الأزهر ومكانته العلمية فى تلك الأونة ، ولابد من الإشادة بدور أفراد المجتمع من المصريين الذين جاءت اهتماماتهم وأوقافهم على الجامع الأزهر بصفة عامة ، دون تحديد رواق أو جنسية كما فعل ذلك بعض المنتمين إلى الأقطار العربية والإسلامية الأخرى . وما من شك أن تلك

الأموال وغيرها التى رصدت من قبل فراد المجتمع آنذاك قد ساعدت الأزهر كثيراً على استمرار الحياة العلمية به ، ومواصلة أداء دوره .

ثانياً : نظم الدراسة بالأزهر :

سوف تقوم الدراسة فى هذا الصدد بالإشارة إلى كيفية الالتحاق بالأزهر، ونظم الدراسة، والطرق التربوية التى كان ينهجها العلماء . إضافة إلى العلوم التى كانت تدرس به فى تلك الفترة .

أما كيفية الالتحاق بالأزهر فكان يتم ذلك بعد انتهاء الطالب من مرحلة الإعداد ، وهى الدراسة بالكتّاب ، وقد أشار فرمنال ـ وهو أحد الرحالة الفرنسيين الذين زاروامصر فى القرن الـ ١٧م إلى أن الطلبة قبل انتسابهم إلى الجامع الأزهر كان لابد من توقيع الكشف الطبى عليهم . (٢٩٣) وهو ما يدل على تمتع الأزهر فى تلك الأونة بنظام إدارى حريص على الحفاظ على صحة الطلبة المنتسبين إليه.

وأهم ما كان يميز الدراسة بالأزهر الحرية التامة ، إذ كانت تكفل للطالب الحرية فى الدراسة فيتتلمذ على من يريد من العلماء . كما كان لكل طالب الحرية فى أن يبقى فى الأزهر ما شاء من الزمن ، وكان الأساتذة يعقدون الحلقات العلمية حول أعمدة المسجد، حيث يجلس الأستاذ أمام العمود مستقبلاً القلبه ، والطلبة حوله على هيئة حلقات ، فإذا كثر عددهم جلس على كرسى من خشب أو جريد ، وهم أمامه بلا تحلق .(٢٩٤) وفى الشتاء كان الطلبة يقرأون بصحن الأزهر وذلك طلباً للشمس. (٢٩٥)

وأما مواعيد الدراسة ففى الواقع لم يكن هناك نظام ثابت لمواعيد إلقاء الدروس بهذه الجامعة ، وترتيب المواد ، وأى منها يدرس أولاً . إذ أن هذا الأمر كان متروكاً للعلماء والنظام الذى يرونه ويقرونه فكان هناك من العلماء من حدد أوقات دروسه اليومية، ونوعية العلوم التى يدرسها كالشيخ العالم سلطان المزاحى الشافعى (ت١٠٧٥هـ ـ ١٦٦٤م). الذى كان يجلس بالأزهر يومياً من بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، لإقراء القرآن بالقراءات المختلفة ، ثم بعدها يبدأ فى تدريس الفقه إلى قبيل الظهر.(٢٩٦)

وهناك الشيخ العالم شعبان الفيومى الشافعى (ت١٠٧٥هـ ـ ١٦٦٤م) الذى تشير المصادر إلى أنه كان ملازماً وقته بالليل والنهار فى الإقراء والتدريس ، وكان يقرأ عليه كل يوم ما ينيف على مائة طالب . وله فى كل يوم ثلاثة دروس حافلة ، واحد بعد الفجر إلى قريب طلوع الشمس . والثانى بعد الظهر ، والثالث بعد العصر . (٢٩٧) بينما نجد أن بعض

العلماء قد قصر أوقات تدريسه فى ثلاثة اشهر من كل عام ، كالشيخ العالم عبد السلام اللقانى المالكى[٢٩٨] (ت١٠٧٨هـ - ١٦٦٧م) الذى كان يدرس فى كل من رجب وشعبان ورمضان من كل عام . هذا فى حين وجد بعض من العلماء لم يحددوا أوقاتاً معينة لإلقاء دروسهم بل قضوا معظم أوقاتهم فى ذلك ، كالشيخ العالم منصور ابن عبد الرازق الطوخى الشافعى (ت١٠٩٠هـ - ١٦٧٩م). الذى قضى جميع أوقاته فى الجامع الأزهر للإقراء والتدريس حتى كان يأتيه غداؤه وعشاؤه فى مكان درسه، ولا يذهب إلى بيته إلا بعد العشاء بساعة .[٢٩٩] ولعل هذا يعطينا انطباعاً عاماً على أن علماء تلك الفترة نظروا إلى التدريس كرسالة ينبغى عليهم القيام بها لايصال العلوم إلى الأجيال المتعاقبة وأمانة علمية يجب أداؤها ، وفرض على علماء المسلمين .

يمكن القول بأن اليوم الدراسى بهذه الجامعة كان يمتد من الفجر إلى ما بعد العشاء ، وأن الدراسة الأسبوعية تنتهى يوم الخميس ، ثم تبدأ بعد غروب شمس يوم الجمعة .[٣٠٠] ثم أن هناك بعض العطلات منها تلك التى تبدأ من أول شعبان حتى نهاية رمضان بأسبوعين . هذا إلى جانب عشرين يوماً بمناسبة عيد الأضحى ، إضافة إلى الإجازات التى كانت تعطى من أجل بعض المناسبات الدينية والاجتماعية كيوم عاشورا ، ومولد النبى(صلى الله عليه وسلم) ومولد الحسين ، وخروج المحمل ، ويوم قطع الخليج ومولد السيد أحمد البدوى .[٣٠١]

ومن الحق أن نشير إلى بعض الأساليب التربوية التى كان ينهجها العلماء فى تدريسهم العلوم المختلفة - فكما رأينا أنه لم تكن هناك نظم ثابتة لمواعيد إلقاء الدروس وتحديد المواد التى تدرس فى كل فترة كذلك لا يوجد ما يفيدنا عن الطرق التربوية التى كان يتعبها العلماء فى تدريسهم لمختلف العلوم - حيث كان هذا الأمر يرجع إلى العالم وأسلوبه التربوى فى التدريس.وأن هذا الأمر يختلف من عالم لآخر- فهناك من التزم الشدة والهيبة فى مجلس درسه بحيث لا يستطيع أحد من الحاضرين أن يسأله أو يرد عليه كالشيخ العالم عبد السلام اللقاني المالكى.[٣٠٢] بينما نجد الشيخ العالم على الشبراملسى الشافعى (١٠٨٧هـ - ١٦٧٦م) على العكس من ذلك تماماً، إذ نراه كان حريصاً على إشراك طلابه فى مناقشة الدرس ويتكدر إذا ما لمس عدم مشاركة طلابه معه ، ويقول لهم: " ما لنا اليوم هكذا ؟! ليس هذا فحسب بل نراه يعطى درساً تربوياً آخر لطلبته . حيث أنه كان يحترم الشيوخ المتقدمين ويجلهم حتى أنه لم يجرؤ

على إعلاء مخالفته للمخطئ منهم ، ويقول للطلبة تواضعاً منه شاركونا فى فهم هذه العبارة ، ثم يبين ما فيها من خلل أو اعتراض بأسلوب لطيف خفى ، حتى لا يحقر المخطئ ، وكان يقول أيضاً : "قيراط من الأدب خير من أربعة وعشرين قيراطا من العلم". (٣٠٣)

ومن كان ينهج هذا النهج فى تدريسه أيضاً ، الشيخ العالم محمد أبو المواهب ابن محمد البكرى(٣٠٤) (ت١٠٣٧هـ ـ ١٦٢٧م) الذى كان حسن المحاضرة مع تلاميذه ، ولا يتكبر فى أخذ الفائدة من أصغرهم .(٣٠٥) كما وجد أيضاً من كان يبالغ فى تفهيم الطلبة بتكرار تصوير المسائل كالشيخ العالم أحمد القليوبى الشافعى (ت١٠٦٩هـ ١٦٥٨م) الذى وصفته المصادر بأنه كان حسن التقرير – والناس فى درسه كأن على رؤسهم الطير(٣٠٦) ولعل من أسمى الطرق التربوية التى حرص عليها علماء تلك الفترة ، إقامة علاقة طيبة بينهم وبين الطلبة بالتودد إليهم والسؤال عنهم ، الأمر الذى كان يحبب الطالب فى العلم ويجعله يقبل عليه ، ونجد من أمثلة هؤلاء الشيخ العالم محمد أبو عبد الله بن علاء الدين البابلى الشافعى (ت١٠٧٧هـ ـ ١٦٦٦م) الذى كان متودداً للطلبة متفقد لهم بالإحسان ، وإذا غاب عنه أحد منهم سأل عنه فإن كان مريضاً عاده ، وإن كان مشتغلاً أرسل إليه بالسلام . (٣٠٧) ـ كما ذكرت ذلك من قبل ـ وقد يدخل ضمن الطرق التربوية أيضاً . ما كان ينهجه بعض علماء تلك الفترة من تنظيم حلقة درسه ، حيث يرتب الطلبة فيها الأفضل فالأفضل من أمامه ، مما يوجد تنافساً بين الطلبة ، والاجتهاد فى تحصيل العلوم ، وهو ما نراه من الشيخ العالم على بن يحيى المقلب بـ نور الدين الزيادى الشافعى (٣٠٨) (ت١٠٢٤هـ ـ ١٦١٥م) حيث كانت حلقته صفوفاً ، منهم الأفضل فالأفضل ، والأمثل فالأمثل وكان يقول : "فلان من الطبقة الأولى ، وفلان من الثانية ، وفلان من الثالثة ". ومن كثرة الأخذين عنه كان له فى درسه محتسب يجلس كل واحد منهم فى مكانه . (٣٠٩)

تلك إذا أهم الطرق التربوية التى كان ينهجها علماء تلك الفترة أثناء قيامهم بتدريس العلوم، وإن كانت فى ظاهرها قد اختلفت من عالم لأخر ـ كما رأينا ـ إلا أنه وجد ثمة بعض الأساليب التربوية التي كان يلتزم بها غالب العلماء ، ومنها أن أفضل الطلبة كان يطالع لطلبة الشيخ درسه ، مطالعة بحث وتحقيق ، حتى يأتوا إلى الشيخ وهم متهيؤن لما يلقيه . (٣١٠) ومن تلك الطرق أيضاً إلقاء الدرس ارتجالاً من غير النظر فى

كتاب أو كراس .(٣١١)

أما العلوم التى حفلت بها حلقات الدراسة فى الأزهر فكانت كثيرة ومتنوعة إذ يخبرنا المحبى فى تاريخه أن الشيخ العالم محمد بن النقيب البيروتى (ت١٠٦٤هـ - ١٦٥٣م). كان يدرس واحد وعشرين علماً.(٣١٢) ومن البديهى أن تلك العلوم كانت تتفاوت فيما بينها من حيث الانتشار والإقبال عليها، حيث كانت العلوم الدينية(٣١٣) أكثرها جذباً تليها علوم اللغة.(٣١٤) وبعض العلوم العقلية كعلمى الكلام والمنطق(٣١٥) وكان يلى هذه العلوم من حيث الرواج والإقبال بعض العلوم الحيوية كالطب والفلك.(٣١٦) والحساب والهندسة والجفر والمواليد .(٣١٧) وقد يرجع السبب فى ذلك إلى أن تلك العلوم كانت بحاجة إلى التطبيق العملى ، الأمر الذى لم يكن متاحاً لدى معظم الطلبة فى تلك الأونة. ومن العلوم التى كانت تدرس أيضاً علم التاريخ وبخاصة كتب السيرة .(٣١٨)

وربما صح لنا أن نتساءل هل كان لهذا التفاوت البين فى دراسة تلك العلوم من تأثير على النتاج الفكرى لهؤلاء ؟ فى الواقع أنه كان لهذا التفاوت أثره الواضح فى نتاج العلماء الفكرى فى تلك الأونة ، بمعنى أن العلوم التى استحوذت على أكبر قدر ممكن من إقبال الطلبة ، كان لها نفس القدر من النتاج الفكرى ، والعكس من ذلك بالنسبة للعلوم التى لم تلق نفس الإقبال من الدراسة ، وهذا ما سنعرفه بصورة أوضح فى الفصول القادمة .

ثالثـاً : مشيخة الأزهر :

لقد اهتم كثير من الباحثين المعاصرين - وخاصة الذين تصدوا للتأريخ عن الأزهر - لمعرفة الظروف والملابسات التى نشأ فيها منصب شيخ الأزهر ، وتحديد أول من تولاه ، ولكن صمت المصادر التاريخية حال دون ذلك مما أوقع الباحثين فى حيرة من أمرهم فى توضيح ذلك ، الأمر الذى جعلهم يجتهدون فى إيجاد المبررات التى دعت إلى ظهور هذا المنصب ، فمنهم من قال : أن هذا المنصب جاء وليد التغييرات التى أوجدها الترك العثمانيين فى الوظائف الدينية الكبرى ، وخاصة وظائف القضاء ، وهو ما سمى بـ عثمنة القضاء المصرى ".(٣١٩) ومنهم من زعم أن السلطان العثمانى سليمان القانون رأى ضرورة أن يكون للجامع الأزهر شيخاً " يتفرغ للإشراف على شئونه الدينية والإدارية

معاً ، ويكون حلقة الوصل بينه وبين العلماء .[٣٢٠] فى حين ذكر البعض أن السبب فى إنشاء المشيخة يرجع إلى زيادة أعباء الجامع لكثرة المترددين عليه من طلبة العلم ، وعدم قدرة الحاكم على إدارة أموره العامة كما كان يحدث من قبل ، ومن ثم دعت الحاجة إلى وضع رجل من أهل الأزهر ليقوم على شئونه كبديل للسلطان الحاكم .[٣٢١] وإذا كانت هذه الاجتهادات قد اختلفت حول إيجاد التفسير أو الأمر الداعى لظهور هذا المنصب إلا أن الكثير من هؤلاء انساق وراء رواية الجبرتى فى أن الشيخ العالم محمد بن عبد الله الخرشى المالكى (ت١١٠١هـ ـ ١٦٨٩م). هو أول من تولى هذا المنصب ، وقد كان ذلك فى العقد الأخير من القرن الـ ١٧م.[٣٢٢] هذا فى حين يرى أحدهم[٣٢٣] أن هذا المنصب يعود ظهوره إلى النصف الأول من القرن الـ ١٦م وأن أول من تولاه هو الشيخ عبد الحق السنباطى ، نظراً لحادثة حدثت بينه وبين وزير مصر داود باشا .[٣٢٤] انتصر فيها الشيخ عبد الحق ، إضافة إلى ما تلقب به الشيخ آنذاك :وهو لقب " شيخ الإسلام ".[٣٢٥]

ومن ثم نجد أن جميع هؤلاء الباحثين قد اتفقوا على أن منصب شيخ الأزهر كان وليد العصر العثمانى ، وأنه لم يظهر فى الفترة التى قبله ، ولكنهم اختلفوا كما رأينا فى تحديد السبب الحقيقى لظهور هذا المنصب ، وفى أول من تولاه ، والناظر فى تلك المبررات يلاحظ ضعفها وتناقضها ، فبالنسبة للمبرر الأول ، وهو أن ما طرأ على القضاء المصرى من عملية العثمنة هو السبب فى ظهور هذا المنصب ، فقد ثبت لنا فى الفصل الأول ـ من هذه الدراسة أن هذه العملية لم يمتد تأثيرها طويلاً ، إذ سرعان ما اعتمد القضاة العثمانيون ـ (الأتراك) على العلماء المصريين فى تسيير الأمور القضائية ، والاستعانة بهم فى شغل الكثير من المناصب القضائية فى المحاكم المختلفة . أما من ناحية الحديث عما إذا كان هذا المنصب قد استحدث بناء على أمر أصدره السلطان العثمانى سليمان القانونى ، حتى يتفرغ صاحب هذا المنصب للإشراف على شئون الجامع الدينية والإدارية معاً ، ويكون حلقة الوصل بين الحاكم والعلماء فثمة ما يضعف هذا المبرر أيضاً، لأن وظيفة ناظر الجامع الأزهر .[٣٢٦] التى كان ينوب صاحبها عن الحاكم من حيث الإشراف على شئون الأزهر مالياً وإدارياً ، ظلت مستمرة حتى ما بعد النصف الثانى من القرن الـ ١٧م [٣٢٧]. ومن ثم لم تكن هناك حاجة ماسة لدى السلطان سليمان القانونى

فى أن يصدر أوامره بتعيين أحد العلماء فى منصب شيخ الأزهر لتولى تلك المهام .

أما فيما يخص المبرر الثالث ، وهو أن هذا المنصب حدث نتيجة لكثرة المترددين على الجامع الأزهر من طلبة العلم ، وعدم قدرة الحاكم على إدارة أموره العامة ، فمما يضعف هذا المبرر أن الجامع الأزهر كان مقسماً إلى عدة أروقة ، وكان لكل رواق شيخ ينتخب من علمائه ، مسئول عن الطلبة المقيمين فيه ويدير شئونه، ويكون ناظراً على أوقافه، وعن صرف عوائد تلك الأوقاف على المستحقين لها من طلبة هذا الرواق .(٣٢٨) الأمر الذى يخفف الكثير من الأعباء التى أشير إليها .

هذا بالنسبة للمبررات التى ساقها بعض الباحثين لإيجاد تفسير لحدوث أو ظهور هذا المنصب والرد عليها . أما بالنسبة إلى تحديد أول من تولى هذا المنصب. فالقول بأن الخرشى هو أول من تولى المنصب بناء على رواية الجبرتى فهناك ما يضعفه من أكثر من ناحية ، منها أن الجبرتى مثله مثل غيره من المؤرخين يؤرخ للأحداث التى سبقته اعتماداً على كتابات المؤرخين السابقين . ومن هنا نرى أن تلك المقولة لم تكن مقولة الجبرتى ، بل استقاها من كتاب " أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات" لأحمد شلبى بن عبد الغنى حيث نراه يقول أثناء تأريخه للأحداث التى حدثت فى فترة الوزير أحمد باشا.(٣٢٩) وفى سابع عشرين الحجة ختام سنة١١٠١هـ(٣٣٠) توفى شيخ الإسلام والمسلمين عمدة أهل اليقين قطب دايرة الوجود، الذى كان له فى العلوم غاية البطش ، سيدى محمد الخرشى .. ثم تولى بعده مشيخة الجامع الأزهر ، شيخ الإسلام ، الشيخ محمد النشرتى .. "(٣٣١) وقد أشار أحمد شلبى عبد الغنى فى موضع سابق إلى أن هناك من العلماء من تولى هذا المنصب قبل الخرشى بأكثر من عقدين من الـ١٧م كما ثبت لنا خلال الدراسة أن ـ المصادر أشارت إلى وجود من لقب بهذا اللقب " شيخ الجامع الأزهر قبل الخرشى بكثير ، وهو ما سوف تشير إليه الدراسة فى حينه .

أما القول بأن الشيخ عبد الحق السنباطى ، أول من تولى هذا المنصب بناء على إطلاق لقب شيخ الإسلام عليه ، فمردود ، ويوضح لنا ذلك الشيخ العالم شهاب الدين أحمد الخفاجى (ت ١٠٦٩هـ ـ ١٦٥٨م). إذ يقول : "إن هذا اللقب ـ أى شيخ الإسلام ـ أول من تلقب به هو كل من الصديق أبو بكر، والفاروق عمر بن الخطاب ـ (ـ ثم اشتهر به جماعة من علماء السلف ـ حتى ابتدأت على رأس المائة الثامنة يوصف بها من لا

يحصى ، وصار لقباً لمن ولى القضاء الأكبر ، ولو عرى من العلم والسنة ـ إن لله وإنا إليه راجعون ـ ثم صارت الآن ـ أى فترة زمان الخفاجى ـ لقباً لمن تولى منصب الفتوى ، ولو عرى من لباس العلم والتقوى ".(٣٣٢) وبهذا ندرك أن ليس من المحتم أن من نعت بهذا اللقب يكون شيخاً للأزهر .

ومن ثم فترجح هذه الدراسة أن يكون هذا المنصب قد ظهر فى القرن الـ١٦م حيث ذكرت بعض المصادر المعاصرة ـ لتلك الفترة ـ وجود بعض العلماء الذين نعتوا بلقب شيخ الجامع الأزهر .(٣٣٣) ولكن لسوء الحظ لم تفصح لنا تلك المصادر بوضوح عن أول من تولى هذا المنصب ، وكيفية اختياره من بين العلماء ، وربما يعود هذا الأمر إلى أن العلماء فى تلك الفترة ـ القرنين الـ١٦ـ١٧م لم تفتنهم الدنيا ومناصبها كغيرهم . الأمر الذى أدى إلى حدوث فتنة بين العلماء بسبب هذا المنصب ، ووقوع بعض الضحايا بسبب ذلك ، مثل ما حدث بين كل من الشيخ أحمد النفراوى ، والشيخ عبد الباقى القلينى ، فى القرن الثانى عشر الهجرى الـ١٨م(٣٣٤) .كما نرجح أن يكون ظهور هذا المنصب ـ فى تلك الفترة المتقدمة ـ جاء كنتيجة طبيعية للمتغيرات التى طرأت على النواحى السياسية والاجتماعية فى المجتمع المصرى عقب استيلاء العثمانيين على مصر ، وما فرضته تلك المتغيرات من جعل العلماء حلقة الوصل بين أفراد المجتمع والإدارة العثمانية ـ وهو ما لمسناه فى الفصل السابق ـ حيث كان الناس يسرعون إلى العلماء للتشفع لهم عند الإدارة ولإزالة ما يشكون منه ، الأمر الذى حدى بالعلماء للاستجابة إلى تلك النداءات واختيار وفد لعرض الأمر على الهيئة الحاكمة .

وأما عن العلماء الذين نعتتهم المصادر بلقب " شيخ الجامع الأزهر " فى الفترة التى سبقت الشيخ محمد الخرشى المالكى ـ السابق الذكر ـ نجدهم كالآتى :

- الشيخ العلامة مفتى المسلمين أبو الحسن على البرلسى الشافعى .(٣٣٥)
- الشيخ الإمام العالم شمس الدين أبو العباس أحمد .(٣٣٦)
- الشيخ الإمام العالم زين الدين عبد الواحد ابن الشيخ نور الدين .(٣٣٧)
- شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ شحاذة بن إبراهيم الحلبى الشافعى .(٣٣٨)
- الشيخ الإمام العالم زين الدين عبد الجواد البرلسى الشافعى .(٣٣٩)
- الشيخ العالم شمس الدين أبو عبد الله محمد درويش الشهير بالمحلى الشافعى.(٣٤٠)

- الشيخ العالم محيى الدين الغزى الحنفى . (٣٤١)
- الشيخ العالم أبو عبد الله محمد الشوبرى الشافعى . (٣٤٢)
- الشيخ العالم عثمان الفتوحى الحنبلى . (٣٤٣)
- الشيخ العالم سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل أبو العزائم المزاحى الشافعى . (٣٤٤)
- الشيخ العالم شعبان الفيومى الشافعى . (٣٤٥)
- الشيخ العالم محمد الخرشى المالكى . (٣٤٦)
- الشيخ العالم إبراهيم البرماوى الشافعى . (٣٤٧)
- الشيخ العالم محمد النشرتى المالكى . (٣٤٨)

وتوضح لنا الأسماء السابقة وتواريخ الوثائق التى وردت بها أن هذا المنصب ترجع جذوره إلى القرن العاشر الهجرى -(الـ١٦م)- ولو أعدنا النظر إلى تلك الأسماء لوجدنا أن معظم أصحابها لم يكونوا من مشاهير العلماء فى ذلك الحين ، ولربما يعود ذلك إلى كون هذا المنصب كان فى تلك الآونة بحاجة إلى شخصية قيادية ومؤثرة أكثر منها علمية ، وهو ما يؤيد ما ذهبت إليه - سابقاً - من كون هذا المنصب ظهر نتيجة للمتغيرات التى طرأت على المجتمع المصرى ، على إثر استيلاء العثمانيين على السلطة فى مصر . وحاجة أفراد المجتمع وقتها إلى من يُسمع صوتهم للإدارة الجديدة .

رابعاً : دور الأزهر فى احتفاظ مصر بالريادة العلمية :

مما هو غنى عن البيان أن المنافسة القديمة التى كانت بين القاهرة وبغداد عاصمة العباسيين قد حسمت لصالح القاهرة منذ أوائل العصر المملوكى على إثر الهجمات المغولية على عاصمة العباسيين ، كما حسمت أيضاً المنافسة بين القاهرة ودمشق ، وذلك بعد الغزوات الصليبية على العالم الإسلامى ، والتى تركزت على بلاد الشام ، وحتى بعد طرد الصليبيين من تلك البقاع على أيدى الأيوبيين والمماليك ، إلا أن الشام أصبحت إقليماً تابعاً لدولة مركزها القاهرة ، وبالتالى ظلت العاصمة مركز الصدارة ، ليس كمركز للسلطة فحسب ، بل كملتقى للعلماء من كل مكان .

وعندما سيطر العثمانيون على مصر لم يكن فى مقدورهم تغيير الوضعية الثقافية والتعليمية الريادية ، وإن كان قد نتج عن هذه السيطرة أن تحولت مصر من دولة مستقلة وعاصمة لدولة عريضة الأرجاء إلى مجرد ولاية تابعة للدولة العثمانية ، وفقدت بذلك

استقلالها وريادتها السياسية فى المنطقة ، إلا أنها احتفظت بريادتها الثقافية والتعليمية ، وظلت ملتقى العلماء من شتى الأقطار الإسلامية . ومن أهم ما ساعد على بقاء هذه الاستمرارية الثقافية والتعليمية وجود الجامع الأزهر بها ، الذى كان يعد قبلة العلم والعلماء فى العالم الإسلامى منذ إنشائه .

فمن حيث احتفاظ مصر بريادتها الثقافية بين أقطار العالم الإسلامى فى العصر العثمانى ، واستمراريتها فى ذلك ، كان علماء تلك الأقطار يخاطبون علماء مصر واستفتائهم فى كثير من القضايا ومن ذلك ما حدث فى بدايات القرن الـ ١٧م من ظهور حادثة التدخين ، التى أثارت انتباه المسلمين ، وكثرة تساؤلاتهم حول هذا الحدث الجديد عليهم ، فتناولته أقلام العلماء فى مختلف الأقطار الإسلامية للبت فيه ، وبيان حكم الإسلام فيه ، فمنهم من قال فيه بالحل ، ومنهم من قال بالحرمة . ونتيجة لذلك كثر إرسال التساؤلات من علماء تلك الأقطار إلى علماء مصر للاستعانة برأيهم ، فهاهم علماء السودان قد أرسلوا إلى علماء مصر للأخذ بفتواهم فى حكم هذه العادة المستحدثة. (٣٤٩) ومنها ما حدث أيضاً فى قضية حكم فيها القاضى السودانى عبد الرحمن بن مشيخ النويرى ـ أحد خريجى الأزهر ـ على امرأة تبرعت بثلث مالها قاصدة بذلك ضرر زوجها حيث حكم برد المبلغ المذكور ، فنازعه فقهاء زمانه ـ وكاتبوا الشيخ العالم على الأجهورى المالكى (ت١٠٦٦هـ ـ ١٦٥٥م). فى الأزهر ، فأجابهم بصحة الحكم مراعاة للعرف والمصلحة . (٣٥٠)

هذا بخلاف الأسئلة الفقهية التى كانت ترد من الشام إلى علماء مصر ، كتلك التى وردت إلى الشيخ العالم حسن الشرنبلالى الحنفى (ت١٠٦٩هـ ـ ١٦٥٨م) وذلك عن بعض المستحقين فى وقف ما فقام بوضع رسالة متضمنة الإجابة من ذلك السؤال ، وعنونها بـ " فتح بارى الألطاف بجدول مستحق الأوقاف الموافقة لنص هلال والخصاف "(٣٥١) .وعلى ما يبدو ، أن الأمر لم ينته عند هذا الحد ، بل تكررت الأسئلة من علماء الشام إلى العالم حسن الشرنبلالى ، على ما أجاب به على السؤال السالف الذكر . وقد أرفق أحد تلك الأسئلة إجابة لمفتى الشام ـ مغايرة لما أجاب به الشرنبلالى فما وسع الأخير إلا أن يقوم بوضع رسالة أخرى حتى يزيل ذلك الالتباس .(٣٥٢)

ومما سبق يتضح لنا مدى احتفاظ مصر بالريادة الثقافية بين الأقطار الإسلامية أما عن الناحية التعليمية فتخبرنا المصادر التاريخية أن مصر كانت مبتغى العلماء من

شتى أقطار العالم الإسـلامى ، للتعلم فيها وأخذ الإجازات عن علمائها، مهما بلغ علماء تلك الأقطار الغـاية فى العلم والإجـادة فى وضع المصنفات . ومما لا شك فيه أنه قد تفاوتت تلك الأقطار فيمـا بينـها من حيث خروج طلبة العلم والعلماء منها قاصدين مصـر للتعليم بها وسـتتناول هنـا أهم الأقاليم التى وفد طلابها بصورة منتظمة لتلقى العلم فى الأزهـر الشريف .

١ ـ أهل الشام وتلقى العلم بالأزهر الشريف :

ويأتى فى مقدمه هذه الأقطار إقبالاً على التعليم بمصر أهل الشام ، ولعل هذا يرجع إلى عمق الجذور التاريخية التى كانت تربط بين كلا القطرين ـ المصرى والشامي ـ والتى لم تكن وليدة العصر العثمانى بل تعود إلى ما سبقه من عصور .حيث كانا جزءاً من دولة واحدة ـ كما نجد أن كتب التراجم مليئة بالشخصيات الشامية التى نالت تعليمها بمصر ـ خلال العصر العثمانى ـ وأخذت الإجازات العلمية منها ، فمنهم من أتى مصر قاصداً التعليم والإقامة، حتى أصبح من مشاهير علمائها كالشيخ العالـم حسن بن زين الدين الشهيد ـ الشهير بالعاملى الشامى (ت ١٠١١هـ ـ ١٦٠٢م) :[٣٥٣]

ومنهم الشيخ العالم مرعى بن يوسف الحنبلى (ت١٠٣٣هـ ـ ١٦٢٣م) والشيخ العالم على الحلبى الشافعى (ت١٠٤٤هـ ـ ١٦٣٤م) وكثيرون

هـذا فى حيـن نجد الكثير منهـم قد عاد إلى بلاده بعد أن أكمل مشواره العلمى بمصر ونال الإجازات العلمـية من علمائها ، وصار فى مصاف العلماء . وأهل الإفتـاء والتدريس، وقـد كان هؤلاء العلماء على فئتيـن، فمنهـم من قصـد مصر للتفـرد فى علم بعينة ، كالفقه على أحد المذاهب، أو علـم الحـديث أو غيره[٣٥٤] ـ وهو ما يدلل على ريادة مصر وتفردها فى العلـوم على اختـلاف أنواعها ـ ومنهم من قصـدها للتعـلم فى كثير مـن العلوم [٣٥٥].

وليس هناك ما هو أدل على قوة ارتباط علماء الشام بمصر ، وحرصهم على الاستزادة ـ من علمائها،من وجود بعض العلماء الذين تكررت زيارتهم إلى مصر أكثر من مرة للأخذ من علمائها ، الشيخ محمد بن بركات بن مفرج الشهير بالكوافى الحمصى الدمشقى الشافعى (ت١٠٧٦هـ ـ ١٦٦٥م). الذى رحل إلى مصر خمس مرات لتلقى العلم بها . وغيرهم الكثير وبهذا يتبين لنا مدى الترابط الثقافى والتعليمى الذى كان يربط بين علماء الشام بعلماء مصر .

٢ ـ المغـــرب :

تعد العلاقات الثقافية العلمية بين مصر والمغرب من أقوى العلاقات ، وتمتد إلى بدايات الفتح الإسلامي لكلا البلدين ، فعند دخول الإسلام إلى الأراضى المغربية أخذت أفواج الدعاة المسلمين تنطلق من مصر ـ مركز الفاتحين لشمال أفريقيا ـ إلى البلاد المغربية لترسيخ مفاهيم الإسلام ونشر علومه بين ساكنى تلك الأراضى ، واستمرت هذه العلاقة فى ترابط على مر العهود والعصور ، حتى مجئ العصر العثمانى الذى قويت فيه العلاقات وزاد التواجد المغربى فى مصر بصورة كبيرة على الرغم من وجوده من قبل. بحيث مثلت فيه مصر المحور الأساسى لنشاط المغاربة الاقتصادى فى المشرق العربى ، كما كانت قبلتهم الثقافية والعلمية التى إليها يحجون ليدرسوا ويدرسوا بأزهرها الشريف، ومدارسها المنتشرة فى القاهرة ومدنها الأخرى ، ومن أهمها الإسكندرية .[٣٥٦]

وقد شهدت فترة هذه الدراسة مجئ الكثير من المغاربة إلى مصر لتلقى العلم بها ، ونيل الإجازات العلمية ، فضلاً عن الذين أقاموا بها ، وأثروا الحياة الثقافية بمؤلفاتهم الهامة التى وضعوها ، ويأتى على رأس هؤلاء الشيخ العالم أبو العباس أحمد المقرى المالكى ، الذى زار المشرق ،واستقر بمصر منذ أن وصل القاهرة عام ١٠٢٧هـ(١٦١٧م). حتى توفى فيها فى عام ١٠١٤هـ (١٦٣١م). وقد خرج في هذه الأعوام الأربعة عشر مرة واحدة إلى دمشق ، غير أنه لم يقض فيها أكثر من شهرين (شعبان : شوال ١٠٣٧هـ) وقد وضع فى هذه الأعوام الأربعة عشر أهم مؤلفاته وأكثرها قيمة ويأتى على رأسها كتابه "نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب" .

ولم تقف العلاقات الثقافية العلمية بين المغرب ومصر على مستوى الأفراد فقط ، بل امتدت على مستوى الحكومات أيضاً ، إذ أن فترات استقرار السلطة المغربية صحبتها ظاهرة صحية تمثلت فى بذل السلاطين كل عناية لتوطيد العلاقات الثقافية لبلادهم مع بلاد المشرق خاصة مصر ، فمن ذلك ما شهدته حكومة مولاى أحمد المنصور ٩٨٦ ـ ١٠١٢هـ /١٥٧٨ـ١٦٠٣م. من توطيد تلك العلاقة ، حيث كان مولاى المنصور يراسل علماء مصر يطلب مؤلفاتهم ، ويأخذ منهم الإجازات . فمن العلماء الذين راسلهم الشيخ البكرى الصديقى (ت٩٣٣هـ ـ ١٥٨٥م). ومن بعده ابنه أبو عبد الله زين العابدين محمد ابن أبى الحسن البكرى الصديقى .والشيخ الإمام أبو محمد ابن يحيى المصرى

الشهير ب بدر الدين القرافى المالكى ، الذى طلب منه المنصور إجازة فبادر الشيخ القرافى بتقديمها له ، وهى مؤرخة فى عام ١٠٠٠هـ (١٥٩١م) . ومن بين العلماء المصريين الذين راسلهم مولاى منصور أيضاً ، الشيخ العالم إسماعيل بن أحمد السنوانى الوجاز صاحب المؤلفات العديدة ، الأمر الذى دعا بالمنصور إلى مراسلته ، طالباً منه نسخة من مؤلفاته بعد أن أرسل له مكافأة كبيرة ، وهناك الشيخ العالم أبو بكر بن إسماعيل الشنوانى الذى أرسل إليه المنصور يطلب مؤلفة المشهور ، شرح على الأسئلة السبع للشيخ جلال الدين السيوطى .(٣٥٧)

ومما لا شك فيه أن هذه العلاقات أدت خدمة قيمة ، ووفرت المناخ الثقافى لخدمة البلدين ، ومما لوحظ أيضاً أن المنصور لم يقتصر فى علاقاته بعلماء مصر على مجرد التراسل ، بل أنه أرسل بعض أبناء المغرب النابغين للدراسة ، وهو أشبه بإرسال البعوث العلمية فى وقتنا الحاضر ، ومن هؤلاء الفقيه العالم أبو محمد عبد الله بن محمد على الجزولى الدرعى ، الذى أخذ عن علماء مصر مثل نجم الدين الغيطى ، ومحمد بن أبى بكر العلقمى .

٣ ـ السـودان :

ذكرنا فيما سبق أن السودانيين اعتمدوا على العلماء المصريين فى حسم بعض الخلافات والمستجدات ، وهذا يكشف لنا أن ثقافة هذا البلد سواء الدينية أو العلمية قد ارتبطت بالثقافة المصرية التى تنبع من أزهرها الشريف وكما ربط النيل بين البلدين استمر الرباط قوياً بفضل الأزهر واللقاءات العلمية . وقبل الشروع فى ضرب النماذج على مجئ بعض من أبناء السودان إلى مصر لتتلقى التعليم بأزهرها ، خليق بنا أن نشير إلى أن الحكومات السودانية فى تلك الفترة ، عملت على إحياء حركة ثقافية وتعليمية نشطة بممالكها ، وذلك بإنشاء الكثير من المؤسسات التعليمية ، وإقامة علاقة طيبة مع علماء مصر ، وذلك بإرسال الهدايا إليهم ، والعمل على استقطاب نماذج منهم للقيام بنشر الثقافة الدينية والتعليمية فى ممالكهم . هذا فضلاً على إرسال الكثير من أبنائهم لتلقى تعليمهم بالأزهر ، ثم العودة مرة أخرى لنشر ما تعلموه فى بلادهم .

فمن ذلك ما نراه من مؤسسى مملكة سنار ، أو التى كانت تعرف أيضاً بـ" سلطنة الفونج "(٣٥٩) على توثيق الصلة بينهم وبين علماء مصر ، ومنهم الشيخ عجيب ابن الشيخ عبد الله جماع، أحد مؤسسى مملكة سنار (٩٧٠ـ١٠١٩هـ/١٥٦٣ـ١٦١٠م)

الذى دعم الحياة الدينية فى السودان إذ بنى المساجد ودور العلم فى أنحاء البلاد ، وفى عهده ـ الذى استمر سنين عددا ـ أقبل كثير من العلماء المسلمين إلى البلاد حيث لقى هؤلاء ما يستحقون من التكريم والقبول ، وهو الذى بنى رواقاً فى المدينة المنورة لإيواء السودانيين، وآخر فى مصر لطلاب العلم السودانيين فى الأزهر الشريف.[٣٦٠] وثمة ملك آخر من ملوك سنار ، وهو الملك بادى الأول (١٠٢٠ـ١٠٢٥هـ/ ١٦١١ـ١٦١٦م) . الذى عمل على دعم الصلة بعلماء مصر ، حيث كان يرسل إليهم الهدايا والصلات .[٣٦١] والملك "بادى أبو دقن " الذى امتد حكمه لمملكة سنار " حتى عام اثنين وخمسين بعد الألف (١٦٤٢م) . الذى كان معظماً لأهل العلم والدين وكان يرسل الهدايا مع خبرائه إلى العلماء بمصر وغيرها .[٣٦٢]

ولعل هذا الأمر من اهتمام ملوك سنار عند قيامهم بتأسيسها على خطى علمية وثقافية ثابتة ، واهتمام زائد بإنعاش تلك النهضة العلمية باستقطاب العلماء ، وإرسال الهدايا لهم ، ومدح العلماء لهؤلاء الملوك ، ليذكرنا بأمجاد خلفاء وسلاطين المسلمين فى عصورهم الزاهرة ، من بعث وقيام نهضة علمية شهدت الدنيا بأسرها على قوتها ، ولعل أهم ما فى هذا الأمر اعتماد ملوك السودان على علماء مصر عند محاولة النهوض ببلادهم علمياً وتلك شهادة بريادة مصر الثقافية والتعليمية آنذاك .

ولم يقف حد ارتباط علماء السودان بعلماء مصر بالتعليم على أيديهم والسير على نهجهم فى طرق التدريس كما رأينا ، بل كانوا حريصين أيضاً على اقتناء وجمع الكتب التى يؤلفها علماء مصر أولاً بأول[٣٦٣] ـ ومن السهل علينا إذا أن نلمس إلى أى مدى اعتمدت ثقافة السودان وحركته التعليمية على علماء الأزهر بمصر وما ضمه من قدرات علمية ذات كفاءة استطاعت أن تجعل مصر تحتفظ بريادتها الثقافية والتعليمية فى العالم الإسلامى .

٤ ـ الحجـاز :

تعد مدن الحجاز وأهمها مكة والمدينة من المدن الهامة التى كانت بينها وبين مصر علاقات ثقافية وعلمية وثيقة على مر العصور ، ومن أهم ما يلاحظ على شكل العلاقة الثقافية والعلمية بين الحجاز ومصر أنها كانت تأخذ شكلاً مغايراً عما لمسناه من علاقة ثقافية بين مصر وبعض الأقطار الأخرى كالشام والمغرب ، فبينما كانت العلاقات الثقافية والعلمية بين مصر وكل من الشام والمغرب تتركز معظمها فى هجرة الكثير من طلاب تلك البقاع إلى مصر لتتلقى التعليم بها . نجد أن هجرة طلبة العلم من مكة والمدينة

والمناطق المحيطة بهما إلى مصر أقل من غيرها بكثير، ويرجع ذلك إلى ما تمتعت به المدينتين من وجود الحرمين الشريفين بهما ، حيث تهفو إليهما قلوب المسلمين جميعاً ،وعلى رأسهم العلماء ، حيث يفضل الكثير من العلماء المجاورة بهما ، الأمر الذى كان يوفر لطلبة تلك البقاع الأخذ عن هؤلاء العلماء ، وعدم تكلف المشاق فى الرحلة طلباً للعلم عبر الأقطار .

ولا يعنى هذا عدم الصلة بين الطلبة من مكة والمدينة ومصر ، وحضورهم إليها طلباً للعمل ، حيث وجد ذلك بأعداد قليلة ـ كما أشرت إلى ذلك سابقاً. (٣٦٤)

٥ ـ اليمـــن :

استفاد اليمنيون من قرب بلادهم من الحرمين الشريفين، وكان لهذا أثره على العلاقة الثقافية العلمية بينهم وبين مصر ، حيث أن الكثير من طالبى العلم باليمن كانوا يؤثرون الأخذ عن العلماء الوافدين إلى الحرمين الشريفين . ومن علماء اليمن الذين أخذوا عن علماء مصر أثناء تواجدهم بالحرمين الشريفين ، الشيخ العالم عبد الجامع بن أبى بكر بأرجاء الحضرمى (ت١٠٨٢هـ ـ ١٦٧١م) الـذى رحل إلى مكة ، وأقام بها مدة فأخذ بها عن الوافدين إليها من أهل مصر، منهم الشيخ العالم الشمس البابلى الشافعى(٣٦٥) وغيره الكثير .

هذا وفى الوقت نفسه وجد هناك بعض الطلبة اليمنيين الذين حرصوا على تعليمهم بمصر، والبقاء فيها فأثروا الحياة الثقافية بمؤلفاتهم وإسهاماتهم وعلى رأس هؤلاء الشيخ العالم عبد الرحمن بن شحاذة اليمنى (ت١٠٥٠هـ ـ ١٦٤٠م). شيخ القراء فى زمنه ، والذى قال صاحب الفوايد عنه إذ أن أغلب القراء من كافة الأنحاء الحجازية ، والمصرية، والشامية : أخذوا عنه ، وانتفعوا به .. ".(٣٦٦)

٦ ـ الأستانة ـ تركيـا :

لقد بذل العثمانيون كل ما فى وسعهم لتكون عاصمة دولتهم أرفع شأناً من مثيلاتها من مدن العالم الإسلامى قاطبة ، وخاصة فى المجالات العلمية والثقافية ، ولقد وضح ذلك تماماً عندما قام السلطان سليم الأول عند استيلائه على مقاليد الحكم فى مصر بتسفير مشاهير العلماء وأرباب الصنائع، وأرباب بعض الفئات الاجتماعية الأخرى ، إضافة إلى نقل كثير من نفائس الكتب من مصر إلى الأستانة ، وقد كان لهذه الخطوة آثارها السلبية التى تحدث عنها المؤرخون ـ وليس هنا مجال التطرق لذلك ـ ولكنا نشير

إلى حرص العثمانيين على رفع شأن عاصمة دولتهم ، ولو كان ذلك على حساب المدن الأخرى، واستكمالاً لهذه الخطوات نراهم قد استغلوا ما عمدوا إليه من فرص الهمينة على القضاء المصرى وعثمنته ، بأن اشترطوا فيمن يتولى رئاسة القضاء ، أن يدرس بالعاصمة وفى مدارسها الثمانية ، ـ وهو ما أشارت إليه الدراسة فى موضع سابق ـ وإن كانت الأستانة بفضل ذلك استطاعت أن تجذب إليها أنظار الكثير من طلبة العلم من أقطار العالم الإسلامى للتعلم بها ، وخاصة للحصول على الوظائف فى أوطانهم عند العودة ، إلا أنها لم تستطع أن تؤثر كثيراً على الوضعية العلمية والثقافية التى كانت تتمتع بها مصر آنذاك بفضل أزهرها الشريف .

حيث نرى أن هناك من علماء الروم ـ العثمانيين ـ من رحل إلى مصر لتلقى التعليم بها ، ونيل الإجازات العلمية من علمائها ، هذا فضلاً عن الذين فضلوا البقاء والإقامة بمصر . ومما هو جدير بالذكر أن الكثير ممن كانوا يرحلون إلى عاصمة الدولة الأستانة لتلقى التعليم بها ، كان يمر بالقاهرة لأخذ العلم عن علمائها أيضاً .(٣٦٦)

أما عن الذين رحلوا إلى مصر من عاصمة الدولة الأستانة ، وفضلوا البقاء بمصر، واسهموا فى الحركة التعليمية بها . فمنهم الشيخ العالم محمد بن محمد المعروف بـ آلتى برمق الذى سبقت الإشارة إليه ، وإلى جهوده فى إنشاء مدرسة باسمه فى مصر . (٣٦٧) ومنهم الشيخ العالم مصطفى ابن أحمد بن مصطفى البولوى (ت١٠٩٠هـ ـ ١٦٧٩م) مفتى السلطنة، وعالم علمائها ، ورئيس نبلائها آنذاك. الذى تولى قضاء العسكرين، ثم الإفتاء بالعاصمة ، ثم عزل وأمر بالتوجه إلى مصر ، وأعطى قضاء الفيوم فأقام بمصر يقرئ ويدرس ببيته ، وأقبل عليه الناس إقبالاً عظيماً لتواضعه ولطف معاملته . (٣٦٨) ولعل هذه النماذج وغيرها لتعطينا دلالات واضحة على أن مصر ظلت محتفظة بريادتها العلمية . ولم تؤثر على تلك الوضعية الجهود التى بذلها العثمانيون لرفع شأن عاصمة دولتهم ، وخاصة فيما يتعلق بالنواحى الثقافية والتعليمية.

٧ ـ العـراق :

من الأقاليم الإسلامية التى كانت بينها وبين مصر علاقات علمية وثقافية قوية فى تلك الفترة ، إقليم العراق ، ومن فرط هذه العلاقة كان يوجد بالجامع الأزهر ـ آنذاك ـ رواق خاص بالأكراد .(٣٦٩) وقد شهدت فترة هذه الدراسة الكثير ممن انتموا إلى هذا الإقليم قد رحلوا إلى مصر لتلقى التعليم بها ، علاوة على الذين فضلوا البقاء بمصر ،

واسهموا فى الحركة الثقافية بها، ولعل من أهم علماء ذلك الإقليم . والذى توطن بمصر بعد زيارته لها ، وأخذ عن مشاهير العلماء بها ، وأسهم كثيراً فى الحياة العلمية بمصر بفضل مؤلفاته القيمة والغنية الشيخ العالم عبد القادر بن عمر البغدادى. الذى رحل إلى مصر وقدمها سنة١٦٤٠م فأخذ فنون العربية عن جمع من علمائها منهم ، الشيخ العالم شهاب الدين أحمد الخفاجى والشيخ المحقق سرى الدين الدروزى ، والعالم إبراهيم الميمونى ، والعالم ياسين ابن زيد الذين الحمصى ، وغيرهم الكثير . (٣٧٠) وهكذا كان العراق أحد الأقاليم ذات الصلة العلمية بالأزهر وبعلماء مصر ، ويلاحظ هنا أن علماء العراق هم الذين كانوا يأتون إلى مصر .

٨ ـ بلاد الشرق الإسلامى :- (فارس ـ ما وراء النهرين ـ الهند).

كانت لهذه البلاد علاقات ثقافية وعلمية وثيقة مع مصر فى ذلك الحين، وليس ثمة ما هو أدل على ذلك من وجود رواق للمنتمين لبلاد فارس بالجامع الأزهر كان ـ يطلق عليه "رواق العجم" . (٣٧١) ومن كثرة عدد المجاورين من تلك البقاع كان يوجد شيخ ينظم أمورهم ، أطلق عليه شيخ طايفة الأعجام المجاورين بالجامع الأزهر . (٣٧٢) ولم يقتصر هذا الأمر على أهل فارس فقط ، بل وجدت ثمة بعض المؤسسات الدينية والاجتماعية التى تجمع الهنود المجاورين بمصر كالزاوية التى كانت تنسب إليهم ، والتى كانت تقع أسفل البيمارستان القديم .(٣٧٣)

وقد زار مصر ـ إبان تلك الفترة ـ الكثير من أبناء تلك الأقطار وتلقوا العلم على يد علمائها – ويكفى أن تشير الدراسة إلى أحد هذه النماذج وهو الشيخ العالم محمد بك ابن أبار محمد بن خواجة محمد بن مير موهب البخارى الأصل ، البرهانبورى المولد والمنشأة الهندى ، كان مولده ، ببرهانبور فى آخر ليلة أربع عشرة فى شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وألف للهجرة (١٦١٣م) ومن الحق قوله ـ فى هذا الصدد ـ أن هذا العالم عند قراءة سيرته يعطينا انطباعا صادقاً عن مدى الجدية التى كان يبذلها بعض علماء ذلك الحين ، إن لم يكن معظمهم فى البحث عن العلم وتلقيه على أيدى الكثير من العلماء ، حيث نرى أن هذا العالم جاب أكثر من تسع عشرة بلدة أو مدينة من مدن الهند ، يأخذ العلم من علمائها قبل ارتحاله إلى البلاد الإسلامية العربية ، إذ نراه قد انتقل من برهانبور إلى تمكتا ، ثم لاهور ، ثم المقزى ، ثم كشمير ، ثم عاد إلى لاهور مرة أخرى ، ومنها انتقل إلى دهلى جاد أباد ، ثم دهلى ، ثم فراء أباد ، ثم هونبور ، ثم رد يكنة ، ثم

درينكة ، ثم راجلكى ، ثم أخمير ، ثم أجين ، ثم عاد إلى برهانبور مرة أخرى ، ومنها إلى ماكتا بور، ثم بدرنورت ، ثم أحمد أباد ، ثم سورت ، ومنها بدأ رحلته إلى البلاد العربية حيث انتقل منها إلى المخا ، ثم زبيد ، ثم مكة المكرمة ، ثم المدينة المنورة ، ومنها إلى مصر حيث قرأ فى أزهرها الشريف ألفية العراقى فى أصول الحديث، والجامع الصغير للسيوطى ، ثم سافر إلى دمياط ، ومنها إلى غزة ، ثم زار بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة المكرمة ، فأراد العودة مرة أخرى عن طريق اليمن ، حيث أنطلق من المخا إلى سكت (من بلاد عمان) ثم إلى شيراز ، ثم البصرة ، ثم زار كلاً من النجف وكربلاء وبغداد ، ثم انتقل إلى حمدان ، ثم إلى قزوين ، ثم نيسابور ، ثم سمسار ثم طرس ، ثم بلخ ، ثم سمر قند ، ثم انتقل إلى بخارى ، ثم عاد إلى بلخ مرة أخرى ، ومنها سافر إلى كابل ، ومنها إلى مدينة جلال أباد ، ثم بيشار ، ثم أنك ، ثم ذهب إلى كشمير للمرة الثانية ، ثم لاهور أيضاً ، ثم قليه ، ثم بزند ، ثم فرمابتى ، ثم ذهبى ، ثم أكبر أباد ، ثم عاد إلى مكة المكرمة التى ألقى بها عصا الترحال.(٣٧٤)

ويمكننا أن نخرج من هذه الرحلة بعدة أمور ، منها مدى الجدية التى كان يبذلها بعض علماء تلك الفترة فى البحث عن العلم وأخذه من رجاله ، ولعل من أهم تلك الأمور مدى حرية التنقل بين بلدان العالم الإسلامى - فى ذلك الحين - وكأنه بلد واحد، ولم يعرف الحدود الحاجزة بين بلاده كما هو فى عصرنا الحاضر وأنه على الرغم من الحروب التى كانت مستعرة بين كل من الدولة العثمانية - السنية المذهب - ودولة فارس - الشيعية المذهب - لم يتطرق التفكير إلى كلا الدولتين لفرض الحدود بينهما .

وبهذا يكون قد اتضح لنا مدى غنى مصر بالمؤسسات التعليمية فى القرن الحادى عشر الهجرى (الـ١٧م). فقد تضمنت الدراسة إلقاء الضوء على نماذج وأعداد من تلك المؤسسات وهو ما يمثل رداً كافياً على المقولات التى رددت بأن العصر العثمانى شهد تخلفاً فى الجوانب التعليمية والحضارية ، على أن أهم ما أبرزته الدراسة فى هذا الشأن مدى تكاتف أفراد المجتمع المصرى مع العلماء على المحافظة على التراث الحضارى ممثلاً فى المؤسسات التعليمية التى تعد من أهم مقومات الحركة التعليمية والثقافية لدى الأمم. ليس هذا فحسب بل ظهرت جهودهم كذلك فى النهوض بهذه المؤسسات ، والعمل على زيادتها لاستيعاب أعداد التلاميذ والطلبة ، وظهر هذا جلياً من إقدام أفراد مجتمع تلك الفترة على الإكثار من إنشاء الكتاتيب ، حتى يمكنهم استيعاب الأعداد الكبيرة من طالبى العلم .

كما لاحظنا أيضاً أن الأمر لم يقف عند حد إنشاء المؤسسات التعليمية فحسب ، بل رأينا أن أفراد المجتمع سارعوا إلى توفير الكتاب ، المقوم الثانى والأهم للحركة التعليمية والثقافية ، وتقديمه بسهولة ويسر للطلبة أنذاك ، حيث تبارى أصحاب المكتبات الخاصة بوقف كتبهم على طلبة العلم بمصر .

ولعل من أهم ما أشارت إليه الدراسة فى هذا الشأن أن الحركة التعليمية ووجود مؤسساتها لم تكن قاصرة على القاهرة وحدها ، بل انتشر هذا الأمر فى الأقاليم ، حتى أنه وجدت بعض المدن المشابهة للقاهرة كثيراً فى نشاط حركتها التعليمية كدمياط ، على أنه فى نفس الوقت رأينا أن الحركة التعليمية اختلفت قوة وضعفاً من إقليم لآخر تبعاً لاهتمام القائمين على الحكومات المختلفة ، وتبعاً لأهمية الإقليم نفسه كما لاحظنا أن اهتمامات الفئات الاجتماعية بالحركة التعليمية ومقوماتها قد اختلفت وتفاوتت من إقليم لآخر ، وهو ما أثر بالطبع على نشاط المؤسسات التعليمية بتلك الأقاليم .

وإن كنا قد رأينا مدى اهتمام أفراد المجتمع بالمؤسسات التعليمية المتنوعة من رصد بعض ممتلكاتهم وكتبهم عليها ، فقد لمسنا ذلك بوضوح حيث اهتموا بالأزهر الذى كان يمثل مرحلة التعليم العالى ، خاصة من المصريين الذين شعروا وتيقنوا من واجبهم الإبقاء على الأزهر كمشعل من مشاعل العلم والحضارة ووضح ذلك من رصد بعض المصريين الأوقاف التى ساعدت على نهوض المؤسسات التعليمية ، دون تخصيص الطلبة المصريين بهذا دون غيرهم ، كما اتضح لنا كذلك بعض الجوانب التربوية التى كان يحرص العلماء على التزامها والمناهج العلمية التى كانوا يدرسونها، وأنها لم تقتصر على العلوم الدينية على أن أهم ما فى الأمر هو استمرار الدور الريادى الثقافى والتعليمى الذى كانت تحتفظ به مصر فى ذلك الحين ، وأن التحديات الشديدة التى واجهتها من فقد الاستقلال السياسى ، والجهود التى بذلها العثمانيون من رفع شأن عاصمتهم (الأستانة) . لم تستطع أن تغير تلك الوضعية التى تمتعت بها مصر قبل ذلك العصر وذلك بفضل أزهرها الشريف.

هوامش الفصل لثانى

(١) نجم الدين الغيطى الشافعى (ت٩٨١هـ ـ ١٠٧٣م). التأييدات العلية للأوقاف المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية ، م ٤٢٨٥٤ ، فقه شافعى ١١٦٢ ، ورقة ٣ أ ، ب .

(٢) الاسحاقى : أخبار الأول ، مصدر سبق ذكره صـ ١٤٣ .

(٣) محمد عفيفى : الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد رقم (٤٤) ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م ، صـ ٢٧ .

(٤) ابن زنبل أحمد الرمال : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م صـ١٧٩ .

(٥) لانكرية : من علماء الحملة الفرنسية ـ النظام المالى والإدارى فى مصر فى العصر العثمانى ، الجزء الخامس من كتاب وصف مصر ، ترجمة زهير الشايب ودار الشايب القاهرة ١٩٩٢م ص ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٦) محمد عفيفى : مرجع سبق ذكره ص ٦٠ .

(٧) الغيطى : مصدر سبق ذكره ، ورقة ٣ أ ـ ٧ ب . محمد عفيفى : مرجع سبق ذكره صـ ٢٣٦.

(٨) تولى السلطنة (١٠٥٨ـ١٠٩٨هـ / ١٦٤٨ ـ ١٦٨٧م).

(٩) مدة ولايته (٥ ذى الحجة ١٠٧٤ـ غاية رمضان ١٠٧٧هـ / ٢٩ يونيو ١٦٦٤ـ ٢٦مارس ١٦٦٧م.

(١٠) إبراهيم الميمونى الشافعى : تيسير خالق الأراضى والسموات بما فى أرض مصر من الجوامك والعلوفات ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم ٢٨٧٤٧ ، تاريخ تيمور ١٤١٣ .

(١١) محمد بن يوسف جوربجي : صور الفرمانات الصادرة من أمراد الفرنسية فى مصر فى فترة الثورة ، مخطوطة بمكتبة سوهاج ، ص ص ٢٨، ٣٠ .

(١٢) دار الوثائق القومية : الدشت ، رقم ١٤٢ صـ ٣٤ بتاريخ رمضان ١٠٣١هـ ـ ١٦٢١م).

(١٣) تولى السلطنة (٩٨٢ ـ ١٠٠٤هـ / ١٥٧٤ ـ ١٥٩٦م) .

(١٤) الاسحاقى : مصدر سبق ذكره ، صـ ١٥٢ .

(١٥) وهو ما نراه أيضاً من السلطان محمد ابن السلطان مراد (١٠٠٤ـ ١٠١٢هـ/ ١٥٩٥ ـ ١٦٠٣م) الذى أولى اهتماماً خاصاً بالحرمين الشريفين وقاطنيهما ، إذ رتب حبوباً لفقراء الحرمين الشريفين وأوقف على ذلك قرى كثيرة . منها ما كان بنواحى البتنون ومليج، وشفوان بالمنوفية، والهيام، ومنية عجيل بهنوت بالغربية، ومنافين ومجول البيضة بالقلوبية وشلشمون بالشرقية ونقيطا ، وصهرجت المش بالدقهلية ونقليفة ، وبغتمين بالفيوم ، وصفت الحمارة وإهناس المدينة وكفر جيدره ، والقيس ، ونسوخ وريدة من الوجه القبلى حيث قدر ما يتحصل من تلك النواحى من الحبوب التى كانت ترسل إلى فقراء الحرمين الشريفين من تلك النواحى اثنا عشر ألف أردب ومن النقد ما جملته اثنا عشر كيساً ـ الاسحاقى : المصدر السابق، ص ص١٥٢ـ

(١٦) ١٥٣ أسماء حسن فهمى : مبادئ التربية الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٧، صـ٢٢ .

(١٧) أحمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٣م، صـ ٤٤ .

(١٨) عبد الله عزباوى : المؤرخون " العلماء فى مصر فى القرن الـ١٨م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م صـ ١٦ .
(١٩) رواه البخارى فى صحيحه .
(٢٠) أسماء فهى : مرجع سبق ذكره صـ ٢٢ .
(٢١) نفس المرجع صـ ٢٤ .
(٢٢) نقلا عن أسماء فهمى : مرجع سبق ذكره صـ ٢٤ .
(٢٣) عزباوى : مرجع سبق ذكره صـ ١٨ .
(٢٤) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر محمد على ، ط. مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٣٨م صـ١٤ .
(٢٥) دار الوثائق القومية : حجج أمراء وسلاطين ، حجة رقم ٣٦٢ ، ورقة ٢٩ ، تاريخ (١٠٨٦هـ ١٦٧٥م) .
(٢٦) دار الوثائق القومية : حجج أمراء وسلاطين ، محفظة رقم ٥١ حجة رقم ٣٤٩ . بتاريخ (صفر١٠٣٨هـ ـ ١٦٢٨م).
(٢٧) نفس الأرشيف : محافظ الدشت ، رقم ٢٠٦ صـ٢٨ تاريخ (جمادى الأول ١٠٩٩هـ١٦٨٨م).
(٢٨) نفسه : حجج أمراء سلاطين حجة رقم ٣٥٣ ، تاريخ ا رجب ١٠٠٧هـ .
(٢٩) عزباوى : مرجع سبق ذكره صـ ١٨ .
(٣٠) فمن ذلك ما نراه عندما قام قاضى القضاة بتعيين أحد الأيتام وهو الطفل رمضان على البحيرى بمكتب السلطان الإشراف برسباى عوضاً عن يوسف الدنوشرى الذى بلغ الحلم ، وذلك بناء عن التقرير الذى رفعه الأمير حسين بيك أمير اللواء السلطانى بمصر ، وناظر الوقف المذكور ، والمتضمن ذاك التقرير بشهادة الطبيب عليالزفتاوى الجرايحى بالبيمارستان ببلوغ يوسف المذكور ، دار الوثائق القومية : محافظ الدشت ، رقم ١٤٢ ص بتاريخ (١٠٣١هـ ١٦٢١م)
(٣١) انظر الملحق فى اصل الرسالة والذى يتضمن الإشارة إلى تلك الكتاتيب التى تم رصدها .
(٣٢) دار الوثائق القومية : حجج أمراء وسلاطين ، حجة ٣٤٣ بتاريخ (١٠٠٠هـ ـ ١٥٩١م)
(٣٣) نفس الأرشيف والمصدر : حجة ٣٦٦ بتاريخ (١٠٠٣هـ ـ ١٥٩٤م) .
(٣٤) نفسه : محكمة الباب العالى ، س ١١٩ ، ص ٢٧م ١٥١ بتاريخ (١٠٤٨هـ ـ ١٦٣٨م) .
(٣٥) نفسه والمحكمة : ص ١٧٠ ، ص ص ٣١٨، ٣٢١ ، م ١٠٧١ بتاريخ (١٠٩٢هـ ـ ١٦٨١م)
(٣٦) دار الوثائق القومية : حجج امراء وسلاطين ـ حجة رقم ٣٥٣ : (١٠٠٧هـ ـ ١٥٩٨م) .
(٣٧) نفس الأرشيف : محكمة الباب العالى س ٩٠ مكرر ، ص ١٣١ ـ ١٣٩ ، م ٦٢١ بتاريخ (١٠١٧هـ ـ ١٦٠٨م).
(٣٨) نفسه : نفس المصدر س٩٠ مكرر، صـ٩٣، م٤٥٤ بتاريخ (١٠١٧هـ ـ١٦٠٨م).
(٣٩) نفسه: نفس المصدر س ٩٢ ص ٣٥، م ١٨٠ بتاريخ (١٠١٩هـ ـ ١٦١٠م).

(٤٠) نفسه: نفس المصدر س

(٤١) نفسه:نفس المصدر س١٠٦ ، صـ ٢٤٧ ، م ٢٤٣ بتاريخ ١٠٣٤هـ - ١٦٢٤م).

(٤٢) نفسه : محكمة الباب العالى س١٠٦،صـ١٧٣،م٥٥٧ بتاريخ(١٠٣٤هـ - ١٦٢٤م)

(٤٣) نفسه : الدشت ، رقم ١٤٤ ، ص ٩٨ ، ١٠١ بتاريخ (١٠٣٦هـ - ١٦٢٦م).

(٤٤) نفسه : حجج أمراء وسلاطين ، حجة رقم ٣٦٥ بتاريخ (١٠٣٦هـ - ١٦٢٦م) .

(٤٥) نفسه والمصدر : محفظة برقم ٥١ حجة ٣٤٩ بتاريخ (١٠٣٨هـ - ١٦٢٨م).

(٤٦) نفسه : نفس المصدر - حجة رقم ٣٥٧ بتاريخ (١٠٤٣هـ - ١٦٣٣م).

(٤٧) نفسه : محكمة الباب العالى س١١٩ صـ١٩٠.م١٠٢٣ بتاريخ (١٠٤٨هـ - ١٦٣٨م).

(٤٨) نفسه : حجج أمراء وسلاطين حجة رقم ٣٦٢ بتاريخ (١٠٨٢هـ - ١٦٧١م).

(٤٩) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية ، س٢٤ ص ص١٨-٢٠ م٢٧ بتاريخ (١٠٠٩هـ - ١٦٠٠م).

(٥٠) نفس الأرشيف : محكمة الباب العالى س ٧٥، ص ص ٤١٣ ، ٤٢٢م ٦٧٥ بتاريخ (١٠١٠هـ - ١٦١٠م).

(٥١) نفسه: محكمة القسمة العسكرية س ٤٢ ص ص ٢٩٤ - ٢٩٩ - م٤٨٩ بتاريخ (١٠٤١هـ ١٦٣١م)

(٥٢) نفسه: الدشت ، رقم ٢٠٦، صـ ٢٨٠ بتاريخ (١٠٩٩هـ - ١٦٨٨م).

(٥٣) على مبارك : مرجع سبق ذكره جـ صـ ١٦٨ .

(٥٤) نفس المرجع : جـ ٥ صـ ٦٨ .

(٥٥) نفسه : جـ ٥ صـ ١٧١ .

(٥٦) نفسه : جـ٥ صـ ١٨٣ .

(٥٧) نفسه : جـ٥ صـ ١٧٤ .

(٥٨) نفسه : جـ٥ صـ ١٧٨ .

(٥٩) نفسه : جـ٥ صـ ١٨٣ .

(٦٠) فمن ذلك مثلاً ما نراه فى كتاب الشيخ الإمام زين الدين عبد اللطيف المعروف بأبى يونس القرافى الذى قرر فيه خمسة أطفال، إذ نراه قد قرر للمؤدب راتب شهرى يقدر بعشرة أنصاف فضه ، كما قرر لكل من المؤدب والأطفال الخمسة فى كل سنة ثمن كسوه تقدر بمائه وثمانون نصفاً من الفضة ، إضافة إلى ثلاثين نصفاً توزع عليهم جميعاً حين استلامهم لهذه الكسوة .هذا فى حين أننا نجد أن العلاى مغلطاى الجمالى عندما انشأ مكتبة كان قد قرر فيه عشرين طفلاً ، وقد قرر للمؤدب راتب شهرى قدره ثلاثون درهماً ، وفى كل يوم خمسة أرطال من الخبز - (أربعة أرغفة) ولكل طفل فى كل يوم رطلان من الخبز ، وثمن درهم ، كما قرر للأطفال العشرين فى كل سنة كسوتان ، واحدة فى الصيف ، والأخرى فى الشتاء هذا بخلاف ما قرره من ثمن ورق،

ومداد ، ودوى ، وأقلام يستعملها الأطفال ومؤدبهم فى العملية التعليمية .

(٦١) فمن تلك الحالات ما قام به الأمير جعفر بن فرهاد من أمراء الجراكسة الذى حدد اجرة مؤدب ولديه - الأمير محرم ، والأمير مصطفى - وقدرها (أربعمائة وثمانون باره وذلك تحت وصاية الأمير نصوح من أمراء الجراكسة أيضاً . دار الوثائق القومية محكمة القسمة العسكرية س٤٥ صـ ٨٠٦ م١٣ تاريخ (القعدة ١٠٤٥هـ - ١٦٣٥م). س٦٦ صـ ٣٩٨ . م ٤٢٨ بتاريخ (١٠٧٤هـ - ١٦٦٣م).

(٦٢) نقلا من صلاح هريدي : التعليم في مصر في القرن الثامن عشر ، الإسكندرية ١٩٩٩م ص٤١.

(٦٣) من أمثلة ما أوقف على زاوية الخلوتية يرجع إلى دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية، س٢٥،ص ص٤٨٨- ٤٩٠ ،م ٨٦٦ بتاريخ (١٠١٤هـ - ١٦٠٥م). س٦١، ص ص ٩٩-١٠٠ ، م ١٨١، ص٤٨٠،م٧٥٤ بتاريخ (١٠٦٥هـ -١٦٥٤)م . محكمة الباب العالى، س ٨٤، ص٣٤١، م١٦٦٤ بتاريخ (١٠١٣هـ - ١٦٠٤م). س٨٧،ص١٨٢،م٧٢٩ بتاريخ (١٠١٦هـ - ١٦٠٧م)

(٦٤) أما فيما يتعلق بزاوية سادات بنى الوفا - يرجع إلى نفس الأرشيف : محكمة القسمة العسكرية، س٧٠،ص ص٦٧٤ - ٦٨٣ ،م ٧٢٣ بتاريخ(١٠٨٣هـ -١٦٧٢م) .محكمة القسمة العربية، س١٨، ص ص ١٧ - ١٨ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٥ ، مواد ٣٠ - ٣٩ - ٤٢ .

(٦٥) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى س٨٢ ص١٣٧ م٧٥٤ تاريخ القعدة (١٠١٢هـ - ١٦٠٢م).

(٦٦) نفس الأرشيف والمحكمة: س ٨٢، ص٣٩٦ . م ١٩٧٤ بتاريخ ربيع الأول (١٠١٣هـ - ١٦٠٣م).

(٦٧) نفس الأرشيف والمحكمة: س ٨٤ / ص ٤٥١ م ٢٦٦٩ تاريخ (القعدة ١٠١٣هـ - ١٦٠٣م).

(٦٨) نفس الأرشيف والمحكمة : س٨٤ ، ص ٤٥٢ م ٢٢٨٠ تاريخ القعدة (١٠١٣هـ - ١٦٠٣م).

(٦٩) نفس الأرشيف والمحكمة : المصدر س ١٠٥ ، صـ ٢٧٥ م ٩٩٦ تاريخ (صفر ١٠٣٤هـ - ١٦٢٤م). نفسه: الدشت ، رقم١٧٧ ، ص ٥٨٩ بتاريخ ربيع الأول (١٠٦٨هـ - ١٦٥٧م).

(٧٠) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية، س٢٦ ، ص ص ١٠٣ - ١٠٨، م ٢٠٩ بتاريخ (محرم١٠١٥هـ - ١٦٠٦م).

(٧١) وكانت هذه الزاوية تقع ظاهر القاهرة خارج بابى زويلة والخرق فيما بين قنطرة آق سنقر، ودرب الجماميز بظاهر درب البرناق، وقد اشتملت تلك الزاوية على محراب، وبير ماء معين ، وثلاثة مراحيض وغير ذلك نفس الأرشيف والمحكمة س٦٨ ، ص ص١٠٩ - ١١١، م ١٨٠ بتاريخ(١٠٨٠هـ - ١٦٦٩م).

(٧٢) المقريزى : مصدر سبق ذكره جـ ٤ صـ ٢٧١ .

(٧٣) على مبارك :مرجع سبق ذكره جـ١ ص ص ٨٩ - ٩٠ .

(٧٤) صلاح هريدى: مرجع سبق ذكره ، ص ٤٠ .

(٧٥) المقريزى : مصدر سبق ذكره جـ ٤ ص ص٢٧٣ - ٢٧٥ .

(٧٦) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية، س٤٦ ص ص ٢٠٩ - ٢١١ ، م٣٩١ بتاريخ

(القعدة ١٠٤٧هـ ـ ١٦٣٧م). محكمة الباب العالى ، س ١٥١ ، ص ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، م ١٠٧٨ بتاريخ جمادى الأول ١٠٨١هـ ـ ١٦٧٠م).

(٧٧) نفس الأرشيف والمصدر: س ٨٦ . ص ٣٢٨ ، م ١٧٥٨ بتاريخ (صفر ١٠١٦هـ ـ ١٦٠٧م).

(٧٨) نفس الأرشيف والمصدر: س ٨٦ ، ص٣٣١ ، م ١٧٧٣ بتاريخ (صفر ١٠١٦هـ ـ ١٦٠٧م).

(٧٩) أحمد شلبى :التربية ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٢ .

(٨٠) سعيد عبد الفتاح عاشور : العلم بين المسجد والمدرسة ، بحث ضمن كتاب ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين العدد (٥١) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ م ص٩٨

(٨١) المقريزى : الخطط ، مصدر سبق ذكره ، جـ٤، ص ص٣٦ ـ ٤٢ .

(٨٢) الحنبلى : نزهة الناظرين ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٧ .

(٨٣) دار الوثائق القومية:محكمة الباب العالى س٨٢، ص٣٠٧م ١٤٧٤ مكرر (صفر١٠١٣هـ ـ ١٦٠٤م)

(٨٤) نفس الأرشيف والمحكمة س٨٦،صـ٦١،م٤١٣تاريخ (شوال ١٠١٥هـ ـ١٦٠٦م)

(٨٥) نفس الأرشيف والمحكمة س٨٧،صـ٤٣، م١٧٦ تاريخ(ربيع الأول ١٠١٦هـ ـ١٦٠٧م).

(٨٦) نفس الأرشيف والمحكمة س١٢٣،صـ٢٧٣،م١٣٩٨ تاريخ(شوال١٠٥٦هـ ـ ١٦٤٦م).

(٨٧) نفس الأرشيف والمحكمة س٨٢،صـ٢٤٩، م١٢١١ تاريخ(محرم ١٠١٣هـ ـ ١٦٠٤م).

(٨٨) نفس الأرشيف والمحكمة س٨٤،صـ٣٠٩،م١٤٦٠ تاريخ(شعبان ١٠١٣هـ ـ ١٦٠٤م).

(٨٩) نفس الأرشيف والمحكمة س٨٦، صـ٨٣، م٥٤٩ تاريخ (شوال ١٠١٥هـ ـ ١٦٠٦م).

(٩٠) نفس الأرشيف والمحكمة س٧٩،صـ١٣٥،م٦٢٧ تاريخ (رمضان ١٠١١هـ ـ١٦٠٢م).

(٩١) المقريزى : مصدر سبق ذكره ، جـ٤ ،ص١٠٥ .

(٩٢) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى، س ١١٩ ، صـ ١٢٥ ، م ٦٥٧ بتاريخ (ربيع الثانى ١٠٥٦هـ ـ ١٦٤٦م).

(٩٣) نفس الأرشيف والمحكمة، س٨٦، ص٤٤،م٢٨٨. (رمضان ١٠١٥هـ ١٦٠٦م).

(٩٤) نفس الأرشيف: محكمة القسمة العسكرية، س٣٩ ، ص ص١٥٤ ـ ١٥٥ ،م ٢٣١ بتاريخ (ربيع الأول ١٠٣٦هـ ـ ١٦٢٦م)، س ٤٢ ص٥٥١ ، م ٩٨١ بتاريخ (رجب ١٠٤٢هـ ـ ١٦٣٢م). س ٥٠ ص ١٨٣ ، م ٢٤٣ بتاريخ (محرم ١٠٥٣هـ ١٦٤٣م).

(٩٥) البكرى : الكواكب السائرة ، مصدر سبق ذكره، ص١٩ .

(٩٦) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية، س ٢٤، ص٣٥ـ٣٦، م٥٧ تاريخ (١٠٠٨هـ ـ ١٥٨٩م).س٦٢ ص٤٤٨ ـ ٤٤٩.م ٦٦٠ تاريخ(١٠٦٧هـ ـ ١٦٥٦م). س٦٦، ص٤٧٣. م٥٠٥ تاريخ (١٠٧٤هـ ـ ١٦٦٣م). س ٧٦ ص ص٩٣ ـ ٩٤ م١٣٥ تاريخ(١٠٩١هـ ـ ١٦٨٠م) س٧٧ ص ص٨٢ ـ٨٣ م٧٥ تاريخ (١٠٩٣هـ ـ ١٦٨٢م). س٧٨ صـ١٣ ،م ١٦٢تاريخ (١٠٩٦هـ ـ

١٦٨٥م). س ٨١ صـ٣١٢. م٤٥٣ تاريخ (١٠٩٩هـ ـ ١٦٨٨م). نفس الأرشيف ، الدشت ، رقم ٢٠٤ ص ص٤٠١ ـ ٤٠٢ تاريخ (١٠٩٥هـ ـ ١٦٨٤م). وغير ذلك الكثير .

(٩٧) نفس الأرشيف : محكمة القسمة العربية س٤٢ ، صـ ٢٠١ ، م ٣٠٥ تاريخ (ربيع الأول ١٠٦٣هـ ١٦٥٢م).

(٩٨) نفس الأرشيف : محكمة الباب العالى س ٩٤ ، صـ١٥٧، م٧٢٨ بتاريخ (ربيع الأول ١٠٢١هـ ـ ١٦١٢م).

(٩٩) نفس الأرشيف: الدشت ـ رقم١٩٨ ، ص٨٠٢ بتاريخ (رجب ١٠٨٧هـ ـ١٦٧٦م).

(١٠٠) نفس الأرشيف: محكمة الباب العالى، س١٢٣،صـ٣٤٥، م١٦٦١ بتاريخ(الحجة ١٠٥٦هـ ـ ١٦٤٦م).

(١٠١) نفس الأرشيف: والمحكمة س٨٢،صـ١٩٢، م٩٢٨ بتاريخ (الحجة ١٠١٢هـ ـ١٦٠٣م).

(١٠٢) نفس الأرشيف :والمصدر س٨٢ صـ٢٥١.م١٢٢١ بتاريخ (محرم ١٠١٣هـ ـ ١٦٠٤م)

(١٠٣) دار الوثاق القومية: محكمة الباب العالي س١٢٣ـ صـ٤٨، م٢٧٤ بتاريخ (صفر ١٠٥٦هـ ١٦٤٦م).

(١٠٤) الحموى : فوايد الارتحال . مصدر سبق ذكره جـ٣ صـ٢٥٥ .

(١٠٥) نفس المصدر : جـ٣ ص ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ .

(١٠٦) نفسه : جـ٣ ص ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ .

(١٠٧) نفسه : جـ ٣ ص ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ .

(١٠٨) عبد العزيز الشناوى: الأزهر جامعاً ـ مرجع سبق ذكره.جـ١ ص ص١٠٥ـ١٠٦

(١٠٩) وهى التى تعرف بدار الحديث الكاملية أنشأها السلطان الملك ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى بن مروان فى سنة ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) وكان موضع المدرسة سوقاً للرقيق ، ودارا تعرف بابن كستول ـ المقريزى : مصدر سبق ذكره، جـ٤ ،ص٢١١ .

(١١٠) هى بشارع الصليبيه تجاه جامع شيخو ـ أنشأها الأمير شيحو العمرى سنة ٧٥٦هـ (١٣٥٥م) ـ على مبارك :مرجع سبق ذكره ،جـ٦ صـ ٢٠ .

(١١١) هذه المدرسة كانت بظاهر مدينة مصر تجاه المقياس بخط كرسى الجسر . أنشأها كبير الخراربية بدر الدين محمد ابن محمد بن على الخروبى ـ التاجر فى مطابخ السكر وغيرها ـ كان ـ عام ٧٥٢هـ (١٣٥١م).المقريزى جـ٤ صـ ٢٠٢

(١١٢) عبد العزيز الشناوى : مرجع سبق ذكره جـ١ صـ ١٠٦ .

(١١٣) وهى التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٤١هـ (١٢٤٣م). ورتب فيها دروساً للمذاهب الأربعة ـ ويعد هو أول من عمل بديار مصر دروساً أربعة فى مكان واحد ـ المقريزى : ج٤ ص ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

(١١٤) وهى التى إنشائها الست خوندتتر الحجازية ابنه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ـ زوجة الأمير بكتمر الحجازى سنة ٧٦١هـ (١٣٥٩م). للمزيد يرجع للمقريزى جـ٤ ص ص٢٢٢

- ٢٢٣ .

(١١٥) وهى التى بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار ونقيب الجيوش فى سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٤م). حيث جعلها مدرسة وخانقاه، وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية - المقريزى جـ٤ صـ ٢٤٨ .

(١١٦) هى التى بناها الأمير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى سنة ٧٣٠هـ (١٣٢٩م). حيث جعلها مدرسة للحنفية، وخانقاه الصوفيه . للمزيد يرجع إلى المقريزى جـ٤ ص ص ٢٣٧ - ٢٤٠ .

(١١٧) دار الوثائق القومية: محكمة القسمة العسكرية س١٩، صـ١٦٨، م٢٨٤ تاريخ (١٠٠٤هـ - ١٥٩٥م).

(١١٨) نفس الأرشيف والمحكمة، س٥٩ صـ٢٥٢ ، م٢٣٧ بتاريخ (صفر١٠٦٢هـ - ١٦٥١م).

(١١٩) راجع الملحق رقم (٢) بأصل الرسالة.

(١٢٠) دار الوثائق القومية: محكمة مصر القديمة، س١٠٢، صـ ٢٥٦ ، م٦٥٩ بتاريخ (ربيع الثانى ١٠٧٠هـ - ١٦٥٩م).

(١٢١) نفس الأرشيف : محكمة الباب العالى، س٨٤،صـ ٤١٧ ، م٢٠٧٥ بتاريخ (شوال١٠١٣هـ - ١٦٠٤م). س١٠٦ ، صـ٢٠٠ ، م ٨٢ بتاريخ (ربيع الثانى١٠٣٥هـ - ١٦٢٥م).

(١٢٢) دار الوثائق القومية : محكمة مصر القديمة س١٠٢ صـ٣٣٣ م٨٥٢ بتاريخ(ربيع الأول ١٠٧١هـ - ١٦٦٠م).

(١٢٣) سورة البقرة، أية ١١٤ .

(١٢٤) دار الوثائق القومية: محكمة مصر القديمة، س١٠٤ ص٤٧٢، م١٨١٩ بتاريخ (جمادى الأولى ١٠٨٨هـ ١٦٧٧م).

(١٢٥) فس الأرشيف: محكمة القسمة العسكرية، س١٨ ص ص١٧-١٨ م٣٠ بتاريخ (ذو القعدة ١٠٠٠هـ - ١٥٩١م).

(١٢٦) فس الأرشيف والمحكمة ،س٣١صـ٢٠٦، م٢٥٢ بتاريخ(جمادى الأخر ١٠٢٤هـ - ١٦١٥م)

(١٢٧) نفس الأرشيف والمحكمة، س٢٠ص١٣٨، م٣١٧ بتاريخ(١٠٠٦هـ - ١٥٩٧م). س٣٨ ص ص٣١٠-٣١١ م٤٠٦ بتاريخ (١٠٣٥هـ - ١٦٢٥م).

(١٢٨) نفس الأرشيف والمحكمة، س٥٣ ص ص ٢٩-٣٠ م٤١ بتاريخ (ربيع الأول ١٠٥٦هـ - ١٦٤٦م).

(١٢٩) نفس الأرشيف والمحكمة ، س٦١ ص ص٤٢١-٤٢٢ ،م٧٣٢ بتاريخ (شعبان ١٠٦٥هـ - ١٦٥٤م).

(١٣٠) نفس الأرشيف محكمة جامع الحاكم، س٥٦٦ص١٠٠، م٤٣٨ بتاريخ (١٠٥٠هـ-١٦٤٠م)

(١٣١) نفس الأرشيف محكمة القسمة العسكرية، س٦٢ ص ص٥٤٧-٥٤٨ م٥٨٨ (شوال ١٠٦٧هـ - ١٦٥٦م).

(١٣٢) نفس الأرشيف والمحكمة ، س٦٥ ص ص٥٠٣ـ٥٠٤ ، م٧٥٩ بتاريخ (جمادى الأخر ١٠٧٢هـ ـ ١٦٦١م).

(١٣٣) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالى س١٠٥ صـ٤٥ م١٧٣ تاريخ(١٠٣٣هـ ـ ١٦٢٣م).الحموى: فوايد الارتحال ـ مصدر سبق ذكره جـ١ ص ص٨٦،٨٧ .

(١٣٤) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى س ١٦٢ صـ ٤٣ م ١٧٣ تاريخ (شوال ١٠٨٧هـ ـ ١٦٧٦م).

(١٣٥) دار الوثائق القومية: محكمة القسمة العسكرية س٥، ص ص٣٧٢ـ٣٧٤ م٥٣٠ تاريخ (رمضان ١٠٤٨هـ ـ ١٦٣٨م).

(١٣٦) مدة ولايته٢٢ ربيع الأول ١٠٦١هـ ـ ٥شوال ١٠٦٢هـ/ ١٥مارس١٦٥١م ٩سبتمبر ١٦٥٢م

(١٣٧) عقبة بن عامر الجهينى: حامل راية الرسول(سكن مصر وكان والياً عليها من قبل معاوية وكان قارئاً وفقيهاً وشاعراً (ت٥٨هـ ـ٦٨٧م) ودفن بمصر فى مقرتها خارج المقطم ـ على مبارك :مرجع سبق ذكره جـ٥ صـ ٥٦ .

(١٣٨) جامع محمد باشا أبو النور ، يوجد هذا الجامع بخط الخليفة ، بالقرب من مسجد السيدة سكينة عن يمين الذاهب إلى القرافة الصغرى ، مبارك : المرجع السابق جـ٥ ، ص ٢٣٢ .

(١٣٩) جوامك : فارسية اصلها " جامه " والجامكية فى اصطلاح النظم العثمانية تعنى بالجراية الشهرية تعطى من غلة الوقف ، فهى من ناحية أجر، ومن ناحية منحة ـ تأصيل الدخيل ، مرجع سبق ذكره صـ٥٩ .

(١٤٠) يوسف الملوانى الشهير بأبن الوكيل : تحفة الأحباب عن ملك مصر من الملوك والنواب تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٨٧ م ، ص ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(١٤١) مدة ولايته: ٢٧صفر١١٠٧هـ ١٢رجب١١٠٩هـ ٧أكتوبر١٦٩٥م ،٣فبراير ١٦٩٨.

(١٤٢) الملوانى : المصدر السابق ص٢١٨ ، مصطفى الحاج : مختصر تاريخ مصر ، مصدر سبق ذكره صـ ٩٤، على مبارك : مرجع سبق ذكره ،جـ٣ صـ ٣٠٢ .

(١٤٣) هذه المدرسة بخط المشهد الحسينى من القاهرة بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره ، وعمل فيها درساً للفقهاء الشافعية ، وخزانة كتب معتبرة . المقريزى : الخطط ، جـ٤ ، ص ٢٣٧ .

(١٤٤) هذه المدرسة بدرب ملوخيا من القاهرة بناها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بجوار داره فى سنة ٥٨٠هـ(١١٨٤م). ووقفها على طائفتى الفقهاء الشافعية والمالكية، وجعل فيها قاعة للإقراء ـ للمزيد يرجع إلى المقريزى : المصدر السابق ، جـ ٤٥ ص ص١٩٧ ـ ١٩٩ .

(١٤٥) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية ، س٦٩ ، ص ص٢٤٠ـ٢٤٧ م٣٩٠ بتاريخ (شوال ١٠٨١هـ ـ ١٦٧٠م).

(١٤٦) دار الوثائق القومية محكمة القسمة العسكرية : س٦٥ ص ص ٤٠٤ـ ٤٠٧ م ٦٤٠ تاريخ (صفر ١٠٧٢هـ ـ ١٦٦١م).

(١٤٧) نفس الأرشيف والمحكمة س٦٦، ص ص٣٨١-٣٨٢ ، م٤٠٣ بتاريخ (جمادى الأخر ١٠٧٤هـ - ١٦٦٣م).

(١٤٨) نفس الأرشيف : محكمة القسمة العربية، س٧٦ ، ص ص ١٦٨ - ١٦٩ م٢٣٦ تاريخ (محرم ١١٠١هـ - ١٦٩٠م).

(١٤٩) وذلك ما نراه فى قائمة مخلفات الشيخ العالم محمد أحمد القادرى ، مفتى السادة الشافعية بأسيوط إذ نجد أنها خالية تماماً من أى كتاب - نفس الأرشيف سجلات محكمة مديرية أسيوط ، أوقاف ومبايعات رقم ٨ ص ص ٣٣٤ - ٣٣٦ م ٨٩٧ .

(١٥٠) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى، س٧٦ ، ص١٤٩ م٥٣٢ تاريخ (شعبان ١٠١٠هـ - ١٦٠١م

(١٥١) دار الوثائق القومية - محكمة الباب العالى، س ٨٢ صـ ٥١ ، م١٨٨ بتاريخ (رمضان ١٠١٢هـ - ١٦٠٣م).

(١٥٢) نفس الأرشيف والمحكمة، س٨٧ صـ ١٤٨ ، م٦٢٥ بتاريخ (ربيع الأول ١٠١٦هـ - ١٦٠٧م). وتقع هذه المدرسة بشارع الحجر بآخر درب اللبانة - أنشأها جوهراللالا عام ٨٣٢هـ (١٤٢٨م). على مبارك : جـ٦ ، ص ١٢ .

(١٥٣) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى، س١٠٧ ، صـ ٤٥ ، م١٨٣ تاريخ (ربيع الأول ١٠٣٥هـ - ١٦٢٥م). وتقع هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء الفاطميين من جملة القصر الكبير الشرقى الذى كان داخل دار الخلافة بناها الطواشى الأمير سابق الدين مثقالى الأنوكى ، مقدم المماليك السلطانية الاشرفيه ، وذلك فى العقد السابع من القرن الثامن الهجرى - وقد جعل بها درساً للشافعية ، والقراءات وخزانة كتب - المقريزى : الخطط ، جـ٤ ، ص ٢٤٠ .

(١٥٤) دار الوثائق القومية : الدشت ، رقم ١٤٥ ، صـ ١٥٥ ، تاريخ (القعدة ١٠٣٧هـ - ١٦٢٧م). وهى تنسب إلى الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى سنة ٧٥٦هـ (١٣٥٥م) وتقع خارج القاهرة بجوار جامع الأمير أبى العباس أحمد بن طولون وقد جعل الأمير صرغتمش هذه المدرسة للحنفية كما رتب بها درسنا للحديث النبوى - المقريزى : جـ ٤ ص ص ٢٥٦ - ٢٥٨ ، وتلك المكتبة وقف من شيخ الإسلام أحمد افندى قاضى المدينة فى زمنه - ١٤٥دشت - مصدر سبق ذكره .

(١٥٥) دار الوثائق القومية : الدشت رقم ١٤٥ صـ ١٣٢ تاريخ (١٠٣٧هـ - ١٦٢٧م).

(١٥٦) دار الوثائق القومية : الدشت ، رقم ١٤٦ ، ص ٢٧٦ تاريخ (رمضان ١٠٣٨هـ ١٦٢٨م). وتقع هذه المدرسة بخط بين القصرين فى شارع النحاسين عند جامع المارستان المنصورى بين مدرستى الناصرية والكاملية ، أنشأها السلطان الظاهر برقوق سنة ٨٠٨هـ (١٤٠٥م) للمزيد يرجع لعلى مبارك :جـ ٦ ص ص ٧ - ٨.

(١٥٧) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالى س١١٩، صـ٣١٨، م١٦١٩تاريخ (صفر ١٠٤٩ هـ -

١٦٣٩م). وهى التى تعرف بجامع السلطان حسن، وهو السلطان الملك الناصر أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاوون وقد أبتدأ العمل فيه سنة ٧٥٧هـ (١٣٥٦م). واستمر العمل طيلة ثلاث سنوات وأرصد لمصروفها فى كل يوم عشرين ألف درهم قيمتها نحو ألف مثقال ذهباً، إلى الدرجة التى دفعت السلطان حسن يقول: لولا أن يقال ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه، ولذا جاء كما يقول المقريزى: "فى أكبر قالب واحسن هندام،واضخم شكلاً، فلا يعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذا الجامع. وللمزيد فى ذلك يرجع إلى المقريزى ج ٤ ص ص١١٧ ـ ١٢٠.

(١٥٨) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى، س١٨٩ ، ص ص ١٧٩ ـ ١٨١ .م ٨١٨.وسوف تقوم الدراسة بالإشارة إلى كتب تلك المكتبة ضمن الملاحق المدرجة بها يرجع إلى أصل الرسالة.

(١٥٩) من هؤلاء عبد الرحمن الرافعى: تاريخ الحركة القومية ، مرجع سبق ذكره ص٤٨.

(١٦٠) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية س ٦٦ صـ ٥٧ م ٨١ تاريخ (ربيع الأخر ١٠٧٣هـ ـ ١٦٦٢م).

(١٦١) نفس الأرشيف : حجة وقفية الكتب لجعفر الرومى ، رقم ٣٥٦ بتاريخ (القعدة ١٠٠٨هـ ـ ١٥٩٩م).

(١٦٢) دار الوثائق القومية: محكمة القسمة العسكرية، س ٦٧ ، ص ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، م ٣٠٠ بتاريخ (محرم ١٠٧٨هـ ـ ١٦٦٧م).

(١٦٣) نفس الأرشيف والمحكمة ، س٣٤ ، ص ص ٣٩ـ٤٠ ، م٥١ بتاريخ (رمضان ١٠٢٨هـ ـ ١٦١٨م) س٣٥ ص ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩ م٣٦٨ ، تاريخ القعدة ١٠٣١هـ ـ ١٦٢١م.

(١٦٤) نفس الأرشيف : حجة وقف كتب جعفر الرومى ، مصدر سبق الإشارة إليه .

(١٦٥) نفس الأرشيف : محكمة القسمة العسكرية، س٢٥ ص ص٨٣ـ ٨٤ ، م١٤٥ ، تاريخ (المحرم ١٠١٢هـ ـ ١٦٠٣م).

(١٦٦) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية س٦١ ص ص ٤٨ ٥٠ ، م ١٠٤ بتاريخ (رمضان ١٠٦٤هـ ـ ١٦٥٣م).

(١٦٧) نفس الأرشيف: والمحكمة ، س ٧٧ ص ص٣٧٩ـ ٣٨٢ ،م٤ تاريخ (صفر ١٠٩٤هـ ـ ١٦٨٣م).وسوف تقوم الدراسة إلى الإشارة إلى تلك المكتبة ضمن الملاحق.

(١٦٨) نفس الأرشيف : والمحكمة، س٢٣ ،ص٤٥٠، م ٨٧٧ ، تاريخ (حمادى الأخره ١٠١٠هـ ١٦٠١م).

(١٦٩) محمد عاطف غيث: القرية المتغيرة، دار المعارف ـ مصر ـ الأولى ١٩٦٢م، صـ ٣٠ .

(١٧٠) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ط/ جامعة عين شمس ١٩٧٤م ، صـ ٢٣١ .

(١٧١) محمد عاطف غيث : مرجع سبق ذكره ،صـ ٣١ ـ ٣٢ .

(١٧٢) عبد الرحيم : الريف المصرى ، مرجع سبق ذكره ، صـ ٢٣٣ .

(١٧٣) نفس المرجع ص ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

(١٧٤) قال أبو بكر العياشى ، الذى زار مصر سنة ١٠٣٢هـ (١٦٢٢م) يصف مدينة دمياط : " هى مدينة كبيرة ممتدة على ساحل النيل . ذات مساجد كثيرة ، وأسواق حافلة ، وخانات عامرة ، ومرسى عجيب ، غصت بها السفن الكبار ، والقوارب الصغار ـ فيها من أنواع الفواكه والثمار، وصفوف الأطعمة ما لا يكاد يوجد فى غيرها .." العياشى :مصدر سبق ذكره، جـ٢ صـ٣٥٦ .

(١٧٥) دار الوثائق القومية : محكمة دمياط ، س١٣٠ ، ص ٤٥ ، م ٨٨ تاريخ (جمادى الأول ١٠٨٥هـ ـ ١٦٧٤م).

(١٧٦) نفس الأرشيف والمحكمة ، س ١٠٠ ، ص ٦٢ ، م ٢٠١ تاريخ (شعبان ١٠٥٩هـ ـ ١٦٤٩م).

(١٧٧) نفس الأرشيف والمحكمة : س٨٥، ص ١١٤، م١٩٧ تاريخ (ربيع الأخر ١٠٤٩هـ ـ ١٦٣٩م).

(١٧٨) نفس الأرشيف والمحكمة، س٨٨ ، ص ٢٠٠ ، م٥٠٦ ، تاريخ (١٠٥٢هـ ـ ١٦٤٢م).

(١٧٩) نفس الأرشيف والمحكمة، س١٠٠ ، صـ١٧ ، م ٥٣ تاريخ الحرم ١٠٦٠هـ١٦٤٩م). وهى تكية العارف بالله جمال الدين الصاروخى الكائنة مكاناً بالجبانة الكبرى بالثغر س٩٨ صـ٦٣ م١٣١ تاريخ .

(١٨٠) دار الوثائق القومية محكمة دمياط س،١٠٠ ص١٨ م٥٩ تاريخ(صفر١٠٦٠هـ ، ١٦٤٩م).

(١٨١) العياشى مصدر سبق ذكره جـ٢ صـ ٣٥٦ .

(١٨٢) هو الشيخ محمد المعروف بابن النقيب البيروتى الشافعى، دخل دمشق أول مرة، وأخذ بها من علمائها، ثم رحل إلى مصر فأخذ بها عن أكابر علمائها، ثم درس بالأزهر، وأخذ عنه جمع كثير من العلماء المصريين والدمشقيين وكان يدرس فى أحد وعشرين علما ، ولا ينظر فى الكراس، وأقام يدرس فى الأزهر أربعين عاماً، ثم رحل إلى دمياط إلى أن توفى بها سنة ١٠٦٤هـ(١٦٥٣م). المحبى جـ٤ ص ص٣٠٦ـ٣٠٨ .

(١٨٣) فمن بين هؤلاء ، خمسين مجاوراً كانوا مستحقين فى أحد الأوقاف التى ارصدت على هذا الجامع ، وهو وقف الوزير سنان باشا ـ ومدة ولايته ٢٤شوال ٩٧٥هـ ـ ٩٧٦هـ / ٢٣ أبريل ١٥٦٧م. ١٥٦٨م) دار الوثائق القومية: محكمة دمياط، س٤٧ ـ ص ٣٨٣ ، م٧٨٤ بتاريخ (١٠١٨هـ ـ ١٦٠٩م).

(١٨٤) نفس الأرشيف والمحكمة: س١٠١ صـ٥٠ م ١٦١تاريخ(١٠١٦هـ ـ١٦٥٠م) ،س١٤٢ ص ص٤١٨ـ٤٢١ ، م٤٥٥ ، تاريخ(الحجة ١٠٩٤هـ ١٦٨٣م)، س١٤٥ ص ص١٩٩ ، ٢٠٠ م ٢٥٠ تاريخ(١٠٩٧هـ ـ ١٦٨٦م).

(١٨٥) المحبى : مصدر سبق ذكره ،جـ٤ ، ص ٣٠٦ .

(١٨٦) دار الوثائق القومية : محكمة دمياط، س٨٦، ص ٣١،م٧٤ تاريخ(١٠٥٠هـ ـ ١٦٤٠م). س٨٨ صـ٦٣ م١٤٣ تاريخ (١٠٥٣هـ ـ ١٦٤٣م)، س١٠١ ،ص٥٠ ،م١٥٧ تاريخ (١٦٠١هـ ـ

١٦٥٠م).

(١٨٧) نفس الأرشيف والمحكمة: س١٠١ ،ص٢٢٣ ، م٦٩ تاريخ(١٠٦١هـ-١٦٥٠م) ص ٢٤٧، م ٨١٩ بتاريخ (١٠٥٩هـ ١٦٤٩م).

(١٨٨) من ذلك وقف الحاج أحمد الذى كان يعرف بابن سعيد الشربينى - نفس الأرشيف والمصدر س٤٧ - ص-٣٥٠ م٧١٠ تاريخ(١٠١٧هـ - ١٦٠٨م).

(١٨٩) دار الوثائق القومية : محكمة دمياط ، س٨٦ ص، ٥٣ م١٤٤ بتاريخ(١٠٥٠هـ ١٦٤٠م)

(١٩٠) نفس الأرشيف والمحكمة س ٨٩ ، ص-١٩ م غير مرقمة تاريخ (١٠٥٣هـ - ١٦٤٣م)، س١٤٥ ص ص١٠٤-٢٠٥، م٢٥٧ بتاريخ (١٠٩٧هـ - ١٦٨٦م).

(١٩١) نفس الأرشيف والمحكمة س٤٢، ص-١٣٢، م٢٥٩ تاريخ (١٠١٠هـ - ١٦٠١م).

(١٩٢) نفس الأرشيف والمحكمة س٧٩، ص-٣٣، م٥٩ تاريخ (١٠٤٣هـ - ١٦٣٣م).

(١٩٣) نفس الأرشيف والمحكمة س٩٩، ص-٨٠، م١٧٨ تاريخ(١٠٦٠هـ -١٦٤٩م).

(١٩٤) نفس الأرشيف: محكمة الباب العالى س١١٩، ص١٥١، م٨٣٤ تاريخ (١٠٤٨هـ -١٦٣٨م).

(١٩٥) نفس الأرشيف: محكمة دمياط: س٤٢،ص-٥١، م١٠٤ بتاريخ (١٠٠٩هـ -١٦٠٠م)

(١٩٦) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالى، س١١٩،ص ١٠٣، م ٥٧٤ ، تاريخ (١٠٤٨هـ - ١٦٣٨).

(١٩٧) نفس الأرشيف :محكمة جامع الحاكم، س٥٦٦،ص٦٨، م٢٦٩ ، تاريخ(١٠٥٠هـ - ١٦٤٠م).

(١٩٨) نفس الأرشيف :محكمة دمياط، س٤٧،ص٨٢،م١٤٥ تاريخ(١٠١٨هـ - ١٦٠٩م).

(١٩٩) نفس الأرشيف والمحكمة:س٧٦،ص ص٧٦-٧٧، م٢٢ تاريخ(١٠٤٠هـ - ١٦٣٠م)

(٢٠٠) نفس الأرشيف والمحكمة: س٤٢،ص-١١٩،م٢٣٣ تاريخ(الحجة ١٠١٠هـ - ١٦٠١م).

(٢٠١) نفس الأرشيف والمحكمة : س٨٠، ص م١٩٣ تاريخ (١٠٤٦هـ-١٦٣٦م).

(٢٠٢) نفس الأرشيف والمحكمة: س١٠٠،ص٢٥،م٨٦ تاريخ (١٠٦٠هـ - ١٦٤٩م).

(٢٠٣) نفس الأرشيف والمحكمة: س٤٧، ص٧٠،م١٢٠ تاريخ(١٠١٨هـ - ١٦٠٩م).

(٢٠٤) نفس الأرشيف والمحكمة س١٣٨،ص٤١،م٦٠ تاريخ(١٠٩١هـ - ١٦٨٠م).

(٢٠٥) نفس الأرشيف والمحكمة س١٤٥،ص٢٥٣، م٣١٢ تاريخ(١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م).

(٢٠٦) نفس الأرشيف والمحكمة: س٤٧،ص٢٨٦،م٥٧١ تاريخ (١٠١١٧هـ - ١٦٠٨م).

(٢٠٧) نفس الأرشيف والمحكمة: س٨٨،ص٢٠٩،م٥١٧ تاريخ(١٠٥٢هـ - ١٦٤٢م).

(٢٠٨) دار الوثائق القومية محكمة دمياط س١٠١،ص- ٢٠٧ ، م٦٤١ (١٠٦١هـ-١٦٥٠م). وكما هو واضح أن هذا الأمير قد سلك ما سلكه أسلافه من سلاطين وأمراء المماليك من الأنفاق على التعليم وإنشاء مؤسساته التعليمية فقد سبقت الإشارة إلى قيامه بإنشاء مدرسة أخرى بالقاهرة - انظر ص ١٤١ من نفس الفصل .

(٢٠٩) فمن ذلك ما وقفه شمس الملة والدين أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن على نور الدين الذى

كان يعرف بابن الصباغ المغنى الشافعى ، من ماله على كل من مسجد الشهداء ، والمدرسة القاسميه ، وزاوية أبو العباسى الحرينى وسبيل الشيخ أحمد الملباوى - نفس الأرشيف والمحكمة س٨٦، ص ص ٢٧-٢٨ م٦٤ تاريخ(١٠٥٠هـ - ١٦٤٠م). وما أوقفه محمد ابن الخولى رمضان من ماله على المدرسة المتبولية س١٤١ صـ٣٢، م٤٢ تاريخ(١٠٩٣هـ - ١٦٨٢م).

(٢١٠) فمن ذلك إنشاء المغاربة زاالوية لهم يتجمعون فيها أثناء موسم الحج، وهى زاوية الشيخ محمد أبو صالح المغربى المصمودى الكاينة بالإسكندرية من الجهة الغربية دار الوثائق القومية - محكمة الإسكندرية س٤٦، صـ٢٢٩، م٥٨٠ تاريخ (١٠٥٣هـ-١٦٤٣).

(٢١١) نفس الأرشيف : الدشت رقم ١٤٧، صـ ٢٧ تاريخ (١٠٣٩هـ - ١٦٢٩م).

(٢١٢) نفس الأرشيف : محكمة الإسكندرية س٥٣، صـ٣٨٤/ م٧٣٩ تاريخ ١٠٨٣هـ ١٦٧٢م). س٥٧ صـ٥٤ م١١٨ (١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م) نفسه صـ١٧٧، م٤٢٣ تاريخ (١٠٩٩هـ-١٦٨٨م).

(٢١٣) دار الوثائق القومية محكمة الإسكندرية: س٣٥، صـ١٤٥،م٣٨٤ تاريخ(١٠١٣هـ - ١٦٠٤م).

(٢١٤) نفس الأرشيف والمحكمة: س٣٧،صـ٢٢، م٩٠ تاريخ (١٠٢٠هـ - ١٦١١م).

(٢١٥) نفس الأرشيف والمحكمة: س٤٢، ص٢٩٦، م ٩١٦، تاريخ(١٠١٥هـ - ١٦٠٦م) - س٤٦ صـ٣٧٤ بدون ترقيم تاريخ (١٠١٨هـ - ١٦٠٩م).

(٢١٦) نفس الأرشيف والمحكمة: س٤٣،ص٢٢، م٦٢ تاريخ(١٠١٨هـ - ١٦٠٩م).

(٢١٧) نفس الأرشيف والمحكمة: س٤٣،ص٨٥، م٢٣٦ تاريخ (١٠١٨هـ - ١٦٠٩م).

(٢١٨) نفس الأرشيف والمحكمة: س٤٤،ص١٩٩،م٣٩٢ تاريخ (١٠٤١هـ-١٦٣١م).

(٢١٩) نفس الأرشيف والمحكمة: س٤٢،ص٢٦٦،م٨٥٦ تاريخ (١٠١٦هـ - ١٦٠٧م). س٤٥،صـ١٥٨،م٣٦٦ تاريخ (١٠٣٥- ١٦٢٥م).

(٢٢٠) نفس الأرشيف والمحكمة: س٤٦،صـ٤٥،م١٢٦ تاريخ (١٠٥٣هـ ١٦٤٣م). نفس الأرشيف محكمة. الباب العالى س١٣٩،صـ٢٩٣،م١١٣٦ تاريخ(١٠٧٥هـ - ١٦٦٤م).

(٢٢١) نفس الأرشيف محكمة الإسكندرية س٤٩،صـ٤١ م٦٤١ تاريخ(١٠٦٠هـ ١٦٤٩م)

(٢٢٢) دار الوثائق القومية: محكمة الاسكندرية س٤٩، صـ١٤٨،م٣٩٢ تاريخ(١٠٦٠هـ-١٦٤٩م).

(٢٢٣) نفس الأرشيف : محكمة القسمة العسكرية س٢٢ صـ٣٨، م٨٥ تاريخ (١٠٠٧هـ-١٥٩٨م).

(٢٢٤) نفس الأرشيف: محكمة الإسكندرية س٤٢، صـ٣١٨، م٩٧٥ تاريخ(١٠١٥هـ - ١٦٠٦م).

(٢٢٥) نفس الأرشيف والمحكمة: س٤٣،صـ٢٩٠،م٨٥٤ تاريخ (١٠١٩هـ ١٦١٠م).

(٢٢٦) دار الوثائق القومية: دفاتر الرزق الاحباسية - دفتر الغربية، رقم ١٦نوعى /٥٠٣٧ خارجى ورقة٣٧ .

(٢٢٧) نفس الأرشيف والمصدر ورقة ٣٢ .

(٢٢٨) نفسه ورقة ٦١ .

(٢٢٩) المرجع السابق ص ١٣ - صـ ٢٣ .

(٢٣٠) الحموى : فوائد الارتحال ، مصدر سبق ذكره ، جـ١ صـ٥٣٠ـ ٥٣١ .

(٢٣١) دار الوثائق القومية : دفاتر الرزق الاحباسية ـ دفتر رقم ٢٢ نوعي / ٥٠٤٧ خارجي ص ص ١٤ـ١٥ .

(٢٣٢) دار الوثائق القومية محكمة القسمة العسكرية س٧٠ ، صـ ٥١٧، م ٥٦٢ مكرر تاريخ (١٠٨٣هـ ـ ١٦٧٢م).

(٢٣٣) نفس الأرشيف محكمة الباب العالى، س٩٤، ص ص ٦٥ـ ٦٦ م٣١١ تاريخ (١٠٢١هـ ـ ١٦١٢م).

(٢٣٤) ليلى عبد اللطيف : الإدارة ، مرجع سبق ذكره .

(٢٣٥) صلاح هريدى : دراسات فى تاريخ العرب الحديث القاهرة ١٩٩٧م، صـ٥٢.

(٢٣٦) عبد الرحيم عبد الرحمن : تقديم واقعة الساجق، مصدر سبق ذكره ، صـ٨ .

(٢٣٧) محمد بن محمد بن أحمد الحسينى الجرجاوى : تعطير النواحى والأرجاء بذكر من اشتهر من علماء وبعض أعيان مدينة جرجا ، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٣٥٠٩٦، تاريخ ٢٤٨٧ جـ١ ، صـ ٥٨ .

(٢٣٨) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالي س٩٢ ص ص٥٦٢ ـ ٥٧٠، م ٢٣١٦ تاريخ (١٠٢٠هـ ١٦١١م).

(٢٣٩) تعطير النواحي والأرجاء ، مصدر سبق ذكره ، جـ١ ، ص ٧٨ .

(٢٤٠) تعطير النواحي والأرجاء ، مصدر سبق ذكره ، جـ٣ ، تحت رقم م٤٧٩١٢ بتاريخ ٢٤٨٧، صـ ١٠ ـ ١١ .

(٢٤١) نفس المصدر، جـ ٣ ، ص ١٠ .

(٢٤٢) تعطير النواحي الأرجاء ، المصدر السابق جـ ٣ صـ ٥٩ .

(٢٤٣) نفسه جـ٢ ، تحت رقم م١٠٦٤٩، تاريخ ٢٤٨٧ ، صـ ٤٠ .

(٢٤٤) دار الوثائق القومية: دفاتر الرزق الاحباسية، دفتر الاشمونين رقم٥٠٥٣، ورقة١٧٤.

(٢٤٥) نفس الأرشيف والمصدر ـ دفتر ولاية القوصية وقنا رقم ٣ نوعى ـ ١١٧٥ خارجى جـ ٢ صـ ١٤٠ .

(٢٤٦) دار الوثائق القومية دفاتر الرزق الأحباسية دفتر رقم ١٩ نوعى ـ ٥٠٤٨ خارجي ورقة ١١٢ .

(٢٤٧) نفس الأرشيف والمصدر دفتر رقم ثانى أشمونيين احباسى رقم ١٨ نوعى/ ٥٠٨٩ خارجى ورقة ١٣٦ .

(٢٤٨) نفس الأرشيف والمصدر دفتر رقم ١٧ نوعى ـ ٥٠٥٧ خارجى ورقة ١٦٤ .

(٢٤٩) نفس الأرشيف والمصدر رزقة ولاية الأشمونيين رقم ٥٠٥٣ خارجى ورقة ١٥٧ .

(٢٥٠) نفس الأرشيف والمصدر:رزقه ولاية الأشمونيين رقم ٥٠٥٣ خارجى ورقة ١٥٧ .

(٢٥١) نفس الأرشيف والمصدر دفتر رقم ١٨ نوعى/ ٥٠٨٩ خارجى ورقة ١٧٦ .

(٢٥٢) نفس الأرشيف والمصدر دفتر أول البهنساوية رقم ١٠٥/١ خارجى ورقة ٣٠.

(٢٥٣) دار الوثائق دفتر أول البهنساوية ، ورقة ١٠٣ .

(٢٥٤) نفس الأرشيف والمصدر نفس الدفتر ورقة ١٦٧ .

(٢٥٥) الحموى : فوايد الارتحال ، مصدر سبق ذكره جـ١ ص ص ١٠٩٧ - ١٩٠٨.

(٢٥٦) المحبى : خلاصة الأثر ، مصدر سبق ذكره جـ١ ص ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢٥٧) مخطوط بدار الكتب المصرية فى ٢٣٨ورقة - رقم ميكروفيلم ٥٤٠١٠- ب٢٢٦٠٢

(٢٥٨) عمر الدفرى : المصدر السابق ، ورقة ٢٣٣ .

(٢٥٩) دار الوثائق القومية: الدشت رقم١٤٤، صـ ١٢٧ ، تاريخ (١٠٣٦هـ - ١٦٢٦م).

(٢٦٠) دار الوثائق القومية محكمة القسمة العسكرية ،س ٦١، ص ص٤٢١ - ٤٢٢ م٧٣٢ تاريخ (١٠٦٥هـ - ١٦٥٤م) وهذه المدرسة كانت بلصق الجامع الأزهر تجاه زاوية العميان - أنشأها جوهر القنقبانى سنة أربع وأربعين وثمانمائة(١٤٤٠م) ولما مات دفن بها - على مبارك : جـ ٦ صـ١٢.

(٢٦١) دار الوثائق القومية: محكمة القسمة العسكرية س ٦٨، ص ص ١٠٩-١١١ ، م١٨٠ تاريخ (١٠٧٩هـ - ١٦٦٨م).

(٢٦٢) نفس الأرشيف : الدشت رقم ١٧٧، صـ ٤٩٥ تاريخ (١٠٦٨هـ ١٦٥٧م).

(٢٦٣) نفس الأرشيف : محكمة الإسكندرية س٤٢ صـ ٢٥٠ م٨٠٨ تاريخ (١٠١٦هـ - ١٦٠٧م) صـ ٢٥٧- م ٨٢٨ تاريخ (١٠١٦هـ - ١٦٠٧م).

(٢٦٤) مجدى جرجس: بحث إبراهيم الناسخ والثقافة القبطية فى القرن الثامن عشر صـ١ .

(٢٦٥) ومن ذلك مثلاً أن اليهود، عملوا على احتكار وظائف الصرافة فى الإدارة المصرية بصورة لفتت انتباه بعض الباشاوات، الذين أزعجهم هذا الوضع فسعوا إلى تغييره ومنهم الوزير أحمد باشا الدفتر دار (٦ شوال ١٠٨٦هـ - الحجة ١٠٨٦هـ /٢٤ سبتمبر ١٦٧٥م - ٢٠ فبراير ١٦٧٦م) الذى كان من قراراته أن أمر بإبطال اليهود الصرافين من الديوان، وجعل عوضهم إبراهيم جاويش دلال البلاد - آنذاك - فى مقام صراف باشى - (أى رئيس الصرافين) وشاركه فى ذلك صالح أفندى، واتخذوا صيارف من تحت أيديهم من المسلمين. مصطفى الحاج: خلاصة تاريخ مصر، مصدر سبق ذكره ص ص٥١-٥٢ابن الوكيل : تحفة الأحباب مصدر سبق ذكره ص٢٠١ أحمد بن عبد الغنى: أوضح الإشارات، مصدر سبق ذكره ص١٧٤ .

(٢٦٦) محمد عفيفى لأقباط فى العصر العثمانى، تاريخ المصريين عدد (٥٤)، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢م، ص ٢٤١ .

(٢٦٧) دار الوثائق القومية: محكمة الباب لعالى، س٩٢ ص٣٤٦ ، م ١٤٥٠تاريخ(١٠١٩هـ - ١٦٠١م).

(٢٦٨) نفس الأرشيف : محكمة الإسكندرية س٥٣ صـ٧٦ م١٦١ تاريخ (١٠٨٤هـ - ١٦٧٣م) .

(٢٦٩) الشناوى : الأزهر جامعاً وجامعة ، مرجع سبق ذكره جـ١ صـ

(٢٧٠) مراد شاوش بن يوسف الحنفى الرومى الشاذلى الأزهرى : كنز المفيض الأنور فى ذكر نبذه يسيره من فضائل الجامع الأزهر ، مخطوط بدار الكتب ، م٥٠٣٥٩ـ ٨٠٩٠ ورقة ٣ .

(٢٧١) الأب الكسيس مالون اليسوعى : الجامع الأزهر نبذة فى تاريخه وتعليمه ، مجلة الشرق ـ عدد٢ سنة ١٩٠١م، صـ ٥٥ .

(٢٧٢) محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر ط. لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م صـ ٦٨ ـ ٦٩ .

(٢٧٣) مدة ولايته : شوال١٠٠٤ـ الحجة ١٠٠٦هـ /مايو١٥٩٦ سيوليو١٥٩٨م.

(٢٧٤) البكرى :الروضة المأنوسة، مصدر سبق ذكره ،ورقة٢٢ ب /القلعاوى : صفوة الزمان فيمن تولى مصر من أمير أو سلطان : مصدر سبق ذكره ،ورقة ١٣٥ الأسحاقى: أخبار الأول مصدر سبق ذكره صـ ١٦٥

(٢٧٥) مدة ولايته : غرة ربيع الأول ١٠١٤ـ آخر صفر ١٠١٦هـ /١٧ يوليو ١٦٠٥ـ٢٨مايو ١٦٠٧م..

(٢٧٦) الحنبلى نزهة الناظرين ـ مصدر سبق ذكره صـ ١٤٩ / القلعاوى ـ مصدر سبق ذكره ـ ورقة ١٣٨ مجهولة ـ تاريخ ملوك آل عثمان وولاتهم ـ مصدر سبق ذكره / على مبارك مرجع سبق ذكره جـ٤ صـ٣٤.

(٢٧٧) دار الوثائق القومية: محكمة القسمة العسكرية س١٩، صـ٣٨٦، م ٦٦١ صـ٣٨٨ م٦٦٧ تاريخ (١٠٠٣هـ ـ ١٥٩٤م) .محافظ الدشت ، رقم ١٤٢ ص ١٣ تاريخ (١٠٣١هـ ـ١٦٢١م).

(٢٧٨) دار الوثائق القومية محكمة القسمة العسكرية س٢٩ صـ ١٤٣ ـ ١٤٤ م٣٠١ تاريخ (١٠١٩هـ ـ ١٦١٠م) .

(٢٧٩) نفس الأرشيف محكمة بولاق: س٤٠ ص ص١٩٨ـ٢٠٠ م٤٠٦ تاريخ (١٠٤٩هـ ـ ١٦٣٩م). محكمة الباب العالى: س١٥١ ص ص٣٩ـ٤٠، م١٥٥ تاريخ(١٠٨١هـ ١٦٧٠م).

(٢٨٠) نفس الأرشيف:محكمة القسمة العربية، س٤٠ ص ص٢٧٢ ـ ٢٧٤ م٣٧٨ تاريخ (١٠٦٠هـ ـ ١٦٤٩م). محكمة القسمة العسكرية ،س٦٥ ،ص ص ٢١٩ ـ ٢١١ تاريخ (١٠٧٢هـ ـ ١٦٦١م).

(٢٨١) نفس الأرشيف والمحكمة س٢٨ ص ص ٧١ـ٧٢ م١٤٤ تاريخ (١٠١٧هـ ـ١٦٠٨م). س٥٨ ص ص١٣٠ـ١٣١، م١٨٣ تاريخ ١٠٦١هـ ـ ١٦٥٠م).

(٢٨٢) الشناوى ـ الأزهر ـ مرجع سبق سبق ذكره جـ١ صـ ٢٨٢ .

(٢٨٣) دار الوثائق القومية: محكمة القسمة العسكرية س٤١، ص ص١٩٤ـ١٩٥، م٢٨٠ تاريخ (١٠٣٩هـ ـ ١٦٢٩م).

(٢٨٤) دار الوثائق القومية: محكمة القسمة العسكرية، س٦٢ ص ص٤٤١ـ٤٤٢، م٦٨١ تاريخ(١٠٦٧ـ ١٦٥٦م) س٦٤،ص٩٢ـ٩٣ م١٢٠ تاريخ (١٠٦٩ـ ١٦٥٨م)س٨٠،صـ١٤ـ١٥،م٢١ تاريخ(١٠٧٩ـ ١٦٨٦م).س٧١،ص ص٤٥٦ـ٤٥٧،م٦٨٠ تاريخ (١٠٨٥هـ ـ ١٦٧٤م). س٧٦ ،ص١٩٤، م٢٩٨ تاريخ (١٠٩٢هـ ـ ١٦٨١م).

(٢٨٥) نفس الأرشيف والمصدر س١٩،ص٢٠٠،م٣٤١ تاريخ (١٠٠٣هـ - ١٥٩٤م).

(٢٨٦) نفس الأرشيف والمحكمة: س٢٠،ص٣٨٧،م٩١٠ تاريخ (١٠٠٧هـ ١٥٩٨م).

(٢٨٧) نفس الأرشيف: محكمة الباب العالى س١٥٥ ، ص ١١ ، م ١٦ تاريخ ١٠٨٣هـ - ١٦٧٢م).

(٢٨٨) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى س٨٢، صـ ١٢٦ م٦٨٨ تاريخ (١٠١٢هـ - ١٦٠٣م).

(٢٨٩) نفس الأرشيف: محكمة القسمة العسكرية س٢٥ صـ٥٣٩ ، م٩٥٠ تاريخ (١٠١٤هـ - ١٦٠٥م).

(٢٩٠) نفس الأرشيف - والمصدر س٢٧ ، صـ ٣٥١ ، م ٥٧٠ تاريخ (١٠١٧هـ - ١٦٠٨م).

(٢٩١) نفس الأرشيف - الدشت - رقم ١٧٨ صـ ٣٥٦ تاريخ(١٠٦٩هـ - ١٦٥٨م).

(٢٩٢) نفس الأرشيف محكمة الباب العالى س١٧٦ صـ م٣٠٧ تاريخ (١٠٩٢هـ - ١٦٨١م).

(٢٩٣) نقلاً من ده الهام ذهنى : مصر فى كتابات الرحالة ، مرجع سبق ذكره ،صـ٧٦ .

(٢٩٤) على مبارك: مرجع سبق ذكره جـ٤ ،ص٦٠ د/مصطفى رمضان: تاريخ الإصلاح فى الأزهر فى العصر الحديث، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ١٩٨٤م صـ١٠ .

(٢٩٥) رحلة الخيارى : مصدر سبق ذكره صـ ٢٢٩ .

(٢٩٦) المحبى : مصدر سبق ذكره جـ٢ ص ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٢٩٧) فوايد الارتحال ، مصدر سبق ذكره جـ٢ ص ص ٨٦٨ - ٨٧٠ .

(٢٩٨) الحموى : جـ٣ ، ص ٢٥٦ .

(٢٩٩) المحبى . جـ ٤ صـ٤٢٣ .

(٣٠٠) على مبارك : مرجع سبق ذكره جـ ٤ صـ

(٣٠١) على عبد الواحد وافى : لمحة فى تاريخ الأزهر ، فى مطبعة الفتوح ، القاهرة ١٣٥٥/٢هـ - ١٩٣٦م صـ ٥٢ - ٥٣ بيارد دوج : الأزهر فى ألف عام ترجمة د / حسين فوزى النجار ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ ،صـ٩٩ .

(٣٠٢) المحبى : جـ٢ ص ص ٤١٦ - ٤١٧ .

(٣٠٣) الحموى : جـ٣ ، ص ٦٣٦ .

(٣٠٤) محمد أبو المواهب البكرى - أحد علماء زمانة ، قال الحموى عنه :" كان منبع الكرم والجود وبحر الافضال والعطا المحدود ، أخلاقه ، ومحامده مرضية فى الذروة العليا من الأدب والشعر ، والإنشاء والعلوم الدينية خصوصاً فن التفسير والأصول والعربية ، ولد بمصر سنة ٩٧٣هـ (١٥٦٥م). وقد خلف أخاه زين العابدين فى مشيخة البكريه - وله عدة مؤلفات الحموى:جـ ١ ص ص٩٦-٩٧ .

(٣٠٥) نفس المصدر :جـ١ ص ٩٧ .

(٣٠٦) المحبى جـ١ ، صـ ١٧٥ . الحموى جـ١ ، صـ ١٩٥ .

(٣٠٧) الحموى: جـ١ ص ص ٥٦٦ ـ ٥٦٧ .

(٣٠٨) على الزيادى الشافعى : رئيس العلماء بمصر فى زمانه أخذ عن مشاهير علماء القرن العاشر الهجرى(الـ١٦م) كالشهاب أحمد الرملى، والشهاب عميرة البرلسيوالشهاب أحمد بن حجر الهيثمى والنور عليا لطندتائى وشهاب الدين البلقينى وغيرهم الكثير ، وقد بلغت شهرته الآفاق ، وتصدر للتدريس بالأزهر ، وانتهت إليه فى عصره رياسة العلم بحيث أن جميع علماء بمصر " ما منهم إلا وله عليه مشيخة ، وكان العلماء الأكابر تحضر درسه وهم فى غاية الأدب ـ المحبى: جـ٢ صـ ١٩٥ ـ ١٩٧ .

(٣٠٩) نفس المصدر : جـ٢ ، ص ١٩٦ .

(٣١٠) فمن ذلك ما نراه من الشيخ العالم سالم بن حسن الشبيشيرى الشافعى (ت١٠١٩هـ ـ١٦١٠م). أخذ الفقه عن النور الزيادى ـ المقدم الذكر ـ فكان يطالع لطلبة ـ الزيادى الدرس، وكان محله من محل الولد من الوالد، وكان بينهما محبه أكيدة، ومداعبات لطيفة . وقد توفى الشبشيرى فى حياة شيخه فجزع عليه جزعاً شديداً ، بحيث أنه لم يعقد بعده درساً إلا ويترنم بذكره ، ويشير إلى جلالة قدره ، وإذا توقف أهل الدرس فى مسئله تأوه تأوه الحزين ، وهو يقول : " أتعبنا موت سالم " المحبى جـ ٢، ص١٩٦ جـ ٣ ص ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٣١١) وهو ما نراه فى الشيخ العالم محمد المعروف بابن النقيب البيروتى (ت١٠٦٤هـ ـ ١٦٥٣م) الذى كان يدرس ولا ينظر فى كتاب ، ويقول : " هذه طريقتنا وطريقة مشايخنا " المحبى: جـ٤ ، ص ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨ .

(٣١٢) المحبى : جـ٤ ، ص ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٣١٣) وهى الفقه وأصوله ـ الفرائض ـ الحديث ـ التفسير ـ القراءات ـ التجويد .

(٣١٤) وهى النحو ـ الصرف ـ البلاغة ـ اللغة ـ الأدب والشعر .

(٣١٥) إجازة الشيخ أبو النصر أحمد المنزلى الشافعى لولده الشيخ محمد : مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ٤١٧٩٣ مصطلح حديث .

(٣١٦) المحبى: جـ١ ،ص ٣٣١ أيضاً ما ذكره الرحالة الفرنسى فرمنال . عندما زار مصر . ودخل الجامع الأزهر فى القرن الحادى عشر الهجرى (الـ١٧م) د/ إلهام ذهنى مرجع سبق ذكره صـ ٧٦ .

(٣١٧) المحبى :جـ٢ ، ص ١٩٣ .

(٣١٨) ومن كتب السيرة التى كانت تدرس آنذاك ـ سيرة ابن هشام ـ سيرة ابن سيد الناس ـ إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون ـ للحلبى (ت١٠٤٤هـ ـ١٦٣٤م).

(٣١٩) محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر ، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٥ .

(٣٢٠) عاصم الدسوقى : مجتمع علماء الأزهر فى مصر ١٨٩٥ ـ ١٩٦١م، ط. دار الثقافة الجديد ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ص ١١ ـ ١٢ .

(٣٢١) نفس المرجع صـ ١٢ .

(٣٢٢) من هؤلاء محمد عبد المنعم خفاجى : الأزهر فى ألف عام ط. المطبعة المنيرية بالأزهر ١٣٧٤هـ

ـ ١٩٥٥م جـ١ صـ ٨٨ على عبد الواحد وافى : لمحة فى تاريخ الأزهر ، مرجع سبق ذكره ، صـ ٨٧
د/ دانيال كريسيليوس : تحت عنوان ظهور شيخ الإسلام ـ باعتباره الزعيم الدينى البارز فى مصر، تابع كتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ١٩٦٩م ، جـ صـ ٤٨٧

(٣٢٣) محمد عبد الله عنان : مرجع سبق ذكره، ص ص ١٣٦ ـ ١٣٨ .

(٣٢٤) مدة ولايته ١٧محرم٩٤٥ ـ ربيع الأول٩٥٦هـ/ ١٦يونيه١٥٣٨ـ أبريل ١٥٤٩م.

(٣٢٥) للمزيد عن هذه الحادثة يرجع إلى أحمد بن سعيد العثمانى : ذخيرة الإعلام، مصدر سبق ذكره .

(٣٢٦) استحدث هذه الوظيفة السلطان برقوق أول سلاطين المماليك البرجية فى عام ٧٨٤ هـ (١٣٨٣م). وكان يختار صاحب هذا المنصب من بين كبار رجال الدولة من الأمراء والأغوات ، وأول من وليه الأمير بها در الطواشى كبير المماليك آنذاك ـ المقريزى : الخطط ، مصدر سبق ذكره جـ٤ ص ص ٥٣ ـ ٥٤ .

(٣٢٧) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية، س٦٢ ، ص ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ م١٧٨ تاريخ (١٠٦٦هـ ـ ١٦٥٥م).

(٣٢٨) نفس الأرشيف : محكمة الباب العالى، س١١٩ صـ ٢٠٧ م ١٠٦٥ تاريخ (١٠٤٨هـ ـ ١٦٣٨م).

(٣٢٩) مدة ولايته ٦ محرم ١١٠١ـ ١٢ جمادى الثانى ١١٠٢هـ / ١٢ أكتوبر ١٦٨٩ ـ ١٣ مارس ١٦٩١م.

(٣٣٠) أكتوبر ١٦٩٠م.

(٣٣١) أحمد شلبى بن عبد الغنى : أوضح الإشارات ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٦ .

(٣٣٢) شهاب الدين أحمد الخفاجى : عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ط. دار الطباعة الخديوية ، جـ١ صـ ٣٤٠ .

(٣٣٣) ومما يؤيد ذلك ، ما شرطه الشيخ العالم شمس الدين محمد بن زين الدين عبد السلام بن ناصر الدين العاطى عند وقف بعض ممتلكاته على الجامع الأزهر ، أن يحال النظر على وقفه هذا لشيخ الجامع الأزهر . دار الوثائق القومية محكمة القسمة العسكرية، س١٩ صـ٣٨٨ ، م٦٦٧ تاريخ (١٠٠٣هـ ـ ١٥٩٤م).

(٣٣٤) لمعرفة المزيد عن تلك الحادثة ـ يرجع للجبرتى، مصدر سبق ذكره، جـ١، ص٢٠٨.

(٣٣٥) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى س٥٤،صـ١٩٢،م٨٦٣ تاريخ (٩٩٥هـ ـ ١٥٨٦م).

(٣٣٦) نفس الأرشيف: والمصدر س٧٥،صـ٩١٣،م٣٢٦٨ تاريخ(١٠١٠هـ ـ ١٦٠١م).

(٣٣٧) نفسه ـ والمصدر س٧٦،صـ٥٠،م١٧٦ تاريخ(١٠١٠هـ ـ ١٦٠١م).

(٣٣٨) نفسه : محكمة القسمة العسكرية س٢٤،صـ٢٣٧،م٤١٠ تاريخ(١٠١١هـ١٦٠٢م) وهو من ضمن ما اتفقت كتب التراجم مع الوثائق على أنه تولى هذا المنصب ـ المحبى: جـ٢ ، صـ٢٢١

.الحموى :جـ٢ ، ص ص٨٦٤ـ ٨٦٥

(٣٣٩) دار الوثائق القومية:محكمة الباب العالى س٧٧،صـ٣٢٢، م١٥١١ بتاريخ (١٠١١هـ ـ١٦٠٢م). س٨٢،صـ٧٦،م٣٢٦ تاريخ (١٠١٢هـ ـ ١٦٠٣م). محكمة بولاق س٣٣،ص١٧٥، م٦٦٥ تاريخ (١٠٣٢هـ ـ ١٦٢٢م). محكمة القسمة العسكرية س٣٩ صـ٣١٠،م٤٧٤ تاريخ (١٠٣٦هـ ـ ١٦٢٦م). الدشت ـ رقم ١٤٣ ص ص ٥١٤ ـ ٥١٥ تاريخ (١٠٣٥هـ ـ ١٦٢٥م).

(٣٤٠) نفس الأرشيف:محكمة الباب العالى ص٧٧.ص م تاريخ(١٠١١هـ ـ١٦٠٢م) س٨٦ صـ٢٩٤،م١٥٩٢ تاريخ (١٠١٦ـ١٦٠٧م). س١٠٦ صـ٣١٠، م١٢٥٤ تاريخ(١٠٣٥هـ ـ ١٦٢٥م). ص٤٣٦ م١٦١٦ تاريخ (١٠٣٥هـ ـ ١٦٢٥م)محكمة القسمة العسكرية س٤٦ ص ص٢٨٥ ـ ٢٨٨ ، م٥٣٨ تاريخ (١٠٤٨هـ ـ ١٦٣٨م). س٤٨ ص٩٥ ، م١٣٣ تاريخ (١٠٥٠هـ ـ ١٦٤٠م).

(٣٤١) نفس الأرشيف :محكمة الباب العالى س٧٧ص١١٤،م٤٧٩ تاريخ(١٠١١هـ ـ ١٦٠٢م). س٧٨.صـ١٠٥، م٣٣٩ تاريخ(١٠١١هـ ـ ١٦٠٢م) س٧٩ ص٩٤ م٤٣٩ تاريخ (١٠١١هـ ـ ١٦٠٢م). الدميرى ـ قضاة مصر ـ مصدر سبق ذكره ص١٥٣ ـ ومما يستدل به أيضاً على أن هذا الرجل تولى هذا المنصب،بما حدث فى مصر فى نهاية القرن العاشر الهجرى (الـ١٦م) من ظهور فتنة الجند السباهية، والتى عرفت فى المصادر التاريخية بـ"فتنة الطلبه" والتى استمرت حتى نهاية العقد الثانى من القرن الحادى عشر الهجرى (الـ١٧م) حيث أن هذا العالم أصدر فتواه بأن هؤلاء الجند طائفة مارقه تستحق الجزاء الأمر الى جعلهم يرصدون منزلـه أكثر من مرة ليقتلوه البكرى : كشف الكربة ، مصدر سبق ذكره صـ٣١٧ . البرلسى :بلوغ الأرب ، مصدر سبق ذكره ص٢٨٩ .

(٣٤٢) دار الوثائق القومية : الدشت ـ رقم ١٤٧ ـ ١١٨ ـ تاريخ (١٠٣٩هـ ١٦٢٩م) محفظة رقم ١٤٩، ص ١٤٧ ، تاريخ (١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م).

(٣٤٣) نفس الأرشيف: محكمة الباب العالى، س ١٢٣، صـ ٢٦٦، م ١٣٧١، تاريخ (١٠٥٦هـ ـ ١٦٤٦م). س١٢٥، صـ٤٠٣، م ١٢٩٩، تاريخ(محرم ١٠٥٨هـ ـ ١٦٤٨).

(٣٤٤) من أقوى الدلالات على تولى هذا الرجل ذلك المنصب، ما حدث من تشفعه عند وزير مصر ـ أنذاك مصطفى باشا، ووقوفه فى وجهه لمصلحة الجنود الذين حكم عليهم بالنفى على الرغم من أنهم كانوا يعدون طائفة مارقة ـ للمزيد يرجع إلى الصوالحى:واقعة الصناجق،مصدر سبق ذكره ص ص٨١ـ٨٧، كذلك الإشارات الصريحة من قبل المصادر التاريخية بأن هذا العالم تولى ذلك المنصب ـ الحاج مصطفى الحلبى:مختصر تاريخ مصر، مصدر سبق ذكره، ص٤٢ .مجهول: تاريخ ملوك آل عثمان، مصدر سبق ذكره . أحمد شلبى أوضح الإشارات، مصدر سبق ذكره ص ص١٦١ـ١٦٢ .ابن الوكيل: تحفة الأحباب، مصدر سبق ذكره ص١٩١ مصفى القلعاوى: صفوة الزمان، مصدر سبق ذكره، ورقة ١٥٣ أ .

(٣٤٥) المحبى: جـ٢ صـ ٢٣١ . الحموى جـ٢ صـ ٨٦٨ .

(٣٤٦) الجبرتى:جـ١،صـ٢٠٨.القلعاوى:صفوة الزمان، مصدر سبق ذكره ورقة ١٥٦ أ.

(٣٤٧) الحموى :جـ٢ صـ ١٤١ .

(٣٤٨) الجبرتى: جـ١ صـ ٢٠٨ .

(٣٤٩) محمد ضيف الله : الطبقات ، مصدر سبق ذكره ، صـ ٩ ـ ١٠ .

(٣٥٠) الجبرتي : مصدر سبق ذكره صـ ١١٤ .

(٣٥١) الشرنبلالى ـ فتح بارى الألطاف بجدول مستحق الأوقاف ـ الرسالة الثانية والثلاثون من كتاب ـ التحقيقات القدسية ـ مصدر سبق ذكره ورقة ٢٣٣ ـ٢٣٦.

(٣٥٢) قائلاً فى ذلك : " قد ورد علينا من الشام المأنوسه بمصرنا المحروسة سؤال عن الحادثة التى سطرنا جوابها بالرسالة التى هى فتح بارى الألطاف بجدول طبقات مستحق الأوقاف ، وعلى السؤال جواب مفتى الشام ـ لطف الله به الملك العلام ـ وقد جنح فيه إلى ما يجب على إخوانه له التنبيه ، وقد تكرر الإرسال عن ذلك الإفتاء ، وتحرير المقال، فما وسعنا إلا إزالة الالتباس ،وتحرير حكم الحادثة بنصب المذهب ، ولو كره بعض الناس " ووضع فى إجابته عن ذلك السؤال رسالة بعنوان الابتسام بأحكام الإفحام ونشق نسيم الشام .

(٣٥٣) الخفاجى : ريحانة الألب ، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٣٥٤) عبد الغنى النابلسى : الحقيقة والمجاز في الرحلة إلي بلاد الشام ومصر والحجاز ط :الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠م صـ ٧ .

(٣٥٥) المحبى: جـ٤ ص ص٣٨٧ ـ ٣٨٩ .

(٣٥٦) يونان لبيب رزق ، ومحمد مزين : تاريخ العلاقات المصرية المغربية ـ منذ مطلع العصور المدينة حتى ١٩١٢م، ط. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م ، صـ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٣٥٧) نفس المرجع صـ ١٥٤ .

(٣٥٨) قبل أن لفظ الفونج يرتبط بلفظ قون مدّ وهو اسم أحد أميا كانم . وعن المعنى اللغوى لكلمة مدّ وجد أن معناها " اللثام " الذى كان يلبسه الطوارق فى السودان، وأما عن موطن الفونج الأصلى، فهناك أكثر من رأى للباحثين ، فمنهم من رأى أن أصلهم الشلك الزنوج الذين كانوا يسكنون علَى الضفاف الغربية للنيل الأبيض عند عرض ١٣ تقريباً،ومنهم من رأى أن الفونج جاءوا من الحبشة ، وأصلهم سلاله عربية أموية هربت من العباسين ، والثالث وهو الأقوى يرى أن أصلهم منطقة بحيرة تشاد جنوبى الصحراء الغربية ـ عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث ط. مطبعة السبكنى بالأزهر ، الأولى ١٩٥٣م صـ٥٠.

(٣٥٩) محمد سليمان: دور الأزهر فى السودان، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م، صـ٢٠

(٣٦٠) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية ، ط. مكتبة النهضة العربية ١٩٦٣/٢م،صـ٢٢٩.

(٣٦١) أحمد بن الحاج أبو على كاتب الشونة : كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والإدارة

المصرية ، تحقيق الشاطر بصيلى عبد الجليل ، ط دار الأحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٩٦١م، ص ص٩ ـ١٤ .

(٣٦٢) محمد ضيف الله : الطبقات ، مصدر سبق ذكره ص ص ١١٥ـ١١٦ .

(٣٦٣) لمعرفة المزيد يرجع د. محمد ضيف : المصدر السابق ،صص١١٤ -١١٥ ومحمد سليمان : دور الأزهر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣٦٤) محمد ضيف الله : طبقات ،المرجع السابق ، ص ٧٠

(٣٦٥) المحبى :جـ٢ ، ص ص ٣٦٧ ـ ٣٦٩ .، ص ص ٢٨ ـ ٣١ . ١٨٤ ـ ١٨٩ .

(٣٦٦) المحبي : جـ١ ، ص ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(٣٦٧) الحموى :جـ٣ ، ص ص ٢١٣ ـ ٢١٥ .

(٣٦٨) المحبى: جـ٣ ،ص ص ٢ ـ ٨ .

(٣٦٩) نفس المصدر :جـ ٤ ، صـ ١٧٤ .

(٣٧٠) نفسه : جـ٤ ، ص ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ .

(٣٧١) دار الوثائق القومية: الدشت رقم ٢٠٦ ص٢٥١ بتاريخ (ربيع الأخر ١١٠٠هـ ـ١٦٨٨م).

(٣٧٢) الحموى :جـ٢ ،ص ص ٥٤ ـ ٥٤ .

(٣٧٣) نفس المصدر: جـ٢ ،ص ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٣٧٤) الحموى: جـ٣ ،ص ص ٣٨٤ ـ ٣٨٧ .

الفصل الثالث
جهود العلماء في العلوم الدينية

نظراً لأهمية الدراسات الدينية عند المسلمين كعلوم ضرورية ، رأت الدراسة أن تضع إسهامات علماء فترتها في مقدمة فصول رصد الحركة الفكرية ، خاصة وأن الإقبال على دراسة العلوم الدينية يفوق الإقبال على غيرها من العلوم الأخرى ، وسوف يتناول هذا الفصل الحديث عن إسهامات علماء فتره هذه الدراسة في العلوم الدينية التفسير ، الحديث ، القراءات والتجويد ، الفقه على المذاهب الأربعة ، كما ستوضح الدراسة نصيب كل منها من الاهتمام ، وأسباب ذلك .

علم التفسير :

هو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية ، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية . ومباديه العلوم العربية ، وأصول الكلام ، وأصول الفقه والجدل ، وغير ذلك من العلوم . والغرض منه معرفة معانى النظم . وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة . وموضوعه كلام الله سبحانه وتعالى . وغايته التوصل إلى فهم معانى القرآن واستنباط حكمه ليفاز به إلى السعادة الدنيويه والأخرويه .[١]

والمتتبع لتطور علم التفسير ونموه يجد أنه قد مر بعدة أطوار ، ففي عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان هو المرجع الوحيد الذى إليه يرجع الصحابة في توضيح أيات القرآن، كما بين لهم الناسخ والمنسوخ . ثم بعد ذلك بقى الصحابة محتفظين بما علموه من الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأتى بعدهم التابعون فرووا عن الصحابة هذا العلم طبقة عن طبقة ، ولم يزل ذلك متناقلاً بين الصدر الأول ، حتى دونت الكتب ـ فدون يومئذ ما علمه الصحابة والتابعون من التفسير ، ولم يكن الذى دونوه يؤمئذ غير طائفة من أحاديث الرسول .[٢]

ثم أخذ الناس يتوسعون شيئاً فشيئاً في تدوين التفسير ، أى أنهم أخذوا يبيحون لأنفسهم الأخذ عن غير المصدر الأول . وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، فدخل تدوين التفسير في طور ثان من أطواره ، أصبح عرضة للزيادات الكثيرة تأتيه من مصادر أخرى ، وتدعوا إليها ظروف شتى [٣] ويقول ابن خلدون في ذلك : "إلا أن

كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين ، والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، فإذا تشوقوا إلى معرفة شئ مما تتشوق إليه النفوس البشرية ، في أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود كانوا يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ". (٤)

ثم انتقل التفسير إلى طور آخر أكثر أهمية ، وجاء ذلك نتيجة الظروف السياسية والدينية ، والاجتماعية ، والثقافية ، حيث توسع المهتمون بهذا العلم ، وبلغ هذا التوسع حدوداً خرج به التفسير من دائرة النقل إلى دائرة العقل ، فأصبح التفسير عقلياً أو اجتهادياً.

ولقد مر التفسير العقلى بأطوار كالتى مر بها التفسير النقلى ، إذ أنه كان في أولها يعتمد على النقل أكثر من العقل ويقول ابن خلدون في ذلك : "وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول " . (٥)

ثم انتقل التفسير العقلى إلى مرحلة أخرى ، وهى غلبة الطباع التى كان عليها أصحاب هذه التصانيف ، ونرى حاجى خليفة يقول في ذلك : " ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في شتى العلوم ، ومنهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن واقتصر فيه على ما تمهر فيه ، كأن القرآن أنزل لأجل هذا العلم !! مع أن فيه تبيان كل شئ ، فالنحوى تراه ليس له هم إلا الإعراب ، وتكثير الأوجه المحتملة فيه ، وإن كانت بعيدة ، وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج (٦) ، والواحدى (٧) في البسيط ، وأبى حيان (٨) في البحر . والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه جميعاً كالقرطبى (٩) . وصاحب العلوم العقلية خصوصاً الإمام الفخر الرازى (١٠) قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة ، وخرج من شئ إلى شئ حتى يقضى الناظر العجب . والمتكلم يملأ تفسيره بالكلام في مذهبه كالزمخشرى في تفسيره المشهور (الكشاف) . وغير ذلك من الأنماط التى غلب عليها طبع من صنف في هذا العلم ".(١١)

من أجل هذا تحرج المسلمون تحرجاً شديداً في التفسير واتفقوا على أمهات لا ينبغى عندهم أن تعدو هذه الأربع .

أولها : النقل عن النبى(صلى الله عليه وسلم) مع الاحتياط الشديد في ذلك على طريقة أهل الحديث.

الثانية : الأخذ بقول الصحابى .

الثالثة : الأخذ بمطلق اللغـة .

الرابعة : التفسير بمقتصى معنى الكلام ، والمقتضب من قوة الشرع . (١٢)

أما من ناحية الشروط التى وضعوها في المفسر فقال عنها الزمخشرى: "اعلم أن العلماء كما بينوا في التفسير شرائط بينوا في المفسر أيضاً شرائط لا يحل التعاطى لمن عرى عنها . أو هو فيها راجل ، وهى أن يعرف خمسة عشر علماً على وجه الإتقان والكمال : اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والاشتقاق ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ، والقراءات ، وأصول الفقه ، وأسباب النزول ، والقصص ، والناسخ والمنسوخ ، والفقه ، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم ، وعلم الموهبة " . (١٣)

من أجل هذا كله لا يسع الباحث في هذا السبيل إلا أن يلاحظ أن المصريين كانوا أشد تحرجاً في كتابة التفسير والتصدى له أكثر من غيرهم من الأقطار الأخرى . ولعل ذلك هو السبب في قلة عدد المفسرين من المصريين ، ولعل ذلك أيضاً هو السبب في أن السيوطى لم يعقد لهم في كتابه " حسن المحاضرة " ، فصلاً عن المفسرين مثل فصوله عن النحاة والفقهاء والمحدثين .

ومع ذلك فللسيوطى كتاب في (طبقات المفسرين) ، ترجم فيه لمائة وثلاثة وثلاثين من أولئك المفسرين ، قل عدد المصريين بينهم عن عشرة مفسرين . (١٤)

وعلى ما يبدو أن هذا التحرج قد انتقل بصورة شديدة إلى المهتمين بهذا العلم في العصر العثمانى ، لدرجة تشعر الباحث بأن علماء ذلك العصر ورثوا هذا التحرج ممن قبلهم . وهو ما سوف يتأكد لنا عندما تتعرض الدراسة لجهود علماء ـ القرن (محل الدراسة) في علم التفسير .

فلو نظرنا إلى ما تركه علماء ذلك القرن من المصنفات المتعلقة بعلم التفسير نجدها قليلة جداً . كما نلمس أنها استقرت حول عدة محاور ، منها محاولة القيام بتفسير القرآن الكريم كاملاً ، أو القيام بتعليق الحواشى على كتب من سبقهم ، أو القيام بتفسير سورة أو آية واحدة ، أو القيام بإزالة الغموض الذى قد يعترى بعض سور القرآن . أو القيام بالتصنيف فيما يتعلق بالبسملة والحمدلة .

فعن أولى تلك المحاور وهى محاولة علماء تلك الفترة بتفسير القرآن الكريم، جملة واحدة في عمل مستقل يحمل اسم واضعه ، فهى في الواقع قليلة أو نادرة ونجد في طليعة

من اهتموا بذلك الشيخ المفسر تاج العارفين بن محمد بن على أبو الوفا المصرى الشافعى (ت ١٠٠٨هـ ـ ١٥٩٩م). والذى قام بتفسير القرآن في أربعة مجلدات . (١٥)

ومن حاولوا تفسير القرآن الكريم كله خلال ذلك القرن الشيخ العالم مرعى الحنبلى. فى تفسيره الذى سماه البرهان في تفسير القرآن "، إلا أن هذا العمل لم يكتمل . (١٦) وهناك نرى البغدادى ينسب للشيخ العالم إبراهيم اللقانى المالكى. تفسير للقرآن الكريم .(١٧)

وهكذا فكم هو من الواضح ندرة المحاولات التى قام بها علماء تلك الفترة في تفسير القرآن الكريم كاملاً ، ومن المؤكد أن لهذا الأمر سببه ، وهو ما سوف تحاول الدراسة توضيحه ، على أن أهم ما يلاحظ في هذه المحاولات أن معظمها قد وضعت في النصف الأول من القرن الـ١٧م . بينما وضعت معظم الحواشى التى علقت على تفاسير السابقين في النصف الثانى من ذلك القرن ، وهو ما سيتضح فيما يلى ذلك من سطور.

ولما كان تفسير البيضاوى من أكثر كتب التفاسير التى جذبت انتباه المهتمين بهذا العلم خلال العصر العثمانى ، وخاصة في القرن ـ محل الدراسة ـ رأت الدراسة تسليط بعض الضوء على هذا الكتاب وتوضيح ما اختص به من مميزات .

فالبيضاوى هو القاضى الإمام العلامة ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى الشافعى المتوفي بتبريز سنة خمس وثمانين وستمائة (١٢٨٧م) وقيل سنة اثنين وتسعين وستمائة (١٢٩٤م) . وتفسيره هو " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " وهو كتاب عظيم الشأن ، حيث لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعانى والبيان . ومن التفسير الكبير . (١٨) ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب (١٩) . ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات بالإضافة إلى أنه ضم ما ورى زناد فكره من الوجوة المعقولة والتصرفات المقبولة ، كما أظهر فيه مهارته في العلوم حسبما يليق بالمقام ، فحل ما أشكل على الأنام ، وذلل لهم صعب المرام ، وأورد فيه من المباحث الدقيقة ما يؤمن به من الشبة المضلة ، وأوضح لهم مناهج الأدلة.(٢٠) إضافة إلى أنه عنى بإثبات الأدلة على أصول مذهب أهل السنة .(٢١) ولعل هذا ما جعل علماء العصر العثمانى يتمسكون به أكثر من كتب التفسير الأخرى .

وفي الحقيقة لم يكن علماء القرن الحادى عشر الهجرى الـ١٧م أول من أهتم بتفسير البيضاوى ، وإنما حظى ذلك التفسير باهتمام الكثير من العلماء السابقين من كافة الأمصار ، حيث تناولوه بتصنيف الحواشى وكتابة التعليقات عليه .

وقد بلغ اعتناء العلماء بتفسير البيضاوى حداً تعدى تدوين الحواشى والتعليقات فجعلوه ضمن المناهج الثابتة لتعليم طلابهم ذلك العلم .[٢٢] هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان من النادر جداً أن تخلو مكتبة من المكتبات الخاصة لدى المهتمين بإثراء حياتهم الثقافية خلال ذلك القرن، من هذا الكتاب، وكأنهم بذلك يعوضون ندرة الكتابة أو التصنيف في هذا العلم من علماء ذلك القرن باقتناء هذا الكتاب .

ونجد ما هو أكثر من ذلك ، وهو أن ثمة من المهتمين باقتناء الكتب وتحصيل الثقافة في ذلك القرن من لم يرضَ باقتناء نسخة واحدة من هذا الكتاب ، بل كان حريصاً على أن تضم مكتبته أكثر من نسخة ، وإن كان السبب الرئيسى في اقتناء أكثر من نسخة في مكتبة واحدة قد يرجع إلى اختلاف النسخ فيما بينهما من جودة الورق ، واختلاف الخطوط ، وما تحتويه النسخ من معلومات تبعاً لطرق النسخ آنذاك ، إلا أن في هذا دلالة واضحة وقوية على حرص المهتمين بالنواحى العلمية والثقافية آنذاك على اقتناء هذا الكتاب بكامل معلوماته .

ومن هذا مثلاً ما نراه لدى القاضى أحمد أفندى ـ قاضى ثغر رشيد آنذاك ـ الذى ضمت مكتبته ثلاثة نسخ لهذا الكتاب ، اثنتان منهما الكتاب نفسه الأولى بسعر ٩٥٠٠بارة ـ أى مايوازى ثمن مائة وتسعين إردباً من القمح في فترات الرخاء آنذاك ـ والثانية بسعر٢١١٠. والثالثة حاشية بسعر ٥٠٠بارة.[٢٣] أيضاً ما نجده في مكتبة العالم الأديب عبد القادر البغدادى (ت١٠٩٣هـ ـ ١٦٨٢م). من وجود نسختين من هذا الكتاب الأول بسعر ١٥٠٠بارة ، والأخرى بسعر ٤٥٠٠بارة .[٢٤] وغير ذلك الكثير .

ولعلك لاحظت مدى ارتفاع أسعار نسخ هذا الكتاب في كلتا المكتبتين وهو مؤشر آخر على مدى اهتمام أرباب العلم والثقافة بهذا الكتاب ، ومما يؤكد ذلك أن هذا الكتاب ظل محتفظاً بالمعدل السعرى له بصورة ثابتة في معظم المكتبات الخاصة التى يرجع تاريخها إلى فترة الدراسة . ومن الجميل أن نرى الوثائق قد سجلت لنا وثيقة لشراء ذلك الكتاب وحده . حيث قام قاضى القضاة بمصر ـ في وقته ـ مولانا درويش محمد أفندى ابن عبد الجبار ، بشراء جميع حاشية شيخ زادة على البيضاوى ثلاثة أجزاء بمبلغ أربعون ديناراً .[٢٥]

ونجد في مقدمة المهتمين بإعادة إنتاج هذا الكتاب من علماء تلك الفترة، وذلك بوضع أفكارهم وتحريراتهم عليه ، الشيخ العالم محمد بن أحمد بن حسن الطنباوى الشهير بالحتاتى المصرى الحنفي (ت١٠٥٢هـ ـ١٦٤٢م). الذى قام بوضع حاشية على تفسير

البيضاوى . قال الحموى عنها " أتى فيها بالأبحاث الرائقة والتحقيقات الفائقة.(٢٦) ولم تذكر المصادر اسماً لحاشية الشيخ الطنباوى .

ومنهم الشيخ العالم محمد بن إبراهيم الملقب بـ سرى الدين الدروزى المصرى المعروف بـابن الصائغ (ت١٠٦٦هـ ـ ١٦٥٥م). الذى قام بوضع حاشية على تفسير البيضاوى . (٢٧) ولم تذكر المصادر اسماً لتلك الحاشية أيضا .

ومن أحسن من قام بالتصنيف على ذلك الكتاب أديب العصر العثمانى وقاضى قضاة مصر في زمنه الشيخ العالم شهاب الدين أحمد الخفاجى. الذى قام بوضع حاشية على ذلك التفسير وسماها "عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ".(٢٨) ولقد قال الشيخ العالم الكبير محمد الدمنهورى عن هذا الحاشية بعد بيان فضل علم التفسير : "وإن من أجل ما جمع فيه فأوعى ، وأحاط بأطراف المعارف فكان أحسن صنعاً ، وأرق طبعاً عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى للشهاب الخفاجي ، وإنها لجدير بالعناية .

كتاب عليه بهجة وجلالة .. وفيه على التحقيق حسن ورونق

ففي كل سطر منه عقد منظم .. ومن كل حرف نفحة المسك تعبق(٢٩)

ومن المتفردين في هذا العلم في العصر العثمانى . الشيخ العالم إبراهيم الميمونى الشافعى عنه قال المحبى ، كان آية ظاهرة في علوم التفسير والعربية حيث قام بوضع حاشية على تفسير البيضاوى.(٣٠) كذلك قام الشيخ العالم عبد الرحمن المحلى الشافعى ـ نزيل دمياط ـ (ت ١٠٩٨هـ ـ ١٦٨٧م) بوضع حاشية على ذلك التفسير ايضا . (٣١)

هذا فيما يتعلق بوضع الحواشى على تفسير البيضاوى . أما فيما يتعلق بالمحور الثالث وهو تفسير سورة من سور القرآن ، أو آية من آياته الكريمة فهو كثير .

ويمكننا الاعتقاد بأن كثرة التصنيف حول هذا المحور يرجع إلى ما أشرنا إليه سابقاً من أن علماء ذلك العصر ورثوا التحرج ممن قبلهم في القيام بتفسير كامل للقرآن . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن تلك السور والآيات قد تم تفسير معظمها بناء على طلب من أفراد المجتمع ، وفئاته المختلفة (أى دعت الحاجة إليه) .

وفى مقدمة من قام بتفسير سور منفردة ، الشيخ العالم أبو الوفاء الصديقى الشافعى (ت١٠٠٨هـ - ١٥٩٩م) الذى قام بتفسير سورة الأنعام في مجلدين ، وتفسير سورة الكهف في مجلد كبير ، وتفسير سورة الفتح في مجلد مثله . (٣٢)

كما نرى الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى (ت١٠٣١هـ - ١٦٢١م) يقوم بتفسير سورة الفاتحة ، وبعضا من سورة البقرة . (٣٣). كما نجد الشيخ العالم محمد حجازى الواعظ الشافعى (ت١٠٣٥هـ - ١٦٢٤م) يقوم بوضع مصنف لتفسير سورة الإخلاص تحت عنوان " معترك الخلاص في تكرير سورة الإخلاص " . (٣٤)

وهناك الشيخ العالم محمد بن على الملاطى الملقب بـ نيازى المصرى (ت١١٠٥هـ - ١٦٩٤م) . الذى قام بوضع مصنفين . الأول تفسير سورة الفاتحة ، والأخر في تفسير سورة يوسف . (٣٥)

أما فيما يتعلق بتفسير آيات قرآنية كريمة ففي طليعة من قام بهذا العمل الجليل، الشيخ العالم بعد الله بن عبد الرحمـن بن على بن محمد الدنوشرى (ت١٠٢٥هـ - ١٦١٥م) . حيث نراه قد اختص آية الكرسى بالتفسير ووضعها في مصنف تحت عنوان " هدية الأحباب في تفسير أعظم أيات الكتاب " . (٣٦)

ومن البارزين في ذلك المجال الشيخ العالم مرعى الحنبلى. الذى قام بتفسير أكثر من آية كريمة ووضع كل آية في مصنف ومن مصنفاته " إتحاف ذوى الألباب في قوله تعالى : " يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ". وآخر بعنوان " إحكام الأساس في قوله تعالى : " إن أول بيت وضع للناس ". وغيره بعنوان " فتح المنان بتفسير آية المتنان ". وغيره بعنوان " الكلمات البينات في قوله تعالى : "وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ". وغيـره بعنوان " قلائد العقيان في قوله تعالى " إن الله يأمر بالعـدل والإحسـان ". وغيره بعنوان " أزهار الفلاة في آية قصـر الصـلاة". (٣٧)

ومن هؤلاء الشيخ العالم محمد حجازى الواعظ . الذى اختص آيتين بالتفسير ، الأولى بعنوان الجواب المصون في تفسير آية إنكم وما تعبدون .. والأخرى بعنوان " كشف المنان من آية أحل لكم ليلة الصيام ".(٣٨)

وهناك الشيخ العالم شهاب الدين أحمد الخفاجى الحنفي ، الذى وضع مؤلفاً في قوله تعالى " أرأيتكم " وما فيها من الفوائد . (٣٩) والشيخ العالم عبد الباقى بن عبد القادر البعلى الأزهرى (ت١٠٧١هـ - ١٦٦٠م) . الذى وضع مؤلفاً في تفسـير قولـه تعالى: " يا أيها الذيـن آمنوا إن تتقـوا الله يجعل لكم فرقانا " . (٤٠)

ومن برز في هذا المجال الشيخ العالم إبراهيم الميمونى الشافعى (ت١٠٧٩هـ - ١٦٦٨م) . الذى اختص أكثر من آية بالتفسير ووضع كلاً منها في مصنف، ومن مؤلفاته "كشف الغشاء عن قوله تعالى " لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء". (٤١) و "القول المتين والدر المكنون في الكلام على قوله تعالى :" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون".(٤٢) ورسالة في تفسير قوله تعالى : " إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ".(٤٣)

ومن هؤلاء أيضاً الشيخ أبو الفيض عبد الرحمن بن يوسف الأجهورى - كان موجوداً سنة ١٠٨٤هـ (١٦٧٣م) - الذى قام بوضع مصنفا بعنوان "العقد الثمين فيما يتعلق بآية الموازين . (٤٤) والشيخ العالم أحمد بن السيد محمد الحموى المصرى الذى وضع مصنفا بعنوان وتحفة الأكياس في تفسير إن أول بيت وضع للناس ".(٤٥) ولو نظرنا إلى تلك الآيات التى أهتم العلماء بتفسيرها . نجد أن معظمها تتعلق بالنواحى العقائدية وتهذيب الروابط الاجتماعية ، وهى تلك الأمور التى كثيراً ما يحتاج الناس إلى تذكيرهم بها .

ومن جهود العلماء حول تفسير كتاب الله تعالى محاولة إلقاء الضوء على بعض الجوانب التى تجمع بين التفسير وعلوم القرآن الكريم لتفصيل المجمل وغير ذلك .

ومن ذلك كتاب للشيخ أحمد بن عبد الرحمن الوراثى الصديقى (ت١٠٤٥هـ - ١٦٣٠م) الذى وضعه بعنوان" تفصيل بعض المفصل من السور" وكتابه الأخر الذى يدور عن " الأجوبة عن الأسئلة لابن عبد السلام في التفسير ". (٤٦) ومنها ما نجده للشيخ العالم أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الفيومى الفرقاوى المالكى (ت١١٠١هـ - ١٦٩٠م) بعنوان كشف النقاب والران عن وجوه مخدلات أسئلة تقع في بعض سور القرآن ".(٤٧)

أما بالنسبة لأخر المحاور التى شغلت فكر المهتمين بهذا العلم آنذاك . فهو التصنيف أووضع التفاسير حول البسملة والحمدلة والذى حاز على اهتمام بعض العلماء وفي مقدمتهم الشيخ العالم على الحلبى الشافعى (ت١٠٤٤هـ - ١٦٣٤م) الذى وضع مصنفاً بعنوان خير الكلام على شرح البسملة والحمدلة لشيخ الإسلام".(٤٨) وهو شرح على شرح شيخ الإسلام القاضى زكريا الأنصارى . (٤٩)

ومن هؤلاء الشيخ العالم محمد البابلى القاهرى الشافعى (ت١٠٧٧هـ - ١٦٦٦م)

الذى وضع كتاباً بعنوان "عقد الدر النظيم في فضل بسم الله الرحمن الرحيم ".(٥٠)
ومن ألفوا في هذا المجال الشيخ العالم محمد الخرشى المالكى (ت١١٠١هـ - ١٦٩٠م) الذى قام بوضع مصنف على البسملة في أربعين كراسة .(٥١)
وهناك أيضاً الشيخ العالم أحمد بن مكى الحموى المصرى(ت١١٠١هـ - ١٦٩٠م) الذى قال صاحب الفوائد عنه: "علم يهتدى به أهل البصائر في المشكلات ، ويرجع إليه في المعضلات ". له شرح للبسملة .(٥٢)
ومما سبق يتضح لنا أن علماء القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) قد ورثوا ممن قبلهم التحرج الشديد حول قيامهم بتفسير القرآن الكريم، وأن مصنفاتهم كانت تزداد كلما ابتعدوا عن وضع تفسير كامل، والجدول الأتى يوضح لنا هذا الأمر.

أشكال التصانيف	تفسير القرآن كله	الحواشى	تفسير السور	الآيات	البسملة والحمد له	المجموع
عدد تصانيف كل محور	٣	٥	٨	١٥	٤	٣٥
النسبة المئوية من إجمالى العدد	،٥٣ %٨	،٢٨ %١٤	،٨٢ %٢٢	،٨٥ %٤٢	،١٤ %١١	١٠٠ %
النسبة المئوية بين التفسير الكامل والأعمال الأخرى		،٦٦ %٦٦	%١٦٦	%٤٠٠	٣٣،٣٣ %	

ولعل هذا الجدول يوضح لنا أن إقبال العلماء الذين اشتغلوا بالتفسير كان متفاوتاً من محور لأخر، كما تضاعف إقبالهم بصورة واضحة على التفاسير المنصبة على تسجيل الحواشى على التفاسير السابقة ، والقيام بتفسير سورة واحدة أو عدة سور وتفسير آية أو عدد من الأيات ، وعدد من الدراسات ذات الصلة بالتفسير وعلوم القرآن.
وبعد ذلك لنا أن نتساءل هل كان التحرج - فقط - هو السبب الرئيسى في تضاؤل نتاج علماء القرن - محل الدراسة - في التفسير الكامل للقرآن الكريم ؟ أم أن هناك أسباب أخرى يمكن أن تعد مسئولة عن ذلك ؟ وللإجابة على هذا يمكن القول بأنه

من خلال هذه الدراسة ، ومن خلال كيفية تناول هؤلاء العلماء لتفسير السور والآيات ، أو وضع الحواشى على تفسير البيضاوى ، يتبين أن هؤلاء العلماء لم يكونوا عاجزين عن تفسير القرآن الكريم كاملاً ، والإكثار من المؤلفات حول هذا المحور . ولكن ذلك التحرج الذى أشارت إليه الدراسة ـ سابقاً ـ يعد سبباً رئيسياً ـ من وجهة نظرى ـ في قلة نتاج هؤلاء العلماء . ذلك التحرج الذى لم يقتصر على التفسير فقط ، بل سوف توضح الدراسة انتقال عدوى التحرج إلى علوم أخرى .

علم الحديث :

هو علم يعرف به أقوال النبى (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وأحواله . وينقسم إلى قسمين، علم دراية، وعلم رواية ، فأما الأول فهو علم يعرف به أقوال النبى (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وأحواله(٥٦) . وبعد عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ضم إلى الحديث ما ورد عن الصحابة فكان الإخبار من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الحديث . (٥٤)وغايته التحلى بالآداب النبوية ، والتخلى عما يكرهه وينهاه . ومباديه العلوم العربية كلها ، ومعرفة القصص والأخبار المتعلقة بالنبى(صلى الله عليه وسلم) ومعرفة الأصليين والفقه وغير ذلـك . (٥٥)

ولقد بلغ الاهتمـام بالحديث أوجه في القرون الثلاثة الأولى ، واطمأن النـاس إلى أسـانيد مشـهورة نظروا إليها على أنها أمهات كتب الحديث ومصـادر دراسـته . وهى الـكتب السته المعروفة ، صحيح البخارى (ت٢٥٧هـ ـ٨٧١م). وصحيح مسلم (ت٢٦٢هـ ـ ٨٧٦م). وسنن أبى داود (ت٢٧٥هـ ـ ٨٨٩م)، وسنن الترمذى (ت٢٧٩هـ ٨٩٣م) . وسنن النسائى (ت٣٠٣هـ ٩١٦م)، وسنن ابن ماجة (٢٧٣هـ ـ٨٨٧م). (٥٦) ثم بعد ذلك كثرت التآليـف في علم الحديث ، ولكن المهتمين بهذا العلم لم يفعلوا أكثر من أنهـم قامـوا بشرح هذه الكتب ، واشتغلوا بنقد الأحاديث وتجريدها وتصحيحها. (٥٧)ويقول ابن خلدون في ذلك : " انصرفت العناية بهذا الزمان إلى تصحيح الأمهات المكتوبة ، وضبطها بالرواية عن مصنيفها . والنظر في أسانيدها إلى مؤلفيها ، وعرض ذلك على ما تقرر في علم الحديث من الشروط والأحكام لتتصل الأسانيد محكمة إلى منتهاها ، ولم يزيدوا في ذلك على العناية بأكثر من هذه الأمهات الخمسة إلا في القليل ".(٥٨)

ولقد تناول العلماء هذه الكتب التى اعتبرت أمهات كتب علم الحديث بطرق مختلفة ، فمنهم من جمع الأحاديث وذكر معها أراء الفقهاء ، ومنهم من قصد ذكر

الغريب دون متن الحديث واستخراج الكلمات الغريبة ، ومنهم من قصد جمع هذه الكتب واختصار ما فيها . (٥٩)

ولم تختلف تلك الرؤية كثيراً لدى علماء العصر العثمانى عند تناولهم للتصنيف في علم الحديث . حيث نراهم قد تناولوه بطرق مختلفة فمنهم من قام بجمع عدد كبير من الأحاديث المتنوعة في كتاب واحد ، ومنهم من قام بشرح الكتب التى تعد من أمهات كتب هذا العلم ، بالإضافة إلى أنهم قاموا بوضع إسهاماتهم على شروح وحواشى من قبلهم ، وهناك من قام بترتيب تلك الكتب وتلخيصها ، هذا بالإضافة إلى أنهم قاموا بجمع الأحاديث التى تتعلق بموضوع معين ، أو مناسبة إسلامية خاصة ، أو ناحية أخلاقية وتهذيبية في كتاب خاص بها .

ومما هو غنى عن البيان أن علم الحديث مرتبط أشد الارتباط بالعلوم الدينية والعربية الأخرى كالتفسير ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، والقراءات ، والتاريخ ، وخاصة في النواحى التاريخية المتعلقة بسيرة الرسول. (صلى الله عليه وسلم) فالعلماء الذين اهتموا بالسيرة النبوية ، كان الحديث صلب مادتهم التى رجعوا إليها . وسوف نعرض لدراسة تلك المصنفات في دراستنا لعلم التاريخ .

أما العلماء الذين اهتموا بالحديث في فترة هذه الدراسة فيأتى في مقدمتهم الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى. الذى قام بوضع أكثر من كتاب في هذا العلم على صور مختلفة . ويعتبر هو خير من قام بجمع أكبر عدد ممكن من الأحاديث في كتاب بعينه خلال ذلك القرن ، ومن هذا النوع كتاب " الجامع الأزهر في حديث النبى الأنوار " وقد جمع فيه ثلاثين ألف حديث ، وبين فيه من الزيادة على الجامع الكبير ،(٦٠) وعقب كل حديث ببيان رتبته . (٦١) وكتاب آخر في الأحاديث القصار ، جمع فيه عشرة آلاف حديث في عشر كراريس . سماه " كنز الحقائق في حديث خير الخلائق "(٦٢) وهناك كتاب له في الأحاديث القصار عقب كل حديث ببيان رتبته سماه "المجموع الفائق من حديث خاتمة خير الخلائق ". (٦٣) كما قام بوضع كتاب في الأحاديث القدسية سماه " الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية " أورد فيه من الأحاديث القدسية المسندة مرتباً على بابين ووضع شرحاً عليه . (٦٤) وغير ذلك من الكتب الأخرى .

ومما يحسن إيراده هنا الإشارة إلى أن كتب المناوى عامة كما يقول المحبى "ومؤلفاته غالبها متداولة كثيرة النفع ، وللناس عليها تهافت زائد ويتغالون في أثمانها .. " (٦٥) ومن

كتبه التى لاقت القبول الشديد وطلبت بالاسم عبر الأقطار الأخرى . كتابه السابق الأحاديث القدسية .(٦٦)

ومن قام بالتصنيف في علم الحديث خلال ذلك القرن الشيخ العالم أحمد القليوبى الشافعى (ت١٠٦٩هـ-١٦٥٨م) الذى قام بوضع مصنف بعنوان البذور المنورة في معرفة الأحاديث المشتهرة ".(٦٧)

والعرض السابق يوضح لنا قلة عدد المشاركين من علماء ذلك القرن ، في الإسهام فى إيجاد كتب جامعه شاملة لعلم الحديث ، وربما يرجع ذلك إلى أن هذا الأمر سوف يعتمد على التكرار لما في الكتب السابقة وأن العلماء قد اعتقدوا أن السابقين قد أتوا على ذلك الأمر بكافة جوانبه ، ولهذا حاول بعضهم الاستعاضة عن ذلك بالاهتمام بالجوانب الأخرى ، حيث تظهر جهودهم الفكرية بصورة أوضح .

ويأتى في مقدمة ذلك ، جهودهم في شرح كتب السابقين ، فمن الكتب التى تناولوها بالشرح كتاب " شمائل الترمذى " للإمام الترمذى ، حيث قام الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى بشرحه مرتين . (٦٨)كما قام باختصاره ، وزاد عليه أكثر من النصف وسماه الروض الباسم في شمائل المصطفي أبى القاسم ".(٦٩)

ومن الكتب التى أهتم العلماء بدراستها والتعليق عليها ، كتاب "الأربعين النووية " للإمام النووى (ت٦٧٦هـ-١٢٧٨م) ومن بين من قام بشرحه الشيخ العالم ابن حجر الهيثمى (ت١٠٤١هـ- ١٦٣١م) في كتاب له بعنوان "مختصر الفتح المبين في شرح الأربعين".(٧٠) كما قام العلامة برهان الدين إبراهيم ابن مرعى الشبرخيتى المالكى (ت١١٠٦هـ- ١٦٩٤م) بوضع كتاب اسماه ، الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية ".(٧١)

ومن الكتب التى جذبت انتباه علماء ذلك القرن، وقاموا بشرحها ووضع الحواشى عليها كتاب " الشفا" للقاضى عياضى (ت ٥٤٠هـ - ١١٥٠م). ويأتى في طليعة من تناول هذا الكتاب بمزيد من الاهتمام الشيخ العالم أحمد السبكى الشافعى (ت١٠٣٢هـ-١٦٢٢م) حيث قام بوضع حاشية على كتاب الشفا . (٧٢) ومن بين هؤلاء الشيخ العالم شهاب الدين أحمد الخفاجى الحنفي . الذى قام بشرح الكتاب السابق تحت عنوان "تسليم الرضا في شرح الشفا للقاضى عياض". وقد فرغ منه سنة ١٠٣٨هـ - ١٦٢٧م، ويقع في ثلاثة مجلدات . (٧٣)

وضمن أهم الكتب التى نالت قسطاً كبيراً من اهتمام علماء ذلك القرن ، سواء من ناحية التصنيف عليها ، أو اتخاذها كمقرر من أهم المقررات الثابتة للدارسين في هذا العلم. كتاب "الجامع الصغير"(٧٤) للسيوطى. ويرجع الاهتمام الكبير ، بالكتاب لكونه أحد المصادر الرئيسية لعلم الحديث ، وقد قام السيوطى بتلخيصه من كتابه الكبير " جمع الجوامع " الذى جمع فيه بين ما ورد في الكتب الستة، والمسانيد العشرة . (٧٥)

وفى طليعة من تناول هذا الكتاب بالتصنيف إبان ذلك القرن الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى . الذى قام بوضع مؤلفين . الأول شرح فيه ذلك الكتاب وسماه فيض القدير في شرح الجامع الصغير " وقد طارت شهرة هذا الكتاب والمؤلف حتى أصبح المؤلف يعرف به . ثم قام باختصاره تحت عنوان " التيسير مختصر شرح الجامع الصغير ".(٧٦) ولا يخفي عليك أنه قصد باختصار ـ هذا أن ينتفع منه المبتدئون في دراسة هذا العلم . لكون هذا الأمر. من أسمىٰ الغايات التى قصد العلماء تحقيقها .

ومن هؤلاء أيضاً الشيخ العالم محمد حجازى الواعظ (ت١٠٣٥هـ ـ ١٦٢٥م). الذى قام بشرح ذلك الكتاب تحت عنوان " فتح النضير بشرح الجامع الصغير " الذى وصل حجمه إلى اثنى عشر مجلداً . كل مجلد خمسين كراساً . (٧٧)

وممن قام بشرح ذلك الكتاب أيضاً الشيخ على بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالعزيز البولاقى (ت١٠٧٠هـ ـ ١٦٦٠م). وسمى شرحه السراج المنير بشرح الجامع الصغير "(٧٨) وهناك أيضاً الشيخ فايد بن مبارك الحنفي الأزهرى المعروف بالإبيارى . الذى وضع شرحاً على ذلك الكتاب بعنوان " مواهب القدير على الجامع الصغير " وقد فرغ منه سنة ١٠٨٦هـ ـ ١٦٧٥م. (٧٩)

وبخصوص الجامع الصغير لم يقتصر جهد علماء ذلك القرن على ما ذكرنا بل نجد هناك من قام بترتيبه ، مثل إبراهيم بن محمد السوهائى. الذى قام بذلك تحت عنوان "فتح القدير بترتيب الجامع الصغير " وقد فرغ منه سنة ١٠٦٢هـ ، ورتبه على المعجم في مائة وثمانية وسبعين باباً . (٨٠)

وإن كان علماء تلك الفترة قد قاموا بشرح كتب من سبقهم في علم الحديث كما رأينا، نجدهم أيضاً يقومون بتعليق تحريراتهم على شروح من سبقهم في تلك الكتب . ومن الذين اهتموا بهذا الأمر ـ أنذاك ـ العلامة محمد الشوبرى الشافعى (ت١٠٦٧هـ ـ ١٦٥٦م). الذى قام بوضع مؤلف على شرح الأربعين النووية سماه " تعليقات على

شرح الأربعين لابن حجر " (٨١) وهناك الشيخ العالم على الشبراملسى الشافعى (ت١٠٨٧هـ - ١٦٧٦م) الذى قام بوضع حاشية على شرح الشمائل لابن حجر . (٨٢)

ولم يكتف علماء ذلك القرن بتوجيه جهدهم إلى الكتب التى سبقتهم شرحاً وتعليقاً، لكننا نراهم قد أولوا بعض المناسبات الإسلامية بشىء من الاهتمام ، وقسموها تقسيما موضوعيا ، وأفردوا لكل قسم المؤلفات الخاصة به ونجد أهم تلك الموضوعات ليلة القدر ، وليلة النصف من شعبان ، ويوم عاشوراً . ومما لا شك فيه أن الأمر الذى لفت أنظار علماء تلك الفترة إلى وضع المؤلفات عن تلك الليالى لم يكن العامل الدينى - فقط، بل هناك عامل آخر لم يقل عن هذا العامل أهمية إلا وهو ما تمثله تلك الليالى وأيامها من مناسبات اجتماعيه هامة ينتظرها أفراد المجتمع كل عام وتختلف استعداداتهم بها ، فكان لزاماً على العلماء إفرادها بالمصنفات المعتمدة في الأصل على أهم الأحاديث التى وردت في أفضلية كل منها .

وكان على رأس المهتمين بالتصنيف في بعض تلك المناسبات الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى . الذى وضع مؤلفين بخصوص ذلك ، الأول في فضل ليلة النصف من شعبان والثانى في فضل ليلة القدر سماه " أسفار البدر عن ليلة القدر " . (٨٣)

ومن الذين كتبوا حول الموضوعات السابقة الشيخ العالم سالم السنهورى (ت١٠٢٥هـ - ١٦١٥م) . الذى قام بوضع رسالة في ليلة النصف من شعبان.(٨٤) وهناك الشيخ العالم على الأجهورى المالكى. قام بوضع مؤلفين عن هذا الموضوع ، أحدهما مقدمة في ليلة النصف من شعبان ، والأخر مقدمة في فضل يوم عاشورا . (٨٥) ومن سار على هذا الدرب أيضاً الشيخ العالم نوح بن مصطفي الرومى (ت١٠٧٠هـ - ١٦٥٩م). الذى قام بوضع مؤلفين في هذا الشأن : الأول بعنوان "عقد المرجان في فضل ليلة النصف من شعبان " ، والأخر بعنوان " مطلع البدر في فضل ليلة القدر ".(٨٦)

ولم تقتصر الجوانب ذات الطابع المحدد على الموضوعات التى سبق ذكرها بل وجدت جوانب أخرى جذبت انتباه العلماء مما دعاهم إلى القيام بجمع الأحاديث المتعلقة بها في كتب قائمة بذاتها ، كتلك المتعلقة بالأدعية المأثورة ، أو التى تتعلق بتقوية العلاقات الطيبة بين الناس كالسلام ، والتهنئة ، والتعزية والتى توضح واجبات المسلمين كالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر ، وقضاء حوائج الناس . وغير ذلك من المواضيع . التى تدعوا إلى نشر السلوك الإسلامى وصلاح المجتمعات ونشر السعادة بين الناس ، وهذه

الأمور اهتمت الشريعة الإسلامية بترسيخها بيـن الناس وتنظيم أساليبها ، فكان حرياً بأولئك العلماء أن يهتموا بدراستها نشـرا لمبادئ الدين وخدمة للمجتمع البشرى .

ونجد في طليعة من تنبه إلى مثل هذا الأمر ووضع المصنفات فيه من علماء فترة هذه الدراسة الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى . الذى قام بوضع كتاب جمع فيـه الأدعية المأثورة عن رسول الله (سماه " المطالب العليـة في الأدعيـة الزاهية ". رتبه على سبعة مطالب ، الأول فيما ورد عن النبى (في فضل الدعـاء ، الثانى في أدعية كان عليه السلام يدعو بها ، الثالث في أذكار تحفظ قائلها من الأفات ، الرابع في أدعية مروية عن بعض أساطين العارفين ، الخامس فيما يقال عند رؤية الهلال ، السادس فيما ورد في فضل قضاء حوائج الناس ، السابع في الأحاديث القدسية وهى أربعون . (٨٧)

فمن الذين اهتموا بتسليط الضوء على الخلق الإسلامى الرامى إلى تهذيب أفراد المجتمع ، العالم أحمد السبكى (ـ١٠٣٢هـ ـ ١٦٢٢م). الذى صنف رسالة في مسائل السلام والاستئذان سماها " هدية الإخوان في مسائل السلام والاستئذان ". (٨٨)

وما هو الشيخ العالم مرعى الحنبلى الذى وضع مؤلفين فى ذلك الأول بعنوان " القول المعروف في أحاديث فعل المعروف " ، وهو عبارة عن رسالة جمع فيها بعض الأحاديث المتعلقة بالمعروف وإغاثة الملهوف . (٨٩) والثانى بعنوان " بشرى أولى الألباب ومن يقضى حوائج الأخوان ".(٩٠)

وقد وسع العلماء من دائرة نصحهم فقاموا بدورهم في تبصير الحكام بأمور الصلاح والإصلاح وأدوا الدور الواجب على العلماء أداؤه في كل عصر وأن وضمن الكتب العظيمة الأهمية ذات الصلة بتلك الأمور ، ما قام الشيخ العالم حسن الشرنبلالى الحنفي (ت١٠٦٩هـ ـ ١٦٥٨م). بوضعه في كتاب بعنوان " أربعون حديثاً في فضل السلطنة والحكام المقسطين".(٩١) وهذا الكتاب يحتوى على مضامين سامية وأهداف عظيمة ، ويتضمن حث الحكام على تحرى العدالة في سائر أحكامهم .

ومـن العلـمـاء الـذيـن اهتموا ببعض الجوانب الإسلامية ذات الصلة بالعلاقات الاجتماعية الشيخ العالم عبد الباقى الزرقانى المالكى (ت١٠٩٩هـ ـ١٦٨٨م) الذى قام بوضع رسالتين : الأولى جمع فيها ما ورد من الأحاديث في التهنئة والتعزية ، وفي الإصلاح بين الناس . (٩٢) والثانية ضمنها بيان من يظلهم الله يوم القيامة . (٩٣)

وبعد ففي دراستى لجهود العلماء في هذا الجانب وجدت أن الاهتمام قد انصب في جزء كبير منه على وضع الشروح والتحريرات على الكتب السابقة لهم ، كما وضع أولئك العلماء عدداً غير قليل من المؤلفات ذات الأثر الاجتماعى والتى تؤصل السلوك

الإسلامى بين أفراد المجتمع ، كما أتى عدد من تلك المؤلفات منصباً على جمع الأحاديث النبوية وتبيوبها موضوعياً .

علم مصطلح الحديث :

ذلك علم قوى الصلة بالحديث الشريف ، ويطلق عليه علم الرواية . وهو علم يعرف به حال الراوى والمروى من حيث القبول والرد ، وما يتبع ذلك من كيفية التحمل والأداء والضبط . (٩٤)

ولقد استحدث علماء الإسلام هذا العلم واعتنوا به أشد العناية وذلك لما استحل الكثير من الناس لأنفسهم وضع أحاديث في سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يصح اتصالها به (صلى الله عليه وسلم) !! وأتى ذلك نتيجة عدم تدوين الحديث طيلة القرن الأول الهجرى، خشية التباس الحديث بالقرآن الكريم ، إذ أنه لم يبدأ التدوين في الحديث إلا في بداية القرن الثانى الهجرى ، بحيث قيل أن أول من جمع الحديث الربيع بن صبيح (ت١٦٠هـ - ٧٧٦ م) وسعيد بن أبى عروبة (ت١٥٦هـ - ٧٧٢م). ثم بدأ الاهتمام بالتدوين في ذلك العلم حتى وصل إلى مرحلة النضج في القرن الثالث الهجرى على يد الأئمة الخمسة . (٩٥)

ومن هنا بدأ اهتمام العلماء المسلمين الشديد بهذه الناحية ، فعملوا على تنقية الأحاديث الثابتة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإبعاد الأحاديث التى قام الوضاعون بوضعها واختلافتها ، فبذلوا الجهد العظيم لوضع قواعد الجرح والتعديل لنقد الرجال ، فكان اهتمامهم الشديد بالأسانيد أكثر من الاهتمام بالمتن فقاموا بتأليف الكتب الخاصة بهذا العلم ، والتى توضح مراتب الحديث من صحيح، وحسن ، وضعيف ، ومردود وما إلى ذلك ، إضافة إلى القواعد الخاصة بنقد الرجال . (٩٦)

ولقد انتقل هذا الاهتمام إلى علماء العصر العثمانى ، ولا سيما علماء القرن الحادى عشر الهجرى الـ١٧م. حيث أدرك هؤلاء العلماء مدى أهمية الاعتناء بالأسانيد والتأكد منها ، بالإضافة إلى أنهم قاموا بتسجيل الحواشى والتعليقات والشروح على الكتب التى سبقتهم في ذلك المجال ، ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا الكتب التى توضح مراتب الحديث المختلفة . كما قاموا بتخريج الأحاديث التى وردت في كتب من قبلهم للتأكد من صحة انتسابها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وقد يتساءل البعض لما كان الأولون قد وضعوا نهاية هذا العلم في كتبهم . فلم قام المتأخرون من علماء ذلك العصر بإرهاق أنفسهم ووضع المؤلفات في هذا العلم ؟ وللإجابة عن ذلك نقول إنه بتدقيق النظر والبحث عن سبب قيام علماء ذلك العصر بوضع المؤلفات في هذا العلم . يتضح أنهم قد قصدوا . تدريب طلبة العلم على الطرق المنهجية للتأليف في هذا العلم . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يرى أنهم قد تنبهوا تماماً إلى مدى انتشار التصوف وطرقه في ذلك الوقت وما كان يقوم به المتصوفة من بث الأحاديث التي لم يثبت صحتها ، والتي تؤيد ما يريدون نشره بين الناس .(٩٧)

ومما يبين فرط اهتمام هؤلاء العلماء بالوقوف على صحة الأسانيد والتثبت منها، ما صرحوا به في كتاباتهم فها هو الشيخ العالم يوسف بن شاهين الأرمناوى (ت١١٠٠هـ - ١٦٨٩م) يقول في ذلك : " ولولا الإسناد لقال من شاء ما يشاء ، وبآء من أعظم الإثم بما بآء خله ". ثم ينبه بقوله : "تنبه وأعلم فمثل الذى يطلب أمر دينه بلا سند كمثل الذى يرتقى العلوم بلا سلم".(٩٨)

ويبدو ذلك الاهتمام واضحاً في هذه الوصية التى يوصى بها الشيخ يوسف الجنيدى الخليلى طلاب العلم لحثهم على الاهتمام بالإسناد ، إذ يقول : "وقد اختص الله هذه الأمة الشريفة بالإسناد حفظاً لشريعة نبيها محمداً (صلى الله عليه وسلم) إلى يوم التناد، فيتأكد على كل طالب أن يعرف مشايخهم (مشايخه) فإنهم أباؤه في الدين ، ووصلة بينه ، وبين رب العالمين ".(٩٩)

وكان من طبيعة العلماء في ذلك العصر الاهتمام بتتبع سند شيوخهم الذين تتلمذوا على أيديهم حتى ينتهوا إلى واضع العلم أو الكتاب الذى يدرسونه كصحيح البخارى وغيره . والناظر في الإجازات التى تركها لنا هؤلاء العلماء يجدهم كانوا يتتبعون تواصل السند حتى يصلوا إلى أصل العلم . بل نجد منهم من كان يغالى في ذلك ، ويقوم بتتبع سند كل شيخ تلقى التعليم عليه ، ومن ذلك ما نراه في إجازة الشيخ أحمد المنزلى الشافعى (ت١٠٨٤هـ - ١٦٧٣م) لولده الشيخ محمد بن أبى النصر .(١٠٠)

وأما بالنسبة لمعرفة مشاركة علماء ذلك القرن في وضع المؤلفات في هذا العلم ، والتى اهتمت بتبيين مراتب الحديث المختلفة ، نجد على رأس هؤلاء الشيخ العالم عبد الرءوف

المناوى . الذى قام بوضع أكثر من مؤلف في هذا المجال ، منها كتاب بعنوان " بغية المحتاج إلى معرفة اصطلاح المحدثين" وله كتاب أخر بعنوان " نخبة الكنوز في سر الرموز في الحديث "(١٠١)

وهناك الشيخ العالم أحمد القليوبى الشافعى (ت١٠٦٩هـ ـ ١٦٥٨م) أحد المهتمين بهذا الأمر ، حيث قام بوضع مؤلف تحت عنوان " البدور المنورة في معرفة الأحاديث المشتهرة " وهو كتاب في مقبول الحديث ، وضعيفه ، وموضوعه مما سمع أو روى ، أو نقل من أئمة الحديث مرتب على حروف المعجم .(١٠٢)

ومن المهتمين بهذا المجال الشيخ العالم أبو عبد الله البابلى. الذى قام بوضع مؤلف بعنوان "منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد".(١٠٣)

وسيراً على الدرب الذى انتهجه علماء تلك الفترة من تيسير العلوم على الطلبة المبتدئين ، قاموا بوضع مؤلفات تشتمل على منظومات شعريه . ومثل ذلك ما قام به الشيخ أحمد السندوبى الشافعى (ت١٠٩٧هـ ـ ١٦٨٦م). إذ وضع منظومة في مصطلح الحديث . (١٠٤) لم أقف على عنوانها .

ولعل من أعظم درجات المشاركة من قبل هؤلاء العلماء في هذا المجال أنهم قاموا بتخريج الأحاديث التى ورد ذكرها في كتب السابقين ، وإعمال النقد في رواة الأحاديث التى جاء ذكرها في تلك الكتب . وقد كان الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى ممن حازوا قصب السبق في المشاركة بالتصنيف في علم الحديث والمصطلح إذ نراه يقوم بوضع كتاب يخرج فيه الأحاديث التى أوردها البيضاوى في كتابه " التفسير " بعنوان " الفتح السماوى بتخريج أحاديث البيضاوى"(١٠٥) وعندما تعلم أن البيضاوى قد أورد تلك الأحاديث من غير إسناد يمكن أن ندرك مدى عظم الجهد الذى قام به "المناوى" في تخريج هذه الأحاديث ، أضف إلى ذلك أن كتاب البيضاوى وهو كتاب تفسير اعتمد على الأحاديث في كثير من المواطن ، ومن ثم فقد ورد فيه الكثير من الأحاديث التى استعان بها البيضاوى في تفسيره .

ومن هؤلاء الشيخ العالم إبراهيم اللقانى المالكى. الذى وضع مؤلفاً بعنوان "بهجة المحافل بالتعريف برواة الشمايل" ضمنه الكلام في رواة الشمايل المحمدية، وأخبارهم، ومواليدهم، فضلاً عما يتعلق بهم من جرح وتعديل. (١٠٦)

وهناك الأديب العالم عبد القادر البغدادى. الذى وضع مؤلفا بعنوان "تخريج أحاديث شرح الرضى على الكافية ".(١٠٧)

وبعد فإنه يمكن القول أن هؤلاء العلماء عند تناولهم لهذا المحور بالدراسة والتأليف أرادوا الخروج من الحدود الضيقة التى وضع عليها علم المصطلح ومجالاته المحدودة القابلة للتصنيف . ومما يلفت النظر هنا أن الكتب الثلاث ـ السابقة الذكر ـ التى قام هؤلاء العلماء بتخريج ما جاء بها من أحاديث . كانت ضمن المناهج الدراسية المقررة آنذاك ، وهو ما يؤكد لنا ثانية اهتمام علماء تلك الفترة بالتأكد من قوة الإسناد ، والتثبت من صحة ما يدرسونه لتبنى حياتهم العلمية والثقافية على أصول ثابتة .

ومن المحاور الهامة التى برزت فيها جهود علماء تلك الفترة في مصطلح الحديث ، تناول أهم كتب سابقيهم بالشرح أو تعليق الحواشى عليها ومن تلك الكتب كتاب "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" للحافظ ابن حجر العسقلانى (ت٨٥٢هـ ـ ١٤٤٨م). ونجد على رأس من تناول هذا الكتاب بالدراسة والتعليق الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى الذى وضع مؤلفين عليه ، أحدهما بعنوان " نتيجة الفكر في شرح نخبة الفكر في أصول الحديث لابـن حجر العسقلانى" والآخر بعنوان "اليواقيت والدرر في شرح نخبة الفكر".(١٠٨)

ومن هؤلاء الشيخ العالم إبراهيم اللقانى المالكى. الذى قام بوضع مؤلف بعنوان " قضاء الوطر من نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر".(١٠٩)

وهناك الشيخ العالم محمد الخرشى المالكى. قام بوضع مؤلف بعنوان " منتهى الرغبة في حل ألفاظ النخبة " وقد فرغ منه سنة ١٠٨٧هـ ـ (١٦٧٦م). (١١٠)

أما تعليق الحواشى على كتاب (نخبة الفكر) فممن قام بذلك ، الشيخ العالم محمد ابن أحمد بن على البهوتى الحنبلى (ت١٠٨٨هـ ـ ١٦٧٧م). وقد وضـع حاشية على الكتاب المذكور . (١١١) ومنهم الشيخ العالم على الأجهورى المـالكى (ت١٠٦٦هـ ـ ١٦٥٥م). الذى قام بوضع حاشية على نفس الكتـاب . (١١٢)

ومن الكتب الأخرى التى جذبت انتباه علماء تلك الفترة للقيام بشرحها "ألفية الوافي في مصطلح الحديث " فقد قام الشيخ العالم على الأجهورى المالكى بوضع شرح عليها في مجلدين تحت عنوان " فتح الباقى بشرح ألفيـة الوافي"(١١٣) ومن أعمال هذا

العالم في هذا المجال وضعه لرسالة ضمنها تعليقاً على قول شيخ الإسلام زكريا الانصارى في شرحه المسمى (فتح الباقى ، بشرح ألفية العراقى) . [١١٤]

ومن تلك الكتب " منظومة البيقونيه [١١٥] في مصطلح الحديث " ، والتى قام الشيخ الخطيب عبد القادر بن جلال الدين المحلى البكرى. بشرحها [١١٦]

ومن بين الكتب التى تناولها علماء تلك الفترة بالشرح كتاب " ثلاثيات البخارى [١١٧] " الذى قام الشيخ العالم أحمد العجمى. بشرحه[١١٨].

وهكذا فإنه يمكننا القول بأنه كان ثمة تطوراً كبيراً ـ أو ما يشبه الصحوة ـ في دراسة الحديث في القرن الـ ١٧م ، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال الموضوعات التى عالجتها المؤلفات التى عرضتها الدراسة . ولعل من أهم الأمور التى لمسناها في هذا الشأن ما ظهر لنا من اهتمام علماء ذلك القرن بالدراسات الخاصة بقواعد الحديث وأصوله ، والإسناد فيه ، والتعديل والتجريح ، وغير ذلك من الأمور التى تتعلق بمنهج دراسة الحديث ، وهو ما يعد بمثابة انتقاله كبرى في هذا المجال إذا ما قورن ذلك بالقرن الـ ١٦م . وما فيه كذلك من إشارة مؤكدة من أن علماء فترة هذه الدراسة كانوا اسبق من غيرهم ـ وخاصة علماء القرن الثامن عشر اهتماماً بهذه الجوانب[١١٩].

علمى القراءات والتجويد :

اتفق العلماء على أن علم القراءات هو علم كيفية أداء كلمات القرآن واختلافها ، وموضوعه كلمات القرآن الكريم . واستمداده من السنة والإجماع. وفائدته صيانة كلام الله من التحريف والتقييد . [١٢٠]

أما بالنسبة لعلم التجويد فهو علم باحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم من جهة مخارج الحروف . وصفاتها وترتيل النظم المبين بإعطاء التلاوة حقها من الوصل ، والوقف، والمد ، والقصر ، والإدغام ، والإظهار ، والإخفاء ، والإمالة ، والتحقيق ، والتفخيم ، والترقيق ، والتخفيف ، والقلب ، والتسهيل ، إلى غير ذلك . [١٢١]

ومن السهل علينا أن نخرج من هذين التعريفين بأن كلا العلمين مضمونهما واحد وهو القرآن الكريم ، فالأول من ناحية القراءات المختلفة ، والثانى من حيث تحسين القراءة، وإن كان الثانى أعم من الأول .

ومما لا شك فيه أن علم القراءات سبق علم التجويد ظهوراً وتصنيفاً فأما بالنسبة لناحية الظهور فقد أخذ أصله من الصحابة ثم انتقل عنهم(١٢٢)، أما من ناحية التصنيف فكما قال ابن الجزرى أن أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب هو أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ-٨٣٨م). وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع السبعة .(١٢٣)

هذا عن علم القراءات . أما علم التجويد ، فكما يقول صاحب كشف الظنون : " هذا العلم نتيجة فنون القراءة ". وأن أول من صنف فيه كما يقول ابن الجزرى ، موسى ابن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقانى البغدادى المقرى (٣٢٥هـ- ٩٢٦م). (١٢٤)

ومن أهم سمات كلا العلمين ، أن العلم وحده لا يكفي فيهما ، بل هما عبارة عن ملكة حاصلة عن تمرن الطالب بنطقه وتدربه بالتلقف عن أفواه معلميه .ومن ثم نجد أن هذه السمة أضافت وضعاً خاصاً على العلم والمتخصص فيه : بحيث احتاجت إلى دقة خاصة ينبغى أن تتوفر فيمن يتصدى لتعلمه ، وكيفية إعطاء الطالب الإجازة فيه ، كما أنها أكسبت العالم المتخصص فيه مكانة خاصة بين باقى المتخصصين في العلوم النقلية، وبصورة أخرى أن هذه السمة أعطت العالم صفة التفرد ، فأصبح مشهوراً بين أقرانه ، ويقصده الطلبة من شتى الأقاليم والأقطار لأخذ هذا العلم عنه .

وإذا نظرنا إلى تراث العصر العثمانى ، وخاصة القرن الذى ندرسه ، نجد أن هذين العلمين قد لقيا اهتماماً كبيراً سواء من ناحية تعلمهما ، أو التصنيف فيهما ، أو بروز علماء عظام فيهما في مصر شدت إليهم الرحال .

ونظراً للارتباط الشديد بين القرآن الكريم وعلمى القراءات والتجويد ، عُدا في طليعة المناهج التعليمية التى يتمرن عليهما الطالب في مرحلته التعليمية المبكرة ، فإلى جانب قيام الطفل بحفظ القرآن الكريم كان يحفظ بعض المتون التى صنفت في كلا العلمين - وخاصة علم القراءات - ومن الكتب التي كان يداوم الطلبة على حفظها ، كتاب " الشاطبية " الجامع للسبع قراءات ، فكثيراً ما كان الطالب في بلده يحفظ هذا الكتاب بجانب حفظه للقرآن الكريم ، قبل التحاقه بالجامع الأزهر ، وهذا واضح في ترجمات معظم كبار العلماء في تلك الفترة .

ومن اشتهر في علمى القراءات والتجويد وقصده الطلاب لأخذهما عنه في ذلك القرن ، الشيخ العالم سيف الدين أبو الفتوح بن عطا لله الوفائى الفضالى المقرى الشافعى (ت١٠٢٠هـ-١٦١١م). الذى يقول المحبى عنه: " شيخ القراء بمصر في عصره،

وأخذ عنه جمع من أكابر الشيوخ ، ويأتى على رأسهم الشيخ العالم سلطان المزاحى شيخ القراء في عصره .. .. "(١٢٥)

ومن أشهر من برز في كلا العلمين خلال ذلك القرن الشيخ العالم عبد الرحمن بن شحاذه اليمنى المصرى الذى يخبرنا صاحب الفوايد عن فرط من أخذ منه هذا العلم إذ يقول :"إن أغلب القراء من كافة الأنحاء الحجازية والمصرية والشامية أخذوا عنه .. .."(١٢٦) والمتتبع لتراجم أكابر علماء ذلك القرن بمصر يجد أنهم قد أخذوا عنه علم القراءات ، أمثال الشيخ العالم عبد السلام اللقاني المالكى.(١٢٧) والشيخ العالم علي الشبراملسى الشافعى.(١٢٨) والشيخ العالم إبراهيم الرشيدى الشافعى . (١٢٩) وغيرهم الكثير .

ومن مشاهير هذين العلمين بمصر في ذلك الحين أيضاً ، الشيخ العالم محمد ابن قاسم بن إسماعيل البقرى ـ نسبة إلى دار البقر من قرى المحلة بالغربية ـ (ت١١٠٠هـ ـ ١٦٨٩م). ومن ترجمة صاحب الفوايد له قوله : "إنه برع في علم القراءات والتجويد خصوصاً . وأشتهر به بحيث أنه يتحضر جميع الوجوه من جميع الطرق من غير مراجعة وتكلف ـ واشتهرت بركته لمن قرأ عليه وعم النفع به ، وأخذ عنه خلق كثير وتخرجوا به ، وانتفعوا الانتفاع التام من المشرق والمغرب ، وسارت بفضله وعظيم نفعه الركبان".(١٣٠) وثمة الكثير من هؤلاء .

أما عن جهود علماء القرن ـ محل الدراسة ـ التصنيفية في علم القراءات، فنجد أنها وضعت لتحقيق هدف رئيسى وهو تقديم القراءات في أسهل صورها لطالبى ذلك العلم. سواء كان بتوضيح بعض الأمور المتعلقة بالقراءات المختلفة ، أو الإجابة عن الأسئلة التى تدور حولها ، أو توضيح القراءات نفسها .

وفي طليعة من صنف في هذا العلم في ذلك القرن ، الشيخ المقرئ عبد الله ابن عبد الله الحسينى المغربى، ثم المصرى الشافعى المعروف بالطبلاوى (ت١٠٢٧هـ ـ ١٦١٨م). حيث قام بوضع مصنف بعنوان ، هداية الحيران في بعض أحكام تتعلق بالقرآن ".(١٣١) وهناك الشيخ العالم سلطان المزاحى الشافعى. الذى وضع رسالة في القراءات العشر " وهى إجابة على عشرين مسألة ، رفعت إليه في ذلك.(١٣٢)

أما فيما يختص أو يتعلق بالمصنفات التى وضعت أصلاً لتوضيح وتبسيط القراءات التى ثبتت عن الأئمة ، فنجدها قد أتت على صورتين الأولى، اختصت بقراءة واحدة ، والأخرى اختصت بأكثر من قراءة .

فمن المصنفات التى اهتمت بقراءة واحدة ، ما قام به الشيخ فايد بن مبارك الإبيارى المصرى الأزهرى (ت١٠١٦هـ ـ ١٦٠٧م). الذى وضع مقدمة في قراءة حفص . (١٣٣) ومنها ما قام به الشيخ العالم إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن السوهائى المقرىء (ت١٠٨٠هـ ـ ١٦٦٩م). إذ وضع مؤلف بعنوان " الدرر المنثورة في قراءة أبى عمرو المشهورة ".(١٣٤)

أما المصنفات التى اهتمت بمجموع القراءات سواء كانت السبعة المشهورة ، أو العشرة، أو الأربعة عشر ، فنجد في طليعتها جهود الشيخ العالم محمد بن أحمد العوفي (ت١٠٥٠هـ ـ ١٦٤٠م). الذى قام بوضع أكثر من مصنف في ذلك ، منها الجواهر المكللة لمن رام الطرق المكملة " وقد تناول فيه قراءة القرآن ومنها " درر الأفكار في قراءة الأئمة العشرة " كما نجد له مصنفاً ثالثاً بعنوان الدر المنثور (النثير) في النهج المشهور".(١٣٥)

ومنهم سلطان المزاحى الشافعى. إذ نرى له مصنفاً بعنوان " مقدمة في معرفة جميع أوجه التكبير للقراء العشر عن طريق طيبة العشر في القرارات العشر للإمام الجزرى".(١٣٦) كذلك الشيخ العالم محمد بن قاسم بن إسماعيل البقرى الشناوى الأزهرى. الذى قام بوضع مؤلف بعنوان "القواعد المقررة والفوائد المحررة في القراءة السبعة" وتعرف بالقواعد البقرية . (١٣٧)

ومن أهم المصنفات التى وضعت في هذا الشأن ما ينسب للشيخ العالم أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغنى الدمياطى الشهير بالبناء (ت١١١٧هـ ـ ١٧٠٥م). إذ له مؤلفين في ذلك الأول تحت عنوان "منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات"(١٣٨) والأخر بعنوان " إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر " . (١٣٩)

أما من ناحية المصنفات التى وضعت كتعليقات أو حواش على شروح السابقين في هذا المجال ، نجد أن المهتمين بهذا العلم قد أتت مصنفاتهم على هذا الدرب قليلة للغاية ولو بحثنا عن تفسير لهذا الأمر لوجدناه يرجع إلى طبيعة تلك القراءات وأن غاية ما تحتاجه هو القيام بشرحها ، ولذا يمكن الاعتقاد بأنه لا توجد ثمة أية ضرورة ملحة للقيام بوضع الحواشى على تلك الشروح بخلاف كتب العلوم الأخرى .

ومن الذين اهتموا بوضع التصانيف على الصورة المذكورة ، الشيخ العالم عبد الله ابن محمد بن عبد الله الحسين الطبلاوى (ت١٠٢٧هـ ـ ١٦١٨م). الذى قال المحبى

عنه : "أنه ساد في علم القراءات سيادة عظيمة " ومن أعماله فيه كتابة الحواشى على شرح الشاطبية للجعبرى ".(١٤٠)

وهكذا يتبين لنا من هذه الدراسة أن القرن الـ١٧م. قد تمتع بوجود عدد من العلماء الذين تخصصوا في علم القراءات ، وقصدهم الطلاب من مختلف الأقاليم والأقطار لأخذ هذا العلم عنهم ، بالإضافة إلى أنهم قاموا بوضع المؤلفات فيه في أكثر من محور . وبما هو واضح أن تلك المؤلفات قد وضعت لغرض أساسى هو توضيح تلك القراءات وتقديمها في صورة سهلة ومبسطة لدارسيها . لما أيقنوا من صعوبة تلك القراءات واقتصار تعلمها علي المتخصصين ، وقد رأى هؤلاء العلماء أن ضمن الطرق التربوية المهمة لكيفية تعلم هذا العلم تقديم ما يحتويه من قراءات مختلفة في صورة سهلة مبسطة .

هذا ما أشتهر من مصنفات متعلقة بالقراءات في ذلك الحين ، وكما شهد ذلك القرن اهتماماً من علمائه بالتصنيف في علم القراءات ، شهد كذلك اهتماماً منهم بالتصنيف في علم التجويد ، وقد أتت مصنفات التجويد على محورين : الأول ما أتت مصنفاته لتوضيح وتمهيد هذا العلم . أما المحور الثانى فجاء على صورة وضع الشروح والتحريرات والحواشى على أهم كتاب تناول هذا العلم في ذلك الوقت وهو كتاب " المقدمة الجزرية " وهو عبارة عن منظومة للشيخ محمد الجزرى الشافعى (ت٨٣٣هـ - ١٤٣٠م). ولدقة احتواء هذا الكتاب لذلك العلم تنافس العلماء في شرحه وتصنيف الحواشى والتعليقات على شروحه . (١٤١)

ويأتى على رأس من أهتم بوضع المؤلفات على المحور الأول الشيخ المقرى على ابن عمر بن أحمد بن عمر بن ناجى الميهى البصير (ت١٠٢٤هـ - ١٦١٥م). حيث قام بوضع منظومة في ذلك المجال بعنوان " هداية الصبيان لفهم بعض مشكل القرآن ".(١٤٢)

ومن أهتم بهذا المجال أيضاً الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى. الذى قام بوضع مصنف فيه بعنوان " تيسير الموقوف على غوامض أحكام الوقوف ". (١٤٣)

وهناك الشيخ منصور بن عيسى بن غازى المصرى السمانودى الذى وضع مصنفاً في ذلك بعنوان " تحفة الطالبين في تجويد كتاب رب العالمين" وقد فرغ منه سنة ١٠٨٤هـ (١٦٧٣م). (١٤٤)

ومن هؤلاء أيضاً الشيخ العالم عبد المعطى بن سالم بن عمر الشلبى السملاوى (ت ١١١٠هـ - ١٦٩٨م). الذى وضع مؤلفاً بعنوان " أسئلة المريد لبيان التجويد "(١٤٥) . والشيخ المقرئ محمد البقرى. الذى قام بوضع مؤلف تحت عنوان "غنية الطالبين ومنية الراغبين". وهو مقدمة في علم التجويد مرتبة على خمسة عشر بابا وخاتمة . (١٤٦)

أما عن المصنفات التى وضعت لشرح وتعليق الحواشى على " المقدمة الجزرية " التى سبقت الإشارة إليها ، فنجد في طليعتها ما قام به الشيخ المقرىء سيف الدين الفضالى المصرى شيخ القراء بمصر آنذاك (ت١٠٢٠هـ - ١٦١١م). الذى وضع شرحاً بديعاً على الجزرية . (١٤٧)

وممن قام بشرحها أيضاً الشيخ العالم محمد حجازى الواعظ القلقشندى (ت١٠٣٥هـ - ١٦٢٥م) الذى قام بوضع ثلاثة شروح على تلك المقدمة كما نرى له أيضاً شرحاً على الطيبة الجزرية ، ونظم طيبة على روى الشاطبية وشرحها . (١٤٨)

ومن الذين ساهموا بوضع تحريرات على الكتب التى قامت بشرح تلك المنظومة الشيخ العالم زين العابدين بن زكريا الأنصارى (ت١٠٦٨هـ - ١٦٥٧م). الذى قام بوضع حاشية على شرح جده القاضى زكريا للجزرية في نحو عشرين كراسة . (١٤٩) والشيخ العالم على الشبراملسى الشافعى. الذى وضع حاشية على شرح القاضى زكريا لتلك المقدمة .(١٥٠)

وبهذا فإن أهم ما يمكن استخلاصه من تلك الدراسة أن أغراض التصنيف في علمى القراءات والتجويد واحدة ، حيث التقيا معاً في تقديم مفردات العلمين بصورة مبسطة وسهلة للطلاب والباحثين ، وهو ما حرص عليه العلماء المهتمون بهذين العلمين في تلك الفترة .

علــم الفقـــه :

الفقه في اللغة الفهم ، أو معرفة باطن الشئ والوصول إلى أعماقه وفي الاصطلاح : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية . (١٥١)

وهذه الأحكام التى يطلق عليها التشريع ، ولقد مر التشريع عند بدايته بعدة أطوار ، بحيث كان التشريع في عهد النبى(صلى الله عليه وسلم) يقوم على الوحى وما انضم إليه من أقوال النبى(صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وحركاته ، ومن ثم أصبح كل من الكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان للتشريع .

وبعد عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) أتى الخلفاء الراشدون ، فكانوا يتبعون الرسول (بدقة فيما عرفوا من أقواله وأفعاله وحركاته ، ولكنهم تعرضوا إلى أمور لم يجدوا لها من المصدرين السابقين ما يطابقهما من الأحكام . ولذا اجتهدوا في إيجاد أحكام لمثل هذه الأمور قياساً على نظائرها وعند التوصل إليها كانوا يجتمعون على صحتها. ومن ثم ظهر ما يطلق عليه إجماع الصحابة أو الأمة .

وعندما انتشر الإسلام وفتحت مختلف الأقطار صاحبة الثقافة وجد المسلمون أنفسهم أمام أمور لم يألفوها ، ولم يعلموا لها أحكاماً من ظاهر الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، فتولدت الحاجة الماسة إلى وجود الفقهاء للقيام بدور استنباط الأحكام لمثل هذه الأمور وحينذاك ظهر ما سمى بـ(الرأى) وهو الأصل الرابع من أصول التشريع الإسلامى .

وقد اصطلح الباحثون في تاريخ الفقه على النظر إلى الفقه الإسلامي في الوقت الذى تحدثنا عنه على أنه في طور الطفولة . ثم في القرنيين الثانى والثالث للهجرة ، انتقل الفقه الإسلامى إلى طور الشباب وهو الطور الذى اقترن بظهور الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة ، وهم أبو حنيفة (١٥٢) ، ومالك(١٥٣)، والشافعى (١٥٤) ، وابن حنبل(١٥٥) ومع هؤلاء الأئمة المعروفين ، ظهر أئمة آخرون(١٥٦) لم تحفظ مذاهبهم.(١٥٧)

في هذا الدور الذى نشير إليه كان الفقه قائماً على الاجتهاد المطلق الذى نهض به علماء المسلمين بالأمصار . ثم لم تكد تستقر هذه المذاهب الأربعة ، وتتضح معالمها ، حتى دخل الفقه في دور الكهولة ، وهو الدور الذى وصفه الباحثون بأنه التقييد بمذهب معين . فبعد أن كنا نظفر في القرنيين الثانى والثالث بمثل مالك ، وأبى حنيفة . والشافعى يفتى كل منهم برأيه ، ويبح لنفسه حرية واسعة في إبداء الرأى أصبحنا في القرنيين الثالث والرابع أمام فقهاء يقيدون أنفسهم برأى مالك ، والشافعى ، أو غيرهما . وقد أطلق على هؤلاء الفقهاء الذين قيدوا أنفسهم بمذهب خاص اسم (مجتهدى المذهب) وهؤلاء حسبهم أن يجتهدوا في مسائل الفقه ، داخل حدود معينة ، هى حدود المذهب الذى اختاروه لأنفسهم . (١٥٨)

وبعد مجتهدى المذهب تأتى طبقة ثالثة من طبقات الفقهاء يطلق عليها (مجتهدى الفتيا).وهؤلاء لا يكتفون في العادة بأن ينقلوا كل ما استنبطه مجتهدو المذهب، ويرجحوا ما اختاروه من الخلاف بالحجج التى يصلون إليها . (١٥٩)

تلك لمحة تاريخية مجملة لتاريخ التشريع الإسلامى . ذكرناها لنصل منها إلى معرفة الدرجة التى كان عليها التشريع الإسلامى في الفترة التى تتناولها هذه الدراسة ، وبعد الإطلاع على ما تركه لنا علماء تلك الفترة لا نجد صعوبة ما في القول بأن فقهاء مصر كانوا من رجال الطبقة الثانية ، وهم الذين أطلق عليهم (مجتهدى المذهب) ومنهم من كان من رجال الطبقة الأخيرة ، وهم الذين أطلق عليهم (مجتهدى الفتيا).

ومن تتبع الحركة الفقهية في مصر نرى أن المذاهب الأربعة قد ظهرت بها على النحو الآتى : فقد عرفت مصر مذهب مالك أولاً ، حتى جاءها الشافعى فنشر بها مذهبه الجديد . ثم جاءت الدولة الإخشيدية فمالت إلى مذهب أبى حنيفة ، وكانت تبغض المذهب الشافعى ، وتبغض من أجله قاضياً من قضاتها ، هو محمد بن أحمد بن الحداد المتوفي سنة ٣٤٤هـ (٩٥٧م). (١٦٠)

أما مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، فلم يظهر بمصر كما قال السيوطى إلا في القرن السابع وبعده وذلك ، " أن الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ كان في القرن الثالث ، ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلا في القرن الرابع . وفي هذا القرن ملكت العبيدون مصر، وافنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة قتلاً ونفياً وتشريداً ، وأقاموا مذهب الرفض والشيعة ، ولم يزولوا عنها إلا في أواخر القرن السادس ، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب .. ".(١٦١)

وهكذا فبزوال الدولة الفاطمية زال كذلك المذهب الفقهى لها جملة ، وعادت مصر إلى مذهبها القديم ، وهو مذهب أهل السنة ، وازداد تعلقها يومئذ بالإمام الشافعى ومذهبه خاصة ، وذلك لإيثار الدولة الأيوبية له . لأنه المذهب الذى اعتنقه نور الدين محمود بالشام ، فاعتنقه السلطان صلاح الدين وأولاده بمصر ، ولا يعلم التاريخ من أبناء صلاح الدين ـ أو من أسرته كلها ـ من اعتنق مذهباً آخر غير الملك المعظم عيسى ابن أخى

السلطان صلاح الدين الـذى اختار مذهب أبى حنيفة ، وكان في اختياره هذا مخالفاً للبيت الأيوبى كله .(١٦٢)

وأتى المماليك فتبعوا بنى أيوب في اختيارهم مذهب الإمام الشافعى وبقى الحال على ذلك زماناً طويلاً .

ومن هنا نخلص إلى أن الغلبة والانتشار لهذه المذاهب في مصر كان أولاً للمذهب الشافعى . ومن بعده المالكى ، ومن بعده الحنفى ، ويأتى في الترتيب الأخير بين هذه المذاهب انتشاراً في مصر المذهب الحنبلى .

واستمر هذا الوضع إلى العصر العثمانى ، ونظرة فاحصة في تراث ذلك العصر تكشف عن أن الدراسات الفقهية قد لاقت نشاطاً ملحوظاً لم تلقه أية دراسات أخرى . وقد يرجع هذا النشاط الملحوظ للدراسات الفقهية ـ آنذاك ـ كنتيجة للمتغيرات التى طرأت على القضاء المصرى إثر استيلاء العثمانيين على مصـر ـ وهى ما أطلق عليها بـ " عثمنة القضاء " وما ثبت من عجز القضـاة الأتـراك من حل الكثير من القضايا التى كانت تعرض عليهم فأحالوها إلـى العلماء لإبداء فتواهم فيها ، وهو ما أشارت إليه الدراسة في موضع سابق .

وثمة اعتبارات أخرى قد أدت إلى إنعاش حركة الدراسات الفقهية في ذلك العصر ـ وغيره ـ منهـا إدراك العلماء لمدى أهمية ذلك العلم في الحياة الدينية والدنيوية ، حتـى اعتبروه من أشرف العلوم منزلة(١٦٣). أضف إلى ذلك أن معظم الوظائف السائدة في ذلك الوقت كانت وظائف دينية وتنحدر من ذلك العلم .

ولبيان معرفة مدى المشاركة لفقهاء ذلك العصر في الدراسات الفقهية ، نجد أن هؤلاء العلماء قد أتت مصنفاتهم على عدة صور مختلفة فالأولى وهى الأكثر ، قيام فقهاء كل مذهب بانتقاء أهم الكتب التى تناولت الفقه على مذهبهم لإعادة إنتاجها مرة أخرى سواء بشرحها أو وضع الحواشى عليها . الصورة الثانية ، تصنيف الرسائل . والتى هى في الأصل عباره عن إجابة الأسئلة التى كانت ترفع إلى الفقهاء ، وترجع أهمية تلك الرسائل إلى أنها أخذت شكلاً يتمتع بالمنهجية البحثية بشكل أكثر من غيرها ، وثمة

صورة أخرى جاءت عليها مصنفات هؤلاء الفقهاء ، وهى قيامهم ببعض المحاولات الجادة لوضع كتب فقهية كاملة ـ والتى يطلق عليها مؤلفات مستقلة . ووجدت صورة أخرى أفردت الحديث عن ركن واحد من أركان الإسلام كالحج مثلاً .

ومن الطبيعى أن تأتى مساهمات فقهاء ذلك القرن متفاوته فيما بينها وهو ما سيوضحه هذا الجدول :

المذهب / صور التصنيف	الحنفي	المالكى	الشافعى	الحنبلى
الحواشى	٦	١	٣٣	٦
الشروح	٤	١٢	١٢	٤
الرسائل	١٣٢	٤	—	—
المستقلة	٢	—	—	٣
ذات الموضوع الواحد	٢	—	٧	٤
المجموع	١٤٦	١٧	٥٢	١٧

فنظرة فاحصة في هذا الجدول ، نجد أن أول ما يلفت النظر فيه ، قلة مؤلفات فقهاء المذهب الحنفي وخاصة تلك التى أتت على صورة الحواشى والشروح ، ولو بحثنا عن تفسير لذلك ، سنجد أنه يرجع إلى أمرين ، أولهما قلة فقهاء المذهب الحنفي مقارنة بفقهاء كل من المذهبين الشافعى والمالكى ويرجع السبب في ذلك كما أشرنا سابقاً إلى الجذور التاريخية التى نشأت فيها المذاهب في مصر ـ وأن ما حظى به هذا المذهب من اهتمام إبان ذلك العصر من اتخاذه مذهباً رسمياً للدولة العثمانية ، وإيثار أصحابه في تولى الوظائف ، لم يزد من عدد أتباعه . الأمر الثانى ، قد تفسره ، لنا الوثائق الأرشيفية ، وذلك بما سجلته لنا من مكتبات خاصة للمجتمع المصرى في القرن الـ١٧م بما تحمله تلك المكتبات من كتب فقهية يرجع معظمها إلى المذهب الحنفي ـ دون غيره من المذاهب الأخرى ـ فلربما يكون فقهاء هذا المذهب رأوا في انتشار كتب مذهبهم بهذا الشكل تعويضاً عن إعادة إنتاجها مرة أخرى ، كما فعل ذلك فقهاء المذهب الشافعى مثلاً .

ومن أهم الكتب التى جذبت انتباه فقهاء المذهب الحنفي فقاموا بشرحها ووضع الحواشى عليها . كتاب " كنز الدقائق " (١٦٤) للنسفي (ت٧١٠هـ - ١٣١٠م) حيث نجد للشيخ الفقيه عبد القادر الطورى الحنفي - توفي بعد سنة ١٠٢٦هـ (١٦١٧م) - مصنفين عليه ، أحدهما شرح ، والأخر تكملة لأحد شروح ذلك الكتاب ، وهو شرح البحر الرائق على كنز الدقائق للعلامة زين العابدين بن نجيم المصرى (ت٩٧٥هـ - ١٥٦٧م). (١٦٥)

وهناك الشيخ العالم أحمد بن السيد الحموى شهاب الدين المصرى الحنفي (ت١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م) الذى قال عنه صاحب الفوايد . "علم يهتدي به أهل البصائر والمشكلات ، ويرجع إليه في المعضلات ، مشهور بمدينة مصر بين العلماء بالتحقيق وسعة العلم والتدقيق ، واشتهر وطار صيته في الآفاق ، وأخذ عنه جمع ، وأفاد ، وأجاد ، ودرس بالأزهر ".(١٦٦) يضع شرحاً على ذلك الكتاب . (١٦٧)

ومن تلك الكتب كتاب " الهداية "(١٦٨) الذى قام الشيخ العالم محمد المعروف بابن الصائغ المصرى (ت١٠٦٦هـ - ١٦٥٥م). بوضع حاشية (١٦٩) على أحد شروحه للأكمل .(١٧٠) كما قام العالم أحمد الحموى (ت١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م). بوضع حاشية على ذلك الكتاب بعنوان " إتحاف أرباب الدراية نفح الهداية " . (١٧١)

وهناك كتاب " الدرر والغرر " (١٧٢) الذى جذب انتباه الكثيرين من فقهاء تلك الفترة لتزيينه بأفكارهم واجتهاداتهم ، ويأتى في طليعة هؤلاء الشيخ العالم حسن الشرنبلالى الحنفي الذى كانت له الإشارة في الفقه ، إضافة إلى غزارة إنتاجه في التصنيف الفقهى ، ومنها حاشيته على ذلك الكتاب بعنوان " غنية ذوى الأحكام وبغية درر الحكام ، شرح غرر الأحكام لمنلا خسرو " (١٧٣) ومنهم الشيخ العالم نوح بن مصطفي الرومى. الذى وضع حاشية بعنوان " نتائج النظر في حواشى الدرر لملا خسرو " (١٧٤) كما نجد للعالم أحمد الحموى. حاشية على ذلك الكتاب أيضاً . (١٧٥)

كما وجدت بعض الكتب الأخرى التى جذبت انتباه فقهاء الحنفية آنذاك فقاموا بشرحها وتعليق الحواشى عليها ، كمنظومة ابن وهبان .(١٧٦) التى قام الشيخ العالم حسن الشرنبلالى. بشرحها ، وعنون شرحه بـ" تيسير المقاصد من عقد الفرائد فى شرح منظومة ابن وهبان ". (١٧٧)

ومن بين هذه الكتب، كتاب " الأشباه والنظائر [(١٧٨)] لابن نجيم المصرى. حيث قام الشيخ العالم أحمد الحموى. بوضع حاشية عليه تحت عنوان " غمز عيون البصائر على محاسن الأشباه والنظائر ". [(١٧٩)]

فتلك إذن أهم الكتب التى قام فقهاء المذهب الحنفي بإعادة إنتاجها، وذلك بما يتناسب مع طبيعة كل كتاب سواء بالشرح، أو بتعليق الحواشى، وبعد معرفتنا لتواريخ تلك الكتب ـ والتى تمتد إلى القرن السادس الهجرى ـ وما حوته من معلومات ومسائل فقهية قيمة، يتبين لنا مدى جهد هؤلاء الفقهاء في انتخاب تلك الكتب، حيث لم يكن انتخاباً بغرض التكرار أو إعادة النسخ فقط، بل هو نتيجة، فكر واع، كما كان لديهم ما يضيفونه إلى تلك الكتب. ومما يشهد بذلك الرسائل الفقهية التى امتاز بها فقهاء هذا المذهب عن غيرهم من الفقهاء الأخرين. وما كانت تحمله تلك الرسائل من قمة الاجتهاد الفقهى في تلك الفترة.

ولعل من أبرز فقهاء هذا المذهب في هذا المجال الشيخ العالم حسن الشرنبلالى الحنفي. وأكثر ما يميز هذا العالم الفقيه أنه لم يكتف بالاعتماد والأخذ بأراء فقهاء مذهبه ـ فقط ـ بل كان دائم الحرص على ذكر آراء المذهب الأخرى والإشارة إلى المتون الأصلية التى دونت فيها تلك الأراء ـ وهو ما يحمل من قمة المنهجية البحثية ـ وما لم يعجبه من تلك الأراء ينقضه ـ ولو كانت لأئمة مذهبه ـ ليخرج في النهاية بما يتوافق مع متطلبات عصره. ومن أهم أعماله في ذلك المجال كتابه المسمى بـ " التحقيقات القدسية والنفحات الرحمانية الحسنية في مذهب السادة الحنفية " وهو عبارة عن ستين رسالة أجاب فيها عن ستين مسألة رفعت إليه، وقام بتسجيلها على مدار مشوار حياته العلمية.

وممن كانوا يتسمون بغزارة الإنتاج في هذا المجال الشيخ العالم نوح بن مصطفي الرومى (ت١٠٧٠هـ ـ ١٦٥٩م) حيث أن بروكلمان ينسب له أكثر من خمس وستين رسالة. [(١٨٠)] منها أكثر من رسالة تتعلق بالصلاة.

وممن امتاز باجتهاداته الفقهية في مؤلفاته من الفقهاء الشيخ العالم عمر الدفرى الحنفي (ت١٠٧٩هـ ـ ١٦٦٨م). الذى قال عنه المحبى : " كان إماماً جليلاً، عارفاً نبيلاً، له المهارة الكلية في فقه أبى حنيفة .. وكتابه الذى تركه لنا يشهد بذلك، وهو بعنوان " الدرة المنيفة في فقه الإمام أبو حنيفة " وقد أقرأه عدة مرات بالجامع الأزهر. فمن خير

الأمور دلالة على اجتهاد هذا العالم الفقيه ، موقفه من حكم أحقية إطلاع الأطباء الرجال على مواضع الأمراض عند النساء .[181] حيث نراه يقول في ذلك : " ويحل للطبيب أن ينظر من المرأة موضع مرضها بقدر الضرورة " لأن ما ثبت بالضرورة يتقدر بقدرها "[182] وهو بهذا الأمر يدحض تلك الأقوال التي قيلت على فقهاء ذلك العصر وغيره ، من أن موقف رجال الدين المعادى لممارسة الأطباء الكشف على مواضع الأمراض عند النساء كان من أهم العوامل في تأخر ظهور التعامل مع الطب الشرعى في القضاء حتى مجئ القرن التاسع عشر .

ولو بحثنا عن تفسير لإكثار فقهاء هذا المذهب في إنتاج الرسائل وتفوقهم على فقهاء المذاهب الأخرى ، لوجدنا أن هذا الأمر قد يرجع إلى أمرين ، أولهما : ما كان يتمتع به المذهب الحنفي من المرونة في أحكامه بصورة لم تتوفر في المذاهب الأخرى ـ وهو مما لا شك قد أعطى أصحابه مساحة في إبداء آرائهم واجتهاداتهم فيما يعرض عليهم من مسائل . الأمر الثانى : أن القضاة الأتراك عند عجزهم عن الفصل في بعض القضايا، كانوا في بعض الأحيان يرسلون بها إلى فقهاء المذهب الحنفي دون غيرهم من فقهاء المذاهب الأخرى . مما جعل فقهاء هذا المذهب أكثر قرباً لقضايا مجتمعهم .

ومن الصور التى جاءت عليها تصنيفات فقهاء الحنفية في تلك الفترة، المصنفات ذات الموضوع الواحد كركن الحج مثلا ، حيث نرى مما صنفه الشيخ العالم نوح بن مصطفي الحموى (ت١٠٧٠هـ ـ ١٦٥٩م). مؤلفين الأول بعنوان " أشرف المسالك في المناسك "، والثانى بعنوان " القول الأظهر في بيان الحج الأكبر ".[183]

أما فيما يتعلق بجهود فقهاء المذهب المالكى في التصنيف الفقهى إبان تلك الفترة ، فكما هو واضح من الجدول السابق أن أكثر إنتاج هؤلاء جاء على صورة شروح، ولو نظرنا إلى المتن الذى اهتم فقهاء هذا المذهب بالدراسات حوله فسنجده مختصر الشيخ خليل"[184] في الفروع . وكما واضح من الاسم " مختصر أنه بحاجة إلى شرح وتبسيط.

وثمة تساؤل يطرح نفسه هنا ، وهو لم أتت معظم جهود فقهاء هذا المذهب مهمته بشرح مختصر الشيخ خليل ؟ ولم يقوموا بالاهتمام بسابقيه من الفقهاء ؟ ولعل الإجابة على هذا السؤال تكمن في أن هؤلاء العلماء ـ كما أشرنا آنفاً ـ لم يقصدوا من إعادة إنتاجهم لهذا الكتاب وغيره التكرار أو مجرد النسخ فقط ، بل إن كل منهم كانت له

رؤياه الخاصة، وإضافاته القيمة بما يتلاءم مع متطلبات الوقت والعصر ، ومما يؤيد ذلك أن التباين كان واضحاً بين شروح هؤلاء العلماء فمنهم من وضع شرحه بما يتناسب مع فكر المبتدئ في هذا العلم، ومنهم من وضع شرحه بما يتفق مع فكر المنتهى ، وهكذا .

ويأتى على رأس من تناول ذلك المتن بالشرح ـ الشيخ العالم إبراهيم اللقانى المالكى (ت١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م). (١٨٥)

ومن أبرز فقهاء هذا المذهب ـ في تلك الفترة ـ الشيخ العالم على الاجهورى المالكى (ت ١٠٦٦هـ ـ ١٦٥٥م). حيث تناول ذلك المتن بالشرح ، وجاء تناوله له على ثلاثة شروح ، الأول كبير يقع في اثنى عشر مجلداً ، والثانى متوسط الحجم حيث يقع في خمسة مجلدات ، والثالث صغير يقع في مجلدين . (١٨٦) ومما يلاحظ أن هذه الشروح أتت مختلفة في حجمها لكى تناسب المراحل التعليمية المختلفة ، فالصغير للمبتدئ ، والمتوسط لمن تخطى هذه المرحلة . والكبير للمنتهى . وقد كانت تلك الطريقة سائدة بين علماء ذلك العصر في تدوين مؤلفاتهم .

ومن هؤلاء الفقهاء المشهورين الشيخ العالم عبد الباقى بن يوسف بن أحمد شهاب الدين بن محمد بن علوان الزرقانى المالكى. الذى قال عنه المحبى بأنه كان فرجع المالكية فى زمانه حيث نجد من مؤلفاته شرحاً على مختصر خليل . وقد مدح المحبى هذا الشرح بقوله :"إنه تشد إليه الرحال ". (١٨٧) كما نجد له شرحاً آخر يتعلق بجزء من متن المختصر ، وهو شرحه على شرح الناصر اللقانى على خطبة مختصر خليل . (١٨٨)

ومن أشهر فقهاء هذا المذهب في تلك الفترة ـ الشيخ العالم محمد الخرشى المالكى (ت١١٠١هـ ـ ١٦٩٠م). الذى كان يعد شيخ المالكية في وقته ، فقد تناول ذلك المتن بشرحين ، الأول في أربعة مجلدات كبار ، قال صاحب الفوايد عنه : " شرح على مختصر خليل في أربعة مجلدات كبار ، تلقاه أهل عصره بالقبول ، وكتبت منه نسخ لا تحصى ". (١٨٩) أما الثانى فهو في أربع مجلدات أيضاً ، ولكنه أكبر حجماً وأكثر تدقيقاً من الأول ، حيث قال صاحبه في سبب وضعه : " وقد وضعت شرحاً على مختصر أبى الضياء خليل ، يحتوى على تقييدات وفوائد يصعب فهمها على المبتدئين ، ثم قال : طلب منى جماعة من الأخوان شرحاً أخر لا يكون قاصراً على إفادة القاصرين ، فأجبتهم لذلك ". (١٩٠)

وهكذا فقد رأينا كيفية تناول هؤلاء الفقهاء لمختصر الشيخ خليل والاختلاف البين بين تناول كل منهم ، وهو ما يؤكد اختلاف تناول كل عالم لذلك المختصر الذى يعد إثراء لحركة الاجتهاد وتنوع الآراء الفقهية .

ولم يقتصر الأمر على اجتهادات المالكية حول المختصر السابق بل نجد أن ثمة كتب أخرى جذبت انتباههم ومنها كتاب "جمع الجوامع للسبكى". (١٩١) حيث قام الشيخ العالم إبراهيم اللقانى المالكى (ت١٠٤١هـ - ١٦٣١م). بوضع حاشية عليه بعنوان "البدور اللوامع من خدور جمع الجوامع ". (١٩٢)

وضمن الأعمال التى قام فقهاء هذا المذهب بالاجتهاد حولها " رسالة ابن زيد القيروانى". التى قام الشيخ العالم على الأجهورى المالكى بشرحها. (١٩٣)وهناك "المقدمة المعزية " التى قام الشيخ العالم عبد الباقى الزرقانى المالكى بشرحها ، وعنون شرحه بـ" الفوائد الزكية في حل ألفاظ المقدمة المعزية " (١٩٤) كما نجد من تلك الأعمال " متن العشماوية " الذى قام الشيخ العالم برهان الدين إبراهيم الشبرخيتى المالكى بشرحه تحت عنوان " الموارد الشهية في حل ألفاظ العشماوية ". (١٩٥)

هذا فيما يتعلق بجهود فقهاء هذا المذهب حول كتب السابقين ، أما بالنسبة لجهودهم في تصنيف الرسائل الفقهية فكما هو واضح من الجدول السابق أنها أتت قليلة بشكل ملحوظ . ويأتى على رأس من أهتم بالتصنيف على تلك الصورة الشيخ إبراهيم اللقانى المالكى. إذ نرى له أكثر من رسالة منها عقد الجمان في مسائل الضمان "ومنار أصول الفتوى ، وقواعد الإفتاء بالأقوى". (١٩٦) وأخرى تتعلق بقضيه "الدخان" وهى بعنوان "نصيحة الإخوان بإجتناب شرب الدخان "(١٩٧)

وممن اهتم بهذا الأمر أيضاً الشيخ العالم على الأجهورى المالكى (ت١٠٦٦هـ - ١٦٥٥م). الذى وضع أكثر من مصنف في هذا الصدد ، منها كتاب بعنوان " الأجوبة المحررة لأسئلة البررة في مجلد ". (١٩٨) وكما هو واضح من عنوانه فهو كتاب يحمل إجابات على بعض الأسئلة التى رفعت إليه . كما نجد له رسالة تحمل الدليل القوى الدامغ على قوة الاجتهاد الفقهى في تلك الفترة ، وهى التى تتعلق بقضية الدخان بعنوان " غاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان ". (١٩٩)

تلك أهم إسهامات فقهاء هذا المذهب في تصنيف الرسائل ، وإن كانت قليلة في عددها إلا أنها تعطينا مؤشراً قوياً لما كان يحياه هؤلاء الفقهاء من معايشة لمجتمعهم في قضاياه والعمل على حلها ، والاجتهاد حول إسماع صوت الشريعة الإسلامية على مساحة المعاملات في المجتمع في مصر العثمانية .

أما فيما يتعلق بجهود فقهاء المذهب الشافعى ، فكما هو واضح من الجدول السابق، أنهم كانوا من أكثر فقهاء المذاهب إنتاجاً ، وهذا أمر طبيعى نتيجة سعة انتشار هذا المذهب في مصر ـ آنذاك ـ ، وأنه على الرغم من اتخاذ الدولة العثمانية المذهب الحنفي مذهباً رسمياً لها ، فلم يؤثر ذلك على استمرارية انتشار المذهب الشافعى بمصر كما أن رجاله لم يتأثروا بذلك التوجه. على أن أهم ما يلاحظ على مصنفات فقهائه أن معظمها تدور حول انتخاب كتب السابقين وإجراء شروح لها ومن ثم نرى أن أكثر إنتاج علمـاء الشافعية في فترة دراستنا تلك جاء على شكل حواش أو شروح . ومن أهم الأعمال التى جذبت انتباه فقهاء المذهب الشافعى لإعادة إنتاجها بشكل يكاد يجتمع الفقهاء حوله كتاب المنهج أو منهاج الطالبين[٢٠٠] للإمام النووى وشروحه .[٢٠١]

ويأتى في طليعة من تناول هذا العمل بالتصنيف من هؤلاء الفقهاء ، الشيخ العالم منصور الطبلاوى الشافعى (ت١٠١٤هـ ـ ١٦٠٥م) الذى قام بوضع حاشية على شرح شيخ الإسلام على المنهج .[٢٠٢] كما نرى الشيخ العالم نور الدين على الزيادى الشافعى (ت١٠٢٤هـ ـ ١٦١٥م). يقوم بوضع حاشية على ذلك الشرح ، وقد امتدحها المحبى بقوله : " اعتنى بها مشايخ مصر وغيرهم من علماء الشافعية ، بحيث لا يقرأ أحد شرح المنهج إلا ويطالعها، وقد اشتهرت بركتها لمن يطالعها ".[٢٠٣]

ومن أبرز فقهاء شافعية ذلك القرن الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشـافعى (ت١٠٣١هـ ـ ١٦٢١م). حيث نرى له عملين الأول شرح لكتاب " المنهج " نفسه . والثانى حاشية على شرح شيخ له لم تكمل .[٢٠٤]

وهناك الشيخ العالم على الحلبى الشافعى (ت١٠٤٤هـ ـ ١٦٣٤م). الذى وضع حاشية على شرح منهج الطلاب لشيخ الإسلام في مجلدين .[٢٠٥] كما نرى له حاشية أخرى على شرح المنهاج للجلال المحلى .[٢٠٦]

ومن علق أفكاره على شرح ذلك المتن الشيخ العالم محمد الشوبرى الشافعى (ت١٠٦٧هـ ـ ١٦٥٦م) الذى لقب بشافعى زمانه ومن فرط تمكنه في هذا العلم ، وضع فيه أكثر من مصنف ، منها حاشية على شرح منهج الطلاب لشيخ الإسلام .[٢٠٧]

ومن بين هؤلاء الشيخ العالم أحمد القليوبى الشافعى (ت١٠٦٩هـ ـ ١٦٥٨م). وهو أحد الذين حظوا بشهرة واسعة ومكانة عالية في ذلك القرن ، وضمن أعماله حاشيته على شرح جلال الدين المحلى ، على منهاج الطالبين المسمى " كنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين ".[٢٠٨]

ومنهم الشيخ العالم عبد البر الأجهورى الشافعى (ت١٠٧٠هـ ـ ١٦٥٩م). الذى وضع حاشيتين على شرحين لذلك المتن . الأولى على شرح المنهاج للمحلى والثانية على شرح المنهج لشيخ الإسلام .[٢٠٩]

كما نجد الشيخ العالم سلطان المزاحى الشافعى. قد وضع حاشية على شرح منهج الطلاب لشيخ الإسلام[٢١٠] كما نرى أيضاً للشيخ العالم على الشبرامسلى الشافعى. الذى وضع حاشية على ذلك الشرح [٢١١] . كما وضع حاشية أخرى على شرح الرملى المسمى " نهاية المحتاج على شرح المنهاج "[٢١٢]كما قام الشيخ العالم أحمد بن عبد الرازق بن محمد بن أحمد ابن أحمد المغربى الرشيدى الشافعى (ت١٠٩٦هـ ـ ١٦٨٥م). بوضع حاشية على شرح الرملى على منهاج الطالبين . [٢١٣]

ولعلنا ندرك كم كان إقبال علماء المذهب الشافعى ـ في ذلك القرن ـ على هذا المتن فأكثروا من وضع الحواشى على أهم الشروح التى تناولته . كما تبين لنا أن تلك الحواشى قد تفاوتت في حجمها بين عالم وآخر فمنها التى جاءت في مجلد واحد ومنها ما هو في مجلدين ، وغيرها في ثلاثة . ولذا يمكننا أن نخرج بفكرة عن هؤلاء العلماء تشير إلى أن جهودهم الفكرية انصبت على الشروح دون المتن ، وتفاوت حجم أعمالهم حول تلك الشروح يؤكد صحة ما نوهنا إليه سابقاً ـ من أن انتخاب هؤلاء العلماء لتلك الأعمال تم بناءً عن رؤى ثابتة وراسخة بهدف الإضافة لا التكرار .

وهناك العديد من الكتب الهامة التى شدت انتباه الكثير من علماء شافعية ذلك القرن فقاموا بإعادة إنتاجها بالتصنيف عليها بصور مختلفة . فمن تلك الكتب

كتاب " العباب " (٢١٤) ومن الذين اهتموا به . الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى . الذى قام بشرحه تحت عنوان "إسعاف الطلاب بشرح العباب ".(٢١٥) كما نرى الشيخ العالم محمد الشوبرى الشافعى . يضع حاشية على العباب .(٢١٦)

ومن تلك الكتب أيضاً كتاب "التحرير" ويأتى في طليعة من صنف عليه الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى . حيث قام بشرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، سماه "إحسان التقرير بشرح التحرير". كما قام بشرح نظمه للعمريطى ، سماه " فتح الرءوف الخبير بشرح كتاب التيسير نظم التحرير."(٢٣٢)ومن قام بشرح كتاب التحرير أيضاً ـ الشيخ العالم على الشبراملسى الشافعى . وعنون شرحه بـ"الثمرات الجنية لمريد فتح فوائد التحرير".(٢١٨)

ومن بين تلك الكتب ـ شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصارى على مختصره التحرير المسمى : " تحفة الطلاب بشرح تنقيح اللباب ، (٢١٩) فممن صنف عليه الشيخ العالم محمد الشوبرى الشافعى . حيث قام بوضع حاشيتين على ذلك الشرح الأولى في مجلدين(٢٢٠)، والأخرى في مجلد واحد.(٢٢١) كما قام الشيخ العالم أحمد القليوبى الشافعى . بوضع حاشية على ذلك الشرح أيضاً .(٢٢٢)كما نجد الشيخ العالم عبد البر الأجهورى الشافعى . قد وضع حاشية على الشرح المتقدم بعنوان " منحة الأحباب في الكلام على شرح تنظيم اللباب".(٢٢٣)

ومن الكتب التى نالت اهتمام علماء تلك الفترة فعمدوا إلى إعادة إنتاجها، كتاب " شرح ابن قاسم الغزى على مختصر أبى شجاع ".(٢٢٤) فممن صنف على هذا الشرح الشيخ العالم أحمد القليوبى الشافعى. حيث قام بوضع حاشية على هذا الشرح .(٢٢٥) كما نرى الشيخ العالم على الشبراملسى الشافعى قدم شرحاً بعنوان " كشف القناع عن متن وشرح أبى شجاع ".(٢٢٦) وهناك للشيخ العالم محمد بن عبد الله المشهور بالدميرى الشافعى حاشية على شرح ابن قاسم الغزى على ذلك المختصر ، وضعها سنة ١٠٨٥هـ (١٦٧٤م). (٢٢٧) كما نجد للشيخ العالم إبراهيم البرماوى الشافعى (ت١١٠٦هـ ـ ١٦٩٥م) حاشية على ذلك الشرح .(٢٢٨)

ومن هذه الكتب كتاب " الورقات (٢٢٩) لإمام الحرمين الجوينى حيث قام الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى . بشرح ذلك المتن .(٢٣٠) في حين نرى

الشيخ العالم على الحلبى الشافعى . يقوم بوضع حاشيتين على شرحين لذلك المتن . الأولى حاشية على شرح الجلال المحلى . والثانية على شرح ابن إمام الكاملية للورقات . (٢٣١) كما نرى للشيخ العالم على الشبراملسى الشافعى. حاشية على شرح الورقات لابن قاسم . (٢٣٢)

وقد وجدت ثمة كتب أخرى نالت اهتماماً بصورة تقل عن الاهتمامات المذكورة قبلاً في ذلك القرن منها كتاب " ورقات شيخ الإسلام ابن أبى شريف". الذى قام الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى بشرحه .

وهناك أيضاً كتاب " البهجة الوردية " (٢٣٣) الذى قام الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى بشرحه تحت مسمى" الفتح السماوى بشرح بهجة الطحاوى". ثم قام باختصاره في نحو ثلث حجمه . وكلاهما لم يكمل . (٢٣٤)

تلك إذا أهم الكتب التى تحدثت عن الفقه الشافعى بشكل عام وقام العلماء الشافعية في القرن الحادى عشر الهجرى بإعادة إنتاجها مرة أخرى . وكما لاحظنا أن أكثرها جاء على الشروح التى تناولت المتون الأصلية . وأن تلك الكتب تتفاوت في قدر اهتمام هؤلاء العلماء بالإقبال عليها وإعادة إنتاجها . وفي نفس الوقت لم تستحوذ تلك الصور على معظم إنتاج العلماء الشافعية في تلك الفترة ، بل ظهرت لهم أعمال أخرى تعلقت بمواضيع فقهيه معينة مصورة محدودة ".

ومن تلك الأعمال ما قام به الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى الشافعى . الذى وضع كتاباً عن الأوقاف تحت عنوان "تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف " قال في مقدمته : " وبعد فهذا كتاب اخترعت جمعه وتبويبه، وابتدعت تأليفه وترتيبه ".(٢٣٥) ونرى المحبى يؤيده في ذلك إذ يقول لم يسبق مثله ".(٢٣٦)

وهناك الشيخ العالم أحمد السبكى الشافعى. يضع أكثر من كتاب ، منها شرحه على منظومة ابن العماد ـ التى في النجاسات سماه " فتح المبين بشرح منظومة ابن عماد الدين " . وله كتابان في مناسك الحج ، أحدهما كبير ، والأخر صغير . (٢٣٧)

ومن هؤلاء الشيخ العالم على الحلبى الشافعى . الذى قام بوضع كتاب عن مناسك الحج بعنوان " إعلام الناسك بأحكام المناسك " . (٢٣٨) وغيرها الكثير.

وهكذا فقد رأينا أهم الصور التى أبرزت مصنفات علماء المذهب الشافعى في تلك الفترة . وأن أكثرها جاءت على صورة انتخاب أهم كتب السابقين والعمل على

وضع حواشي عليها بصورة أثرت على إنتاجهم وتأليفهم، فأتت مؤلفاتهم الأخرى على شكل رسائل . على أن أهم ما يمكن ملاحظته في هذا الأمر مدى غنى هذا المذهب برجاله ـ في ذلك القرن ـ وأهم من ذلك مدى تمكن هؤلاء العلماء من أحكام الفقه على مذهب الشافعى ، حيث صار الواحد منهم شيخ أهل زمانه في هذا العلم . وقد وضح لنا هذا الأمر من خلال المصنفات التى تركوها والتى تناولت جوانب فقهية مختلفة .

أما عن نتاج رجال المذهب الحنبلى ودورهم في إثراء الدراسات الفقهية بمصنفاتهم في تلك الفترة فقد أوضح لنا الجدول السابق أنها من أقل الأعمال الفقهية خلال ذلك القرن ويرجع هذا كما علمنا إلى أن المذهب الحنبلى كان أقل المذاهب السنية انتشاراً بمصر . وفي ذلك يقول ابن خلدون : "ومقلدوه قليل .. وأكثرهم بالشام والعراق ".(٢٣٩) وأن من أهم الأسباب في ذلك، أن هذا المذهب لم يكتب له الخروج من العراق إلا في القرن الرابع الهجرى . وفي تلك الأثناء ملك الفاطميون مصر فعطلوا العمل بالمذاهب السنية جميعها . واستمرت هذه الوضعية حتى وصف صاحب الفوايد أتباع هذا المذهب بقوله : " .. مذهب أحمد بن حنبل الذى صار أهله أعز من الكبريت الأحمر في هذا الزمان ".(٢٤٠) لكن كل هذا لم يمنع ظهور علماء لهذا المذهب خلال ذلك العصر ، وخاصة القرن الحادى عشر الهجرى . وقد ذاع صيتهم ، وطارت شهرتهم في الآفاق، ورحل الناس إليهم للأخذ عنهم ، ووضح هذا تماما من خلال مصنفاتهم التى ظهرت على عدة صور مختلفة .

ومن أهم مصنفات رجال هذا المذهب ـ في تلك الفترة ـ الأعمال المستقلة والتى بعدت عن كونها شرحاً أو حاشية على كتب السابقين . وفي مقدمة تلك المصنفات ، مؤلفات الشيخ العالم مرعى بن يوسف الحنبلى (ت١٠٣٣هـ ـ ١٦٢٣م). الذى قام بوضع أكثر من مصنف أهمها كتابه "غاية المنتهى في الفقه " في أربعين كراساً وقد قال المحبى عنه : " هو متن جمع من المسائل أقصاها وأدناها مشى فيه مشى المجتهدين في التصحيح والترجيح ". (٢٤١) ومن كتبه في هذا الشأن ، كتاب "دليل الطالب في الفقه " (٢٤٢) في نحو عشر كراريس. وكتابه " غاية المنتهى في فروع الحنابلة ".(٢٤٣)

ومن له مشاركة تأليفية على هذا الشكل الشيخ العالم منصور البهوتى الحنبلى (ت١٠٥١هـ ـ ١٦٤١م). الذى قال الحموى في حقه : " شيخ الإسلام ، كان تترك صارفاً أوقاته في تحقيق المسائل الفقهية ، مشهور الذكر في الآفاق ووقع على فضله الاتفاق

. ورحل الناس إليه من الآفاق لأخذ مذهب أحمد ابن حنبل .. وكان شيخ الحنابلة بمصر ، وانفرد في عصره بالفقه .. ". فمن مؤلفاته " عمدة الطالب لنيل المآرب " (٢٤٤) وهو مختصر في الفقه على مذهب الإمام أحمد .

وكعادة علماء العصر في التصنيف الفقهى ، قامت أكثر جهود فقهاء هذا المذهب على انتخاب أهم كتب علماء مذهبهم والعمل على إعادة إنتاجها ، سواء بالشرح أو التعليق ويأتى على رأس من صنف على تلك الصورة من هؤلاء العلماء.الشيخ العالم منصور البهوتى الحنبلى (ت١٠٥١هـ-١٦٤١م). وله أكثر من مصنف منها حاشيته على الإقناع لطالب الانتفاع للحجاوى . (٢٤٥) وشرح على الكتاب نفسه تحت عنوان " كشف الإقناع عن متن الإقناع ".(٢٤٦) كما قام بوضع حاشية على كتاب منتهى الإرادات للشيخ محمد تقى الدين القوصى . (٢٤٧) وقام بشرحه أيضاً تحت عنوان : " دقائق أولى النهى بشرح المنتهى ".(٢٤٨) ومن بين أعماله شرحه لكتاب " زاد المستقنع " وهو مختصر المقنع لشرف الدين الحجاوى . تحت عنوان الروض المربع بشرح زاد المستقنع ".(٢٤٩) وله كتاب آخر في هذا الصدد بعنوان "المنح الشافية".(٢٥٠) وهو شرح نظم المفردات الوافية على المنظومة الألفية في مفردات مذهب الإمام أحمد .

ومن هؤلاء الفقهاء الشيخ العالم محمد بن أحمد بن على البهوتى الحنبلى الشهير بالخلوتى (ت١٠٨٨هـ - ١٦٧٧م). الذى وضع مصنفين على ذلك الجور . الأول حاشية على الإقناع (٢٥١) بلغت إثناعشر كراساً ، والثانى حاشية على منتهى الإرادات .(٢٥٢)

وهناك أيضاً الشيخ العالم إبراهيم بن أبى بكر بن إسماعيل الدنابى الدمشقى الأصل ، المصرى المولد والوفاة (ت١٠٩٤ت ١٦٨٣م). ومن وصف المحبى له : "أنه كان لطيف المذاكرة ، حسن المحاضرة قوى الفكرة ، واسع العقل ، وكان فيه رياسة وحشمة موقورة ، ومرؤة ، وكان من محاسن مصر في كمال أدواته وعلومه ". فمن مصنفاته على ذلك حاشية على منتهى الإرادات في مجلدات . (٢٥٣)

تلك أهم الأعمال التى قام بها علماء المذهب الحنبلى في تلك الأونة من إعادة إنتاج كتب سابقيهم . أما عن تلك التى عنيت بالحديث عن مواضيع فقهية محددة .نجد أن أبرز من تناول هذا الأمر من فقهاء حنابلة ذلك القرن الشيخ العالم مرعى بن يوسف الحنبلى . الذى نرى له أكثر من عمل في ذلك ، منها ما هو بعنوان " تحقيق الرجحان

بصوم يوم الشك في رمضان ".[254] وآخر بعنوان " تهذيب الكلام في أرض مصر والشام وما ترتب عليها من الأحكام ".[255] وغيره بعنوان " إيقاف العارفين على حكم أوقاف السلاطين ". ومنها يتعلق بمناسك الحج مثل " تشويق الأنام إلى الحج إلى بيت الله الحرام ". وآخر بعنوان " محرك سواكن الغرام إلى حج بيت الله الحرام".[256]

ونجد للشيخ العالم إبراهيم بن أبى بكر بن إسماعيل الدنابى الحنبلى (ت١٠٩٤هـ-١٦٨٣م). مصنفاً عن ركن الحج بعنوان مناسك الحج " في مجلدين.[257]

وبهذا يتبين لنا مدى إسهامات الفقهاء الحنابلة في التصنيف الفقهى - خلال تلك الفترة - وكم هو ملاحظ أن فكرة إعادة إنتاج كتب السابقين قد استحوذت على النسبة الغالبة من تلك الإسهامات . على أن أهم ما في إسهامات هؤلاء الفقهاء تلك الأعمال التى أخذت طابعاً استقلالياً . وهو ما لم نجده في الإسهامات التى قام بها فقهاء المذاهب الثلاثة الأخرى .

ولعل من أهم ما يلفت النظر في مؤلفات هؤلاء الفقهاء على مختلف مذاهبهم الاهتمام الواضح بأحكام الحج كركن من أركان الإسلام الخمسة . فأفردوا بعض المصنفات لتوضيح مناسكه . ولو بحثنا عن إيجاد تفسير لذلك . لوجدناه يكمن في ركن الحج نفسه ، فعلاوة على أنه ركن دينى هام فقد ارتبطت به بعض السلوكيات التى أصبحت عادات اجتماعية جذبت اهتماماً كبيراً من المجتمع ، وما يقوم به أفراده من استعدادت كبيرة لاستقبال ذلك الحدث الهام . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ما كان يشهده ذلك الركن من اجتماع المسلمين في وحدة واحدة يواصلون مسيرتهم لأداء تلك الفريضة ولما كانت مصر من أهم المحطات التى يتجمع بها حجاج الأقطار الأخرى ، وخاصة حجاج الأراضى المغربية والسودانية ، واحتياج الحجيج إلى من يرشدهم إلى الطريقة الصحيحة لأداء مناسك هذا الركن العظيم . فمن أجل تلك الأسباب وغيرها رأينا هؤلاء العلماء يقومون بإفراد بعض أعمالهم الفقهية للحديث عن مناسك هذا الركن وكيفية أداؤها .

وعلى الرغم من اختلاف الكثير من أحكام الفقه عن كل من الأئمة الأربعة ، إلا أن وحدة الإسلام وتجمع المسلمين كان واضحاً في سلوكيات الفقهاء ، فاتحدت

خطاهم للنهوض بالعلم وأقبل كل منهم على أمهات ومؤلفات مذهبة يحاول تبسيطها أو الاجتهاد حول موضوعاتها والجميع يحدوهم هدف واحد هو بسط أحكام الشريعة أمام المسلمين وتيسير العمل بها .

الفقهاء ومستحدثات العصر (مشكلة الدخان) :

كثيراً ما ترددت على أسماعنا المقولة الشائعة عن قفل باب الاجتهاد بعد أئمة المذاهب الأربعة ، ولم تقترن هذا المقولة بعصر من العصور مثل ما اقترنت بالعصر العثمانى .

ومن أهم أشكال أو صور الاجتهاد الفقهى كيفية تعامل الفقهاء مع ما طرأ على مجتمعاتهم من أمور جديدة . إذ أن ظهور مثل هذه الأشياء يمثل تحدياً للمجتمع ويقع العبء الأكبر لاستقبال الجديد على "الصفوة المثقفة ". والتى كان العلماء المسلمون يمثلونها تمثيلاً دقيقاً وأميناً ، و"الصفوة الحاكمة ".

والناظر في تاريخ ذلك العصر يجد أنه قد ظهرت فيه بعض المستحدثات والتى مثلت تحدياً للمجتمع بكامله . وبالطبع قام الذين أوتوا العلم والمتصدرون للفقه والفتوى بمعالجة السلبيات المترتبة على تلك المستحدثات ، والاضطلاع بدورهم الذى أوجبه عليهم الإسلام من توجيه المجتمع نحو الحلال النافع وإبعاده عن الحرام الضار ، وذلك جزء من واجبهم المتمثل دائماً في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقد تمثل هذا الأمر بالفعل في حدثين واجههما المجتمع في ذلك العصر، فأحدثا دوياً كبيراً بين أفراد المجتمع وكان أول هذين الحدثين : ظهور شراب القهوة في بداية القرن الـ ١٦ م .. الأمر الذى شد انتباه المجتمع مع صفوته المثقفة التى أفردت لهذا الحدث المؤلفات الخاصة لبيان كونه حلالاً أم حراماً . واستمر هذا الاهتمام قائماً حتى القرن الـ ١٧ م . [(٢٥٨)]

أما الحدث الثانى فتمثل في ظهور " التدخين " في بدايات القرن الـ ١٧ م الأمر الذى مثل تحدياً خطيراً للمجتمع . مما دفع بأفراده أن يسرعوا إلى أهل العلم لكى يوضحوا لهم الحكم

وقد لاقت تلك النداءات لدى العلماء كل اهتمام وجدية. ومن المفيد أن نبين أن هذا الاهتمام لم يكن قاصراً على المجتمع المصرى ورجال العلم ، بل عم هذا الأمر كافة

المجتمعات العربية والإسلامية آنذاك . حتى أنا لنرى أن رجال العلم في تلك المجتمعات كانت تخاطب علماء مصر لكى يوضحوا لهم الحكم في تلك القضية .[٢٥٩]

وتلبية لتلك النداءات تسابق العلماء في وضع المؤلفات التى تبين حكم هذا الأمر المستحدث . وقد حملت هذه المؤلفات في طياتها ما يمكن وصفه بمعركة من أقوى المعارك الاجتهادية التى حدثت بين أهل العلم في مصر . ومن الطبيعى أن تكون هذه المؤلفات قد توصل فيها أصحابها إلى أحد الحكمين إما الحل[٢٦٠] أو الحرمة [٢٦١] ، وقد استند كل في رأيه على ما يدعم ذلك الرأى .

وفي الحقيقة نرى أن كل فريق بذل قصارى جهده في توضيح حكم الدخان والإتيان بالأدلة التى تؤيد ما توصل إليه من رأى . ومما هو جدير بالذكر - هنا - أن الأدلة والاستنباطات الفقهية لم تكن وحدها التى استند إليها كلا الفريقين لتأييد وجهة نظر، في ذلك الشأن ، بل نجدهم قد اعتمدوا كذلك على أقوال ونتائج أهم العلوم التجريبية في ذلك وهو علم الطب . حيث كان لقوانين هذا العلم عندهم أهميتها التى يمكن الاعتماد عليها ، والتدليل بها على صدق وجهة نظرهم وقوة فتواهم . [٢٦٢]

والناظر في أدلة كلا الفريقين يجد أنها قد اتصفت بالقوة في جانب والضعف في جانب آخر . على أن من ألحق قوله أن أنصار تعاطى الدخان لم يكثروا من المبررات كالتى طرحها أنصار التحريم ، لأن الأصل في الأشياء الحلال ، والاستثناء هو الحرام . وإذا ظهر جديد فعلى المجتمع " الاجتهاد " حول هذا الجديد وإثبات الاستثناء إذا كان كذلك. وبعد هذه المعركة الاجتهادية من كلا الفريقين ، انتهى الرأى فيه كما يقول الخيارى في رحلته : " والذى عليه المعول في حكمه أن يقال هو كساير المباحات ، فإن أضر بتعاطيه في بدن أو عقل حرم ، وإن لم يضر فهو حلال على أصل الأشياء ، فإن أصح الأقوال فيها الحل ".[٢٦٣]

وبعيداً عن الخوض في الاستنباطات والردود التى ساقها كل فريق لتقوية ما ذهب إليه ، فإن أهم ما يمكن الخروج به من هذا الأمر ، أن فقهاء ذلك العصر كانوا على درجة كبيرة من الاجتهاد الفقهى ، وهو ما يجعلنا أن نغير من تلك الصورة القاتمة التى رسمت أو طبعت على ذلك العصر - من أنه عاش حالة من الركود والجمود في الاجتهاد الفقهى لم يعشها عصر قبله .

ولعل من أهم الأشياء التى حملتها المؤلفات التى عرضتها الدراسة أمرين ، أولهما: أن أقوى ما ألف من كلا الفريقين أنصار الدخان وعدمه ـ على مذهب فقهى واحد وهو المذهب المالكى ، وهو ما يدل على مدى حرية وقوة الروح الاجتهادية التى كان يحياها علماء تلك الفترة . الثانى ، أن حجج الفقهاء في كلا الفريقين لم تقتصر على الحجج والاستنباطات الفقهية ، بل تعدت ذلك إلى الاستدلال برأى الطب في ذلك . وقد لوحظ أن أسانيد أنصار التحريم ـ والتى في أصلها من أراء الأطباء المسلمين ـ كانت أقوى من الأسانيد التى ساقها الشيخ الأجهورى . والتى نسبت إلى أحد أطباء أوربا "موناردر الأسبانى" (٢٦٤) مما يعطينا انطباعاً عن استمرار احتفاظ الأطباء المسلمين بقوتهم حتى تلك اللحظة ، وفي الوقت نفسه أن استدلال الشيخ الأجهورى برأى أحد أطباء أوربا يعطينا مؤشراً قوياً على وجود إتصال ثقافي بين علماء العالم الإسلامى ، والدول الأوربية آنذاك .

وبعد فقد رأينا مدى إسهامات علماء القرن الـ ١٧ م في الدراسات الدينية ، والحركة التصنيفية لهذه الدراسات . وكيف أن هذا التناول قد اختلف في الكم والكيف من علم لآخر . كما لمسنا حالة التحرج التى كانت تنتاب هؤلاء العلماء عند إقدامهم على تصنيف أو وضع المؤلفات المبتكرة في مختلف العلوم ، وأن هذا التحرج كانت تختلف شدته من علم لآخر . مما انعكس على طبيعة المؤلفات التى وضعوها في تلك العلوم ، ولربما كان هذا التحرج من أهم الأسباب التى دفعت هؤلاء العلماء للانسياق وراء انتخاب أهم كتب السابقين ، ثم القيام بإعادة إنتاجها سواء بالشرح أو وضع الحواشى عليها . وقد لاحظنا أن هذا التخرج قد انتاب هؤلاء العلماء بصورة كبيرة عند إقدامهم على التصنيف في علم التفسير ، مما كان له تأثيره القوى في عدم ظهور تفاسير كاملة للقرآن الكريم في تلك الفترة. ولقد وضح لنا تماماً أن هذا الأمر لم يكن سببه عجز هؤلاء العلماء عن تفسير القرآن بصورة كاملة ، وهو ما نلمسه من كيفية تناولهم لتفسير السور والأيات المفردة ، وتعليق الحواشى والتحريرات على تفسير البيضاوى .

وقد رأينا كيف أن هؤلاء العلماء تعاملوا مع طبيعة بعض العلوم الدينية، والخروج من الحدود الضيقة التى اتسمت بها تلك العلوم للتصنيف فيها فبعدوا عن المجالات التى فيها تكرار لما قام به السابقون ، إلى الاهتمام بالأمور التى فيها إفادة لطلبة العلم ، وما فيه تهذيب السلوك الاجتماعى . ومن تلك العلوم الدينية ، علم الحديث إذ

رأينا الكيفية التى تعامل بها هؤلاء العلماء للتأليف في هذا العلم ، في كلا قسميه ، ففيما يتعلق بقسمه الأول " الدراية " ، فإلى جانب ظهور بعض المحاولات لجمع كم من الأحاديث في مؤلف خاص بها ، رأيناهم قد ركزوا على جمع الأحاديث التى تعالج بعضاً مما كان يعانيه المجتمع من أدواء في السلوكيات بين أفراده . بالإضافة إلى توجيه هؤلاء الأفراد إلى إحياء المناسبات الدينية الاجتماعية على وجهه صحيحة وقويمة .

أما فيما يتعلق بالقسم الثانى من هذا العلم ـ وهو قسم الرواية أو المسمى بـ" مصطلح علم الحديث " فقد أوضحت الدراسة أن هؤلاء العلماء عند التأليف في هذا القسم ركزوا على بعض المحاور تحقيقاً لأكثر من هدف فمنها أنهم عمدوا إلى تدريب الطلاب على الطرق المنهجية للتأليف في هذا العلم إضافة إلى وضع المؤلفات التى فيها توضيح وتسهيل لطالبيه . هذا إلى جانب أنهم عملوا على تنقية وغربلة الأحاديث التى كان يروجها متصوفة ذلك العصر . بما يخدم الأساليب التى يسيرون عليها . ناهيك عن قيامهم بتخريج الأحاديث التى وردت بلا سند في بعض كتب السابقين الهامة .

وتكاد نفس الأغراض تتكرر لدى هؤلاء العلماء عند إقدامهم على وضع المؤلفات في علمى القراءات والتجويد . من تقديمهما في صورة بسيطة وسهلة لطلبة العلم ، علاوة على تدريب الطلبة على الطريق المنهجية التربوية للتصنيف في كلا العلمين . وقد أشارت الدراسة إلى ما كانت تتمتع به مصر في تلك الفترة ـ من علماء تمكنوا من كلا العلمين .

أما من ناحية أهم ما توصلت إليه تلك الدراسة من نتائج عن مدى مشاركة علماء ـ ذلك القرن ـ في علم الفقه فحليق بى بداية قبل الشروع في مثل هذه الأمور أن اعترف بأن هذا العلم خلال ذلك العصر لا تسعه دراسة واحدة خاصة به . بل يحتاج إلى دراسات عديدة لتوضيح مدى الجهد الذى بذله علماء ذلك العصر .

لكننا نجد أنفسنا أمام سؤال يطرح نفسه في تلك الأثناء ، وبالطبع قد طرح أمام كل من شغل نفسه بالبحث عن هذا العلم في تلك الفترة ، وهو إلى أى مدى جدد هؤلاء العلماء في الفقه ؟ وهل أضافوا شيئاً جديداً إلى مادته أم لا ؟

حيث أنه من بين أهم القضايا التى يناقشها البحث ، ما تعلق بقضية التجديد في العلوم الفقهية عند علماء القرن الحادى عشر الهجرى الـ١٧م لأن ثمة آراء عديدة نجدها تتحامل على العلماء وإنتاجهم بدون تقديم الأدلة والقرائن التاريخية التى تؤكد

أراءهم وما توصلوا إليه .

بداية ماذا تعنى كلمة تجديد في التشريع الفقهى ؟ في الحقيقة إن الفقه يستند إلى التشريع في الكتاب والسنة ، وكذلك في الاجتهاد ، وهذا هو الأهم لأنه بؤرة التجديد لأن من بين أهم ما يميز الإسلام طابع المرونة وعدم الانغلاقية فالمستحدثات من شئون الناس في حياتهم اليومية ، وهى تقضى بطبيعتها البحث في الفقه عما يعبأ إطاراً شرعياً لما يجرى في المجتمع من مستحدثات . إذا علينا إمعان النظر إلى موقف العلماء في ذلك القرن من مثل هذه المستحدثات واتجاه حركتها الإنتاجية في الفقه بالنسبة لهذه المستحدثات، وهل كانت حركة دءوبة متابعة للتطور البطئ والسريع للشئون اليومية للناس؟ أم كان يقابلها وشتى التطورات في الشئون اليومية للناس " السكون " والسلبية في الرد؟ أو في إنتاج ما يشفي غليل الطالب لإجابة ما على مسألته ؟ الأمر الذى لا يعنى به سوى الركود والعجز عن مسايرة الواقع ، أو وجود انفصال حاد بين الواقع وتطور التشريع الفقهى .

لعل من المأمول أن تكون تلك الدراسة قد ردت على مثل هذه التساؤلات ، وأن مثل هذه الأمور المستحدثة والتى شغلت حيزاً كبيراً من تفكير أفراد المجتمع لم تلق من علماء ذلك العصر وخاصة القرن الحادى عشر الهجرى الـ١٧م سوى الاهتمام الشديد ، ووضع المصنفات المتعلقة بتلك المستحدثات بتبيين حكمها . وأن موقفهم لم تشوبه أية شائبة سكون أو كسل . هذا بخلاف باقى الرسائل التى قام علماء تلك الفترة بوضعها . والتى وضعت لإجابة الأسئلة التى رفعت إليهم من قبل أفراد المجتمع ،ناهيك عن أن علماء ذلك القرن ممن يطلق عليهم " مجتهدى الفتيا " أى غير القاصرين على آراء المذهب الذى يتبعه الفقيه منهم ، حقيقة أن هذا الأمر لم يتمثل في جميعهم ، ولكن وجد الكثير منهم مستحقين لهذا الوصف ، الأمر الذى ينتهى منه . أنه كانت هناك حركة فقهية دءوبة غير مشوبة بالسكون والركود .

هوامش الفصل الثالث

(١) كشنف الظنون ، مصدر سبق ذكره ، مج ١، صـ ٤٢٣ .

(٢) عبد اللطيف حمزه ، مرجع سبق ذكره صـ ١٨٤ .

(٣) عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ، صـ ١٨٥ .

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : المقدمة ، تحقيق درويش الجويد ، ط المكتبة العصرية ، بيروت ، الثانية ١٩٩٦م ، صـ ٤٠٩ .

(٥) نفس المصدر ، صـ ٤١٠ .

(٦) هو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن السرى النحوى (ت ٣١٠هـ - ٩٢٢م) وتفسيره يقال له . معانى القرآن .

(٧) هو الإمام أبو الحسن على بن أحمد الوحداى النيسابورى (ت ٤٦٨هـ - ١٠٧٥م). ومن مؤلفاته كتاب البسيط فى التفسير .

(٨) هو الشيخ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسى (ت ٧٤٥هـ - ١٣٤٤م) قرأ القرآن بالروايات وسمع الحديث ببلاد الأندلس ، وجزيرة أفريقية ، وثغر الإسكندرية وبلاد مصر والحجاز ، ومصنفاته كثيرة من أهمها كتابه "البحر المحيط " فى التفسير - محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى : فوات الوفيات وهو ذيل على وفيات الأعيان لابن خلكان - تحقيق محمد يحى الدين عبد الحميد. ط مكتبة النهضة - القاهرة ١٩١٥م .جـ٢ صـ ٥٥٥ .

(٩) هو الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى القرطبى المالكى (ت ٦٦٨هـ - ١٢٦٩م) . ومن مؤلفاته كتابه فى التفسير المسمي " جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وأى القرآن "فى مجلدات . كشف الظنون، مصدر سبق ذكره ، مج١ صـ ٥٣٤ .

(١٠) هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى (ت ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م) . من مصنفاته فى علم التفسير كتابه فى تفسير الفاتحة ، فى مجلدين سماه مفاتيح العلوم - كشف الظنون، مج١. صـ ٤٥٤ .

(١١) المصدر السابق ، مج ١ صـ ٤٣١ .

(١٢) وعبد اللطيف حمزة : مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(١٣) كشف الظنون ، مج ١ . صـ ٤٣٣ .

(١٤) عبد اللطيف حمزة : مرجع سبق ذكره صـ ١٩٠ .

(١٥) البكرى : المنح الرحمانيه ، مصدر سبق ذكره ، ورقة ١٥٦ .

(١٦) الحموى : مصدر سبق ذكره جـ ٣، صـ ٩٦٣.

(١٧) إسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين ، دار الفكر ١٩٨٧ ، مج ٥ ، صـ ٣٠ .

(١٨) هو تفسير الإمام فخر الدين الرازى (ت٦٠٦هـ - ١٢٠٩م). وهو التفسير المسمى. بـ "مفاتيح

الغيب". وهو تفسير عقلى، عنى فيه ببحث الكونيات، ويقسم الأيات التى يتولى تفسيرها إلى عدد من المسائل يقوم بتأويلها مدافعاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة. د/سيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ط مؤسسة الجامع ١٩٨٧م ، صـ ١٧٦.

(١٩) هو الفاضل أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهانى - المتوفى فى رأس المائة الخامسة - وتفسيره هذا تفسيراً معتبراً . كشف الظنون ، مج١ . صـ ٤٤٧ .

(٢٠) كشف الظنون ، مج ١. ص ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢١) سيد عبد العزيز سالم : مرجع سبق ذكره صـ ١٧٦ .

(٢٢) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى ، س١٧٤ ، ص ٣٠٨، م ٨٩٨ ، بتاريخ (١٤ ربيع الأول ١١٠٠هـ - ١٦٨٨م) .

(٢٣) نفس الأرشيف : محكمة القسمة العسكرية ، س٧٢ ، ص ص ٣٠٨-٣١٥.
م٥٥٩ بتاريخ (١٠ربيع الأول ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م).

(٢٤) نفس الأرشيف والمصدر: س٧٦، صـ ٦٩٩، م ٩٥٣ بتاريخ (١٤ ربيع الثانى ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م) .

(٢٥) نفس الأرشيف : محكمة الباب العالى ، س٩٠ مكرر ، صـ٨٤، م٤٠١ بتاريخ (١٨ ذى الحجة ١٠٢٦هـ/١٦١٧م) .

(٢٦) الحموى : جـ١ ، صـ ٢٤٥ .

(٢٧) المحبى : جـ٢. صـ ٣١٦.

(٢٨) شهاب الدين أحمد الخفاجي : عناية القاضى وكفاية الراضى ، مصدر سبق ذكره .

(٢٩) بحر الرجز . الخفاجى : المصدر السابق ، جـ١ ، صـ ٥ .

(٣٠) المحبى جـ ١ ، ص ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣١) نفس المصدر جـ٢ ، ص ص ٤٠٥-٤٠٦ .

(٣٢) البكرى : المنح الرحمانية ، مصدر سبق ذكره ، ورقة ١٥٦ .

(٣٣) هدية العارفين ، مرجع سبق ذكره ، مج ٥ ، صـ ٥١٠ .

(٣٤) نفس المرجع ، مج ٥ . صـ ٢٧٤ .

(٣٥) نفسه ، مج ٥ . صـ ٣٠٥ .

(٣٦) هدية العارفين ، مج ٥ صـ ٤٧٤ .

(٣٧) المحبى: ٤٥ ، صـ٣٥٩ - الحموى : جـ٣ ، ص ص ٩٦٤- ٩٦٥.

(٣٨) البغدادى : هدية العارفين ، مج٥ صـ ٢٧٥ .

(٣٩) مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم هـ ٦٤٢٣ .

(٤٠) مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم تفسير تيمور ٣٥٩ .

(٤١) مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم تفسير ٣٤٣ .

(٤٢) مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم تفسير تيمور ٣٥ .
(٤٣) مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم ميكروفيلم ٤٨٢١٤ . تفسير ٤٨٢.
(٤٤) مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم ب ٢٢٠٦٦ .
(٤٥) إسماعيل البغدادى : إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون دار الفكر ١٩٨٧م، مج ٣ صـ ٢٤٢ .
(٤٦) البغدادى : هدية العارفين ، مرجع سبق ذكره ، مج ٥ ، صـ ١٥٨ .
(٤٧) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ١٦٢ .
(٤٨) نفس المرجع ، مج٦ . صـ ٧٧٥ .
(٤٩) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصارى السنيكى المصرى الشافعى١٤٢٠-١٥٢٠م. قاض مفسر من حفاظ الحديث. ولد بقرية سنيكه إحدى قرى (الشرقية). وتعلم بالقاهرة، وكف بصره سنة ٩٠٦هـ(١٥٠٠م) نشأ فقيراً معدماً، إلى أن ترقى المناصب الكبيرة، من مؤلفاته العديدة. فتح الرحمن فى التفسير ، تحفة البارى على صحيح البخارى . خير الدين الزركلى : الإعلام ط. دار العلم للملايين - بيروت - التاسعة ١٩٩٠م . جـ ٣ ، صـ ٤٦ .
(٥٠) إيضاح المكنون ، مج٤ ، صـ ١٠٨ .
(٥١) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ٣٠٢ .
(٥٢) الحموى : جـ ١ صـ ٨٠٠ .
(٥٣) كشف الظنون ، مج١ ، صـ ٦٣٥ .
(٥٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، صـ٢٠٨.
(٥٥) كشف الظنون ، مج١ ، صـ ٦٣٥.
(٥٦) ابن كثير : جامع المسانيد والسنن ، الهادى لا قوم سنن ، تحقيق د . عبد الله بن عبد الله بن دهينى ، الجزء الأول ، صـ ٦٠ .
(٥٧) عبد اللطيف حمزة : مرجع سبق ذكره صـ ١٨٢ .
(٥٨) المقدمة صـ ٤١٤. ومما يلاحظ هنا أن ابن خلدون أشار إلى خمسة كتب دون السادس.
(٥٩) كشف الظنون ، مج١ ص ص ٦٣٥ - ٦٤١ .
(٦٠) الجامع الكبير : يقصد به كتاب "جمع الجوامع" للسيوطى (ت٩١١هـ-١٥٠٧م) حيث جمع فيه بين الكتب الستة ، والمسانيد العشرة وغيرها . كشف الظنون ، مج ١ ، صـ ٦٣٩ .
(٦١) المجبى : جـ٢ ، صـ ٤١٤ .
(٦٢) كشف الظنون ، مج٢ ، صـ ١٥٢٠ .
(٦٣) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ٥١١ .
(٦٤) المحبى : جـ٢ ، صـ ٤١٤ .
(٦٥) نفس المصدر جـ٢ ، صـ ٤١٦ .

(٦٦) عبد الغنى النابلسى : الحقيقة والمجاز ، مصدر سبق ذكره ، صـ ٢١٩ .

(٦٧) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، ط مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، جـ١، صـ ٩٤ .

(٦٨) كشف الظنون ، مج ٢ ، صـ ١٠٥٩ .

(٦٩) المحبى : جـ٢ ، صـ ٤١٤ .

(٧٠) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ٣٦٩ .

(٧١) مخطوط بمكتبة الأزهر ، فى ٣٣٨ ورقة ، تحت رقم (٤) ٣٤ .

(٧٢) الحموى : جـ١ ص ص ٩٥٧-٩٥٨.

(٧٣) مخطوط بمكتبة الأزهر فى ثلاثة مجلدات فى ٥٥٩، ٤٤٦، ٣٢٥ ورقة ، تحت رقم (٣٥٢) ٢٩٤٦.

(٧٤) الجامع الصغير - للسيوطى - ذكر أنه اقتصر فيه على الأحاديث الوجيزة ، وبالغ فى تحرير التخريج ، وصانه عما تفرد به وضاع أو كذاب ، ففاق بذلك الكتب المؤلفة فى هذا النوع - كشف الظنون ، مج١، ٥٦٠ .

(٧٥) المسانيد العشر يقصد بها ، مسند أحمد ، ومسند إسحاق بن راهويه ، ومسند عبد بن حميد ، ومسند الدرامى ، مصنف ابن أبى شيبه ، مصنف سعيد بن منصور ، مسند الحميدى ، المسند المعلل لأبى بكر البزار ، مسند على بن المدينى ، مسند عثمان بن أبى نسيبه - د. عبد الملك بن عبد الله . مقدمة تحقيقه لكتاب جامع المسانيد لابن كثير - مصدر سبق ذكره ، جـ١ ، صـ١٢ .

(٧٦) هدية العارفين ، مج٥ ، ص ص ٥١٠ - ٥١١ .

(٧٧) المحبى : جـ٤ ، صـ١٧٤ .

(٧٨) مخطوط بمكتبة الأزهر فى أربعة مجلدات تحت رقم (١٥٦) ١١٧٦ .

(٧٩) مخطوط بمكتبة الأزهر ، تحت رقم (٥٣٣) ٤٥٦١ .

(٨٠) مخطوط بمكتبة الأزهر فى ٢٥٣ ورقة تحت رقم (٥٠٩) ٤١٦٤ .

(٨١) مخطوط بدار الكتب ، فى ١٦ ورقة ، تحت رقم ميكروفيلم ٥١٦٠٥ - حديث م٣ .

(٨٢) إيضاح المكنون ، مج٤ ، صـ ٥٤ .

(٨٣) المحبى : جـ٢ ، صـ ٤١٢ .

(٨٤) الحموى : جـ ٢ ، صـ ٨٦٢ .

(٨٥) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٣٧٥٦ .

(٨٦) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ٤٩٨ .

(٨٧) مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم (٢٢٧٦) رافعى ٢٦٦٥٠ .

(٨٨) المحبى : جـ ١ ، صـ ١٨٥ .

(٨٩) مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم (١٤٣ مجاميع) ٣١٥٢ .

(٩٠) الحموى : جـ٣ ، صـ ٩٦٥ .

(٩١) مخطوط بدار الكتب تحت رقم حديث ١٥٧٥ .
(٩٢) مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم (٢٢٧٦٠) رافعى ٢٦٦٥٠ .
(٩٣) مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم (٢٤١١) السقا ٣٨٥٠٨ .
(٩٤) عشماوى عثمان عبود : المهذب فى مصطلح الحديث ، ط مطابع دار الشعب ١٩٨٦م. ١٩٨٧م،ص٥ .
(٩٥) انظر فجر الإسلام ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٠٨ ـ ٢٢٥ .
(٩٦) انظر فجر الإسلام ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٠٨ ـ ٢٢٥ .
(٩٧) فمن نشرهم للأحاديث الغير منسوبه إلى رسول الله (ما ذكره العالم على الاجهورى المالكى (ت١٠٦٩هـ ـ ١٦٥٨م). فى كتابه السراج الوهاج فى الكلام على الإسراء والمعراج ـ خاصة عند تعرضه لتفسير قوله تعالى " سبحان " تعرض لحديث تداولته السنة الصوفيه فى زمنه وهو " من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة أشترى نفسه من الله " حيث ذكر أن ابن حجر قال بأنه باطل. لمصدر نفسه ورقه ٥ ـ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ١٣٧٩٩ ـ تاريخ طلعت ١٩١٢ .
(٩٨) إجازة الشيخ شاهين الأرمناوى ـ للشيخ صالح الغزى ـ تاريخ النسخ ١٠٨١هـ ـ ١٦٧٠م ورقه ٢ ـ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٩٣٠٤ ـ ب ٢٣٨٣٩
(٩٩) إجازة الشيخ يوسف الجنيدى إلى الشيخ صالح الغزى ، بتاريخ أواسط ربيع الأول سنة ١٠٨٤هـ ـ ١٦٧٣م ـ ورقة ٩،١٠ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٩٣٠٤ ب ٢٣٨٣٩ .
(١٠٠) إجازة المنزلى . بتاريخ الخميس ١٥ ربيع الأول سنة ١٠٨٤هـ ـ ١٦٧٣م مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٥٨٧) الجوهرى ٤١٧٩٣ .
(١٠١) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ٥١٠ .
(١٠٢) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٢٨١٠٤. ب ٢٣٤٣٨ .
(١٠٣) معجم المؤلفين ، مرجع سبق ذكره جـ٢ ، صـ٢٥٨ .
(١٠٤) نفس المرجع ، جـ١ ، صـ ٢٠٢ .
(١٠٥) هدية العارفين ، مرجع سبق ذكره ، مج ٥ ، صـ ٥١١ .
(١٠٦) مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم (٣٩٦) حليم ٣٣٠٥٣ .
(١٠٧) مخطوط بدار الكتب تحت رقم (١٥١٢ حديث) .
(١٠٨) هدية العارفين ، مرجع سبق ذكره ، مج ٥ ، صـ ٥١١ .
(١٠٩) مخطوط بدار الكتب تحت رقم (مصطلح حديث م١٥) .
(١١٠) مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم (٦٠٥) عروسى ٤٢١٧٨ .
(١١١) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٥٩١٣ ب .
(١١٢) المحبى : جـ ٣ ، صـ ١٥٧ .

(١١٣) معجم المؤلفين ، جـ ٢ ، صـ ٥١٠ .

(١١٤) مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم (١١١) ٧٨٣٢ .

(١١٥) هذه المنظومة للشيخ طه بن محمد بن فتوح البيقونى . كان حياة قبل سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م). مخطوط بدار الكتب تحت رقم مصطلح حديث ١٨٠ .

(١١٦) الحموى : مصدر سبق ذكره ، جـ٣ ، صـ ٣٩٩ .

(١١٧) ثلاثيات البخارى هو الكتاب الذى قصر ، البخارى على الأحاديث التى يتصل سندها برسول الله(صلى الله عليه وسلم) (بثلاثة رواه كشف الظنون ، مج ١ ، صـ ٥٢٢ .

(١١٨) المحبى : جـ١ ، صـ ١٧٦ .

(١١٩) وهو ينفى ما أشار إليه أحد الباحثين من أن أول ظهور لمثل هذه الموضوعات أو الجوانب فى العصر العثماني كان في القرن الثامن عشر . محمد صبرى محمد يوسف : دور المتصوفة فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى (١٥١٧ـ١٧٩٨م). رسالة ماجستير أجيزت بكلية الآداب سوهاج - فرع جامعة أسيوط ١٩٩٢م ، صـ٢٥٩.

(١٢٠) أحمد بن عبد الغنى الدمياطى : منتهى الامانى والمسرات فى علوم القراءات ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ميكروفيلم ٤٠٣٥١ ، قراءات ٧٣ ، ورقة ٢.أ

(١٢١) كشف الظنون ، مج ١ ، صـ ٣٥٣ .

(١٢٢) مقدمة ابن خلدون ، صـ ٤٠٧ .

(١٢٣) نقلاً من كشف الظنون ، مج ٢ ، صـ ١٣١٧ .

(١٢٤) نفس المصدر، مج ١ ، صـ ٣٥٤ .

(١٢٥) المحبى : جـ٢ ، ص ص ٢٢٠ـ ٢٢١ .

(١٢٦) الحموى : جـ ٣ ، ص ص ٢١٣ ـ ٢١٥ .

(١٢٧) نفس المصدر : جـ٣ ، صـ ٢٥٤ .

(١٢٨) إجازة الشيخ على الشبراملسى للشيخ صالح الغزى بتاريخ (أواخر شوال سنة ١٠٨١هـ - ١٦٧٠ م) ورقة ١٣ . أ ، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٩٣٠٤ ، ب ٢٣٨٣٩ .

(١٢٩) الحموى : جـ ٣ ، صـ ٦٤٩ .

(١٣٠) الحموى : جـ ١ ، ص ص ٥٣٠ ـ ٥٣٢ .

(١٣١) مخطوط بدار الكتب تحت رقم قراءات ٦٥ .

(١٣٢) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٢١٦٧٠ ـ ب ٢٥٣١٧ .

(١٣٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم تفسير تيمور ٤٨٠.

(١٣٤) هدية العارفين ، مج ٥، صـ ٢٩ .

(١٣٥) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ـ العصر العثمانى ـ ترجمة د/ عمر صابر عبد الجليل ، مراجعة ترجمة د/ محمود فهمى حجازى ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م ، القسم الثامن صـ ٢٢٢ .

(١٣٦) مخطوط بدار الكتب تحت رقم قراءات ٤٩٥ .

(١٣٧) مخطوط بدار الكتب تحت رقم قراءات ٢٩٩ .

(١٣٨) الدمياطى : مصدر سبق ذكره .

(١٣٩) الحموى : جـ١ ، صـ ٢٣٨ .

(١٤٠) المحبى : جـ٣ ، صـ ٦٦ ـ ٦٧ .

(١٤١) كشف الظنون ، مج٢، ص ص ١٧٩٩ـ ١٨٠٠ .

(١٤٢) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٣٨٩٩ ـ قراءات ٨٤ .

(١٤٣) هدية العارفين ، مج٥. صـ٥١١ .

(١٤٤) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٨٧٦٦ـ ب ٢١٣٧٠ .

(١٤٥) بروكلمان . رجع سبق ذكره جـ٨ صـ ٢٠٠ .

(١٤٦) خطوط بدار الكتب تحت رقم ب ٢٠٩٠٢ .

(١٤٧) المحبى : جـ٢ ، ص ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(١٤٨) نفس المصدر ، جـ٤ ، ص ص ١٧٦ ـ ١٧٧ .

(١٤٩) المحبى : جـ ٢ ، صـ ١٩٩ .

(١٥٠) نفس المصدر ، جـ٣ ، صـ ١٧٤ .

(١٥١) محمد مصطفى شلبى ـ أصول الفقه الإسلامى ط / الدار الجامعية للطباعة والنشر ١٩٩٨م. صـ ٢٩ .

(١٥٢) هو الإمام العلم الحجة البارع الورع الذى أجمع السلف والخلف على كثرة علمه وورعه، الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه ، وكان زوطى من أهل كابل مملوكاً لبنى تيم الله ، فأسلم فاعتق ، وولد ثابت على الإسلام . وقيل هو النعمان بن ثابت ابن النعمان بن المزريان من أبناء فارس الأحرار ، وذهب ثابت وهو صغير إلى على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ فدعا له بالبركة . وولد أبو حنيفة بالكوفة سنة ثمانين للهجرة (٦٩٩م) فى خلافة عبد الملك بن مروان ، فعاش سبعين سنة ، وتوفى ببغداد سنة ١٥٠هـ ٧٦٧م. مرعى الحنبلى : تنوير بصائر المقلدين فى مناقب الأئمة المجتهدين ـ مخطوط بدار الكتب ـ ميكروفيلم ٢٣٣٣٣ـ ح ٧٧٢٩. ورقة .

(١٥٣) هو الإمام العلم الحجة . مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن قنبل بن عمرو بن ذى أصبح الاصبعى الحميرى. ولد سنة٩، ٤، ٥ ، ٦، ٩٧هـ بذى المروه موضع من مساحة تبوك ، وتوفى سنة ١٧٩هـ (٧٨٦م) بالمدينة ودفن بالبقيع ـ المصدر السابق ورقة ٥١ .

(١٥٤) هو الإمام العلم الحجة أبو عبيد الله محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن اسريه بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ـ رابع أجداد النبى (القريشى المطلبى . ولد سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧م) بغزه وتوفى بمصر سنة ٢٠٤هـ (٨٢٠م) المصدر السابق ، ورقة ٦٠.

(١٥٥) هو الإمام العلم الحجة .. أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن أدريس ابن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف .. ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ
(٧٨١م) وتوفى بها سنة ٢٤١هـ (٨٥٥م) . ودفن بها أيضاً . المصدر نفسه ورقة ٩٤ .
(١٥٦) ومنهم سفيان الثورى ، وسفيان بن عيينه ، والليث بن سعد ،وإسحاق ، والازواعى وأبو ثور الذى كان يفتى الجنيد بمذهبه ، وداود الظاهرى . المصدر نفسه
ورقة ١٥ .
(١٥٧) عبد اللطيف حمزة : مرجع سبق ذكره ، صـ ١٩٥ .
(١٥٨) نفس المرجع : ص ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .
(١٥٩) نفسه ، صـ ١٩٦ .
(١٦٠) (الكندى) أبو عمر محمد بن يوسف المصرى : الولاه وكتاب القضاء ، ط . الفاروق الحديثة صـ ٥٥٥ .
(١٦١) (السيوطى) جلال الدين عبد الرحمن : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى ١٩٩٨م المجلد الأول صـ٤١٥ .
(١٦٢) عبد اللطيف حمزة : مرجع سبق ذكره ، صـ ١٩٩ .
(١٦٣) فمن ذلك ما أنشده الشيخ عمر الدفرى الحنفى ، أثناء إجازته للشيخ صالح التمرتاشى إذ يقول :

عليك بالعلم فاطلبنه	وابحث على أهله وسايل
لا سيما الفقه يا خليلى	فما عداه من الوسايل
فذاك مفتاح كل خير	عليه قد قامت الدلايل
من حصل الفقه نال خيراً	فالفقه من أفضل الفضايل

مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٩٣٠٤ ـ ب ٢٣٨٣٩ ـ ورقة ١٨ أ ـ ب .
(١٦٤) " كنز الدقائق " كتاب فى فروع الحنيفه للشيخ الإمام أبى البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفى ـ لخص فيه الوافى بذكر ما عم وقوعه ،حاويا لمسائل الفتاوى والواقعات وجعل الحاء علامة لأبى حنيفة،والسين لأبى يوسف،والميم لمحمد ، والزاى لزفر،والفاء للشافعى،والكاف لمالك،وهكذا ـ كشف الظنون،مج٢ ، صـ ١٥١٥ .
(١٦٥) المحبى : جـ٤ ، صـ ٤٤٢ .
(١٦٦) الحموى : جـ ١ ، صـ ٨٠٠ .
(١٦٧) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ١٦٤ .
(١٦٨) " الهداية " كتاب فيالفروع لشيخ الإسلام برهان الدين على بن أبى بكر المرغينانى الحنفى (ت٥٩٣هـ ـ ١١٩٧م). وهو شرح على متن له سماه " بداية المبتدى " وروى أن صاحبه بقى فى تصنيف الكتاب ثلاث عشره سنة ـ وكان صائماً تلك المدة ، لا يفطر أصلاً وكان يجتهد أن

لا يطلع على صومه أحد ، فكان ببركة زهده وورعه كتابه مقبولاً بين العلماء ، وهو الذى قيل فيه.

أن الهداية كالقرآن قـد نسخت ما صنفوا قبلها فى الشرع من كتب

فاحفظ قواعدها واسلك مسالكها يسلم مقالك من زيغ ومن كذب

كشف الظنون : مج ٢ ، صـ ٢٠٣٢ .

(١٦٩) المجبى : جـ٣ ، ص ص ٣١٦ ـ ٣١٨ .

(١٧٠) الأكمل هذا هـو أكمـل الدين محمد البابرتى ، وشرحه هذا حاوياً على ثلاثة آلاف مسأله ، سوى التصرفات المتعلقة برفع الإبهام ، ودفع الأوهام ـ كشف الظنون مج٢ صـ ٢٠٣٥ .

(١٧١) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ١٦٤ .

(١٧٢) هو كتاب فى فرع الحنفية متن متين لمنلا خشرو (ت٨٨٥هـ ـ ١٤٨٠م). وقام بشرحه ، وسمى شرحه "درر الحكام" وقد تلقته أيدى العلماء بالشرح وتعليق الحواشى عليه ـ كشف الظنون : مج٢ ، صـ ١١٩٩ .

(١٧٣) كشف الظنون : مج٢ ، صـ ١٢٠٠ .

(١٧٤) نفس المصدر : مج٢ ، صـ ١١٩٩ .

(١٧٥) هدية العارفين : مج٥ ، صـ ١٦٤ .

(١٧٦) منظومة فى فروع الحنفية للشيخ عبد الوهاب بن أحمد بـن وهبـان الدمشـقى (ت٧٦٨هـ ـ ١٣٦٧م) وهى قصيدة رائيه من بحر الطويل ، ضمنها غرائب المسائل ، وهى نظم جيد متمكن فى أربعمائة بيت ، وسماها " قيد الشرائد ونظم الفرائد " أخذها من ستة وثلاثين كتاباً ، ورتبها على ترتيب الهداية . كشف الظنون: مج٢ ، صـ١٨٦٥

(١٧٧) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٢٧ ورقة برقم (١٦٤٢) ٢٢٥٠٦ .

(١٧٨) كتاب فى الفروع . للفقيه الفاضل زين الدين بن إبراهيم المعروف بابن نجيم المصرى الحنفى (ت٩٧٠هـ ١٥٦٢م). وقد امتدحه العلماء ، حيث قالوا أنه لم ير للحنفية مثله . كشف الظنون : مج ١ ، صـ ٩٨ .

(١٧٩) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ١٦٤ .

(١٨٠) بروكلمان : جـ ٨ ، صـ ١٦٣ .

(١٨١) وقد أشارت الدراسة فيما سبق عن موقف هذا العالم من تعليم المرأة ليس التعليم العادى فقط بل العلم ذو التخصص الدقيق .

(١٨٢) عمر الدفرى : الدرة المنيفة ، مصدر سبق ذكره ، ورقة ٢٣٣ .

(١٨٣) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ٤٩٨ .

(١٨٤) هو مختصر فى فروع المالكية . للشيخ خليل بن اسحق الجندى المالكى .

(١٨٥) المجبى : جـ١ ، صـ ٧ .

(١٨٦) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، صـ ١٥٨ .

(١٨٧) نفسه ، جـ٢ ، صـ ٢٨٧ .

(١٨٨) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٤١ ورقة تحت رقم (٣٣٠) ٢٥٥٤ .

(١٨٩) الحموى : جـ ١ ، ص ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

(١٩٠) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى أربعة مجلدات ٤٧٨ ـ ٤٢٦ ـ ٣٨٤ ـ ٣٤٢ ورقة برقم (١٥) ١٥.

(١٩١) كتاب فى أصول الفقه للشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن على بن السبكى الشافعى (ت٧٧١هـ ـ ١٣٥٩م). جمعه من زهاء مائة مصنف مشتملاً على زبدة ما فى شرحيه على مختصر ابن الحاجب والمنهاج مع زيادات وبلاغه فى الاختصار . ورتب على مقدمة وسبعة كتب ـ كشف الظنون ، مج١ ، صـ ٥٩٥ .

(١٩٢) المحبى : جـ١ ، صـ ٨ .

(١٩٣) نفس المصدر ، جـ٣ ، صـ ١٥٨ .

(١٩٤) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٢٨ ورقة تحت رقم (٢) ٢ .

(١٩٥) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٤٤ ورقة تحت رقم (٢١٥) ٢٨٥ .

(١٩٦) المحبى : جـ ١ ، صـ ٧ .

(١٩٧) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ١٤٩٢٣ ـ فقه مالك ١٧٢ . .

(١٩٨) المحبى جـ٣ صـ ١٥٨ .

(١٩٩) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٢٢٤٨ ـ فقه مالك ١١١ .

(٢٠٠) " المنهج " فى الأصل كتاب " منهاج الطالبين فى فروع الشافعية للإمام يحيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الشافعى (ت٦٧٦هـ ١٢٧٨م).

(٢٠١) ومن عظم فائدة هذا الكتاب تناوله العلماء بالتصنيف بصور مختلفة من شرح ، ونظم وتعليق حواشى ، ومن خير من قام بشرح ذلك الكتاب ، الشيخ زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصارى ـ الذى كان يلقب بشيخ الإسلام (ت٩٢٦هـ ـ ١٥٢٠م). حيث شرحه شرحاً ممزوجاً. ثم أختصره واسماه " منهج الطلاب" ثم شرح هذا الشرح وسماه " فتح الوهاب بشرح منهاج الطلاب " كشف الظنون ، مج٢ ص ص ١٨٧٣ ـ ١٨٧٥. ومن قام بشرح ذلك الكتاب وعليه أتت تصانيف علماء هذه الدراسة ـ الشيخ المفسر جلال الدين المحلى الذى قام بشرح كتاب " منهاج الطالبين " ، والشيخ العالم محمد الرملى المنوفى (ت١٠٠٤هـ ـ ١٥٩٥م). الذى شرح منهاج الطالبين " وقال المحبى فى هذا الشرح " إنه أتى فيه بالعجب العجاب " المحبى : جـ٣ ، صـ ٣٤٣ .

(٢٠٢) هى فى الأصل أربع مجلدات يوجد منها الثالث والرابع لمخلوط بمكتبة الأزهر برقم (١٥٦٦) ١٦٥٦٧ .

(٢٠٣) المحبى ، جـ ٢ ، صـ ٤١٥ .

(٢٠٤) مخطوط بمكتبة الأزهر فى مجلدين فى ٦٠٩ ، ٣٢٩ ورقة تحت رقم (٤٢٧) ٣١٦٤ .

(٢٠٥) المحبى ، جـ ٣ ، صـ ١٢٣ .
(٢٠٦) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ص ٣٨٥ـ٣٨٦ .
(٢٠٧) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى مجلدين ٢٨٨ـ ٣١٧ ورقة تحت رقم (٢٤٥٥) تركى ٤٠٨١٠ .
(٢٠٨) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ثلاث مجلدات ٣٩٧ ـ ٣٩٤ ـ ٣٢٦ـ برقم (٧٧) ١٠٥٠ .
(٢٠٩) المحبى ، جـ ٢ ، صـ ٢٩٨ .
(٢١٠) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٣٣٧ ورقة تحت رقم (٤٨٢) ٣٢٧٦.
(٢١١) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٣٠ ورقة تحت رقم (٦٠٩) ٤١٢٨ .
(٢١٢) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ثلاث مجلدات ٤٧٥ ، ٣٥٢ ، ٣١٨ ورقة برقم (١٨٤) ١٤٤٤.
(٢١٣) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٣٣٨ورقة تحت رقم (٤٧) ٩١٨٠ .
(٢١٤) " العباب " هو كتاب فى فقه الشافعى نظم القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد الباعونى (ت٨١٠هـ ـ ١٤٠٧م). كشف الظنون ، مج٢ ، صـ ١١٢٢ .
(٢١٥) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى مجلدين ٥٥١ـ ٥٥٤ ورقة تحت رقم (٢٨٠٦) إمبابى ٤٨٢٨٥.
(٢١٦) المحبى ،جـ ٣ ، صـ ٣٨٦ .
(٢١٧) المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ص ٤١٤ ـ ٤١٥ .
(٢١٨) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ضمن مجموعة من ورقة ٤٦ إلى ٥٨ تحت رقم (١٩١٧) ٢٢٦٣٢.
(٢١٩) كتاب " تحفة الطلاب بشرح تنقيح اللباب ". هو شرح لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى شرح فيه مختصرة الذى سماه " تحرير تنقيح اللباب " الذى اختصر فيه مختصر الشيخ ولى الدين أبو زرعه أحمد بن عبد الرحيم العراقى (ت٨٢٦هـ ـ ١٤٢٣م). المسمى " تنقيح اللباب " الذى هو فى الأصل مختصر لكتاب "لباب الفقه". لإمام الحرمين الجوينى ولابى الحسين أحمد بن محمد المحاملى الشافعى (ت٤١٥هـ ـ ١١٠م) كشف الظنون ، مج٢ ، ص ص ١٥٤١ ـ ١٥٤٢.
(٢٢٠) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى مجلدين ٤٦٠ ، ٢١٦ ورقة تحت رقم (٦٢) ٩٩٢ .
(٢٢١) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ١٧٥ورقة تحت رقم (٤٢١) ٣١٥٨.
(٢٢٢) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ١٩٧ ورقة تحت رقم (٣٣٥) ٢٢٨٤ .
(٢٢٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم فقه شافعى طلت ١٦٠ .
(٢٢٤) ويسمى هذا الشرح بـ " فتح القريب المجيب فى شرح ألفاظ التقريب ".
(٢٢٥) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ١٤٢ ورقة تحت رقم (٣٣٦) ٢٢٨٥ .
(٢٢٦) مخطوط بدار الكتب تحت رقم فقه شافعى ١٦٨٨ .
(٢٢٧) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٣٤٦ ورقة تحت رقم (٥٤٠) ٣٥٣٠.
(٢٢٨) كتاب مطبوع بمطبعة شاهين بالقاهرة ١٢٧٩هـ ١٨٦٢م.
(٢٢٩) هو كتاب فى الأصول لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجوينى الشافعى (ت٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥م). وسمى به، لأنه قال فى أوله: "هذه ورقات قليلة تشتمل على معرفة فصول من أصول

الفقه ينفع بها المبتدئ كشف الظنون ، مج٢ ، ص ص ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦ .

(٢٣٠) المحبى ، جـ ٢ ، صـ ٤١٤ .

(٢٣١) المصدر السابق ، جـ ٣ ، صـ ١٢٣ .

(٢٣٢) مخطوط بدار الكتب تحت رقم فقه شافعى طلعت ١٦٢ .

(٢٣٣) هى فى الأصل نظم لكتاب " الحاوى الصغير " فى الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزوينى الشافعى (ت٦٦٥هـ ـ ١٢٦٧م). وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية.ولذا نراهم قد تسابقوا فى التصنيف عليه ما بين شارح، ومعلق حواش على تلك الشروح،وناظم له.ومن الذين قاموا بنظمه الشيخ زين الدين عمر بن مظفر الوردى الشافعى (ت٧٤٩هـ ـ ١٣٤٨م).وسمى نظمه "البهجة الوردية " وهى خمسة آلاف بيت.كشف الظنون ، مج١ ، ص ص ٦٢٥ ـ ٦٢٧ .

(٢٣٤) المحبى ، جـ ٢ ، صـ ٤١٤ .

(٢٣٥) فهرس مكتبة رفاعه جـ١ صـ ٢٧٥ .

(٢٣٦) المحبى : جـ٢ ، صـ ٤١٤ .

(٢٣٧) المصدر السابق ، جـ ١ صـ ١٨٥ .

(٢٣٨) نفسه جـ ٣ صـ ١٢٣ .

(٢٣٩) مقدمة ابن خلدون ، مصدر سبق ذكره ، صـ ٤١٩ .

(٢٤٠) الحموى : جـ٣ ، صـ ٩٩٢ .

(٢٤١) المحبى : جـ٤ ، صـ ٣٥٨ .

(٢٤٢) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٧٨ورقة تحت رقم (١٠) ٤٢٣ .

(٢٤٣) مخطوط بدار الكتب فى ٣٩٥ ورقة تحت رقم ميكروفيلم ٤٩١٩٥ .

(٢٤٤) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ١٤١ ورقة تحت رقم (٨) ٤٢٣٢ .

(٢٤٥) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٢٦ ورقة تحت رقم (٤٠٤) ٤٧٦٤٢ .

(٢٤٦) مطبوع فى ثلاث مجلدات ط. المطبعة الشرقية بالقاهرة سنة ١٣١٩هـ ـ ١٩٠١م.

(٢٤٧) الحموى : جـ٣ ، صـ ٩٩٣ .

(٢٤٨) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ثلاث مجلدات ٤١٣ ، ٤٥٨ ، ٤٣٨ تحت رقم (٤٠٨) ٤٧٦٤٦.

(٢٤٩) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٠٤ ورقة تحت رقم (١٨) ٥٣٠٩ .

(٢٥٠) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٠٦ ورقة تحت رقم (١٢) ٤٢٣٧ .

(٢٥١) المحبى، جـ ٣ ، صـ ٣٩٠ .

(٢٥٢) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٤٢ ورقة تحت رقم (٤٠٧) ٤٧٦٤٥ .

(٢٥٣) المحبى : جـ١ ، صـ ٩ .

(٢٥٤) مخطوط بدار الكتب تحت رقم فقه / تيمور ٤٦٢ .
(٢٥٥) مخطوط بدار الكتب تحت رقم فقه حنبل ١٢٩ .
(٢٥٦) المحبى : جـ٤ ، صـ ٣٥٩ .
(٢٥٧) المصدر السابق ، جـ١ ، صـ ٩ .
(٢٥٨) فمن ذلك مثلاً نجد أن الشيخ العالم عبد الله الدنوشرى (ت١٠٢٥هـ ـ ١٦١٦م). يقوم بوضع رسالة لبيان حكم القهوه ، وهل هى حرام أو مكروهه أو مباحة ـ مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٢٩٠٢) إمبابى ٤٨٣٨١ . كما نجد أيضاً أن الشيخ العالم إبراهيم اللقانى (ت١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م). يبدأ رسالته ـ الأتى ذكرها عن حكم تعاطى الدخان ـ بالحديث عن القهوة وحكمها ـ وغير ذلك من مؤلفات القرن الحادى عشر الهجرى الـ١٧م.
(٢٥٩) فمن ذلك ما حدث فى بلاد السودان من اختلاف علمائه فى حكم تعاطى الدخان بين الحل والحرمة ، فاتفقوا على أن يحتكموا إلى رأى علماء مصر فى ذلك . وقد أشارت الدراسة إلى ذلك فى موضع سابق ، وللمزيد عن هذا ينظر ـ محمد ضيف الله ـ الطبقات ـ مصدر سبق ذكره ـ صـ ٩ .
(٢٦٠) واما انصار لكل مخطوط للأحهورى بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٢٢٤٨ فقه مالك ١١١. مخطوط لمزعى الحنبلى بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٢٣٨٩٥ فقه / تيمور ٤٦٢ مخطوط لعبد العتى النابلس بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٣٧٨١٦ فقه حنفى ٥٩٣ مخطوط لمجهول بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ١٠٠٨٦ فقه مباحث اسلامية، طلعت ٤٠ .
(٢٦١) مخطوط اللقانى بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ١٤٩٢٣ . فقه مالك ١٧٢ مخطوط محمد الوالى بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٢٣٩٤٩ ب ٣٨١٤٦ . مخطوط محمد قباقولى زاده بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٢١٤٥ فقه حنفى ٢١٣٧٠ . مخطوط عبد الملك المغربى بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٢١٥٢٣ فقه / تيمور ٦٥٩ .
(٢٦٢) للمزيد فى ذلك يرجع إلى اللقانى : نصيحة الأخوان ، مصدر سبق ذكره ، ورقتى ٨ب ـ ٩أ قباقولى زاده ، مصدر سبق ذكره ، ورقه ٩ ـ العصامى المغربى ، مصر سبق ذكره ، صـ ١٠ ـ ١١ الأجهورى : مصدر سبق ذكره ، ورقتى ١١ب ـ ١٢ .
(٢٦٣) إبراهيم الخيارى : رحلة ، مصدر سبق ذكره ، ورقة ٩١ .
(٢٦٤) الاجهورى : مصدر سبق ذكره ، ورقة ١٢ .

الفصل الرابع
جهود العلماء في العلوم اللغوية والأدبية

إذا كانت العلوم الدينية قد لاقت اهتماما بالغا من قبل القائمين على الحركة العلمية والتعليمية في تلك الفترة، فقد لقيت العلوم العربية والأدبية نفس الاهتمام. وتأتى تلك العلوم في المرتبة التالية بعد العلوم الدينية. ولعل من أهم عوامل الاهتمام باللغة العربية وأدابها أن الطبقة الحاكمة كانت لا تتحدث اللغة العربية ولا تجيد التعامل معها. الأمر الذى أدى بأولى العلم إلى زيادة الاهتمام بتلك اللغة لحمايتها وصونها من التحريف وغيره.

ومن ثم رأت الدراسة أن تضع هذا الفصل تاليا لفصل العلوم الدينية. وسوف تقوم الدراسة في هذا الفصل بالإشارة إلى مشاركة أو مساهمة علماء تلك الفترة في علوم اللغة العربية بكافة أنواعها من (نحو، صرف، فقه لغة ، بلاغة، أدب، شعر، عروض) . وأهم الصور التى جاءت عليها كتابات هؤلاء العلماء في تلك العلوم، ودراسة هذا الموضوع من جميع جوانبه.

علمى النحو والصرف

ولنبدأ بالنحو إذ هو لغة يطلق على خمسة معانى. القصد، والجهد والمقدار، والمثل بكسر الميم، والنصيب. وقد جمعها بعضهم في قوله نحونا نحو دراك يا حبيبى.واصطلاحا. هو أصول تعرف منه أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناءً. وموضوعه الألفاظ العربية. وفائدته. صون اللسان عن الخطأ في الكلام. وبالذات الإعانة على فهم كلام الله تعالى. وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام(١).

ويعتبر علم النحو من العلوم التى لجأ المسلمون الأوائل إلى وضعها، نتيجة انتشار الإسلام. واختلاطهم بالثقافات الأخرى. مما نتج عنه فساد الملكة العربية. وانتشار اللحن في اللسان العربى. فاضطروا إلى وضع ذلك العلم بقواعده لحماية اللغة العربية– لغة القرآن الكريم– حتى يكون من السهل على الأجيال المتعاقبة فهم عباراته وألفاظه(٢).

ولقد طال الكلام في هذا العلم وتكونت فيه العديد من المدارس، واحتدم الخلاف الكثير بينها، وتبارى أنصار كل مدرسة في إظهار الأدلة لتدعيم ما يذهبون إليه من آراء.

وأولى تلك المدارس "مدرسة البصرة". وأشهر روادها الخليل بن أحمد الفراهيدى. وتلميذه سيبويه. ثم ظهرت بعد ذلك مدرسة الكوفة، ويعتبر المؤسس الحقيقى لها "الكسائى"، وسانده في ذلك تلميذه "الفراء" فهما اللذان رسما حدود النحو الكوفي وفصوله، ووضعا أسسه وأصوله. واحتدم الصراع على أشده بين هاتين المدرستين. ثم ظهرت بعد ذلك المدرسة البغدادية. وجاءت هذه المدرسة لكى توازن ما بين المدرستين السابقتين(٣).

أما بالنسبة للمدرسة المصرية، فكانت في أول نشأتها شديدة النزوع إلى المدرسة البصرية، حتى إذا كان القرن الرابع الهجرى أخذت مسرعة ترسم نهج المدرسة البغدادية، ثم ما شرعته بعد ذلك من ترجيح أراء المدرسة البصرية تارة. وترجيح أراء المدرسة الكوفية تارة ثانية. مع تركها ثالثة والأخذ بأراء المدرسة البغدادية. مع الإنفراد بأرائهم الاجتهادية تارة رابعة(٤).

ولا يخفي علينا أن شدة التنافس بين تلك المدارس في الأراء وتصويبها انتقل بطبيعة الحال إلى التنافس في كتابة المصنفات المتعلقة بهذا العلم. إلى أن جاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار، فاختصروا كثيرا من تلك الأعمال المطولة. مع استيعابهم لجميع ما نقل. كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل(٥)، وأمثاله. واقتصارهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الزمخشرى في المفصل(٦). وابن الحاجب في المقدمة له. كما أنهم نظموا ذلك نظما، مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصغرى. وابن معطى(٧) في الأرجوزة الألفية، وغير ذلك.

ولقد استمر هذا النشاط في الدراسات النحوية حتى مجيء العصر العثمانى. الذى كان التصنيف فيه على درجة كبيرة من النشاط. ونظرة أكثر تدقيقا إلى ذلك العصر، وخاصة القرن الذى بصدد الدراسة عنه، نجد أن المهتمين بهذا العلم قد أتت كتاباتهم فيه على صورتين. الأولى. وهى الأكثر قيام العلماء بانتخاب أهم كتب السابقين- في هذا العلم- وإعادة إنتاجها وذلك بالشرح وتعليق الحواشى عليها. الثانية، اختصاص بعض القواعد النحوية وإفرادها بالتصنيف.

ويلاحظ على شروح وحواشى علماء تلك الفترة أنها دارت حول أهم كتب المتأخرين. التى حوت تلخيص جهود السابقين في هذا العلم. وقد تفاوتت درجة اهتمام هؤلاء العلماء بتلك الكتب حسب أهمية الكتاب وفائدته.

ويأتى في مقدمة تلك الكتب. كتاب "الألفية"(٨). لابن مالك (ت ٦٧٢هـ- ١٢٧٣م) وقد تناولها علماء ذلك القرن بالتصنيف عليها بأكثر من اتجاه. فمنهم من قام بشرحها كالشيخ العالم على الأجهورى (ت ١٠٦٦هـ- ١٦٥٥م)(٩). كما قام الشيخ العالم أحمد السندوبى المصرى (ت ١٠٩٧هـ- ١٦٨٦م). بوضع شرح لها تحت عنوان "المنح الوفيه بشرح الملاحة الألفية"(١٠).

وهناك من قام بوضع حاشية على أحد شروحها. وهو الشيخ العالم ياسين الحمصى (ت ١٠٦١هـ- ١٦٥٠م). الذى قال صاحب الفوايد في حقه: شيخ العربية، كان ذكيا فهماً جيدا، جيد المشاركة في الفهم والأصول وغير ذلك. عجيبا في المناظرة، وصحة الفهم"(١١).

هذا في حين وجد هناك من قام بوضع حاشيه على أحد التعليقات التى وضعت على شرح من شروح الألفية. وذلك كالشيخ العالم عبد الله الدنوشرى (ت ١٠٢٥هـ- ١٦١٦م). الذى قام بوضع حاشيه على شرح التوضيح(١٢) للشيخ خالد الأزهرى(١٣).

ومن الكتب الهامة في هذا المجال والتى شدت انتباه المهتمين في ذلك القرن- كتاب "قطر الندى وبل الصدى"(١٤) لابن هشام النحوى (ت ٧٦٢هـ - ١٣٦١م)و نجد في طليعة المهتمين الذين تناولوا ذلك الكتاب العالم النحوى الشيخ أبو بكر الشنوانى (ت ١٠١٩هـ- ١٦١٠م). الذى قال المحبى في حقه: "علامة عصره في جميع الفنون، كان في عصره إمام النحاة تشد إليه الرحال للأخذ عنه. والتلقى منه ..."(١٥)، وقد كان غزير الإنتاج في هذا العلم وغيره. ومن ذلك وضعه مصنفين على القطر. الأول شرح له تحت عنوان: "مجيب الندا إلى شرح قطر الندى وبل الصدى"(١٦). الثانى. وضعه حاشية على شرح الفاكهى(١٧) لذلك الكتاب(١٨).

ومن هؤلاء شيخ العربية في وقته الشيخ ياسين الحمصى (ت١٠٦١هـ- ١٦٥٠م). إذ لـه شرح على ذلك الكتاب(١٩). وممن قام بشرحه أيضا الشيخ العالم يوسف القيسى (ت ١٠٦١هـ- ١٦٥٠م)(٢٠).

وهناك الشيخ العالم على بن عبد القادر البتيتى (ت ١٠٦١هـ- ١٦٥٠م). الذى قام بالتعليق على أحد شروح ذلك الكتاب تحت عنوان "إجابة طلاب الهدى في شرح مجيب الندا في شرح قطر الندى"(٢١). وذلك في مجلد واحد.

ووجد من هؤلاء العلماء من قام بوضع أفكاره وجهوده في هذا العلم على شرح ابن هشام لكتابه القطر المذكور. كالشيخ العالم داود بن سليمان الرحمانى (ت ١٠٧٨هـ- ١٦٦٨م). الذى قام بوضع حاشية على شرح المؤلف[٢٢].

ومن الكتب التى اهتم بها العلماء بدراستها كتاب "الكافية"[٢٣] لابن الحاجب النحوى (ت ٦٤٦هـ- ١٢٤٦م). حيث نجد للشيخ العالم إبراهيم الميمونى حاشية على أحد الأعمال المتعلقة بهذا الكتاب[٢٤].

وبعد فإذا دققنا النظر في كتابات علماء القرن- موضوع هذه الدراسة ـ وكيفية تناولهم لتلك الكتب نجد أنها قد جاءت على ثلاثة مراحل: الأولى، شرح الكتاب نفسه، الثانية، تعليق الحواشى على شرح الكتاب، الثالثة، القيام بشرح

أو تعليق التحريرات على الشروح السابقة للكتاب. ولعل هذا الجدول يوضح ذلك.

اسم الكتاب / أشكال التصنيف	اجتهادات حول الكتاب	اجتهادات حول الشرح	اجتهادات أخرى
الألفية	٢	١	١
قطر الندى	٣	٢	١
الكافية			١

ومن أهم ما يلفت النظر في هذه الأعمال. تلك التى جاءت كمرحلة ثالثة بعد المتن. والتى تقدر بـ ٣٣,٣٪ من المجموع الكلى من تلك الأعمال، وقد يكون الذى دفع علماء فترة هذه الدراسة لتوجيه جهودهم نحو هذه الأعمال ما رأوه في تلك المتون من القوة وصعوبة الفهم. فأرادوا أن يقدموها في أبسط صورها ليتمكن طلبة العلم من فهمها. ومما يؤيد صحة ذلك الرأى. أن تلك الصورة من صور للتصنيف لا نراها في المتون التى توفرت فيها سمة المرونة وسهولة الفهم.

ومن أبرز الكتب التى تمتعت بتلك السمة، ونالت قسطا كبيرا من اهتمام المهتمين التصنيف حوله بشرحه تارة وتعليق الحواشى على شروحه تارة أخرى. كتاب "الأجرومية"[٢٥] لأبى عبد الله بن داود الصنهاجى (ت ٧٢٣هـ-١٣٢٣م). ولقد

اقترن بهذا الكتاب شرح الشيخ خالد الأزهرى[٢٦] (ت ٩٠٥هـ- ١٥٠٠م). الذى أضفي عليه فائدة زادت من التصنيفات والمؤلفات حوله.

ويأتى في طيعة من تناول المتن بالتصنيف عليه. من نعت بـ "سيبويه زمانه" الشيخ العالم أبو بكر الشنوانى. حيث قام بشرحه قال المحبى فيه...: "وشرح على الأجرومية مطولا جمع فيه نفائس الفوائد"[٢٧].

وممن اهتم بالتصنيف عليه الشيخ العالم محمد شمس الدين بن محمد المهدوى الأزهري (ت ١٠٢٠هـ-١٦١١م). والذى يذكر عنه صاحب الفوايد أنه، كان من كبار النحويين بالديار المصرية، مع التضلع في العلوم المتداولة. فقد قام بوضع شرحين على هذه المقدمة. الأول صغير ذكر فيه إعراب كل شاهد ذكره. والثانى كبير في تسعة عشر كراسا. سماه "التحفة الأنسية على المقدمة الأجرومية"[٢٨].

ومنهم الشيخ العالم إبراهيم اللقانى. الذى اهتم بشرح تلك المقدمة سماه، "توضيح ألفاظ الأجرومية للتدريب في علم العربية"[٢٩]. ونرى الشيخ العالم على الحلبى. يقوم بوضع شرح سماه "التحفة السنية في شرح الأجرومية"[٣٠]. كما وجد الشيخ العالم فايد بن مبارك الإبيارى شرح على الأجرومية، فرغ منه سنة (١٠٦٣هـ-١٦٥٢م)[٣١].

ومن الشروح التى وضعت للأجرومية في تلك الفترة، شرح الشيخ العالم محمد الخرشى. وسماه "الدرة السنية على حل ألفاظ الأجرومية"[٣٢]. وشرح آخر للشيخ العالم المقرى محمد البقرى . ووصفه صاحب الفوايد بأنه: "شرح حسن سهل لطيف جمع فيه فوائد غريبة، ونكات عجيبة"[٣٣] وهناك للشيخ العالم أحمد النفراوى (١٠٤٢هـ-١١٢٥هـ/ ١٦٣٢-١٧١٣م). ـ الذى قال الجبرتى عنه: "انتهت إليه الرياسة في مذهبه. مع كمال المعرفة والاتقان للعلوم العقلية لا سيما النحو". شرح على الأجرومية[٣٤].

هذا بالنسبة للأعمال التى تناولت كتاب المقدمة الأجرومية- في تلك الفترة- أما التى تناولت شرح الشيخ خالد الأزهرى على ذلك الكتاب، فنجدها كثيرة متنوعة.

وفي هذا الجانب نجد إمام النحاة- في وقته- الشيخ أبو بكر الشنوانى في مقدمة المهتمين بالتصنيف على ذلك الشرح. حيث قام بتأليف مصنفين، الأول بعنوان "الدرة

الشنوانية على شرح الأجرومية في علم العربية للشيخ خالد". والآخر بعنوان "المواهب الرحمانية"(٣٥).

وهناك للشيخ العالم أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل المعروف بالشلبى الحنفي (ت ١٠٢١هـ- ١٦١٢م). حاشية على ذلك الشرح(٣٦).

ومن قام بالتصنيف على ذلك الشرح أيضا الشيخ العالم على النبتيتى (ت١٠٦١هـ - ١٦٥٠م). وذلك بوضعه حاشية بعنوان "فتح البرية في حل شرح الأجرومية(٣٧).

ونجد لمعاصره الشيخ يوسف القيسى (ت ١٠٦١هـ- ١٦٥٠م) حاشية على الشرح نفسه(٣٨). وهو ما نراه للشيخ العالم أحمد القليوبى الذى وضع حاشية على نفس الشرح(٣٩).

وهناك للشيخ العالم محمد الخرشى حاشية على نفس الشرح أيضا(٤٠)، كما قام بذلك الشيخ أبو حامد بن عبد المعطى الوفائى الأزهرى المالكى في عمل تحت عنوان "الدرر السنية على حل ألفاظ الشيخ خالد والأجرومية"(٤١).

ولعل ما سبق يوضح لنا مدى اهتمام علماء فترة دراستنا من النحاة بالأجرومية وشرحها في هذا العلم. كما عرفنا أن شرح الشيخ خالد على ذلك الكتاب، جذب اهتمام العلماء وربما نتسائل لما كان هذا الكتاب يتمتع بالمرونة. فلم قام العلماء بوضع أعمالهم على شرح الأزهرى ولم تتركز معظم جهودهم على المتن؟ وربما تكون الإجابة أن الشيخ خالد الأزهرى قد وضع شرحه بالنهج الذى يتناسب مع طلبة تلك الفترة المتأخرة التى كانت قريبة عهد بالعصر العثمانى. ولكى تتم الفائدة من المتن (الأجرومية). وشرحه- للأزهرى- قام هؤلاء العلماء بوضع أعمالهم على الكتاب وشرحه.

ولم يقف إنتاج الشيخ خالد الأزهرى. وتأثيره على علماء تلك الفترة عند الشرح المذكور فقط- بل قام بوضع عمل آخر في هذا العلم ثم قام بشرحه. وقد جذبا إليهما اهتمام العلماء. وكان اسم الكتاب "المقدمة الأزهرية في علم العربية"(٤٢). وقد جاء تناول هؤلاء العلماء لهذا العمل وشرحه على صورتين، فمنهم من قام بشرح الكتاب، ومنهم من علق حواشيه على الشرح.

ويأتى على رأس من قام بشرح هذا الكتاب. الشيخ العالم منصور الطبلاوى (١٠١٤هـ- ١٦٠٥م). وقد جاء شرحه هذا في مجلد حافل(٤٣). كما نجد الشيخ العالم

زين العابدين بن عبد الرؤوف بن على بن زين العابدين بن يحيى الحدانى المناوى (ت ١٠٢٢هـ- ١٦١٣م). يقوم بوضع شرح له(٤٤).

كذلك اهتم بشرح ذلك الكتاب الشيخ العالم على الحلبى. حيث قام بوضع شرح له تحت عنوان "اللمعة السنية في حل ألفاظ الأزهرية(٤٥).

في حين نجد في طليعة من اهتم بتعليق أفكاره على شرح المؤلف لهذا الكتاب. إمام النحاة في وقته أبو بكر الشنوانى(٤٦).

ومنهم الشيخ العالم على الحلبى. الذى قام بوضع حاشية على ذلك الشرح تحت عنوان "فرائد العقود العلوية لحل ألفاظ شرح الأزهرية"(٤٧).

كذلك نجد لـ أحمد الغنيمى (ت ١٠٤٤هـ- ١٦٣٤م).حاشية على ذلك الشرح(٤٨).وحاشية أخري لـ على النبتينى . بعنوان "الدرر الجوهرية في حل شرح الأزهرية" فرغ منها سنة ١٦٢٧م (٤٩). وهناك حاشية على نفس الشرح لـ أحمد القليوبى(٥٠).

وهكذا لو أعدنا النظر إلى تناول علماء- فترة دراستنا تلك- إلى كل من كتابى الأجرومية والأزهرية، وشرحهما للشيخ خالد لنجده كالآتى:

	الكتاب وشرحه	الأزهرية	شرح الشيخ خالد له	الأجرومية	شرح الشيخ خالد له
الحجم والإجمال	.				
حجم أعمال علماء القرن فيه		٣	٥	٨	٨
الإجمالى		٨		١٦	

فبداية وكما هو واضح من الجدول أن الكتابات التى تناولت شرح الأزهرية أغنى من تلك التى تناولت المتن نفسه، وهو ما يدلل على أن الشيخ خالد أضاف إلى شرحه بعض المحتويات الهامة. مما جذب إليه انتباه العلماء بصورة أكبر. وفي المقابل نجد أن الأعمال التى تناولت كتاب الأجرومية وشرحه للشيخ خالد ضعف التى تناولت كتاب الأزهرية وشرحه للمصنف. وهو ما يحمل مؤشرا قويا على قوة المقدمة الأجرومية وشرحها. عن الأزهرية وشرحها وما من شك في أن هذا التناول لعلماء تلك الفترة سواء

للأزهرية وشرحها أو غيرها وتكثيف هذا الجهد للأجرومية وشرحها، ليكشف لنا عن مدى وعى هؤلاء العلماء. وأنهم لم يعمدوا إلى إعادة إنتاج مثل هذه الأعمال تحقيقا للتكرار. أو إعادة النسخ. بل للوصول إلى أفضل الطرق وأقصرها لإتقان هذه العلوم، وتدريب الطلبة عليها.

على أننا نلاحظ أن هناك بعض الكتب التى اهتم هؤلاء العلماء بالتصنيف عليها بصورة أقل من الكتب السابقة، وقد يرجع ذلك أن هذه الكتب غير صالحة للمبتدئين ويتضح هذا من معرفة مضمون هذه الكتب، حيث يكشف مضمونها عن التبحر في مسائل النحو المشكلة وخلافات النحاة. الأمر الذى يستعصى على الطلاب المبتدئين استيعابه. وإدراك مضامينه.

ومن تلك الكتب. كتاب "مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب[٥١]. لابن هشام النحوى (ت ٧٦٢هـ- ١٣٦١م) وشروحه ومن قام بالتصنيف عليه من علماء تلك الفترة عبد الله الطبلاوى (ت ١٠٢٧هـ- ١٦١٨م). حيث قام بوضع حاشية[٥٢] على شرح العلامه البدر الدمامينى[٥٣] لهذا الكتاب. وتكمن أهمية حاشية الطبلاوى في أنها تناولت الشرح الذى جاء مملوءا باعتراضات لم يتم جوابها، ومشحونة بإشكالات النحاة التى تحتاج إلى تبسيط وشرح وتوضيح.

وهناك لـ عبد القادر البغدادى (ت ١٠٩٣هـ- ١٦٨٢م). قام بوضع مؤلف شرح فيه شواهد المغنى. وصفه صاحب الفوايد بقوله: "وهو شرح ممتع في نحو ثمانين كراسة بالقطع الكامل"[٥٤].

ومن بين تلك الكتب. كتاب "شذور الذهب" لابن هشام المتقدم ذكره. حيث نرى للشيخ العالم يوسف القيسى. حواشى عليه[٥٥].

ومنها أيضا "ألفية السيوطى"[٥٦]. وهى ألفية في النحو، والتصريف، والخط. إذ نجد أن لـ محمد حجازى الواعظ (ت ١٠٣٥هـ- ١٦٢٥م). قام بشرح تلك الألفية[٥٧].

كما نجد من تلك الكتب أيضا. كتاب "المقدمة النحوية في علم العربية" للشيخ عبد الوهاب الشعرانى (ت ٩٧٣هـ- ١٥٦٥م) ومن قام بالتصنيف عليها من علماء تلك الفترة شهاب الدين أحمد الغنيمى الذى قام بشرحها شرحا متقنا أتمة في محرم سنة ١٠٤٢هـ(١٦٣٢م)[٥٨].

ومما سبق يتضح لنا قلة إنتاج علماء تلك الفترة على هذه الأعمال وقد نوه إلى السبب في ذلك وهو ما تحتويه تلك الكتب من مضامين يصعب على المبتدئين فهمها. ولكن أهم ما يشد الانتباه في تناول هؤلاء العلماء لتلك الكتب- وخاصة كتاب "مغنى اللبيب" لابن هشام. وهو بلا ريب أقوى الأعمال التى ذكرت- أن تناولهم جاء من خلال زاويتين دعت الحاجة إليهما. الأولى توضيح الاعتراضات والاشكالات التى ملئ بها شرح الدمامينى للكتاب- الثانية شرح الشواهد التى وردت في الكتاب نفسه. وهو ما يشير إلى مدى إدراك هؤلاء العلماء لطبيعة الكتب التى تناولوها.

ومما نلاحظه في تراث علماء تلك الفترة أن تناولهم لأعمال السابقين لم يقف عند حد الشرح وتعليق الحواشى وحسب. بل نجدهم قد تناولوا تلك الكتب من عدة طرق، منها قيام بعض العلماء بتناول عدد من الكتب وصياغتها في أبيات شعرية. ونجد على رأس من استخدم هذه الطريقة- في تلك الفترة- الشيخ عمر الفار سكورى (ت ١٠١٨هـ- ١٩٠٦م). الذى نظم "القطر" وسماه :النبات"[٥٩].كما نرى له أيضا كتاب "جوامع الإعراب وهوامع الآداب". نظم فيه كتاب "جمع الجوامع" وشرحه. "همع الهوامع" للسيوطى[٦٠].

ومن الواضح أن إيجاز القواعد ونظمها في أبيات شعرية يسهل حفظها ويمكن حافظها من استيعاب القاعدة التى قررها النحاة. فيتمكن الحافظ لتلك الأبيات الشعرية من استحضار القاعدة بعد استظهاره لتلك المنظومة.

ومن تلك الطرق محاولة الجمع بين مصنفين لمؤلف واحد، وهو ما نجده للعالم على الحلبى من مؤلف بعنوان "مطالع البدور في الجمع بين القطر والشذور" وكلاهما لابن هشام النحوى[٦١].

ومنها قيام بعض العلماء بشرح الشواهد التى وردت في بعض كتب الشروح، ونجد من السباقين في هذا المضمار الأديب عبد القادر البغدادى. حيث نراه قد قام بشرح شواهد أكثر من عمل. منها شرحه لشواهد كتاب "مغنى اللبيب". السالف الذكر. كما قام أيضا بشرح شواهد شرح التحفة الوردية لابن الوردى[٦٢].

على أن أهم أعماله في هذا المجال كتابه "خزانة الأدب" الذى وضعه لشرح شواهد شرح الكافية[٦٣] للرضى نجم الدين. وقد ذاع صيت هذا الكتاب وعلت شهرته في الآفاق- آنذاك- وصارت الأقطار تطلبه، وهو في وقتنا الحاضر غنى عن التعريف

والبيان عند المهتمين باللغة العربية وآدابها.

ولا يخفي علينا أن الغرض الأساسى من انتهاج مثل تلك الطرق في تناول كتب السابقين، هو تسهيل تلك الأعمال وتقديمها في أبسط صورها للمنتفعين، ولا سيما طريقة النظم. وإن كان القيام بجمع مصنفين في عمل واحد، وشرح شواهد بعض الأعمال من الأمور التى تيسر إلمام الطلاب بأكثر من مؤلف في آن واحد.

وتحقيقا للغرض نفسه بصورة أكثر قربا، قام هؤلاء العلماء بإفراد الحديث عن بعض القواعد النحوية أو كلها، ويأتى في مقدمة من صنف في مثل هذا الأمر من علماء تلك الفترة مرعى الحنبلى. الذى قام بوضع مصنفين في ذلك الأول بعنوان "دليل الطالب لكلام النحويين". والأخر بعنوان "إرشاد من كان قصده إعراب لا إله إلا الله وحده"(٦٤).

كما نرى للشيخ عبد الرحيم بن عبد المحسن بن عبد الرحمن بن على الشعرانى المصرى (ت ١٠٩٨هـ-١٦٨٧م). مصنفا في ذلك بعنوان "إيقاظ الوسنان من سنته في بيان الموصول وصلته"(٦٥) وغيرها الكثير (٦٦).

ولم تقتصر أعمال العلماء في فترة الدراسة على النحو بالصورالتى ذكرتها وإنما اتجه البعض إلى دراسة علم الصرف وكانت تسهم اسهامات واضحة في ذلك الميدان.

علم الصرف

هو علم يعرف منه أنواع المفردات الموضوعة بالوضع النوعى ومدلالولاتها والهيئات الأصلية العامة للمفردات والهيئات التغييرية. وكيفية تغيراتها عن هيئاتها الأصلية على الوجه الكلى للمقاييس الكلية(٦٧).

وكما هو واضح من ذلك التعريف فإن موضوع هذا العلم المفردات والألفاظ والغرض منه الحفاظ عليهما. وهو نفس الموضوع والغرض لعلم النحو، ولذا فإن العلماء الذين وضعوا أصول وقواعد النحو، وضعوا معها أصول الصرف وقواعده في كتابات واحدة. وقليلا ما كانت تظهر هنالك كتابات مستقلة لعلم الصرف. وقد سار على هذا النهج المهتمون بهذين العلمين في العصر العثماني، وخاصة علماء القرن- موضوع الدراسة- فقد جاءت كتاباتهم المستقلة في علم الصرف قليلة للغاية. كما نجد أن أعمالهم قد جاءت على صورتين، الأولى دراسات حول جهود السابقين ، الثانية دراسات حول بعض القواعد الصرفية ومن أهم الكتب التى اهتم بدراستها علماء فترة هذه الدراسة

،كتاب . الشافية (٦٨) لابن الحاجب النحوى . حيث نرى امام النحاه في وقته ابوبكر الشنوانى . يضع شرحا عليه سماه " المناهل الصافية على المناهج " الكافية في شرح الشافية " .(٦٩)

ومن تلك الكتب كتاب "العربى"(٧٠) لإبراهيم الزناجى (ت ٦٥٥هـ-١٢٥٧م). ولهذا الكتاب شرح قام به التفتازانى(٧١) أضفي عليه فائدة جعلت معظم الكتابات تهتم به، وممن قام بالتصنيف على الشرح المذكور، منصور الطبلاوى . الذى قام بوضع شرح عليه(٧٢).

كذلك نجد إبراهيم اللقانى يقوم بالتصنيف على الشرح المذكور. وذلك بوضعه شرحا عليه سماه "خلاصة التعريف بدقائق شرح التصريف"(٧٣).

تلك أهم كتابات العلماء حول انتاج السابقين في هذا العلم، وهى قليلة للغاية. أما الشق الثانى وهو التصنيف في بعض موضوعات الصرف فنجد في مقدمة من اهتم به الشيخ العالم مرعى الحنبلى (ت ١٠٣٣هـ- ١٦٢٣م) الذى قام بوضع مصنف قاصر علـى قـاعـدة المقصـور والممـدود تحت عنـوان "قـرة عين الـودود في مـعـرفـة المقصـور والممدود"(٧٤).

وممن اهتم بالتصنيف على هذا الشكل أيضا أحمد الغنيمى. إذ نجد له مؤلفا بعنوان "ابتهاج الصدور ببيان كيفية الإضافة والتثنية والجمع للمنقوص والمقصور ... فرغ منه سنة ١٠٣٨هـ - ١٦٢٨م)(٧٥).

وهكذا وبعد إيجازنا الحديث عن مدارس النحو ودور المدرسة المصرية واتجاهاتها في ذلك، والتأثير الواضح للتحول الذى طرأ على الكتابات النحوية في القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى). من التزام رجاله باختصار ما كتب في هذا العلم. الأمر الذى ألزم من جاء بعدهم بعدم الخروج عن هذه المختصرات. وقد لمسنا هذا الأمر بصورة جلية وواضحة في إنتاج علماء فترة الدراسة، حيث وجدنا أن معظم الإسهامات العلمية لهؤلاء العلماء تركزت حول انتخاب أهم كتب السابقين وإعادة إنتاجها مرة أخرى. وقد لاحظنا على إنتاج هؤلاء العلماء أكثر من ملاحظة، أهمها أنهم انتخبوا أفضل الأعمال التى تناسب المنتفعين بهذا العلم- في ذلك الحين- وأخذوا يركزون جهودهم حولها. ومما لوحظ أيضا- أن هؤلاء العلماء قد لمسوا مواطن الصعوبة التى تتسم بها بعض الأعمال

السابقة فعملوا على تمهيدها وتقديمها في أبسط صورها لضمان الإفادة منها. وقد كشف لنا هذا أن العلماء كانت لديهم رؤى علمية جادة، وأن جهودهم فيها لم تكن على سبيل التكرار أو الإعادة.

كما رأينا كذلك أن إسهامات العلماء في علم الصرف لم تخرج عن نفس الطريقة التى تناولوا بها علم النحو وربما يرجع ذلك إلى وحدة موضوع كل من النحو والصرف.

علم فقه اللغة

هو علم يبحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التى وضعت تلك الجواهر معها تلك المدلولات بالوضع الشخصى وعما حصل من تركيب كل جوهر. وموضوعه جواهر المفردات وهيئاتها من حيث الوضع والدلالة على المعانى الجزئية. وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعانى الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب. ومنفعته الإحاطة بهذه المعلومات وطلاقة العبارة وجزالتها ، والتمكن من التفنن في الكلام، وإيضاح المعانى بالبينات الفصحية والأقوال البليغة(٧٦).

ومن الحق قوله أن اللغة العربية أرقى اللغات السامية، كما يقرر دارسو اللغات. فلا تعادلها اللغة الأرامية، ولا العبرية، ولا غيرها من هذا الفرع السامي، وهى كذلك من أرقى لغات العالم. لما تمتاز به عن اللغات جميعا بمرونتها وسعة اشتقاقها. هذه المرونة التامة، وهذا الاشتقاق والمجاز والقلب والإبدال والنحت، هو الذى جعل اللغة العربية جديرة بأن تكون لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وما فيهما من معان في منتهى السمو والرفعة، وما فيهما من تغييرات دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بها في جاهليتهم. كما استطاعت بعد أن تكون أداة لكل ما نقل من علوم الفرس، والهند واليونان وغيرهم. وفي نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسى كانت خلاصة كل هذه الثقافات مدونة باللغة العربية(٧٧).

ولكن اختلاط العرب المسلمين بأم الثقافات المختلفة بعد انتشار الإسلام كان بمثابة مكمن الخطر على هذه اللغة. وذلك نتيجة الاختلاط بالأعاجم. سواء من ناحية اقتناء الجوارى والغلمان، أو ممارسة كافة الشئون المعيشية المختلفة. مما نتج عنه انتشار اللحن وفساد الملكة العربية، مما ألجأ المسلمين إلى ابتكار علم النحو ووضع أصوله وقواعده وحينما ازداد الأمر فسادا في الملكة العربية أسرع المسلمون الأوائل إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين. ومن ثم ظهرت المعاجم اللغوية في سماء الثقافة العربية(٧٨).

ولقد اعتمد العلماء عند تدوينهم لتلك المعاجم على طائفة من المصادر أولها القرآن الكريم، ويليه الحديث النبوى- بعد الوثوق من صحة انتسابه إلى النبى (صلى الله عليه وسلم)- ثم الشعر على أن يقدم منه الشعر المنسوب إلى العصر الجاهلى. وعصر صدر الإسلام(٧٩). ثم يأتى مصدر رابع من مصادر جمع اللغة كانت لـه قوته وخطورته، وهذا المصدر هو الصحراء. لأنه لم يكن علماء اللغة والنحو يأخذون إلا من لغة سكان البادية لأنهم رأوا أن لغة الحضر قد فسدت بالاختلاط فكانوا لا يأخذون عن الأعرابى إذا فهم القول الملحون. لأن تلك اللغة إنما انقادت واستمرت واطردت وتكاملت بالخصال التى اجتمعت لها في شبه جزيرة العرب(٨٠).

وكان سابق الحلبة في ذلك الأمر الخليل بن أحمد الفراهيدى، وذلك بوضعه كتاب "العين". ثم تتابعت بعد ذلك كتابة المعاجم اللغوية، وسارت في طريقها إلى التقدم ومن أهم تلك المعاجم حسب الظهور.

كتاب "الجمهرة" لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد اللغوى (ت ٣٢١هـ- ٩٣٣م). ثم كتاب "التهذيب" لأبى منصور الأزهرى اللغوى (ت ٣٧٠هـ- ٩٨١م). وكتاب "الجمل" للقزوينى (ت ٣٩٥هـ-١٠٠٥م). ثم كتاب "الصحاح" للجوهرى، الفارابى (ت٣٩٣هـ-١٠٠٣م). ثم كتاب "المحكم والمحيط الأعظم" لأبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده اللغوى (ت ٤٥٨هـ- ١٠٦٦م). ثم كتاب "الأساس" للزمخشرى، (ت٥٣٨ هـ- ١١٤٣م).

ثم كتاب "العباب" للإمام حسن بن محمد الصغانى (ت ٥٦٥هـ- ١١٧٠م). ثم ظهر كتاب "لسان العرب" لابن منظور، (ت ٧١١هـ- ١٣١١م).ثم كتاب "القاموس المحيط" للفيروزابادى، الشيرازى (ت٨١٧هـ- ١٤١٤م)، وهو كتاب اختصره من كتابه المسمى "اللامع المعلم العجاب، الجامع بين المحكم والعباب". ثم كتاب "المزهر" للسيوطى (ت ٩١١هـ- ١٥٠٥م).

تلك إذن أهم المعاجم التى ظهرت بالترتيب منذ بداية التجاء المسلمون الأوائل إلى هذا العلم للحفاظ على اللغة العربية وألفاظها من الإندثار، على أننى ألفت النظر إلى أن هذه المعاجم ليست هى كل ما صنف في هذا العلم، ولكننى اقتصرت على أهمها، لكونها بمثابة الأساس والأصول التى إليها يرجع كل من يريد أن يكتب في هذا العلم. ومن ناحية أخرى أنها تعتبر أهم المعاجم التى دار حولها معظم نتاج العصر العثمانى، وخاصة فترة دراستى.

ومن أهم المصنفات التى وضعت في هذا العلم خلال تلك الفترة معجم دفع الإصر عن كلام أهل مصر"[٨١]. ليوسف بن زكريا المغربى[٨٢] (ت ١٠١٩هـ- ١٦٠٥م). وترجع أهمية هذا العمل إلى أنه يعتبر أول معجم من المعاجم المعروفة حتى الآن والتى تتضمن مفردات اللهجة المصرية الحية ومراحل تطورها.

ولقد كان الغرض الرئيسى لوضع ذلك المعجم كما أشار صاحبه، دفع النقد عن العامية المصرية. ولتقديم البراهين اللازمة على أن لغة أهل مصر لغة عربية الأصل. وأنها لغة عربية صحيحة. وقرر "أن يرتب هذا الكتاب على أبهج ترتيبه، ويهذب ما يقع من عوام أهل مصر بأن يرجعه للصواب"[٨٣]. كما ذكر أيضا أن من بين الأسباب المباشرة هو وضع الكتاب، أنه رأى "أن بعض المتشدقين قد سمع من بعض الأصحاب ألفاظا فصار يهزأ به. ويسخر منه مع أنها تحتمل الصواب"[٨٤]. وأسس عمله هذا على القاموس للفيروزابادى، ودرة الخواص للحريرى. ومختصر الصحاح. وأساس البلاغة للزمخشرى[٨٥].

ويكتب المغربى في بداية مؤلفه، " ومثل هذا الكتاب لا تنتهى مقاصده ولا تغيض موارده"[٨٦]. ويعلق شرباتوف على هذا الوصف. بقوله: "فلا نرى في ذلك الوصف أية مبالغة لأن الكتاب في الواقع يحتوى على كثير من المعلومات عن الحياة التاريخية والثقافية لذلك العهد ، وعن بعض الشخصيات المعاصرة له. مثل علماء الأزهر، والكتاب والشعراء، وحكام ذلك العهد. وعن الأوساط والمناقشات الأدبية، وعن نظام الحياة وأنواع الملابس، وأصناف الأكل وآلات الطرب[٨٧]. الخ.

ومما يزيد من الأهمية الأدبية واللغوية والعلمية لهذا القاموس أنه يعطينا العديد من العبارات والتعابير الشعبية المصرية. ومجموعة من الأمثال والأقوال السائرة. مما يجعله مصدرا هاما لدراسة الأدب المصرى الشعبى[٨٨].

وينبه شرباتوف إلى أن هذا القاموس يشمل الكثير من المعلومات اللغوية للدراسة المقارنة في مفردات. وقواعد اللهجات العربية الأخرى في المشرق والمغرب[٨٩].

وبالجملة فإن هذا القاموس كما يقول شرباتوف: إن الباحثين في تاريخ وأثنوغرافيا مصر سيعثرون فيه على ضالتهم. وخصوصا في تلك الفصول التى يتحدث المغربى فيها

من عادات أهل القاهرة وأخلاقهم. وغيرهم من أهالى المدن المصرية الأخرى. وعن تجميل وتنظيف القاهرة. ونظام الإنارة بالقناديل وانتشار شرب القهوة. وبداية انتشار تدخين التبغ مصر(٩٠).

ويلى هذا الكتاب في الأهمية كتاب" شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل"(٩١).لأديب ذلك القرن شهاب الدين أحمد الخفاجى .

وتأتى أهمية ذلك القاموس في أنه عمد إلى تنقية الألفاظ العربية الأصلية عن غيرها من الألفاظ الدخيلة المولّدة(٩٢). وهذا بلا ريب يعد أمرا فريدا من نوعه. ولم يتطرق إليه أحد من قبله. ونراه يقول في ذلك: "فهذا كتاب جليل فيه ما في كلام العرب من الدخيل، دعانى إليه أن المعرب ألف فيه قوم لم يحم حول ناديه، ومنهم من دقق في التخريجات الغريبة، وأتى في ذلك بوجوه عجيبة، ثم أثنى على كتاب أبى منصور "الجمهرة". ولكن أعقب ثناءه بقوله: "إلا أنه لم يميز فيه القشر من اللباب. فأحببت أن أهدى تحفة للإخوان، بل عروسا منتقبة بنقاب الحسن والإحسان، وأضفت إليه فوائد ، ونظمت في لباته فرائد، وضممت إليه قسم المولد. وهو إلى الآن لم يدون في كتاب. ولم يرفع عن وجوه مخدراته النقاب. وقد أوردت فيه ما يسر الناظر ويشرح الخاطر، مع شئ من النقد والرد، ولطائف أدبية تذكر عهود تهامه ونجد"(٩٣).

ولقد رتب كتابه على حروف المعجم، ولكى يوضح مدى الفائدة. والقيمة التى يحتويها كتابه. وهى إبراز الكلمات المَولّدة عن غيرها من الكلمات الأصلية نراه يعيب على سابقيه عدم توضيح ذلك بقوله: "وأعلم أنى أذكر في كتابى هذا تتميما للفائدة ما قد ذكره بعض أهل اللغة إما لتركهم التنبيه على أنه مولّد. وصاحب القاموس يفعله كثيرا، حتى نراه يعتمد على كتب الطب وهو من سقطاته الفاضحة، وإما لأنهم لم يحققوا معناه. وإما لكونه غريبا نادر الاستعمال"(٩٤).

وتحقيقا لهذه الفائدة نجده يجاهد في توضيح هذا الأمر. بحيث أن الكلمات التى يتوهم بأنها مولدة وهى غير ذلك. يذكر بعد الانتهاء من شرحها بأنها غير مولّدة. ومن ذلك مثلا كلمة. اللهم. حيث قال إنها تستعمل على ثلاثة أنحاء، الأول: النداء المحض. وهو ظاهر. الثانى: الإيذان بندرة المستثنى كما يقول اللهم إلا أن يكون كذا. الثالث: الدلالة على تيقن المجيب للجواب المقترن به. وقد وقع في حديث البخارى اللهم نعم. وذكر ذلك شراحه– وليس هذا الاستعمال بمَولّد(٩٥).

أما عن الألفاظ المَولَّدة فيكتب حرف "الميم" بعدها. مثل كلمة أندلس- م(٩٦) وقد احتوى هذا المعجم على ما يقرب من ثلاث عشرة وأربعمائة وألف من الكلمات ، ومع أن معظمها يخدم الغرض الذى وضع له وهو إظهار الكلمات المَولَّدة من غيرها. إلا أنه وجد بعض العبارات والأمثال الشعبية التى مازال مجتمعنا يستعملها. ومنها:

حماتى تحبنى- وهو من أمثال العامة يقوله من صادف نعمة لم تكن على خاطره(٩٧).

"سكران طينة"- تقوله العامة لمن سكر سكرا شديدا كأنه قد وقع في الطين(٩٨).

"كعبه مدور"- يقال لمن يتشاءم به- وهذا أيضا من استعمالات المولدين(٩٩).

"كعبه مبارك"- يقال لمن يتيمن به(١٠٠).

ويحق لنا قبل الانتقال إلى الأعمال الأخرى، أن نقف عند هذين العملين. حيث نجد أن أهم ما يمكن ملاحظته عليهما، أنهما اشتركا في أمرين: الابتكار، والمضمون. ويعد الاشتراك في المضمون أمرا مهما في تصحيح المفاهيم العامة، سواء بتصحيح الكلمات والألفاظ التى يتوهم بأنها غير عربية. والعكس هو الصحيح ، كما عنى بذلك يوسف المغربى في معجمه "دفع الإصر" أو تصحيح الكلمات. والألفاظ التى كان يتوهم بأنها عربية. وهى في الأصل مَولدة ودخيلة على اللغة العربية. وهذا ما قصده الخفاجى من معجمه "شفاء الغليل" ولعل هذا كله يكشف لنا عن مدى تفاعل هؤلاء العلماء مع مجتمعهم ، ومعرفتهم لمواطن دائه ، ومحاولاتهم الدءوبة على علاج تلك المواطن. من خلال ما يضعونه من كتابات.

واستكمالا لتصحيح تلك المفاهيم. نرى الخفاجى يقدم على عمل آخر لم يقل أهمية عن عمله السابق. وهو شرحه لكتاب "درة الغواص في أوهام الخواص" للحريرى(١٠١).

والناظر إلى شرح الخفاجى لهذا الكتاب، يشعر بأن هذا الرجل كان يعد لهذا الأمر منذ زمن بعيد، لأنه سوف يلاحظ مدى عظم الإضافات المفيدة التى ازدان بها الكتاب نتيجة لهذا الشرح. وهى أمور لم يتعرض لها صاحب الكتاب. ويخبرنا الخفاجى عن ذلك بقوله: "فإن كتاب الدرة لما احتوى على درر مستخرجة من لجة البراعة. وفرائد فوائد نطقتها فكرته الثاقبة لها بالبراعة، وقد كنت إبان الحداثة مشغوفا بها مشغولا

استنشق بدمهات نسيمها شمالا وقبولا، حتى أخذت مفتاح مقفلها، ففتحت أبواب مسكنها. فلما رأيت طعنه على السالف وعرضه في سوق الكساد، دعاني الانتصار للسلف إلى تمييز الدرر من الصدف، فضممت إليها دررا، تصيرها عقدا، ونشرت عليها من جلستان الأحداب نورا ودررا(١٠٢).

والحق فإن هذا الأديب لم يبالغ فيما قاله. ولقد ساعده ذلك ما كان لديه من موهبة فطرية ومكتسبة. وهي ملكة النقد الثقافي، وخلفيته العلمية الواسعة.

وحسبك هنا أن نعرف كيفية تعرضه لشرح هذا الكتاب، حيث نراه قد اعتمد في ذلك على دعامتين أساسيتين. الأولى. رجوعه إلى كتب الأوائل- التي عدها العلماء أمهات الكتب لمختلف العلوم- فيما يذهب إليه من آراء. الثانية وهي الأهم، قيامه بنقد الآراء التي ذهب إليها الحريري في كتابه، وتحليل ما أتى به من شواهد، وبذلك يكون الخفاجي بعمله هذا قد يعمل على تصحيح المفاهيم لدى الغامة. وعمد إلى تصحيح ما فهمه الحريري وتحامله على معاصريه من العلماء، وقد كشف الخفاجي عن الغرض الذي أقدم من أجله على هذا العمل، فقال: "فلما رأيت طعنه على السالف، دعاني الانتصار للسلف إلى تمييز الدرر من الصدف". وهذا بطبيعةالحال أمر يحتاج إلى وافر جهد وطويل صبر، وتصميم على تحقيق الهدف المرجو.

وفي الحقيقة لم يكن الخفاجي أول علماء ذلك القرن الذين تعرضوا لكتب السابقين في هذا المجال. بل وجد غيره من العلماء. وفي طليعتهم الشيخ العالم عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني- المعروف بالطبلاوي(ت١٠٢٧هـ- ١٦١٨م). الذي وصفه المحبي بقوله: وأنفرد بعلم اللغة في زمنه على جميع أقرانه". ومن جهوده في هذا المجال. قيامه بكتابة عدة نسخ من القاموس. كما أنه قام باختصار "لسان العرب"(١٠٣) لابن منظور في كتاب سماه "رشف الضرب عن لسان العرب(١٠٤). لم يكمل.

ومن بين هؤلاء العلماء الشيخ العالم عبد الرؤوف المناوي الشافعي (ت ١٠٣١هـ- ١٦٢١م). الذي قام بوضع مصنفين على القاموس المحيط للفيروزابادي. أحدهما شرح له لم يكمل حيث وصل فيه إلى حرف الحاء المهملة. وقد قال في مقدمته: "ومن أعظم ما صنف في اللغة كتاب القاموس. الذي ظهر في الاشتهار. وكنت صرفت نبذة من العمر في تتبع نصوصه فالهمت أن أقيد تلك الفوائد المحررة. فشرعت وكتبت المتن بالشرح. والآخر حاشية شملته من أوله إلى آخره(١٠٥).

وهناك أيضا على الحلبى الشافعي . حيث نرى له مختصرا لمعجم المزهر للسيوطى سماه "زهر المزهر في مختصر المزهر"(١٠٦).

وثمة عالم أخر- من علماء تلك الفترة- كانت له مشاركة في هذا العلم وهو العالم المورخ محمد بن أبى السرور البكرى (ت ١٠٨٧هـ-١٦٧٦م). حيث قام باختصار معجم الشيخ يوسف المغربى- المسمى- "دفع الاصر من كلام أهل مصر". وذلك تحت عنوان "القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب"(١٠٧).

وعلى الرغم من أن مشاركة البكرى واختصاره لقاموس. رفع الإصر يعد عملا علميا إلا أن البعض قد كان لهم مآخذ على ذلك العمل، فقد ذكر الملوانى ناسخ مختصر البكرى "أن المرحوم الشيخ أبى السرور البكرى قصد في الانتخاب، ولم يثبت في كتابه إلا ما أصل في كتب اللغة خوفا من الانتهاب، ورأيت ذلك أخل بالمقصود خوفا من الإسهاب من وضع الأصل، وإن ما أتى به لا فايدة فيه لوجوده في كتب اللغة المشهورة(١٠٨).

وبعد فهذه إذن أهم الإسهامات التى قام بها علماء تلك الفترة في هذا العلم، ومنها يتضح لنا مدى استيعابهم لهذا العلم وطبيعته، وقد أدركوا جيدا ما تحتاجه أعمال السابقين من مجهوداتهم فعملوا على تحقيقها. والأهم من ذلك أنهم وضعوا أيديهم على الجوانب التى لم يتعرض لها السابقون فوضعوا المصنفات لتغطية تلك الجوانب. وهو ما اتضح مما عرضته سلفا.

علم البلاغة :

البلاغة في اللغة العربية تنبئ عن الوصول والانتهاء ، تقول بلغت هدفي إذا وصلت إليه . وفي نظر البلاغيين لا تعدو أن تكون " تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة، تأسر النفس وتثير الوجدان ، مع ملاءمتها للموطن الذي يقال فيه ، وحال الأشخاص الذين يخاطبون "(١٠٩) .

والذي لا نزاع فيه أن هذا العلم قد تم وضعه في نفس الظروف والملابسات التى وضع فيها علمي النحو واللغة ، وإن كان قد وضع بعدهما إذ أنه بدخول الثقافات الوافدة المترجمة من اللغات المختلفة انتشرت بدع العقائد بين عوام المسلمين .وجدّ الحديث عن مسائل لم يكن لها ذكر لدى السلف الأول . وخاض في بحثها والجدل حولها خليط من المخلصين وغيرهم .وتحتم على أولى الأمر من العلماء أن يدرأوا هذا الخطر الخبيث بكشف زيف هذه الدعاوي المضلة وبيان وجود الفساد فيها (١١٠)

ولقد مر هذا العلم منذ تكوينه بعدة أطوار مثله في ذلك باقى العلوم اللسانية الأخرى - وبعيداً عن الخوض في هذه الأطوار - نجد أن أكثرها تأثيراً على المهتمين بعلم البلاغة ، وخاصة في العصر العثمانى " طور التلخيص للكتب التي وصل العلم فيها إلى اكتماله ، وكان أول من دفعها في هذا الاتجاه الإمام الفجر الرزاي (ت ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩م) إذ صنف أول تلخيص لكتابي الإمام عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١هـ - ١٠٧٨ م) " دلائل الإعجاز " و"أسرار البلاغة " مفيد من كتابات الرمانى ، وكشاف الزمخشري ، ومضيفاً كثيراً من فنون البديع (١١١) .

وخلفه في ذلك السكاكي (١١٢) (ت ٦٢٦ هـ - ١٦٣٠م) في القسم الثالث من كتابه " مفتاح العلوم " مستهديا بصنيعه ، ومضي بتعمق في قراءة عبد القاهر والزمخشري ، نافذاً إلى وضع علمي المعاني والبيان في صيغتهما النهائية التي استقرت علي العصور . ولقد اعتبر هذا الكتاب النهاية التي وصل إليها علم البلاغة ، ومن ثم نري أن كل من أتي بعد السكاكي لم يكن لهم أي مشاركة في هذا العلم إلا تلخيص كتاب " المفتاح " أو القيام بشرحة وتعليق الحواشي عليه (١١٣) .

ومن أشهر من قام بتلخيص ذلك الكتاب . وأعتبر المعول الأوحد لكل من أراد التصنيف في ذلك العلم . بحيث يصنف عليه وعلى شرحه الشيخ الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعى (ت ٧٣٩ هـ - ١٣٣٨م) . حيث قام بتلخيص المفتاح في المعانى والبيان ، وقد إنكب العلماء من بعده على هذا التلخيص بالشرح والاختصار . وكان أهم من قام بشرح ذلك التلخيص ، العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى (ت٧٩٢هـ ١٣٨٩م) الذي قام بوضع شرحين له ، الأول بعنوان " المطول " فرغ منه سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) والثانى بعنوان " المختصر " فرغ منه سنة ٧٥٦ هـ (١٣٥٥م) . وقد تناول من جاء بعده هذين الشرحين بالتصنيف وتعليق الحواشي عليهما (١١٤) .وانتقل هذا الأمر إلى مصنفي العصر العثمانى .

وخليق بنا قبل الشروع في معرفة مدي مشاركة علماء العصر العثمانى وخاصة القرن - محل الدراسة - في هذا العلم . أن نعرف مدى تفهم المدرسة المصرية لهذا العلم منذ نشأته، وهل اهتمت بقسم دون غيره ؟ وبأي كيفية تفهمت هذا العلم ؟ وهل كان لهذا الأمر تأثير على من جاء بعدهم ؟ وخاصة علماء ذلك القرن . ولتوضيح ذلك نقول:

إن الباحثين القدامى قد لا حظوا أن العناصر التى نشأت في البيئة الشرقية لبلاد

المشرق العرب كان لها اهتمام خاص بعلمي البيان والمعانى من ثم كان تفهمهم لهذا العلم من الناحية العلمية الفلسفية . أما العناصر التى نشأت في البيئة الغربية لهذه البلاد - كمصر والمغرب وبلاد الأندلس - فكان لهم اهتمام خاص بعلم البديع السهل في طبعه المعتمد على الزينة اللفظية ولذا كان تفهمهم لهذا العلم من الناحية الأدبية السهلة البعيدة عن الطريقة الفلسفية المعقدة" (١١٥)..وما من شك في أن تفهم المدرسة المصرية لعلم البلاغة بهذا الأسلوب سوف يكون له أثره على المهتمين بهذا العلم في فترة هذه الدراسة ، وهو ما سنعرفه عند التعرض لأعمالهم .

ونظرة فاحصة إلى تراث العصر العثماني ، وخاصة القرن - محل الدراسة - نجد أن العلماء في تلك الفترة قد اختصوا علم البلاغة بمزيد من الاهتمام .

فمن ناحية أقبل العلماء علي دراسته والتزود منه بداية بحفظ أهم المتون ثم تعلمه على أيدي المتخصصين ، ومن ذلك ما نلاحظه من سيرة الشيخ العالم علي الشبراملسي (ت ١٠٨٧ هـ -١٦٧٦ م). إذ قام بعد حفظه القرآن الكريم ، بحفظ بعض المتون ومنها متن التلخيص - للقرويني - ثم أخذ علم البيان من الشيخ العالم أحمد الغنيمي (ت ١٠٤٤هـ - ١٦٣٤م).(١١٦) وغير ذلك الكثير .

ومن ناحية أخري عملوا علي إفراد جزءاً من مكتباتهم لأمهات كتب البلاغة . حيث كانوا حريصين على اقتناء كتب هذا العلم ، وجعلها من أهم الكتب التي تحتويها مكتباتهم تلك. ومن ذلك . ومن ذلك ما نراه في مكتبة الشيخ الإمام محمد بن محمد سعد الدين بن علي ابن محمد المرحومي (ت ١٠٨٣هـ - ١٦٧٢م) .حيث كان بها أكثر من عشرة كتب أو نسخ تتحدث عن هذا العلم كاساس البلاغة ومتن المفتاح ، وشروحه، وحاشية عليه ، ونهج البلاغة، والمطول وحاشية عليه (١١٧) ولم يقتصر أمر ذلك على العلماء بل انصرف إلي كل الذين اهتموا بتكوين مكتبات خاصة .

ويلاحظ أن أكثر الطوائف الاجتماعية التي اهتمت بإقتناء كتب البلاغة وقراءتها. أفراد سادات بني الوفا الصوفية . ويظهر هذا جليا في مكتبة الأستاذ الأعظم الشيخ عبد الوهاب أبو النخصيص بني وفا (ت ١٠٨٩هـ - ١٦٧٨م) التي احتوت على أكثر من ستة كتب في علم البلاغة (١١٨) . ومكتبة الشيخ زين الدين عبد الرزاق أبو العطا بني الوفا (ت ١٠٩٦هـ - ١٦٨٥ م) التى ضمت أكثر من سبعة كتب حول هذا العلم . ومعظمها يدور بين المطول والمختصر وحواشيهما (١١٩).

ومن هنا يتضح أن المتصوفة قد اهتموا بعلم البلاغة وتعلمه . ولم يكن جل اهتمامهم بهذا العلم راجعاً لاحتياجات الإنشاد والذكر - فقط - كما أشار بذلك الدكتور بيترجران (١٢٠). ولكنني أري أن اهتمام هؤلاء المتصوفة بهذا العلم قد يرجع إلي مدي الفائدة التي يحققونها من دراسته لما يحققه من فصاحة اللسان وبلاغة الأسلوب والقدرة على إفحام الخصوم عند الدخول في المناظرات ، وإظهار الحجج وما أحوج المتصوفة إلى مثل هذا السلاح في ذلك الوقت ، إذ اشتدت المنافسة بينهم وبين العلماء الأخرين ، فكانوا في حاجة للدفاع عن طرقهم وأساليبهم .

وتعميقاً لهذا الاهتمام من قبل علماء ذلك القرن . نجدهم يستخدمون البلاغة ، ويعتبرونها من أهم العلوم المساعدة عند دراسة العلوم الأخرى . ومن أهم تلك العلوم علمي التفسير واللغة فالناظر في نتاج هؤلاء القوم في علم التفسير ، يجد تفسيراتهم قائمة على العقل، وإظهار مواطن البلاغة والإعجاز في القرآن الكريم . وهذا الأمر لا يتأتي إلا بدراسة علم البلاغة دراسة مستفيضة كما أن الناظر في هذه التفاسير أيضا - يجد أن هؤلاء العلماء كان اعتمادهم الكلي في هذا الأمر على تفسير الكشاف المعتزلي(١٢١) .

أما بالنسبة لمعرفة قدر مشاركة علماء تلك الفترة في التصنيف في علم البلاغة فمن الواضح أن لهم مشاركة جادة في هذا المجال علي الرغم من قلتها وقد تعددت أشكال التأليف عندهم في صور مختلفة ، كالتأليف في علم البلاغة بشكل عام ، والقيام بشرح وتعليق الحواشي علي كتب السابقين ، واختصاص قسم معين من أقسام البلاغة بالتصنيف . أو القيام بالكتابة في مواضيع أكثر تحديداً. وقد تفاوتت مساهماتهم في تلك النواحي .

ومن أولي الأعمال ما خصص لدراسة البلاغة بصفة عامة . وفي طليعة من صنف في هذا الأمر عبد الرءوف المناوي.إذ له مصنف في ذلك تحت عنوان " عماد البلاغة(١٢٢) . وهناك محمد بن أحمد بن محمد الشهير بالحتاتى المصري (ت ١٠٥٠ هـ - ١٦٤٠م) له مؤلف بعنوان " حسن الصياغة في بيان مقامات علمي البلاغة " ويقصد بهما علمي المعاني والبيان .

أما فيما يتعلق بالشروح والحواشي ، فنجدهم قد فتنوا كغيرهم بكتاب "التلخيص - للقزويني - وشروح التفتازاني له المطول ، والمختصر ولذا لم تخرج تلك الشروح والحواشي عن تلك الكتب إلا في القليل النادر ونجد في مقدمة العلماء الذين اهتموا

بذلك ، أحمد المقري (ت ١٠٤١ هـ ١٦٣١ م). حيث وضع مؤلفا على شرح التفتازانى المختصر تحت عنوان " قطف المهتصر في أخبار المختصر "(١٢٣).

ومن كان له اهتمام خاص بهذا العلم ياسين الحمصي (ت ١٠٦١هـ ١٦٥٥م) . ذلك الذي وصفه صاحب الفوايد ، بالإمام البليغ شيخ العربية . وقدوة أرباب المعاني والبيان . حيث قام بوضع حاشيتين في هذا العلم . إحداهما علي المطول ، والأخرى علي المختصر(١٢٤).

ومن الذين أدلوا بدلوهم في هذا العلم أيضا محمد بن إبراهيم والمعروف بابن الصائغ السري المصري فمن كتاباته حاشية علي شرح المفتاح الشريفي (١٢٥)

ومن أشير إليه بالتفرد في هذا العلم من العلماء الشيخ العالم إبراهيم الميموني (ت ١٠٧٩هـ ١٦٦٨ م) الذي قال عنه المحبي " إنه كان أعجوبة في العلوم العقلية والنقلية .. وأبلغ ما كان مشهوراً فيه علم المعاني والبيان ، حتى قل من يناظره فيهما ، وسئل بعض أهل التحقيق من قضاة مصر عنه فقال " هو رجل لو سئل في المعاني والبيان لأملي عليها كراريس عديدة .. ". ومن أعماله في هذا العلم وضعه حاشية على المختصر (١٢٦).

ومن الكتابات الأخري التي جذبت اهتمام العلماء فصنفوا عليها كتاب " عقود الجمان في المعاني و البيان " . للسيوطي . إذ نجد للسيد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني المغربي الأصل ، ثم القاهري الطبلاوي شرحاً علي هذا العمل(١٢٧) .

وهكذا فمن الواضح لنا أن كتاب التخليص للقزويني . و شرحه للسعد التفتازاني استحوذت علي اهتمامات هؤلاء العلماء . فجاءت معظم كتاباتهم عليها كما لم تقتصر اهتمامات هؤلاء العلماء . بتلك الكتب عند حد التصنيف عليها بل كانت أهم الكتب التي حرصوا علي دراستها لمن يريد تعلم البلاغة (١٢٨). ولعل هذا يدفعنا إلي أن نتساءل لم انصب الاهتمام علي تلك الكتب دون غيرها ؟

و من الأفضل أن نترك الأجابة إبراهيم الميموني (ت١٠٧٩هـ - ١٦٦٨م) . إثر التساؤل الذي وجهه إليه الرحالة المغربي أبو بكر العياشي عن أي كتاب ينصح به طلاب تحصيل علم البلاغة الاشتغال به ؟ فكانت إجابة الميموني :" لا شك أن درر هذا الفن كانت منتشرة في تآليف الأقدمين ، فقصرت عن تناولها أيدي المنتحلين . فلما جاء صاحب المفتاح جمع من تلك الدرر كل يتيمة علت قدراً و غلت قيمة ، و أضاف إليها مما ارتضاه شيئاً كثيراً ، و لم يغفل من المحتاج إليه إلا شيئاً يسيراً فتنافس من بعده في

شرح كتابه ، وحل مقفلات عباراته ، فاختلفت أفكارهم و تباينت مذاهبهم ثم اختصره القزويني وأوضح مختصرة بالإيضاح . فكثر شارحوه فلما جاء الملا سعد الدين – قدس الله سره و رفع في الملأ الأعلي قدره– ضرب تلك التآليف كلها بعضها ببعض و استخرج من زبدها بعض التمحيص ، فألف المختصر ،وأودع ذلك في كتابه المطول ، فهو نتيجة لأراء المتقدمين ، و زبدة أفكار فحول المتأخرين . فالمبرز في هذا الفن اليوم من يحقق أبحاثه . و يدقق النظر في أفكاره .." (١٢٩).

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلي أن الناظر في الحواشي و الشروح التي سبق ذكرها يجد أن مؤلفيها مصريون سواء من ناحية المولد و النشأة أو التكوين ، فبالنسبة للعلماء الثلاثة . ياسين الحمصي ، و محمد بن عتيق الحمصي ، و عبد الله الطبلاوي . حتى و إن كانت أصولهم غير مصرية . إلا أن نشأتهم و تكوينهم العلمي كان في مصر و علي يد علمائها . و في مؤسساتها التعليمية . و هذا هو المقياس الأساسي من ناحية التأثير و التأثر في النواحي العلمية و الثقافية . أما بالنسبة للعالم أحمد المقري و إن كان مغربي الأصل .و قبل أن يرتحل إلي مصر نضج علمياً . إلا انه قضي العقد الأخير من مشواره العلمي في القاهرة و صنف بها أهم كتبه . و أما بالنسبة لكل من العالمين محمد الدروزي ، و إبراهيم الميموني ، فهما مصريا املولد و التكوين . و من هنا نخلص إلي أن هؤلاء مصريون ، و في هذا رد علي ما قاله الدكتور بيترجران في كتابه " الجذور الاسلامية للرأسمالية .." في هذا الصدد حيث قال : "و كانت جميع الحواشي تقريباً قبل القرن الثامن عشر علي مؤلف أصبح أساسياً في عصر ما بعد الكلاسيكية ، و كان يستخدم في مصر و هو حاشية المفتاح للقزويني. و الذي كتب علي متن مفتاح العلوم للسكاكي . و كان كتاب هذه الحواشي من غير المصريين " (١٣٠). ويؤكد كلامنا السابق مصرية أولئك العلماء بصورة أو بأخري .

وعوداً إلي باقي أشكال التآليف نري أن من هذه الأشكال اختصاص ركن من أركان البلاغة بالتصنيف ، مثل علم البديع ، فنجد في طليعة من أفرده بالتصنيف . مرعي الحنبلي. الذى قام بوضع مؤلف تحت عنوان " القول البديع في علم البديع " (١٣١) .

ومن الذين أفردوا هذا الفن بالتصنيف . الشاعر الأديب عبد البر بن عبد القادر الفيومي (ت ١٠١٧هـ – ١٦٦٠م) الذي نري له كتابا بعنوان " حسن الصنيع في علم البديع " كما نجد للعالم عبد القادر محمد بن محمد بن أحمد زين الفيومي (ت

١٠٢٢هـ - ١٦١٣م). كتابا خاصا بعلم البيان تحت عنوان " فرائد البلاغة " وهو منظومة شعرية بلاغية(١٣٢).

ومن أهم الأشكال التي حظيت بمزيد من عناية العلماء بعض موضوعات البلاغة كالاستعارة (أحد أركان علم البيان) فقد تعددت أشكال التصنيف حولها . حيث قام البعض بوضع منظومات ثم أتبع ذلك بشرح له . و هناك من وضع الرسائل في الاستعارة و في أقسامها ، و هناك من قام بشرح مصنفات السابقين أو وضع الحواشي عليها .

ومن الذين كان لهم السبق في التأليف عن طريق النظم و الشرح ، الشيخ العالم منصور البطلاوي (ت ١٠١٤هـ - ١٦٠٥م) و قد و صفه المحبي بأنه برع في كثير من العلوم منها المعاني و البيان . إذ نجد له نظم الاستعارات و شرحها (١٣٣).

و ضمن الذين أفردو الاستعارة رسائل خاصة الشيخ العالم محمد بن برهان المحلي المصري (ت ١٠٣٢هـ - ١٦٢٢م).و الذي قال فيه صاحب الفوايد : " كان إماماً في فنون كثيرة خصوصاً المعاني و البيان " حيث قام بالتأليف في الاستعارة و أقسامها (١٣٤).ومن هؤلاء أيضاً عبد الجواد بن شعيب القنائي (ت ١٠٧٣هـ ١٦٦٢م). إذ نري له رسالة بديعة في فن الاستعارة سماها " القهوة المدارة في تقسيم الاستعارة .."(١٣٥).

ومن التصنيفات الرائعة في هذا الموضوع . ما قام بوضعه أحمد ابن السيد بن محمد مكي الحسيني الحموي شهاب الدين المصري (ت ١٠٩٨ هـ - ١٦٨٧م). تحت عنوان " درر العبارات و غرر الإشارات في تحقيق معاني الاستعارات " و ذيله في مجلد (١٣٦).

ومن الأعمال التي اهتم بها العلماء شرح المولي عصام علي السمرقندية (١٣٧). ونري في طليعة من قام بتعليق أفكاره عليه ، أحمد الغنيمي(ت ١٠٤٤هـ - ١٦٣٤م)(١٣٨).

وهناك إبراهيم الميموني حاشية علي الشرح المذكور سلفاً (١٣٩). كما قام علي الشبراملسي (ت ١٠٧٨ هـ - ١٦٧٦م). بوضع حاشية علي الشرح المذكور أيضاً (١٤٠).

ومن أجل تلك الحواشي - ما و ضعه الشيخ علي الجدولي المالكي (ت١١٠٠ هـ - ١٦٨٨م) . تحت مسمي "إيضاح العبارات علي شرح الاستعارات " . قال عنها صاحب الفوايد : " بأنها في مجلد حافل نحو ثلاثين كراسا ، وأنها من أكبر حواشيه وأنفسها ، وأتي فيها بكل غريبة و نادرة (١٤١).

وسيراً علـي هـذا الـدرب نجد الـعـالم أحـمـد السـنـد وسي (ت ١٠٩٧هـ-١٦٨٦م)يضع مصنفاً في " المجاز " أحد أركان علم البيان . تحت عنوان " الإيجاز في حسن المجاز بضبط علاقات المجاز " (١٤٢).

وبعد فالناظر في تلك المصنفات علي كافة أشكالها يجد أن علماء ذلك القرن شاركوا بالتصنيف في علم البلاغة بجميع أركانه الثلاث . المعاني ، البيان ، البديع . و لكننا نلمس أن الطريقة التي تفهمت بها المدرسة المصرية هذا العلم منذ نشأته ، وهي الطريقة الأدبية السهلة، وزيادة أعتنائهم بعلم البديع المبني علي الزينة اللفظية الخالي من القواعد الصعبة المعقدة . كان لها أثراً واضحاً في تعامل هؤلاء العلماء مع علم البلاغة . و يتضح ذلك من كونهم أفردوا لعلم البديع المصنفات الخاصة به ، هذا بخلاف اعتنائهم بالتصنيف في أحد أركان علم البيان و هو " الاستعارة " دون غيره من موضوعات البلاغة الأخرى . و قد يرجع ذلك لسهولة التعامل مع هذا الركن ، و خلوه من الآراء الخلافية الكلامية.

علم الأدب :

لقد لقي علم الأدب بعنصريه - الشعر و النثر - في العصر العثماني ما لم يلقه أي علم آخر من عظم التحامل عليه ووصفه بأحط الأوصاف قدراً !! حيث وصفت الآداب العربية بأنها أصبحت في ذلك العصر في أحط أدوارها و ندر نبوغ العلماء المفكرين و المستنبطين فيها . و انحط أسلوب الإنشاء حتي أوشك أن يكون عامياً . كما أن اللسان قد فسدت ملكته ، و جمدت القرائح ، و أن الشعر قد أصابه ما أصاب تلك الآداب من الضعف و الانحطاط (١٤٣). و لقد توارث هذا الرأي كل من توهم أن لديه المقدرة علي الحكم علي علوم ذلك العصر . حتى انتقل إلي الكتب المدرسية (١٤٤).حيث نجد أن هذه الكتب قد وصفت العصر العثماني بأوصاف الضعف و التخلف .

و يبدو أن أصحاب هذه الآراء قد تناولوا العلوم في هذا العصر بصورة مستقلة ، ناسين او متناسين أن هذا العصر غير مقطوع الجذور ، و لم يظهر فجأة ، بل هو أحد العصور المعتمدة علي غيرها ، و تلك طبيعة العمران بمعني أن الحالة المتدهورة التي وصلت إليها الآداب العربية بمختلف علومها ، كانت لها جذورها التي بدأت تظهر للوجود قبل مجيء العصر العثماني بعشرات السنين . و قد تصل إلي أكثر من قرنين و نصف .

فالمتتبع للحركة الأدبية العربية يجد أنها بدأت تضعف تدريجياً منذ أواخر النصف

الثاني من القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي - فكما نوهنا سابقاً إلي أن علماء تلك الفترات اتجهوا إلي تلخيص ما وصلت إليه نتائج قرائح من سبقوهم . حتي اعتبرت تلك الأعمال سمة غلبت علي نتاج العصر و أصبحت مميزة له . و كان ذلك بصورة عامة في شتي العلوم اللسانية . فنجد مثلاً ما قاله د. شوقي ضيف عند حديثه عن علم البلاغة إذ قال : " و سرعان ما تقلصت الينابيع العقلية و الذوقية التي أمدت الزمخشري و عبد القاهر بكتاباتهما البلاغية ، التي تملأ النفس إعجاباً ، و كان من أهم الأسباب في ذلك سريان روح الجمود و التعقيد في الأدب بنوعيه من الشعر و النثر ، و انعكاس ذلك علي البلاغيين ، فإذا هم يكتفون بتلخيص عبد القاهر و قد يلخصون معه الزمخشري تلخيصاً جافاً ، إذ تدرس القواعد البلاغية دون عناية بتحليل النصوص الأدبية ، و تمتزج بمباحث منطقية و فلسفية و كلامية و أصولية و نحوية كثيرة ، و تسرع بها إلي الجفاف و الجمود ، و كان أول من دفعها في هذا الاتجاه الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م) . و خلفه السكاكي (ت٦٢٦ هـ -١٢٢٩). في القسم الثالث من كتابه"مفتاح العلوم "(١٤٥) . ومن هنا نتيقن بأن هذه الروح التي تتسم بالضعف لم تكن وليدة العصر العثماني .

كما وصفوا شعر ذلك العصر بأسوأ درجات الانحطاط وأن المجيدين من شعرائه كانت إجادتهم تقليدية ، بحيث كان هم الشاعر تقليد من سبقه فالمعاني والأساليب والألفاظ ، ولا يهمه سوى تنميق العبارة بالجناس والتورية والسجع ، وأن أوقاتهم قد ضاعت بلا فائدة . وكما ذكرت سلفاً أن الضعف كان قد تسرب إلي تلك العلوم قبل العصر العثماني ، و لم يكن ذلك الضعف وليد هذا العصر سواء في الشعر أو غيره ، ولقد أوضح هذا الأمر أديب العصر العثماني الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨م) إذ نراه يعلق علي ما أصاب الشعر من التكلف و أساليب السجع و التورية ، ويرجع ذلك الأمر إلي أصله التاريخي فيقول : "وأعلم أن هذا كله ليس بشعر ترتضيه الأدباء .. و هو كل شعر أكثر فيه من البديع . قالوا : "و أول من أتلف الشعر العربي بهذا النمط مسلم بن وليد ، ثم تبعه أبو تمام ". (١٤٦).

ولا ننسي في هذا المقام أن من أهم الأسباب التي جعلت شعراء مصر في العصر العثماني و ما قبله ، يعتمدون علي الزينة اللفظية في أساليبهم الشعرية والنثرية - ما نوهنا إليه سابقاً - من تفهم المدرسة المصرية لعلم البلاغة . وهو التفهم الأدبي السهل ،

وتوغلهم في علم البديع دون غيره من علوم البلاغة العربية ، ولا ريب أن لهذه الطريقة أثرها في أساليب أولئك القوم .

وليس معني هذا أن نبريء ساحة العصر العثماني من كافة الأسباب التي أدت إلي الضعف الذي وصل إليه الأدب العربي بنوعيه . فهناك بالطبع أسباب هامة أدت إلي ذلك الضعف . ومن أهم هذه الأسباب عدم اعتناء سلاطين ووزراء الدولة العثمانية بالحياة الأدبية بمختلف جوانبها ، و يأتي علي رأسها عدم احتضان الأدباء و الشعراء والانفاق عليهم مما يشحذ هممهم للتنافس في إظهار مواهبهم ، و إنماء الحياة الأدبية بوجه عام . و قد يرجع السبب في عدم اهتمام هؤلاء السلاطين ووزرائهم بمثل تلك النواحي ، إلي روحهم العسكرية .

تلك الروح التي اتسمت بها الدولة العثمانية مما جعلها تخوض مضمار الحروب علي أوقات طويلة و متواصلة . تاركة النواحي الحضارية و الاعتناء بها . أضف إلي ذلك أن العثمانيين ليسوا بعرب . و نظراً لذلك فإن اهتمامهم بالعربية و علومها كان ضئيلاً ، و عموماً فالعثمانيون كانوا يدركون أن العرب أعمق جذوراً منهم ، و أعرق حضارة لذلك تأثروا بالعرب في ثقافتهم و حضارتهم . و لم يؤثروا فيهم لأنهم لا يملكون رصيداً يمكنهم من ذلك .

و من بين تلك الأسباب كثرة الفتن و الاضطرابات التي كانت تحدث من وقت لآخر بين الطوائف العسكرية ، و ما كان ينتج عن ذلك من عدم الاستقرار و مما لاشك فيه أن الحياة الأدبية في أية أمة لا تعلو و تزدهر إلا في ظروف مستقرة .

ومن الأسباب الهامة أيضاً ضعف الحالة الاقتصادية التي كانت تعيشها مصر إبان ذلك العصر ، و مما لاشك فيه أن لنظم الحكم العثماني يد في هذا الأمر ، لما كانت تلزم به أفراد المجتمع المصري من تجهيز الحملات العسكرية الخارجة للحروب ، و إرسال الصرة إلي خزينة السلطنة ، فضلاً عن نظام الالتزام الذي استنزف موارد البلاد لصالح القائمين علي الحكم و الملتزمين ، ولا يخفي علينا مدي انعكاس مثل هذه الأمور علي الحياة الأدبية .

وثمة سبب آخر وهو نظرة العلماء أنفسهم إلي الشعر من أنه يسبب بعض النقص لمكانة العالم . و من هنا قال الخفاجي أثناء ترجمته لنفسه في الريحانة[١٤٧] .

فلولا الشعر بالعلماء يزري لكنت الآن أشعر من لبيد

وأخيراً فإن كان يحق لنا أن نصف الحياة الأدبية في العصر العثماني بأنها كانت أقل من سابقيها بكثير ، فليس معني هذا أنها قد وصلت إلي تلك الصورة القاتمة التي وضعها المتحاملون علي ذلك العصر . إذ أن هذا العصر قد أنجب الكثير من الأدباء و الشعراء الذين تركوا لنا أعمالاً جديرة بالاحترام.

فبالنسبة للقرن – موضوع هذه الدراسة – نجد ظهور الكثير من الشخصيات التي أولت الأدب اهتماماً كبيراً ولم تقف اجتهاداتهم عند حد إجادة كافة الفنون الشعرية والأدبية ، بل اخضعوا أعمالهم الأدبية للنقد والتحليل .

وهو ما يرشدنا إلى أن علم النقد الأدبي في هذا العصر كان ملازما للأدب شعراً ونثراً. وثمة ما هو أعظم من ذلك ، حيث قاموا بنقد الأدب بصورة عامة وبهذا يكونون قد سبقوا غيرهم في هذا المجال ، واعترفوا بالوهن الذي أصاب الأدب في عصرهم .لكنهم لم يقرروا بأنه قد ساء حاله ووصل إلى الصورة والانطباع الذي سبق ذكرهما.

ونجد على رأس هؤلاء أديب العصر العثماني في ذلك القرن الشهاب الخفاجى (ت ١٠٦٩هـ-١٦٥٨م). الذي نقد الوضع العام الذي وصل إليه الأدب في عصره . ولكنه تحدث عن ظهور بعض الشخصيات التي اهتمت بالأدب، أشار إلى مسيرة التواصل ، إذا يقول في الخبايا : " إلا أن الأدب في هذه الإعصار وبل أذهبت عليه ريح ذات إعصار ، وقد عفا رسم الكرام ، فعليه مني السلام ، تقلصت منه الظلال ، وخطب البلا علي منبر الأطلال ، والرؤساء شعراء لا ينثرون ولا ينتظمون ، وما فيهم من صفات الشعراء إلا انهم يقولون ما لا يفعلون ... .. ومع هذا فكم هبت له أنفاس معطرة بالنجاح مزرية رقتها بأنفاس الصبا في الصباح ، يهز لها السماح حيف معاطفه ، وينثر تحت أقدامها بساط عواطفه ، ويتمسك نسيم اللطف بأذيالها .... الخ " (١٤٨).

وستناول في الصفحات التالية إسهامات علماء فترة الدراسة في النثر والشعر.

أولا : النثر :

فلو نظرنا إلي تراث هؤلاء العلماء لوجدناهم قد اهتموا بالتصنيف في هذا الميدان اهتماما غير منقوص وتعددت أشكال الكتابات لديهم ، منها التي عنيت بتراجم الأدباء والشعراء ، وتسليط الضوء علي أعمالهم الأدبية ، مع تقييم تلك الأعمال ، ومنها ما جاء لتلبية أغراض اجتماعية كتسكين أحوال العشاق والمحبين. أو إعطاء الطريقة المثلي للمكاتبات والمراسلات ، ومحاولة سد النقص الذي أصاب الأساليب الإنشائية في تلك

الفترة ، ومنها التي عمدت إلى جمع بعض الحكم والأمثال الشعبية. أو بعض الحكايات. وغير ذلك من تلك الصور.

ومن الكتابات التي اهتمت بتراجم الأدباء والشعراء ، وتسجيل أهم ما أنتجته قرائحهم في ذلك المجال ، مع تقييمها وتحليلها فهناك الكثير ممن عني بهذا الأمر ، ويأتي علي رأسهم الشيخ العالم مدين القوصوني (ت ١٠٤٤ هـ -١٦٣٤ م). وذلك بوضعه كتاب " ريحانة الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب " (١٤٩). الذي كان أحد الركائز الأساسية التي اعتمد عليها المحبي في كتابه " الخلاصة ".

ومن أشهر من تضلع في هذا الأمر ووصل فيه إلى المرتبة التي لم يصل إليها غيره خلال ذلك القرن - بل وفي العصر العثماني كله - الأديب المصري شهاب الدين الخفاجي. إذ أنه ترك لنا درتين خص الحديث فيهما لمن كانت له القدرة والمشاركة الحقيقية والفعالة في هذا العلم . الأولى بعنوان " ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا " والثانية بعنوان " خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا " ولقد لقينا الإقبال الشديد من علماء ذلك العصر ، وعليهما كان جل اعتماد المحبي في تاريخه " الخلاصة " ، بل نجد ان المحبى لم يكتف بالاعتماد عليهما في كتابة المذكور ، بل شرع في وضع كتاب له جعله ذيلا علي " الريحانة " - سماه" نفحة الريحانة ورشفة طلاء الحانة " (١٥٠). ونجد العالم الكبير صاحب " كشف الظنون " حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ - ١٦٥٦ م). عند ترجمته للخفاجي يقول : فمن أراد أن يعرف قدره فليطالع خباياه " (١٥١).

ويرجع السبب في علو قدر هذين الكتابين ، إلى أن الخفاجي عند ترجمته لهؤلاء العلماء والأدباء لم يتبع السرد التقليدي ، بل أخضع تلك الشخصيات وما أنتجته للنقد حتى ميز لنا الخبيث من الطيب ، إضافة إلى انه استغل حصيلته الثقافية فكثيرا ما نجده عند ذكر بعض الأبيات الشعرية لمن يترجم لهم ويذكر ما يماثلها من نظم السابقين والشعراء الأوائل.

وممن شارك بجهوده في هذا المجال عبد البر بن عبد القار بن محمد الفيومي (ت ١٠٧١هـ - ١٦٦٠ م) ، الذي وضع كتابا بعنوان " منتزه العيون والألباب ، في بعض المتأخرين من أهل الآداب " جمعه علي طزيقة الريحانة الخفاجي ، ورتبة علي حروف المعجم ، وجمع فيه منشعراء الريحانة وشعراء المدائح الذي ألفه التقي الفارسكوري وزاد من عنده بعض المتقدمين والمعاصرين ، وهو مجموع لطيف (١٥٢)

هذا من حيث الكتابات التي تعرضت لتراجم العلماء و الأدباء ، مع ذكر أهم أعمالهم.علي أن أهم ما امتازت به تلك الكتابات أنها خرجت عن الإطار التقليدي في كتب التراجم الأخري ، و هو القائم علي السرد فقط . فهؤلاء العلماء قصدوا من كتاباتهم الإشارة إلي أصحاب القدرات الفعالة في النواحي الأدبية . و كأنهم يردون علي الطاعنين في العصر العثماني و الحياة الأدبية في ذلك العصر مؤكدين بأن هذا العصر لم يعدم من الشخصيات التي رمت بسهم مصيب في الفنون الأدبية . و هي جديرة بالاحترام .

ومن الجوانب الهامة التي جاءت عليها كتابات علماء تلك الفترة في هذا العلم تلك التي اهتمت بالعلاقات بين الأحباب و أحوالهم . و يعد مرعي الحنبلي . فارس هذا الميدان و أهم ما يميز الكتابات الأدبية لهذا الرجل أنه وضع كتبه الأدبية وفقاً لمتطلبات اجتماعية . فمنها كتابه " منية المحبين و بغية العاشقين " . ومما قاله في سبب وضع هذا الكتاب : " وبعد فلما كانت المحبة غذاء للأرواح ، و صلاح الأشباح ، و كان العشق المباح نيل الفلاح ، و قد شغف به كل طبع سليم ، و عقل مستقيم ، و أصبح غالب الناس في بحار العشق خايضين ، ومن سفينة النجاة ضالين ، ولسفينة الغرق مهتدين ، و في حقيقة شروط المجد عايمين ، و بآداب أهلها ليس أجناد ين ، و لطريقتهم الحميدة غير سالكين ، أحببت أن أضع في هذا المقام مؤلفا لطيفا ، و مختصراً شريفاً و ظريفاً . متكلماً فيه علي الحب و حقيقته و العشق و مرارته ، و شروط المحبة و الغرام ، و الوجد و الهيام ، و ماذا يجب علي العاشق و المعشوق من العفاف و الكتمان ، و من الحذر من إرسال النظر الموجب لتلك الأحزان و الأشجان . مبالغاً في اختصاره ، و جمع مفرقاته و طي انتشاره .. الخ "(١٥٣). ومن كتبه في هذا المضمار أيضاً كتاب تسكين الأشواق بأخبار العشاق.

وممن اهتم بالتصنيف في هذا المضمار أيضاً أحمد بن زين العابدين بن محمد بن علي البكري الصديقي المصري (ت١٠٤٨ هـ- ١٦٣٩م). الذي وضع كتابا جعله علي أسلوب لوعة الشاكي و دمعة الباكي " (١٥٤). سماه " روضة المشتاق و بهجة العشاق " (١٥٥).

هذا وإن كان السبب الظاهري لوضع مثل هذه الأعمال توجيه العلاقات بين الأحباب إلي ما فيه استقامتها ، إلا أن هؤلاء العلماء قد قصدوا من هذه الأعمال تحقيق مغزي أكثر أهمية ، و هو التسرية عن نفوس أفراد مجتمعهم لما يعانونه من هموم و أكدار.

و تحقيقاً لهذا الغرض بصورة أكثر فعالية نري الحنبلي يضع كتابه " غذاء الأرواح في المحادثة و المزاح "(١٥٦) وقد قال عن سبب وضعه لهذا الكتاب : " فقد أحببت أن أضع بعض لطايف و جمل طرائف في ذكر المزاح ، و بيان المحمود منه و المذموم ، و بعض حكايات تزيل الهموم من قلب المغموم ، و تحسن بها المعاشرة ، و تلذ بها المسامرة "(١٥٧).

ومن أبرز الأعمال التي و ضعت في هذا الشأن شرح الشيخ الأديب يوسف الشربيني المتوفي بعد سنة ١٠٩٨هـ (١٦٨٧م) . لقصيدة أبي شادوف . وسمي شرحه بـ " هز القحوف بشرح قصيدة أبي شادوف " . و أول ما يلفت النظر إلي هذا الشرح . أسلوب " الشربيني " المليء بالسخرية و الخلاعة . و نراه يقول في ذلك : " اعلم أن كل شرح لابد له من اسم يناسبه ، وعلم عليه يقربه ، و قد سميت هذا الشرح هز القحوف بشرح قصيدة أبي شادوف و أطلب من القريحة الفاسدة و الفكرة الكاسدة الإعانة علي كلام أعرفه من بنات الأفكار ، و أسطره في الأوراق من فشار ، و أن يكون من بحر الخرافات ، و الأمور الهباليات ، و الخلاعة و المجون ...فقد يلتذ السامع بكلام فيه الضحك و الخلاعة ، ولا يميل إلي قول فيه البلاغة و البراعة ، لأن النفوس الآن متشوقة إلي شيء يسليها من الهموم و يزيل عنها وارد الغموم

ففي مذهبي أن الخلاعة راحة تسلي هموم الشخص عند انقباضه (١٥٨).

ومن الجوانب الاجتماعية الأخرى التي عمد هؤلاء العلماء إلي معالجتها من خلال مصنفاتهم الأدبية ، الجوانب الخلقية ، و الحث علي تهذيبها بصورة أو بأخري ، سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غيره كجمع الحكم و الأمثال الشعبية أو كم من الحكايات في مؤلفات بعينها .

ويأتي في مقدمة من عني بهذا الأمر العالم عبد الرءوف المناوي الذى نري له أكثر من مصنف في ذلك ، منها كتاب جمع فيه قدراً من الأمثال سماه : " الأمثال الفائقة والاستعارات الرائقة " (١٥٩) وآخر في ذم البخل و مدح الجود سماه " الدر المنضود في ذم البخل و مدح الجـــود(١٦٠).

ومن هؤلاء أحمد المقري (ت ١٠٤١هـ -١٦٣١م) . الذى قام بوضع أكثر من مصنف ، منها رسالة بعنوان " حسن الثنا و العفو عمن جني " ضمنها الكثير مما ورد في طلب العفو و الصفح عن المسييء ، من الروايات و الأحاديث ، و آثار السلف الصالح،

و أخبار الخلفاء ، و أهل المروءة (١٦١). وله أيضاً مزدوجة ضمنها رقائق الحكم و روائع الأمثــال (١٦٢).

ومن عني بهذا الأمر أيضاً أحمد القليوبي وذلك بوضعه كتاب " نوادر القليوبي" الذي جمع فيه مائتين و إحدي و ثلاثين حكاية، بما تتضمنه من مغزي ديني يحض علي العظة و الاعتبار ، كما يتضح أنها وضعت في صورة تناسب طبيعة المجتمع – أنذاك – فهي قريبة من الأدب الشعبي ، و فيما يبدو أن القليوبي ، كان يعتمد في بعض حكايته تلك علي الإسرائيليات(١٦٣).

ومن الكتابات الهامة في هذا الشأن ، كتاب أو رسالة في " الآداب" للعالم نور الدين بن نوح بن مصطفي الرومي- نزيل مصر (ت ١٠٧٠هـ – ١٦٥٩م) . و هي رسالة جميلة مكونة من ثمان و خمسين ورقة ، ضمنها أشياء كثيرة متعلقة بالصفات و الأخلاق الحميدة و غير ذلك و كان أغلب اعتماده ، فيما يستشهد به علي أقوال الحكماء و أشعار الأدباء (١٦٤).

ومن هنا يتضح إلي أي حد استغل هؤلاء العلماء اجتهاداتهم الأدبية في المفيد النافع بما يخدم مجتمعهم و يلبي متطلبات أفراده ، و من الواضح أيضاً أنه لم ينضب معين هؤلاء العلماء في هذا الشأن ، إذ نراهم قد أدركوا الخلل الذي اعتري أساليب الانشاء في زمنهم ، مما دفعهم إلي وضع الكتابات التي تعالج هذا الخلل ، و يعد فارس هذا الميدانالعالم مرعي الحنبلي وذلك بوضعه كتاب " بديع الانشاء و الصفات في المكاتبات و المراسلات " و الذي قال عن سبب و ضعه : " و بعد فهذه إشارات يسيرة و عبارات قصيرة، وضعتها في المكاتبات ، و هذبتها في المراسلات ، و يحتاج إليها أرباب الفضايل خصوصاً من ابتلي بكثرة الرسائل و خدم الملوك و الحكام ولا سيما أرباب الأقلام"(١٦٥).

وتحقيقاً للغرض نفسه نري إبراهيم العبيدي (ت ١٠٩١هـ – ١٦٨٠م) . يقوم بجمع مراسلات أحد علماء البكرية ، (الشيخ محمد زين العابدين البكري) في كتاب بعنوان " رياض العارفين في مراسلات الأستاذ محمد زين العابدين البكري "(١٦٦).

وهكذا فقد تعددت الأغراض الاجتماعية التي جاءت عليها كتابات العلماء في الأدب. الأمر الذي يؤكد مدي حرصهم علي انتاج ما فيه صالح مجتمعهم ، و العمل علي ما يحقق سمو الذوق و الخلق معاً

وبعد فهذه إطلالة علي الحركة الأدبية – (النثر) – خلال تلك الفترة تبين لنا من خلالها أن أصوات بعض العلماء قد ظهرت في تلك الفترة ووجهت اللوم والنقد لما آلت إليه الحركة الأدبية من ضعف ، ولكنها في نفس الوقت اعترفت بوجود بعض العناصر ذات الكفاءة الأدبية العالية ، مما أعطت الحركة الأدبية صفة الحياة والاستمرارية في مواصلة نشاطها . هذا عن النثر أما الشعر فتفرد له الصفحات التالية :

الشعر:

أما عن الشعر وإمكانات علماء ذلك القرن لإثراء الحركة الشعرية . فكما أشارت الدراسة إلى وجود بعض الأدباء الذين أثروا الحياة الأدبية – النثرية – بأعمالهم الجادة والمتنوعة – نلمس هذه الأمر بعينه في الشعر ، حيث وجد عدد من الشعراء الذين انتجوا أعمالاً شعرية دلت على كفاءتهم واقتدارهم علي نظم الشعر الجيد ، فنراهم قد نظموا الشعر في أغراض مختلفة كالمدح ، والفخر، والغزل ، والهجاء، والرثاء، والفخر ، والإلهيات . كما نظموا القصائد التي عارضوا بها أعمال من سبقهم . هذا بخلاف تخميس القصائد المشهورة كالبردة وغيرها . كما وجد هناك من امتلك القدرة على الشعر الارتجالي. والأهم من ذلك أن الكثير من شعرهم اتسم بالقوة والأسلوب البياني . والبعد عن الأعتماد علي الزينة اللفظية والمحسنات البديعية .وسأسوق من النماذج ما يؤكد لك

فها هو الطبيب الأديب محمد الحتاتي المصري (ت ١٠٥١هـ – ١٦٤١م) الذي قال عنه الخفاجى :" أن له شعراً يحط قدر الخطيئة . ويبلد لبيداً، وذهنا يدع إياس من الذكاء في إياس ، وبديهة بديعة ، كأن لها علي كمين الغيب طليحة " (١٦٧). ومن شعره القوي تلك القصيدة المكونة من ستة و أربعين بيتاً عارض بها قصيدة أرسلها له الخفاجي مطلعها .

كسا الروض من رياه ريح الصبا مرطا	فأثقله و اعتل فاعتمد الأبطا
أري الدوح مفتون النسيم فراقص	يصفق إن وافي و يطرق إن شطا
يمد له من حليه و ثيابه	و تيجانه من تحت اخمصيه بسطا
وكم من أياد للنسيم علي الربي	فيرقدها شطا و يوقظها نشطا
يهذ بها بالغيث تهذيب مصحف	فيعز بها شكلا و يعجمها نقطا

إلخ (١٦٨).

فالناظر إلي تلك القصيدة يجد أنها طائية القافية علي بحر الطويل ، و تفعيلته " فعولن مفاعلين " أربع مرات في البيت الواحد ، و هو من البحور الطويلة كما يتضح من اسمه ، حيث يتيح مساحة واسعة للتعبير و عليه صيغت قصائد عدة في العصر الجاهلي لدرجة أنهم سموه ." حمار الشعر القديم " .أما من الناحية الجمالية وكما أري طغت الناحية البيانية علي القصيدة ، و عجت بالتشبيهات و الاستعارات المكنية و التصريحية، في حين قلت المحسنات البديعية و الصنعة اللفظية بين طياتها .

أما من الناحية الفكرية فقد بدأ الشاعر قصيدته بالوصف ، و هذا أمر معتاد لدي شعراء العرب السابقين ، فقد وصف الربيع بما فيه من مظاهر جميلة من رياض و نسيم ، و زهور ، و أنهار ، و في وصفه هذا كان متأثراً إلي حد ما بوصف كل من البحتري و أبي تمام للربيع ، و إن كان شاعرنا قد أضاف إلي ذلك بعض الأفكار و الصور الجديدة . ثم انتقل من وصف الطبيعة إلي نوع من الغزل العفيف لم يطل فيه ، إذ ينتقل إلي غرض آخر و هو المدح . ثم يختتم قصيدته بشكوى الدهر و سوء الحظ الذي صادفه في حياته علي الرغم من علمه و فطنته علي حد قوله .

ولننتقل إلي شاعر أخر وهو المؤرخ الأديب عبد الباقي الاسحاقي (ت ١٠٦٦هـ - ١٦٥٥م) و قد قال عنه المحبي في كتابه النفحة : " شاعر تجاوز في الرقة الحد ، فكأنما تكون من سحر الجفن ورقة الخد ، فشعره فيه رونق بأمر من الحسن ، وهو أفعل في القلوب من التفتير في الخصوبة الوسن باختراع المعاني ذو صبابة يرمي الغرض البعيد من قوس الإصابة "(١٦٩).

ومن شعره قصيدته الخمرية المكونة من خمسة و عشرين بيتاً منها :

أمل لي كأساً تماماً و اسقني جاما فجاما

و اجعل الدرة كأساً و خذ التبر مداما

تم الكأس فإن الكأس ما كان تماما

و اتخذها سلما للهو يسمو أن يساما

و توهم أنها الحل و إن كانت حراما

ثم أزهي موضع في الروض فاختره مقاما

وإذا ما شئت أن تسكر فاستدع الندامى

و ليكن خمرك عاديا وساقيك غلاما الخ(١٧٠)

فكما هو واضح أن هذه القصيدة ميمية القافية خمرية الموضوع ، و قد صاغها الشاعر علي بحر الرمل المجزوء ، حيث أتي بتفعيلته " فاعلاتن فاعلاتن" مرتين في كل شطر ، و ربما كان ذلك مناسبا لموضوع القصيدة الماجن الذي يحتاج إلي موسيقي قصيرة تبرز الخفة و المرح .

أما من الناحية الجمالية : فالواضح عليها هو الجانب البياني . كما ظهر فيها عدد من المحسنات البديعية كالطباق و الجناس ، و علي ما يبدو أنه وازن بين الجانبين إلي حد ما ن إذا ما اعتبر ان الجانب البديعي يكون أقل ظهوراً عادة من الجانب البياني في القصيدة الجيدة.

أما من حيث الأفكار : فالواضح عليها أنها كانت صورة لنماذج سابقة من هذا اللون من الشعر ، فالشاعر أبدي تأثراً واضحاً بقصائد أبو النواس في العصر العباسي ، و لعل ذلك كان واضحاً في البيت الثاني في قصيدته (١٧١).

كما أن الاسحاقي تأثر بظاهرة المجون التي ظهرت في العصر العباسي الثاني ، خاصة بالغزل بالمذكر الذي شاع في ذاك الوقت ، حيث يبدأ من البيت الثامن غزله بساقي الخمر الصبي ، و غز له لا يخرج عن الاطار الذي كان عليه العباسيون . كما سار الاسحاقي في أفكاره متأثراً بهم ، فهو يبدأ بالتعبير عن شوقه للخمر وولعه بها ، ثم ينتقل إلي التغزل بالصبي و يصف نفسه في حال سكره ، و صدق الله العظيم إذ يقول (و الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون)(١٧٢).

ومن نماذج الشعر في تلك الفترة ما نظمه أديب ذلك القرن ، الشيخ العالم شهاب الدين أحمد الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ -١٦٥٨م) و يخبرنا المحبي عن قوة شعره فيقول : " و يكفيك من شعره لو سمعه النابغة ما نبغ ، أو ابن صفوان ما صفا و لم يبلغ من صفا وقته ما بلغ ، ولو جاراه الجعدي لاعترف بالخرس ، أو الأسدي لا نصرف عن صفة الفرس (١٧٣). ومن شعره ما نراه في هذه الأبيات :

خد الربيــع من الحيـــا توردا ... خجلا لما أهدي الاله من النــدي

و بنفسج الكثبان أطرق رأســه ... لما رأي صدغ الحــبيب تجعــد

أري الخريف اشتم أنفاس الشتا ... فاصفـر منـه خيفـة لمـــا بــدا

و راي جيوش سيوله قد أقبلت ... و عليه حلة سندس فتجردا إلخ(١٧٤)

فهذه القصيدة كما هو الظاهر دالية القافية من بحر الكامل ، و تعد قصيدة جميلة في وصف الربيع و ما فيه من مظاهر الحسن و الجمال و الزهور و الرياض و الماء و غيرها ، و الجانب البياني قد طغي علي القصيدة ، دون شك ، فقد عجت بالاستعارات المكنية غالباً والتصريحية أحياناً ، و لم يلاحظ الجانب البديعي في القصيدة إلا نادراً علي ان من الواضح أيضاً أن الخفاجي أورد بعض الصور القديمة في وصف الربيع التي ذكرها شعراء سابقون له

ويكفينا هذا القدر من نماذج شعرية ، و قد أظهرت لنا تلك النماذج ما اتسم به الشعر من قوة و غلبة الأسلوب البياني و ليس معني هذا أن جميع ما نظم من شعر خلال تلك الفترة اتسم بنفس القوة و الخلو التام من المحسنات البديعية إذ أن المنقب في تراث أدباء تلك الفترة يجد أن هناك من اتسم شعره بغلبة الأسلوب البديعي ، علاوة علي أنه وجد هناك من نظم شعره بصورة بسيطة قريبة من السطحية ، و علي الرغم من ذلك فلم يصل الأمر إلي القول بأن شعر تلك الفترة قد غلبت عليه الزينة اللفظية أسلوباً و السطحية في الأفكار ، و لعل ما ساقته الدراسة من نماذج توضح عدم صدق هذا الادعاء و تلك الأقاويل .

وهناك الكثير من علماء تلك الفترة كانوا غزيري الإنتاج الشعري ووضعوا الدواوين أمثال الشيخ أحمد بن عثمان أحمد بن عبد القدوس بن محمد الشناوي المصري (ت ١٠٢٨هـ - ١٦١٩م) (١٧٥) .والشيخ أبو المواهب بن محمد بن علي المصري الصديقي الشافعي (ت ١٠٣٧ هـ - ١٦٢٧م)(١٧٦). والشيخ الأديب أحمد زين العابدين الصديقي (ت ١٠٤٨هـ - ١٦٣٨م)(١٧٧). الأديب شهاب الدين أحمد الخفاجي. و من إنتاجه في ذلك ديوان يشتمل علي قصائد في المدح و العتاب و الرثاء و غير ذلك(١٧٨). و هناك أيضاً الشيخ نيازي المصري (ت ١١٠٥هـ-١٦٩٤م) . و له ديوان شعري في الالهيات(١٧٩).

ولما كان الشعر لا يستقيم إلا إذا توافرت فيه شروط عدة أهمها أن يكون قائلة علي دراية تامة بالأوزان الشعرية و موضوعات علم العروض لذلك كان من الخليق بنا نتناول جهودهم في علم العروض لتوضيح اهتمام علماء ذلك القرن بهذا العلم !!

تلك إذن نظرة سريعة علي الحياة الأدبية في مصر خلال ذلك القرن ، ولقد ثبت

لنا من خلالها بطلان الأقوال التي وصفت الحياة الأدبية بأنها عاشت أخط أدوارها خلال تلك الفترة . فكما رأينا أن الحياة الأدبية - في شقها النثري - قد شهدت وجود بعض العناصر التي شاركت بجهودها الفكرية في كتابات جادة هادفة تخدم المجتمع في مختلف جوانب حياته. أما الجانب الشعري - فقد رأينا من بعض النماذج القوة التي كان يتمتع بها الشعر في تلك الفترة و أنهم بعدوا بقدر الإمكان عن الاعتماد علي الزينة اللفظية ، و المحسنات البديعية ، و أنهم تأثروا بشعراء فترة من أزهي فترات الشعر العربي - بعد فترة الشعر الجاهلي - وهي فترة العصر العباسي ، و أنه و إن كانت تلك الحياة بشكل عام قد شهدت هبوطا في المستوي عما سبقها من فترات إلا أنها لم تكن بنفس الصورة التي وصفت بها من قبل الآخرين.

إذا فمما هو واجب علينا حيال النظر إلي أدب عصر من العصور أن ننظر إليه بنفس النظرة التي كان ينظرها له أهله . وأن نتذوقه بنفس الطريقة التي تذوقه بها أصحابه من قبل . وإلا فكيف لنا أن نقيس بمقاييسنا أدب المقفع و الجاحظ و من إليهم ؟ أم كيف نقرأ بأذواقنا الحديثة شعر أمرئ القيس و عنترة و غيرهم ؟ و لذا فإننا مضطرون . دائما إلي أن نتخلي عن هذه القاعدة في دراستنا كل أدب قديم.

وإجمالاً يتبين مما سبق مدي النشاط و الاهتمام الذي لقيته العلوم اللغوية من قبل علماء القرن (الـ١٧م) . و أنه لم يقل عن الاهتمام الذي لقيته العلوم الدينية آنذاك ، و قد علمنا أن الاهتمام بالعلوم اللغوية راجع إلي أهمية تلك العلوم اللغوية فيفهم العلوم الدينية ، حتي عد التبحر في العلوم اللغوية من أهم الشروط الواجب توافرها فيمن يريد التخصص في أي علم من العلوم الدينية . كما وضح لنا أن علماء فترة تلك الدراسة تفهموا العلوم اللغوية ، و من ثم جاء تناولهم لتلك العلوم بما يتناسب مع طبيعة كل علم منها ، و هذا التناول يؤدي بنا إلي نتيجة هامة ، و هي أن إسهامات هؤلاء العلماء في تلك العلوم لم تكن علي سبيل التكرار أو إعادة نسخها بل هو بناء عن دراسة و تفهم واع لما احتوته الأعمال التي أعادوا إنتاجها ، إضافة إلي ما يحتويه هذا التناول من إشارة أكيدة إلي قدر ما تحمله إسهاماتهم من إضافات للأعمال التي أعادوا إنتاجها مرة أخري . كذلك وضح لنا أن فترة هذه الدراسة قد شهدت خروج علمائها عن النص الذي التزم

به من سبقهم تجاه بعض العلوم ، فقد لمسنا أن المدرسة المصرية تفهمت الدراسات البلاغية من خلال تعمقها في علم البديع دون التوغل في علمي المعاني و البيان ، فقد تبين لنا أن علماء تلك الفترة لم يلتزموا بهذا الاتجاه التزاما تاماً حيث رأيناهم قد تناولوا العلوم البلاغية الثلاثة في أعمالهم.

وأهم ما يمكن الخروج به من تلك الدراسة وهي الادعاءات التي ألصقت بتلك الفترة ، و القائلة بأن الحركة الأدبية بها كانت في أحط أدوارها من انتشار الزينة اللفظية في الأسلوب و السطحية في الأفكار . و ذلك من خلال ما أشارت إليه الدراسة من كتابات أدبية أنتجت في تلك الفترة سواء كانت نثرية أو شعرية و ما كانت تتسم به من الجدية في الأفكار و القوة في الأسلوب.

هوامش الفصل الرابع

(١) محمد البديرى الدمياطى: المشكاة النفحية على الشمعة المضية فى علم العربية، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ١٦٥٧١، نحو ١٩٧٤، ورقه ٣ أ. ب.

(٢) مقدمة ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٣.

(٣) مزيد من التفاصيل يرجع إلى د. شوقى ضيف: المدارس النحوية، ط دار المعارف ١٩٧٢م، ص ص ٣٦٦-٣٧٠.

(٤) د . شوقي ضيف : المرجع السابق ، ص ٣٧١.

(٥) لتسهيل هو: "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". كتاب فى النحو لخصه ابن مالك من مجموعته المساه بـ "الفوائد" وهو كتاب جامع لمسائل النحو، بحيث لا يفوت ذكره مسألة من مسائله وقواعده، ولذا اعتنى به العلماء فوضعوا له الشروح- كشف الطنون، مج ١، ص ص ٤٠٥-٤٠٧.

(٦) المفصل: "كتاب فى النحو للإمام الزمخشرى، قام فيه بتلخيص كتاب سيبويه.

(٧) هو يحي بن معط بن عبد النور الزوواى المغربى الملقب بزين الدين (ت ٦٢٨هـ-١٢٣٠م) كان إماما فى العربية، وشاعرا محسنا، له أكثر من كتاب بطريق النظم منها كتابه الألفية فى النحو- وسميت بذلك لأنها ألف بيت.

(٨) الألفية، هى مقدمة مشهورة فى علم النحو لابن مالك النحوى- جمع فيها مقاصد العربية وسماها "الخلاصة"، واشتهرت بهذا الاسم لأنها ألف بيت فى الرجز- وقد أعتنى بها العلماء فوضعوا الكثير من الشروح والحواشي عليها ، كشف الظنون ، مج١ ، ص ١٥١.

(٩) هدية العارفين، مج٦، ص ٧٥٨.

(١٠) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢١٩ ورقة تحت رقم (٨٣٧) ٦٠٤٣.

(١١) الحموى: ج٣، ص ص ١١٧٥- ١١٧٦.

(١٢) التوضيح. هو شرح الشيخ العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى (ت ٧٦٢هـ- ١٣٦١م). قام فيه بشرح الألفية لابن مالك. تحت عنوان "أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك". ثم اشتهر بذلك الاسم. وعلى هذا الشرح وضعت بعض التعليقات من قبل العلماء. منها شرح الشيخ خالد ابن عبد الله الأزهرى النحوى (ت ٩٠٥هـ- ١٥٠٠م). فرغ منه سنة تسعين وثمانمائة (١٤٨٥م) وهو شرح عظيم سماه "التصريح بحضور التوضيح".- وعليه قام الشيخ الدنوشرى بوضع حاشيته-. كشف الظنون، مج ٥، ص ١٣٥٢.

(١٣) هدية العارفين، مج ٥ ، ص ٤٧٤.

(١٤) قطر الندى وبل الصدى- هو مقدمة فى النحو- للعلامة ابن هشام النحوى. وله شرح عليه أيضا. كشف الظنون، مج ٢، ص ١٣٥٢.

(١٥) المحبى: ج١. ص .

(١٦) مخطوط بدار الكتب. تحت رقم (٩٨٩) نحو.

(١٧) هو الشهاب أحمد بن الجمال عبد الله بن أحمد بن على الفاكهى (ت ٩٧٢هـ- ١٥٦٥م). وشرحه لذلك الكتاب سماه "مجيب الندا" كشف الظنون، مج ٢، ص ١٣٥٢.

(١٨) المحبى : ج١، ص ٨٠.

(١٩) المحبى : ج٤، ص ٤٩١.

(٢٠) المصدر السابق، ج٤، ص ٥١٠.

(٢١) هدية العارفين، مج ٦، ص ٧٥٧.

(٢٢) الحموى: ج٢، ص ٧٢٢.

(٢٣) الكافية. هى مقدمة العلامة ابن الحاجب النحوى. وهى مقدمة مختصرة معبرة وقبل هى دستور هذا الفن (النحو). إذ بها يعرف أكثر مسائله. ومشهوره إذ كل أحد يستضىء بنور معالمها. شعر

صاغ الإمام الفاضل ابن الحاجب درراً فاخفاها كغمز الحاجب

لما تواتر حسنها بين الورى قالت أنا السحر الحلال فحاج بى

كشف الظنون، مج ٢، ص ١٣٧٠.

(٢٤) حيث قام الشيخ عبد الغفور، أحد الذين اهتموا بوضع الحواشى على الكافية. كشف الظنون مج٢، ص١٣٧٤.

(٢٥) الأجرومية، مقدمة فى النحو للشيخ أبى عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجى المعروف بابن أجروم- ومعناه بلغة البربر الفقير الصوفى. كشف الظنون، مج ٢، ص ١٧٩٢.

(٢٦) هو الشيخ خالد بن أبو بكر الأزهرى لغة لخالد. كان شافعى المذهب، صعيدى الإقليم، ، جرجى البلد، نسب إلى الجامع الأزهر لاستقراره فيه ـ أحمد القليوبى : حاشية القليوبى علي شرح الأجرومية للشيخ خالد ، مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم ميكروفيلم ٢٦٧٢١، هـ ٥٨٣١ .

(٢٧) المحبى : ج١ ، ص ٨١ .

(٢٨) الحموى. ج١. ص ص ٧٧-٧٨.

(٢٩) إيضاح المكنون، مج٣. ص ٣٣٨.

(٣٠) هدية العارفين ، مج٦ ، ص ٧٥٥.

(٣١) مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم.(٣٠٦ مجاميع) ٩٩٣٧.

(٣٢) هدية العارفين، منج ٥، ص ٣٠٢.

(٣٣) الحموى: ج١، ص ٩٤.

(٣٤) الجبرتى: ج١، ص ٩٤.

(٣٥) هدية العارفين، مج ٥، ص ٣٠٢.

(٣٦) المرجع السابق، مج٥، ص ٢٣٩.

(٣٧) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٥٣ ورقة. تحت رقم (٦٥٩) ٤٨٦٠.

(٣٨) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٣ ورقة. تحت رقم (٢٦٣٩) حليم ٣٣٦٦٠.
(٣٩) مصدر سبق ذكره.
(٤٠) الحموى: ١٥، ص ٣٤٧.
(٤١) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ١٨٦ ورقة تحت رقم (٧٥) ٥٥٤.

(٤٢) المقدمة الأزهرية- مقدمة فى علم النحو الشيخ خالد الأزهرى، أولها الكلام فى اصطلاح النحويين. وقد قام بشرحها أيضا- كشف الظنون، مج ٢، ص ١٧٩٨. المحبى: ج٤، ص ٤٢٨.
(٤٣) المحبى : ج٤، ص ٤٢٨.
(٤٤) هدية العارفين،مج٥، ص ٣٧٩.
(٤٥) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٥٥ ورقة تحت رقم (٣١٦٥) زكى ٤١٠٧٧.
(٤٦) مخطوط بمكتبة رفاعة الطهطاوى فى ١٢١ ورقة تحت رقم ١١ نحو،
(٤٧) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٤٧ ورقة تحت رقم (٤٣) ٢٩٩.
(٤٨) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٨٠ ورقة تحت رقم (١٩٩) ١٣٧٩.
(٤٩) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٤٣٩ ورقة تحت رقم (٢٥٤) ١٦٦٢.
(٥٠) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٩٤ ورقة تحت رقم (٥٢٨) ٣٤٥٣.
(٥١) قيل فى تصنيفه أنه كان أنشأ فى سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م). بمكة المكرمة كتابا فى الإعراب. فأصيب به فى منصرفه إلى مصر. ثم لما عاد إلى الحرم سنة ٧٥٦هـ (١٣٥٥م). صنف هذا التصنيف (مغنى اللبيب). على أحسن إحكام وترصيف. ومما حثه على وضعه أيضا. أنه لما أنشأ فيه الإعراب عن قواعد الإعراب حسن وقعه عند أولى الألباب فجعله منحصرا فى ثمانية أبواب الأول فى تفسير المفردات. الثانى فى الجمل، الثالث فيما يتردد بينهما، الرابع فى أحكام يكثر دورها. الخامس فى الأوجه التى يدخل على المعرب الخلل فى جهتها، السادس فى التحذير من أمور اشتهرت بينهم والصواب بخلافها، السابع فى كيفية الإعراب، والثامن فى أمور كلية. كشف الظنون، مج٢. ص ١٧٥٢. ونرى ابن خلدون يقول فى الكتاب وصاحبه ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين ابن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب مجمله ومفصله، وتكلم عن الحروف والمفردات، والجمل. وحذف ما فى الصناعة من المتكرر فى أكثر أبوابها. وسماه بالمغنى فى الإعراب. وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها، فوقفنا منه على علم حجم يشهد بعلو قدره فى هذه الصناعة، ووفور بضاعته منها ..." المقدمة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٤.
(٥٢) المحبى: ج٣، ص ص ٦٦-٦٧.
(٥٣) هو الشيخ محمد بن أبى بكر الدمامينى (ت ٨٢٨هـ- ١٤٢٥). وشرحه هذا سماه "تحفة

الغريب بشرح مغنى اللبيب". كشف الظنون، مج ٢، ص ١٧٥٢.

(٥٤) الحموى: ج٣، ص ٢٨٧.

(٥٥) هدية العارفين، مج٥، ص ٥٦٦.

(٥٦) قد قام السيوطى فى ألفيته تلك بالجمع بين ألفية بن مالك وألفية ابن معطى وسماها "الفريد". ثم شرحها فى كتاب سماه "المطالع السعيدة" . كشف الظنون ، مج١، ص ١٥٧.

(٥٧) هدية العارفين، مج ٥، ص ٢٧٥.

(٥٨) كشف الظنون، مج ٢، ص ١٨٠٤.

(٥٩) يقصد به كتاب "قطر الندى وبل الصدى" لابن هشام النحوى.

(٦٠) المحبى :مج٣، ص ص ٢٢١-٢٢٣.

(٦١) هدية العارفين ، مج٦. ص ٧٧٦.

(٦٢) مخطوط بمكتبة رفاعة الطهطاوى. تحت رقم ٨٤ نحو.

(٦٣) هو العمل الذى ينسب لابن الحاجب النحوى. وقد سبقت الإشارة إليه.

(٦٤) الحموى: ج٣، ص ٩٦٣.

(٦٥) كحالة: معجم المؤلفين ، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ١٣٢.

(٦٦) للمزيد يرجعإلى اصل الرسالة .

(٦٧) كشف الظنون، مج٢، ص ١٠٧٨.

(٦٨) الشافية ، كتاب فى التصرف ابن الحاجب اللنحوى المالكى (ت٦٤٦- ١٢٤٨م) . وهى مقدمه مشهور فى هذا الفن . كمقدمته المعروفة فى النحو ، وله عليها شروح .كما اعتنى بشرحها جماعة من الشراح- كشف الظنون، مج٢، ص ١٠٢٠.

(٦٩) هديه العارفين ، مج ٥، ص ٢٣٩.

(٧٠) العربى فى التصرف للشيخ عز الدين ابى الفصائل إبراهيم بن عبد الوهاب بن عماد الدين ابن إبراهيم الزيخانى .كشف الظنون ،مج ٢٢، ص ص ١١٣٨- ١١٣٩.

(٧١) هو العلامة سعد الدين مسعود بن عمر القاضى التفتازانى (ت ٧٩١هـ- ١٣٨٩م).

(٧٢) المحبى : ج٤، ص ٣٢٨.

(٧٣) نفسه، ج١، ص ٧.

(٧٤) الحموى: ج٣، ص ٩٦٣.

(٧٥) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٣٧ ورقة تحت رقم (٣٨٠) السقا ٢٨٧٠٩.

(٧٦) كشف الظنون، مج٢، ص ١٥٥٦.

(٧٧) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م. ص ص ٣٠٧-٣٠٩.

(٧٨) وعن ذلك يقول ابن خلدون: هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربى فى الحركات المسماه عند أهل النحو بالإعراب، واستنبطت القوانين لحفظها كما

قلناه. ثم استمر ذلك الفساد لملابسة العجم ومخالطتهم حتى تمادى الفساد فى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب فى غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس (الاندثار). وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين". المقدمة، ص ٤٠٤.

(٧٩) عبد اللطيف حمزه: مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٦.

(٨٠) أحمد أمين: ضحى الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص ٣١٤.

(٨١) لقد اعتمدت فى الحديث عن هذا العمل على بحث قدمه الأستاذ "جريجور شر باتوف، فى ندوة الأبحاث الدولية لتاريخ القاهرة- مارس ١٩٦٩م. وتعد النسخة الوحيدة لهذا العمل. التى توجد بين مخطوطات جامعة لينينجراد، وهى بخط المؤلف. وقد قام الدكتور عبد السلام أحمد عواد بتحقيقها فى موسكو ١٩٦٨م. ولسوء الحظ لم أتمكن من العثور على هذا الكتاب أيضا. وكان المفترض أن هذا المخطوط يحتوى على (٢٤٤) ورقة، ومن ثم يحتوى على (٢٤٠٠) كلمة، ولكن هو الآن يحتوى على (١٣٤) ورقة، و(١٣٣١) كلمة. أ. شرباتوف- ص ١.

(٨٢) وقال الخفاجى فى حقه: "عزيز مصر" بنانا وبيانا، ويوسف عصره حسنا واحسانا، نشأ بمصر يتعاطى صناعة الأدب، ويربط بأوتاد شعره. كل سبب، ويشارك فى تجارة الفضل بنصيب، ويرعى لأغراضها كل سهم مصيب". شهاب الدين الخفاجى: خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا، مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٢٨٣) ٦٨٨٨، ورقة.

(٨٣) دفع الإصر- ورقة ١.

(٨٤) المصدر نفسه. ورقة ٣-أ.

(٨٥) نقلا عن شرباتوف. ص ٣١٠.

(٨٦) دفع الإصر. ورقة ١-أ.

(٨٧) شرباتوف. ص ٣١٥.

(٨٨) للمزيد يرجع لأصل الرسالة.

(٨٩) شرباتوف ـ ص ٣١٥.

(٩٠) ـ ص ٣١٦.

(٩١) مطبوع- ط المطبعة الوهبية ١٢٨٢هـ- ١٨٦٥م.

(٩٢) قال السيوطى فى كتابه المزهر: "والمولد هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، والفرق بينه وبين المصنوع يورده صاحبه على أنه عربى فصيح، وهذا بخلافه- وفى مختصر العين المولّد من الكلام المحدث". نقلا من كتاب "قصد السبيل فيما فى اللغة العربية من الدخيل" للمحبى- مخطوط بدار الكتب- تحت رقم ميكروفيلم- لغة تيمور(٢٩٥). ص ١٧.

(٩٣) الخفاجى: شفاء الغليل، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢-٣.

(٩٤) الخفاجى : شفاء الغليل - ص ١١.

(٩٥) نفس المصدر ، ص ٢٣.

(٩٦) نفسه ، ص ٢٩.

(٩٧) نفسه ، ص ٨٢.

(٩٨) نفسه، ص ١٢٦٣.

(٩٩) نفسه، ص ١٩٥.

(١٠٠) الخفاجى : شفاء الغليل ، ص ١٩٧.

(١٠١) هو أبو محمد قاسم بن على الحريرى (ت ٥١٦هـ- ١٤١٠م). وقد قال فى سبب وضعه لهذا الكتاب. "فإنى رأيت كثيرا ممن تسنموا سنمة الرتب، وتوسموا بسمة الأدب قد ضاهوا العامة فى بعض ما يفرط من كلامهم، وترعف به مراعف أقلامهم فماذا عز عليه وازعن المعزو إليه خفض قدر العليه ووصم ذا الحلية، فدعانى الأنف لنباهة أخطارهم والكلف بإطاحة اخبارهم إلى أن أدرأ عنهم الشبه، وابين ما التبس عليهم واشتبه. فالفت هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر وتذكرة لمن أراد أن يتذكر". الخفاجى: درة الغواص فى أوهام الخواص، ط مطبعة الجوانب- قسطنطينية- ١٢٩٩هـ-١٨٨١م، ص ٢.

(١٠٢) الخفاجى: درة الغواص، المصدر السابق، ص ص ٣٠٢.

(١٠٣) لمعرفة مدى الجهد الذى قام له الطبلاوى فى اختصار لسان العرب فإن ذلك يظهر من معرفة طبيعة الكتاب نفسه- حيث نجد أن ابن منظور جمع فيه التهذيب للزهرى ، والمحكم لابن سيدة ، والصحاح للجوهرى ، وحواشى والجوهرة لابن دريد ، والنهاية لابن الأثير ، ورتبة ترتيب الصحاح ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد. بل نجد أن صيغة العصر المملوكى وميل علمائه إلى تصنيف الموسوعات، قد ظهر أثرها بشكل واضح على ابن منظور فى كتابه هذا. إذ نراه قد توسع فى شرح المادة اللغوية. واستطرد على إعادة أصحاب الموسوعات إلى ذكر أشياء ربما كانت بعيد- عن المادة اللغوية. ومن ثم جاء كتابه. كتاب لغة ونحو، وصرف، وفقه، وأدب، وأخبار، وشرح، للحديث الشريف، وتفسير للقرآن الكريم. الخ.

ولا شك أن لهذه الطريقة مزاياها، ولها كذلك مساوئها، فمن ذلك أن الباحث عن لفظ من الألفاظ العربية لا يصل إلى المعنى الذى يريده بسرعة. ويضطر فى كثير من الأحيان أن يقضى وقتا طويلا جدا فى قراءة مادة كاملة ليصل منها إلى المعنى المراد. د. عبد اللطيف حمزه. الحركة الفكرية. مرجع سبق ذكره- ص ٢٤٤.

وبهذا يكون الطبلاوى من أول من تنبه إلى ذاك الأمر، فأراد أن يختصره، ويوفر هذا الوقت والجهد.

(١٠٤) المحبى ج٣، ص ص ٦٦-٦٧.

(١٠٥) كشف الظنون، مج ٢، ص ١٣٠٩.

(١٠٦) إيضاح المكنون، مج ٣، ص ٦١٩.

(١٠٧) البكرى: القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب، مخطوط بدار الكتب، تحت رقم ميكروفيلم ١٨٣٧، لغة ٦٤٠.
(١٠٨) المصدر السابق، ورقة ٢ أ- ب.
(١٠٩) الحكيم حسن نعناع : المنار في علوم البلاغة ، ط المطابع الأميرية ١٩٩٢ / ، ص ص ١٦ -١٧.
(١١٠) محمود حسن مخلوف : تحت عنوان قضايا تاريخية في البلاغة العربية ١٩٩٥ م ، ص ١٣ .
(١١١) شوقى ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ١٩٧٢ م ، ص ٣٧٤ .
(١١٢) هو العلامة سراج الدين أبو يعقوب بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى .
(١١٣) شوقى ضيف : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .
(١١٤) كشف الظنون ، مج ١ ، ص ص ٤٧٣ - ٤٧٩ .
(١١٥) مقدمة ابن خلدون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥٢ ، د. عبد اللطيف حمزه : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٧ .
(١١٦) الحموي : ج٣ ، ص ٦٣٨ - ٦٣٩ .
(١١٧) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية : س ٧٠ - ص ص ٧٢٦ - ٧٣١ .م ٧٧٩ تاريخ (١٠٨٣هـ - ١٦٧٢م).
(١١٨) نفس الأرشيف والمحكمة : س س ٧٤ ، ص ٣٣٢ ، م ٣٩٠ بتاريخ (١٠٨٩هـ - ١٦٧٨م).
(١١٩) نفس الأرشيف والمحكمة : س ٧٨ ، ص ص ٥٩ - ٦٤ ، م ٦٧ تاريخ (١٠٩٦هـ ١٦٨٥م).
(١٢٠) بيتر جران : الجذور الإسلامية للرأسمالية مصر ، ١٧٦٠ - ١٨٤٠ م ، ترجمة محروس سليمان مراجعة أ.د. رءوف عباس ، ط ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٩٢ م ص ١٢٨ .
(١٢١) للدلالة على ذلك يرجي النظر في حاشية الخفاجى على البيضاوي - وتفسير الميموني لآية " إنا عرضنا الأمانة " الآية - مدر سبق ذكرهما .
(١٢٢) هدية العارفين ، مج ٥ ، ص ٥١١ .
(١٢٣) هدية العارفين . مج ٥ . ص ٢٨٠ .
(١٢٤) الحموي : جـ٣.ص ص ١١٧٥ - ١١٧٦ .
(١٢٥) الجبي : جـ٣ . ٣١٦ .
(١٢٦) نفس المصدر ، جـ١ ص ص . ٤٥- ٤٦ .
(١٢٧) عقود الجمان في المعاني و البيان ، هو أصلاً شرح للعالم جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ -١٥٠٥م) علي منظوم له . نظم به كتاب التلخيص للقزوني - و سمي منظومه هذا بمفتاح التلخيص [عقود الجمان في المعاني و البيان] كشف الظنون مج١ ص ص . ٤٧٨-٤٧٩ .
(١٢٨) للمزيد في ذلك ينظر إلي اجازة المنزلي -مصدر سبق ذكره - ورقة ٣ ب الحموي جـ ٣ ،ص ص ٩٩٤ -٩٩٥.
(١٢٩) أبو بكر العياشى : مصدر سبق ذكره ، جـ١ ، ص ١٤٠ .

(١٣٠) بيتر جران : مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٨ .

(١٣١) الحموى : جـ٣ ، ص ٩٦٣ .

(١٣٢) ايضاح المكنون ن مج ٤ ، ص ٤٠٥ .

(١٣٣) المحبى : جـ٤ ، ص ٤٢٨ .

(١٣٤) الحوى : جـ١ ، ٢٠٩ .

(١٣٥) المحبى : جـ٢ ، ٣٠١ .

(١٣٦) هدية العارفين ، مج ٥ ، ص ١٦٤ .

(١٣٧) السمرقندية – رسالة في الاستعمارة – للمسرقندى (أبى الليث أحمد عمر الحنفي) (ت ٥٥٢هـ – ١١٥٧م)ز والمولى عصام هذا ،هو الملا عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين العصامى الاسفرايني (ت١٠٣٧ هـ١٦٢٨م)

(١٣٨) مخطوط بالمكتبة الأزهرية . ضمن مجموعة من ورقة ٩ إلى ٦٣ . تحت رقم (٩٣٨)

(١٣٩) مخيطوط بالمكتبة الأزهرية في ٢٨ ورقة تحت رقم (١٧٦٣) عروسي ٤٢٤٩٥ .

(١٤٠) مخطوط بالمكتبة الأزهرية في ٢٥ ورقة تحت رقم (١٧٨٦٠) عروسي ٤٢٠١٨

(١٤١) الحموى / جـ٢ ، ص ٦١٤ .

(١٤٢) معجم المؤلفين ، جـ١ ، ص ٢٠٢–٢٠٣ .

(١٤٣) ويأتى على رأس أصحاب تلك الأراء – جرجي زيدان : تاريخ الأداب العربية طزم الهلال ١٩٤١ . جـ٣، ص ص ٢٧٢–٢٧٤ .

(١٤٤) فمن تلك الكتب . ماتجده في كتاب " تاريخ الأدب في العصرين العثمانى والحديث للدكتور على محمد حسن – وهو مقرر مادة الأدب في الشهادة الثانوية الأزهرية ز حيث نجد من وصفه لانحطاط الأدب في ذلك العصر قوله :– زخفي النثر ونضبت القرائح – وكان من مظاهر هذا التخلف أنه لم يكتب ، ولم يخطب في موضوعات ذات بال ، فلم يكن شغل الكتاب من الموضوعات الجادة ما يقف عنده الناقد معجباً وفي الشعر استعجمت الألسنة والأفكار والمشاعر – وغير ذلك ص ص ١١ – ١٢ ط– الهيئة العامة لشئون الأميرية – ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .

(١٤٥) البلاغة تطور وتاريخ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٧٤

(١٤٦) الخفاجي : ريحانة الالبا ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٣٦ –٢٣٧ .

(١٤٧) الخفاجي : ريحانة الالبا ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٦٢ .

(١٤٨) الخفاجي : خبايا الزوايا ، مصدر سبق ذكره ، ورقة ٣ ب ٠

(١٤٩) المحبى : جـ٤ ، ص ٣٣٣ ٠

(١٥٠) كتاب " نفحة الريحانة ورشفة طلاء الحانة للمحبي ونراه يقول في سبب وضعه وكان كتاب الريحانة للشهاب الخفاجي الذي أغني من الشمس والقمر طرأ علي أن اقدح في تذييله زندي واتي في محاكاته بما اجتمع من تلك الاشعار عندي وقصدي بذلك اشتغال الفكر للانضمام إلي

من فاز بأولي الذكر ، او إذا عثر تقال سيما اذا قرنت بمن جاريته في ميدان كلام او ضممت الي من باريته وانا لست له بـاري ٠٠ " مخطوط بالمكتبة الازهرية ، تحت رقم (٢٤٤) أباظة ٦٨٤٩ ، المجلد الأول ، ورقة ٥ ٠

(١٥١) حاجي خليفة : سلم الوصول الي طبقات الفحول ، مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم ميكروفيلم ١٧٤٢١ ، ٥٢ تاريخ م ، ص ١٤٧ ٠

(١٥٢) المحبي : جـ ٢ ، ص ٢٩٢ ٠

(١٥٣) مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم ميكروفيلم ١٨٧٠٠ ، ١٤٦٤٨ ادب طلعت ، ورقة أ ب .

(١٥٤) الحموي . جـ ٣ ، ٩٦٥

(١٥٥) كتاب لوعة الشاكي و دمعة الباكي - لصلاح الصفدي - العلامة أبو الصفا صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي الشافعي (ت ٧٦٤ هـ - ١٣٦١م) .

(١٥٦) المحبي : جـ١ ،ص ٢٠٢ .

(١٥٧) مرعي الحنبلي : غذاء الأرواح في المحادثة و المزاح ، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٦٦٦، أدب تيمور ، ورقة ١٠١.

(١٥٨) الشربيني : هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف ، إعداد . محمد قنديل البقلي ، تحت عنوان . قريتنا المصرية قبل الثورة ، ط . دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣، ص١٥ .

(١٥٩) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٧٥٣ الزكية .

(١٦٠) هدية العارفين ، مج ٥ ، ص ٥١٠.

(١٦١) مطبوع ط . مطبعة الحجر في ٤٧ صفحة ، بالمكتبة الأزهرية برقم (٣٦٥) أباظة ٦٩٦١.

(١٦٢) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ضمن مجموعة من ورقة ٣٣ إلي ٤٨ برقم (٦٢١) أباظة ٧٢١٦.

(١٦٣) فمن ذلك ما نراه في الحكاية الثالثة عشرة و التي تضمنت فضل ليلة النصف من شعبان ، و هي "حكي أن عيسي عليه السلام - كان في سياحته فنظر إلي جبل عال فقصده فإذا بصخرة في ذروته أشد بياضاً من اللبن فصار يمشي حولها ، و يتعجب من حسنها ، فأوحي الله إليه يا عيسي أتحب أن ابينلك العجب مما تري فقال نعم يا رب فانفلقت الصخرة عن شيخ عليه مدرعة من الشعر ، و بيده عكاز أخضر ،و بين عينيه عنب ، و هو قائم يصلي ، فتعجب عيسي - عليه السلام - من ذلك افقال يا شيخ ما هذا الذي أري ؟! فقال : هذا رزقي في كل يوم . فقال له : كم تعبد الله في هذا الحجر ؟ فقال : أربعمائة سنة . فقال عيسي - عليه السلام :- الهي و سيدي ما أقول أنك خلقت خلقاً أفضل من هذا ، فأوحي الله إليه . إن رجلا من أمة محمد - صلي الله عليه وسلم - نوادر القليوبي ، ط مطبعة محمد أفندي مصطفي ، ص١٣.

(١٦٤) مخطوط بدار الكتب في ٥٩ ورقة ، تحت رقم ميكروفيلم ٣٢٢٨، ١٠٢٢ب.

(١٦٥) مرعي الحنبلي : بديع الانشاء و الصفات في المكاتبات و المراسلات ، ط - مطبعة الحجر ، القاهرة: ١٢٧٥هـ ، ١٨٥٨م ، ص١

(١٦٦) كحالة : معجم المؤلفين ، مرجع سبق ذكره ، جـ١، ص٣٣.

(١٦٧) الخفاجي : ريحانة الألبا ، مصدر سبق ذكره ص ٢٥٤.

(١٦٨) للمزيد يرجع للمحبي - الخلاصة ،جـ٣ ،ص ص ٣٦٨,٣٦٩.

(١٦٩) المحبي : نفحة الريحانة ، مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ،ص ٤٩ .

(١٧٠) للمزيد يرجع إلي المحبي : الخلاصة ، الخلاصة ، جـ ٢ ، ص ص٢٩٠,٢٩١.

(١٧١) و انظر إلي قول أبي نواس في إحدي قصائده .

(١٧٢) سورة الشعراء ،آ ية ٢٢٤- ٢٢٥.

(١٧٣) المحبي :نفحة الريحانة مصدر سبق ذكره ، جـ١ ، ص ٢٧٥.

(١٧٤) للمزيد يرجع لنفس المصدر ، جـ ١ ،ص ٢٩٠.

(١٧٥) هدية العارفين ، مج ٥ ،ص ١٥٤.

(١٧٦) مخطوط بالمكتبة الأزهرية في ٢٦٦ ورقة تحت رقم (٥٠٥) أباظة ٧١٠١.

(١٧٧) للمزيد يرجع لأصل الرسالة

(١٧٨) هدية العارفين ، مج٥، ص٣٠٥.

(١٧٩) هدية العارفين ، مج٥ ، ص ٢٦٤.

الفصل الخامس
جهود العلماء فى العلوم العقلية

سوف نقوم فى هذا الفصل بالحديث عن عدة علوم ، صنفها العلماء إلى أنواع متعددة ، عددية ، وطبيعة ، وتجريبية ، وسحرية ، وغير ذلك من التصنيفات المختلفة ، وهى التى تشمل علم الكلام ، الفلسفة ، المنطق ، الفلك ، الحساب ، الطب ، الأوفاق ، الزايرجا ، علم الحرف ، الكيمياء ، الحيوان ، الموسيقى ، ولما كان معظم هذه العلوم جل اعتمادها على الجوانب العقلية ، رأت الدراسة أن تدرجها جميعاً تحت مسمى العلوم العقلية ، وإن كان بعض العلماء قد صنف " علم الكلام " ضمن العلوم الدينية ، فقد رأت الدراسة أيضاً أن تذرجه ضمن العلوم العقلية ، وذلك لإن هذا العلم مبنى على الحجج والبراهين التى يأتى بها كل فريق ليؤكد صحة ما يذهب إليه ، وأن هذه الحجج معتمدة على الأدلة العقلية والنقلية ، هذا بالإضافة إلى وجود صله بين علم الكلام وعلم المنطق ، وهو ما سوف تشير إليه الدراسة فى ثنايا الحديث عن علم المنطق .

علم الكلام :

من أشهر التعريفات لهذا العلم تعريف الفارابى (ت٣٣٩هـ - ٩٥٠م). والذى يذهب فيه ، إلى أن علم الكلام هو صناعة أو ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحددة التى صرح بها واضع الملة ، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل .(١)

ومن الواضح أن هذا العلم قد لقى نشاطاً ملحوظاً خلال العصر العثمانى بصورة لم تتوفر لأى علم أخر من العلوم العقلية ومن الطبيعى أن توجد عدة عوامل أدت إلى ذلك ، منها وجود عدد من العلماء الذين تبحروا فى هذا العلم. وأنتجوا أعمالاً صارت علامة بارزة ، ومراجع ثابتة ، واتخذ البعض منها كمناهج دراسية ثابتة لدراسة هذا العلم، وما زالت تدرس بشكل أساسى لتعليمه .

ومنها - ما سبق وأن نوهنا إليه - من أن هؤلاء العلماء اعتبروا أنفسهم حماة للمذهب السنى ، ومن واجبهم الدفاع عنه ضد أية أفكار أخرى كالاعتزال والتشيع . وذلك على الرغم من أن تلك الأفكار كانت شبه منقرضة بمصر خلال ذلك العصر ، ولكن اعتراضهم وردودهم على مثل تلك الأفكار كانت تظهر عند اعتمادهم على كتب

النسابقين خاصة تلك التى كان لأصحابها ميول بعيدة عن توجه أهل السنة . وكثيراً ما جاءت هذه الردود على الزمخشرى فى مواقفه التى وافقت الفكر الإعتزالى .

ومن أهم العوامل التى أدت إلى إنعاش روح التنافس فى هذا العلم والإكثار من التصنيف حوله " ما كان يحياه التصوف فى ذلك العصر من انتشار لم يسبق له مثيل فى أى عصر آخر " وما نتج عنه من انسياق كثير من أفراد المجتمع وراء أتباعه والتمثل بهم، واعتقادهم فى الأولياء بدرجة كبيرة . وما كان يتبع ذلك بطبيعة الحال من طرح الكثير من الأسئلة التى تبحث عن صحة الاعتقاد فى الأولياء ، وكراماتهم ، والقول باستمرارها بعد وفاتهم . ومن معتقدات الصوفية التى شغلت جانب من التصنيف ـ الاعتقاد فى حياة الخضر، وعدم وفاته .

وبطبيعة الحال لم تأت كتابات علماء ذلك العصر ـ خلال القرن محل الدراسة ـ على وتيرة واحدة ، بل تعددت أشكالها ، فمنها الأعمال الفردية المبتكرة والشروح والتعليقات عليها . ومنها التى تخص إحد جوانب علم الكلام . ومنها كتابات جاءت على هيئة شروح وحواش على أهم ما صنف فى ذلك العلم . ومنها تلك التى تضمنت الإجابة عن الأسئلة التى زفعت إلى العلماء حول موضوعات علم الكلام .

ويأتى على رأس هذه الأشكال ، قيام من تبحر فى هذا العلم بتأليف كتب منفردة عن العقيدة على هيئة النظم ، ولا يخفى علينا أن مثل تلك الأعمال لم تكن على وتيرة واحدة من الإجادة والقيمة ، ومن ثم تفاوتت فى ذيوع شهرتها، واهتمام العلماء بها .

وفى مقدمة من نظم العقيدة ـ آنذاك ـ الشيخ أحمد الوراثى المصرى الصديقى (ت١٠٣٢هـ ـ ١٦٢٢م إذ نجد له " نظم عقيدة " لكنها لم تشتهر . ومن وصف المحبى لها يتبين لنا السبب فى ذلك ، إذ يقول : " لها حسن أسلوب لكن عباراتها مغلقة".[٢]

ومن أهم وأشهر المنظومات التى ألفت فى هذا العلم خلال ذلك القرن ، منظومة إبراهيم اللقانى (ت١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م) .وهى منظومة فى العقائد سماها " جوهرة التوحيد " .[٣] ويخبرنا المحبى أن اللقانى قد وضع منظومته تلك فى ليلة ، بإشارة شيخه فى التربية والتصوف الشيخ أحمد الشرنوبى ، ولمؤلفها ثلاثة شروح لها . الأول مطول سماه " عمدة المريد لجوهرة التوحيد " والثانى تلخيص له سماه "تلخيص التجريد لعمدة المريد لجوهرة التوحيد ".[٤] والثالث وسط لم يحرره فلم يظهر.[٥]

ومن عظم أهمية تلك المنظومة تنافس العلماء على شرحها وحفظها ، وأعدوها ضمن المناهج الثابتة التى تدرس للطلبة فى هذا العلم .وما تزال إلى اليوم تعتبر منهجاً دراسياً ثابتاً لعلم التوحيد على طلبة المرحلة الثانوية الأزهرية . (٦)

ويأتى على رأس من اهتم بشرح تلك المنظومة ، عبد البر بن عبد الله بن محمد ابن على بن يوسف الأجهورى(ت١٠٧٠هـ - ١٦٥٩م). الذى قام بوضع شرح عليها سماه " فتح القريب المجيد بشرح جوهرة التوحيد ".(٧)

ومن أبرز من قام بالتأليف على تلك المنظومة عبد السلام اللقانى (ت١٠٧٨هـ - ١٦٦٧م). الذى ورث من علوم والده طريقه وطائله ، وتبحر فى علم العقائد . ومما يدل على ذلك تصانيفه فيه . منها أنه قام بشرح منظومة والده " جوهرة التوحيد " السالفة الذكر - ستة شروح . (٨) ومن تلك الشروح شرح بعنوان " إتحاف المريد بجوهرة التوحيد. فرغ منه سنة ١٠٤٧هـ (١٦٣٧م). ولعظم قيمة هذا الشرح يوجد له فى المكتبة الأزهرية ما يقرب من اثنتى عشرة ومائة نسخه . (٩) وآخر بعنوان "إرشاد المريد بجوهرة التوحيد".(١٠)

وممن قام بشرح تلك المنظومة أيضاً، عبد المعطى بن سالم بن عمر الشلبى السملاوى (ت١١١٠هـ - ١٦٩٨م). (١١)

ومن أصحاب المنظومات فى ذلك القرن على الأجهورى (ت١٠٦٦هـ - ١٦٥٥م). الذى نجد له منظومة فى العقيدة سماها " فصول البدائع " ثم قام بشرحها وسمى شرحه بـ " خلاصة فصول البدائع ".(١٢)

وهناك أبو زكريا يحيى بن محمد النافلتى المليانى - المكنى بأبى البركات المغربى الجزائرى ثم المصرى المالكى الأشعرى - المشهور بـ الشاوى (ت١٠٩٦هـ - ١٦٨٥م).الذى وضع منظومة فى (لا إله إلا الله) ثم قام بشرحها . (١٣)

تلك إذن أهم ما وضع من منظومات فى العقيدة - أنذاك - وكما هو واضح فإن تلك المنظومات قد تفاوتت من حيث الإجادة والقيمة . وهو ما يؤكده إقبال العلماء على إعادة إنتاج منظومة دون أخرى . ولا يخفى علينا أن من أهم الأسباب التى جعلت هؤلاء العلماء يقومون بنظم العقيدة كما رأينا ، هو تقديم هذا العلم بصورة سهلة ومبسطه لطلبة العلم. وهذا ما لمسناه من منظومة اللقانى " جوهرة التوحيد "، التى ما زالت إلى اليوم تدرس بالمعاهد الأزهرية . على أن أهم ما يلفت الانتباه فيما سبق عرضه . أن العالم عقب

وضعه للمنظومة يقوم بشرحها ، وقد يرجع السبب فى ذلك إلى طبيعة المنظوم ، إذ يضطر العالم حين صياغة المادة بطريق النظم أن يعرضها بصورة مجمله ومغلقه، الأمر الذى يحتاج إلى شرح ما أستغلق ، وليس ثمة خير من يقوم بذلك من واضع المنظومة .

وإذا كان بعض الغلماء قد تناولوا هذا العلم بصورة إجمالية عن طريق النظم كما لاحظنا فإنهم قد وضعوا الكتابات الأخرى بالأسلوب النثرى المعتاد ، ونجد فى طليعة من قام بذلك، أحمد بن على بن محمد الشناوى (ت١٠٢٨هـ ـ ١٦١٩م). الذى قام بوضع مؤلف فى ذلك بعنوان " أقليد الفريد فى تجريد التوحيد ".(١٤)

ومنها ما نجده لـ أحمد المقرى (ت١٠٤١هـ ـ ١٦١٣م). الذى صنف عملاً بعنوان "إضاءة الدجنة بأنوار عقائد السنة".(١٥)كما قام أحمد الغنيمى (ت١٠٤٤هـ ـ ١٦٣٤م). بوضع مؤلف بعنوان " التسديد فى بيان التوحيد ".(١٦)

وهناك محمد بن على الملاطى الملقب بـ نيازى المصرى (ت١١٠٥هـ ـ ١٦٩٤م). الذى وضع رسالة فى نفس الموضوع . (١٧)كما نجد لـ محمد بن قاسم إسماعيل البقرى (ت١١١١هـ ـ ١٧٠٠م). مؤلفاً بعنوان " غنية الطالبين ومنية الراغبين فى علم التوحيد"(١٨) .

إذا ففيما يبدو أن هذه الأعمال وضعت لتوضيح علم التوحيد وتقديه فى أسهل صوره ، وهو ما يتوافق مع نفس الهدف الذى أقدم العلماء من أجله على تصنيف هذا العلم عن طريق النظم . وكما هو واضح أن جهود هؤلاء العلماء فى تناول علم التوحيد فى أعمال مستقلة ومبتكره ، سواء كان على طريق النظم ، أو غيره . قد جاءت قليلة ، وقد يكون تفسير ذلك ما كان يشعر به علماء تلك الفترة من التحرج عند الإقدام على وضع الأعمال المبتكرة فى كافة العلوم . ومما يؤيد هذا ما سنراه من كثرة مشاركة هؤلاء العلماء فى إعادة إنتاج أهم الكتب التى تناولت هذا العلم .

ومن أهم المشاركات التى استحوذت على قدر كبير من نتاج علماء ذلك القرن فى هذا العلم ، تلك التى أتت على هيئة شروح وحواش لأهم ما تم تصنيفه من قبل . ولم نر كتاب تناول ذلك العلم ونال اهتمام علماء ذلك القرن مثل ما ناله كتاب " أم البراهين " للسنوسى (١٩) (ت٨٩٥هـ ـ ١٤٩٠م) ومن فرط اهتمامهم واجتماعهم على هذا الكتاب يخيل إلينا أنهم تسابقوا فى شرحه وتعليق الحواشى عليه .

ونجد فى طليعة من قام بالتأليف على هذا الكتاب، العالم أحمد الغنيمى الذى

قام بوضع حاشية على مقدمة أم البراهين . سماها " بهجة الناظرين فى محاسن أم البراهين ".[20] وقد قال عنها: إنها من أجل مؤلفاته ، وبلغت ما يقرب عن نحو تسعين كراسة صغيره لم تكمل .[21]

ومن قام بوضع تحريراته على شرح السنوسيه ، العالم ياسين العليمى (ت١٠١٦هـ ـ ١٦٥٠م) الذى قام بوضع حاشية على شرح السنوسى على أم البراهين .[22]

ومنهم العالم على الجدولى المالكى (ت١٠٦٥هـ ـ ١٦٥٤م). الذى قام بوضع حاشية على شرح السنوسيه بعنوان " الفيوضات الربانية على شرح السنوسيه ".[23] كما نجد العالم محمد بن محمد بن المصرى ـ كان موجوداً سنة ١٠٦٦هـ ـ (١٦٥٥م). حاشية على ذلك الشرح بعنوان ، غاية الطالبين لما تضمنته أم البراهين ".[24]

ومن المهتمين بوضع تحريراته على ذلك الكتاب وشرحه، العالم داود الرحمانى (ت١٠٧٨هـ ـ ١٦٦٧م). حيث نجد له مؤلفين فى ذلك الأمر، الأول حاشية على الشرح.[25] والثانى كتابه المسمى " التحفة السندسية لمن يشتغل بشرح السنوسية"[26] ومن هذا العنوان يبدو لنا أنه تناول الكتاب بزاوية مختلفة عن الحواشى السابقة الذكر. ويشير فى مقدمة كتابه هذا، "أنه لما طالع عقيدة السنوسى تلك ـ ويقصد بها كتاب أم البراهين ـ طلب منه جماعة من الفضلاء ضبط بعض الألفاظ والإعراب ".وغير ذلك الكثير.

ولم يكتف هؤلاء العلماء بشرح ذلك الكتاب وتعليق الحواشى على شرحه ، بل قاموا بنظمه أيضاً ، فقد قام محمد بن السيد موسى بن محمد الحجازى (ت١٠٦٥هـ ـ ١٦٥٤م) بذلك وسمى كتابه " الحجة فى نظم أم البراهين ".[27] ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن على البهوتى الحنبلى (ت١٠٨٨هـ ـ ١٦٧٧م) الذى قام بنظم ذلك الكتاب تحت عنوان " الحجة فى نظم أم البراهين ".[28]

ومن كتب العقيدة التى نالت اهتمام علماء ذلك القرن . وظهرت لهم تصنيفات عليها ، كتاب " عقائد النسفى " للشيخ نجم الدين أبى حفص عمر بن محمد (ت٥٣٧هـ ـ ١١٤٢م). وهو متن متين اعتنى به جم غفير من العلماء للتصنيف عليه.[29] ونرى العلماء المهتمين بهذا العلم فى ذلك القرن قد تناولوا هذا الكتاب بالتصنيف عليه بعدة صور، فمنهم من نظمه ، ومنهم من وضع التحريرات على أهم شروحه .[30]

وأقبل علماء فترة هذه الدراسة بالتصيف على ذلك الكتاب وشرحه المذكور ، فمنهم من قام بنظمه (٣١) وغيره الذى وضع الحواشى على شرحه (٣٢)

ومن الكتب التى تناولت الحديث عن العقائد ، ونالت اهتمام علماء تلك الفترة ولكن بصورة أقل من الكتب السالفة الذكر . كتاب عقيدة ابن أبى زيد القيروانى.(٣٣) إذ نرى على الأجهورى يقوم بوضع شرح لتلك العقيدة .(٣٤)

ومنها " تذكره القرطبى " (٣٥) التى اهتم عبد السلام اللقانى بتعليق تحريراته عليها على شكل حاشية .(٣٦)

هذه أهم الكتب التى تناولت العقيدة بين طيات أوراقها وما صنف عليها من أعمال علماء ـ فترة دراستنا ـ وكما هو واضح أن هذه الأعمال قد تفاوتت فيما بينها من درجة جذب انتباه العلماء إليها . وذلك حسب إجادتها وقيمتها العلمية ، على أن أهم ما يشار إليه فى هذا الصدد . أن معظم أعمال هؤلاء العلماء جاءت على الشروح لا على المتون نفسها . وهو ما يؤكد ما نوه إليه سابقاً من أن علماء تلك الفترة لم يكن يعنيهم إعادة إنتاج كتب السابقين بقدر ما كان يعنيهم مدى الإضافة والإفادة التى سوف تعود من وراء كتاباتهم على تلك الكتب .

على أن الناظر فى هذه الأعمال التى جاءت على كتب السابقين ، والأعمال المستقلة ـ التى أشير إليها من قبل ـ يجد أن علماء تلك الفترة قد جاءت كتاباتهم فى هذا العلم بصورته الإجمالية من ثلاث زوايا ، وهو الأمر الذى لم يتوفر لأى علم من العلوم الأخرى . وهذا مما لا شك فيه يعد مؤشراً قوياً إلى إدراك هؤلاء العلماء الحاجة الملحة إلى توضيح هذا العلم . وإبرازه فى أكثر من صورة ليتمكن الجميع من الاستفادة به سواء كانوا من طلبة العلم أو غيرهم ، ولما كان هذا العلم من أكثر العلوم احتكاكاً بأفراد المجتمع ، وخاصة فى نواحى العقيدة ، لنا أن نتساءل إذا ما هو دور العلماء فى تقويم المسار العقائدى لأبناء مجتمعهم ، وتصحيح المفاهيم لديهم ؟ هذا ما سنعرفه فى الصفحات القادمة .

إن من أهم أشكال مصنفات علم الكلام ، خلال ذلك القرن ، تلك الأعمال التى تعالج جوانب معينة من هذا العلم ، والتى تدل دلالة واضحة على أن هؤلاء العلماء قد وضعوا أيديهم على مواطن سوء الفهم التى تعترى عقيدة الناس ـ آنذاك ـ والتى جاءت تلبية لحاجة أفراد المجتمع إلى توضيحها لهم. وقد جاءت معظم المصنفات التى تناولت هذه الجوانب على هيئة رسائل .

وكما عودنا دائماً مرعى الحنبلى (ت١٠٣٣هـ -١٦٢٣م). أن يكون فى طليعة المهتمين بعلاج أدواء المجتمع ، فإنا نرى له أكثر من مصنف فى هذا العلم ، وكلها تدل على أنها أتت لتوضيح أكبر قدر ممكن من الأمور التى تطلبت حالة المجتمع توضيحها ، وذلك لبعض القصور فى معرفتها . ومن تلك المصنفات . كتاب بعنوان " توضيح البزهان فى الفرق بين الإسلام والإيمان " ، وآخر بعنوان " إرشاد ذوى العرفان بما فى العمر من الزيادة والنقصان ". وغيرهما بعنوان " تحقيق المقالة هل الأفضل فى حق النبى الولاية أو النبوة أو الرسـالة ؟ ".(٣٧)

ومن أعماله أيضاً فى هذا المجال ، تلك المتعلقة بأمور أخروية ، أو غيبية . منها كتاب بعنوان " تحقيق البرهان فى إثبات صفة الميزان ". ومنها أيضاً " تحقيق الخلاف فى أصحاب الأعراف ". وغيره بعنوان " توقيت الفريقين على تخليد أهل الدارين . ومن تلك النوعية كتاب بعنوان " أرواح الأشباح فى الكلام على الأرواح ".(٣٨)

وهناك مؤلف آخر له فى هذا الشأن بعنوان " بهجة الناظرين وآيات المستدلين ".(٣٩)قال عنه صاحب الفوايد : إنه أتى فى عشرين كراسه ، اشتمل على العجايب والغرايب ، وفرائد الفوائد ".(٤٠)

ومن العلماء الذين صنفوا على شاكلة هذا الأمر، محمد حجازى الواعظ (ت١٠٣٥هـ - ١٦٢٥م). الذى وضع رسالة بعنوان " القول المشروح فى النفس والروح".(٤١)

ومن أبرز علماء العصر العثمانى فى هذا العلم خلال فترة دراستنا أحمد الغنيمى (ت١٠٤٤هـ - ١٦٣٤م). الذى نرى له فيما يخص هذا الجانب أكثر من مصنف ، من ذلك رسالة فى " أن الله سبحانه وتعالى قديم بالـذات والزمان ". وقد قال عن سبب وضعها وذلك : " رداً على من أعترض علينـا فى خطبة حاشيتنا أم البراهين ، حيث قلنا فيها ذلك ، وهى مفيدة عزيزة ".(٤٢) وله رسالة أخرى ، "فى صفات الله الذاتية "، ويليها جواب سؤال يتعلق بالمستحيل . (٤٣)

ومن المهتمين بهذا العلم والتصنيف على الشكل السابق الذكر على الحلبى (ت١٠٤٤هـ - ١٦٣٤م). إذ نجد له أكثر من مصنف ، منها ما كان بعنوان " تحرير المقال فى بيان وحدة من نحو لا إله إلا الله وحده من أى أنواع الحال ".(٤٤) وغيره بعنوان عقيدة المرجان فيما يتعلق بالجان ". كما نجد آخر بعنوان " القول المطاع فى الرد على قول الابتداع ".(٤٥)

ومن صنف على هذا الشكل أيضاً على الأجهورى(ت١٠٦٦هـ - ١٦٥٥م) . وذلك بوضعه مصنف بعنوان " الالتجاء إلى المنان فى أسباب حفظ الإيمان ".(٤٦)

ومن المهتمين بالتصنيف على الصورة السابقة أيضاً شهاب الدين الخفاجى. الذى قام بوضع رسالتين لإظهار بعض الأمور الخاصة بالإيمان . الأولى فى " الإيمان وكونه مخلوقاً أو غير مخلوق ". والأخرى فى " الإيمان وهل يكون بمشيئة الله أم لا ".(٤٧)

ومن الأعمال الهامة التى أتت على هذا الشكل . تلك الرسالة التى قام حسن الشرنبلالى. بوضعها بعنوان " إكرام أولى الألباب بلذيذ الخطاب ".(٤٨) وكما تعلم أن هذا الرجل قد غلب على اهتمامه الجانب الفقهى ، وأن معظم رسائله التى وضعها عبارة عن إجابات لأسئلة رفعت إليه . ولكن الناظر إلى منهجه فى هذه الرسالة يرى أنها أولاً بعيدة عن النواحى الفقهية . وهى ثانياً لم تكن إجابة على سؤال وجه إليه، ولكنها أتت بعد تفكر فى قوله تعالى : " وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة .. الأية ".(٤٩) فى الطريقة التى يكلم الله - (- بها الملائكة، هل هى كطريقة كلامه وخطابه للأنبياء ؟ ثم تطرق لأمور أخرى ، منها كيفية خطابه جل علاه لنبيه محمد - (- فى معراجه إليه ، ورؤيته - (- لربه عز وجل فى الملأ الأعلى . ولقد عالج الشرنبلالى الأمور التى تضمنتها رسالته بصورة تكشف عن تبحر وتعمق فى علم التوحيد ، فقد جمع معظم الأراء التى قالها السابقون من العلماء ، ثم حاول التوفيق بينها والرد على بعضها.

ومنها الرسالة التى تنسب للعالم على الشبراملسى (ت١٠٨٧هـ - ١٦٧٦م). فى " معنى اللاهوت والناسوت ".(٥٠) أيننما ما وجد لـ أحمد بن عبد الغنى الدمياطى (ت١١١٦هـ - ١٧٠٤م) من مصنف بعنوان "ذخائر المهمات فيما يجب الإيمان به من مسموعات".(٥١)

فهذا إذن أهم ما تناولـه علماء تلك الفترة من موضوعات فى هذا الجانب، وكما هو واضح أن الكثير من تلك الموضوعات متعلق بالأمور الغيبية ، وقد يرجع ذلك إلى أنها من أكثر الأمور التى تتطرق إلى أذهان الكثير من الناس - العامة منهم - الأمر الذى حدا بأولى العلم أن يوضحوا تلك الأمور ، وينهضوا إلى تصحيح ما يترامى إلى إسماع أبناء مجتمعهم من مفاهيم خاطئة حولها ، ولما كان الإيمان بتلك الأمور يعد من أركان الإيمان الهامة فلم ينس هؤلاء العلماء أن يفردوا المؤلفات الخاصة لتوضيح الإيمان وإبراز أهم أسباب حفظه .

وباعتبار أن التصوف كان من أكثر الظواهر الاجتماعية التى استشرت بين مجتمعات ذلك العصر ، وما كان يصحب ذلك من تسرب بعض المعتقدات الخاطئة لذا لنا أن نتساءل ما هو دور علماء ذلك القرن فى تصحيح تلك المعتقدات ، والتصدى لما كان يروجه بعض المتصوفة من تلك المفاهيم ؟.

فى الحقيقة يعتبر الحديث عن التصوف من أهم المجالات التى تناولتها أقلام المهتمين بعلم الكلام فى تلك الفترة وذلك نظراً لاستشراء ظاهرة التصوف بين أفراد المجتمع ، وما تبع ذلك من انتشار بعض المعتقدات الخاطئة لدى الكثيرين : كالاعتقاد فى كرامات الأولياء فى حياتهم واستمرارها بعد وفاتهم ، وما كان يصاحب هذا الاعتقاد من التوسل لهم وتقبيل أعتابهم وغير ذلك من الأفعال ، ومن المعتقدات ما قاله الصوفيه عن بقاء الخضر حياً ، وعدم وفاته .

ويأتى فى طليعة معتقدى التصوف فى ذلك القرن ، العالم عبد الرءوف المناوى (ت١٠٣١هـ - ١٦٢١م). الذى كان له اهتمام بالغ بالدفاع عن التصوف ومعتقديه ، ووضع فى ذلك الغديد من المؤلفات منها كتاب " إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن ".(٥٢) ويقصد بأولياء الشيطان هنا ، المنكرون لكرمات الأولياء ومع ذلك لم يكن المناوى من المغالين فى تصوفهم ، حيث كان يقف موقفاً معادياً ضد المغالين فى تصوفهم الذين يبالغون فى وصف الأولياء . حتى أنه وصف هؤلاء المغالين بأهل الإلحاد . ومن ذلك ما أورده فى كتابه " الكواكب الدرية فى تراجم الصوفية ". إذ أنه يرى أن الولى ، لا يبلغ درجة النبى ، ولا تسقط عنه التكاليف بكمال الولاية كما إدعى بعض أهل الإلحاد والاتحاد . حيث أشار إلى مزاعم هؤلاء قولهم : " إن الولى إذا بلغ الغاية فى المحبة وصفاء القلب وكمال الإخلاص ، سقط عنه الأمر والنهى ، ولم يضره ذنب ، ولا يدخل النار بارتكاب الكبائر " ثم يعقب بقوله : " وذلك باطل بإجماع المسلمين ، ثم قال : " ولا تكون ولاية غير النبى أفضل من النبوة بحال ، وإنما الكلام فى ولايته - أى النبى - فقيل هى أفضل لما فيها من معنى التقرب وكمال الإخلاص ، وقيل بل نبوته لما فيها من الوساطة بين الحق والخلق ، ثم إن ظهور الكرامة لا يدل على أفضلية ، وإنما هى بقوة الإيقان وكمال العرفان ".(٥٣)

ومن تلك المؤلفات التى جاءت لتؤيد ما يعتقده المتصوفة رسالة العالم محمد الشوبرى (ت١٠٦٩هـ - ١٦٥٨م) فى كرامات الأولياء ، وقد وضعت كإجابة على بعض

الأسئلة لهذا العالم المتصوف ، وكانت معظم الأسئلة تدور حول معتقدات المتصوفة عن الأولياء وكراماتهم ، وجاءت الإجابة بما يؤيد صحة هذه المعتقدات ، وجواز كل ما يفعله المتصوفة .(٥٤)

وقد أتت بعض هذه المصنفات بلهجة شديدة مليئة بالتعصب لمعتقدات الصوفية ، والوعيد لمن ينكر ذلك ، وهو ما نراه العالم عبد الباقى الخزرجى (ت١٠٧٨هـ ـ ١٦٦٧م) من وضعه رسالة بعنوان " السيوف الصقال فى رقبة من ينكر كرامات الأولياء بعد الانتقال ".(٥٥)

وهناك بعض الكتابات التى وضعت لتأييد تلك المعتقدات مع ذكر الكثير من الأدلة على إثبات صحتها وهو ما نجده لـ أحمد بن السيد الحموى (ت١٠٩٨هـ ـ ١٦٨٧م) من مصنف بعنوان " نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى، والكرامة بعد الانتقال ".(٥٦) وأيضاً ما نراه لـ إبراهيم البرماوى (ت١١٠٦هـ ـ ١٦٩٤م). الذى وضع رسالة بعنوان " الدلائل الواضحات فى إثبات الكرامات والتوسل بالأولياء فى الحياة وبعد الممات ".(٥٧)

ولم يعدم هذا المجال من وجود بعض الكتابات التى جاءت رداً على ما يفعله بعض المتصوفة المغالين فى معتقداتهم ، ومن ذلك ما نراه من الشيخ صفى الدين محمد بن أبى أحمد ـ وهو من علماء ذلك القرن ـ الذى قام بوضع مصنف تحت عنوان " الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة ".(٥٨)

وضمن معتقدات المتصوفة والتى دافعوا عنها فى كتاباتهم الاعتقاد فى بقاء حياة الخضر وعدم وفاته ، ويأتى فى مقدمة من أفرد لهذا الأمر الأعمال الخاصة به، أحمد الغنيمى. وذلك بوضعه مصنفاً بعنوان " القول المقبول فى الخضر هل هو بنى أم ملك أم رسول ؟ ".(٥٩) كما نجد الشيخ العالم نوح الرومى (ت١٠٧٠هـ ـ ١٦٥٩م). يضع رسالة تؤيد هذا المعتقد تحت عنوان "القول الدال على حياة الخضر ووجود الإبدال".(٦٠)

وعلى الجانب الآخر نرى مرعى الحنبلى. يقول بوفاة الخضر ـ معتمداً فى ذلك على آراء أستاذه ابن تيمية ـ ويضع فى ذلك مؤلفاً بعنوان " الروض المنطق فى الكلام على الخضر ".(٦١) وفى الواقع لم تقف ردود هذا الرجل على الصوفية عند هذا العمل فحسب ، بل له معهم جولات سابقه ، منها كتابه " رفع الشبهة والغرر على من يحتج

على فعل المعاصى بالقدر "، عرض فيها بالاتحادية والحلوليه الذين وقعوا فى الإباحية ، وغرقوا فى المعاصى وتركوا الفرائض مجتمعين على هذا بأنه مقدر عليهم ، لا يستطيعون تركه ، وقد اعتمد الشيخ مرعى فى هذا الموضوع على أراء ابن تيمية أيضاً . (٦٢)

وهكذا يبدو لنا وفرة مؤلفات أهل التصوف ، تلك التى تؤيد ما ذهبوا إليه من معتقدات ، وهذا يحمل الكثير من المؤشرات ، لعل من أهمها أنها كانت تؤكد على وجود الكثير من المشككين فى صحة هذه المعتقدات ، مما دعى إلى إنتاج وفرة من الكتابات للإجابة عن الأسئلة التى تطرحَ فى هذا الشأن الأمر الذى يشير فى حد ذاته إلى أنه قد ظهرت روح فكرية نادت بنبذ تلك الأفكار والمعتقدات الصوفيه ، وأن هذه الروح قد سبقت الدعوات ـ كالدعوة السلفية (الوهابية) فى نجد ـ وغيرها . التى ظهرت فى البلاد الإسلامية الأخرى . هذا وإن كان ثلة من علماء ذلك القرن قد اعتقدوا التصوف ، إلا أنهم اتخذوا موقفاً معادياً للمتصوفة المغالين فى بعض القضايا .

تلك إذن إطلاله سريعة على الدراسات الخاصة بعلم الكلام خلال ذلك القرن ، ويتضح لنا منها مدى النشاط الذى لقيته تلك الدراسات ، وقد كشف لنا هذا النشاط عما كان يتمتع به ذلك القرن من وجود شخصيات علمية ذات كفاءة عالية فى هذا العلم، وإدراك تلك الشخصيات لأهمية علم الكلام فيما يخص العقيدة الإسلامية ، ومن ثم جاءت كتاباتهم بما يتناسب وفئات المجتمع المختلفة ، كما لمسنا أنهم وضعوا أيديهم على مواطن الخلل التى تؤثر على بعض جوانب العقيدة لدى الكثير من أفراد المجتمع ، فجعلوا أقلامهم بمثابة الطبيب الذى يضع الدواء والوقاية ، وأخيراً رأينا ما لمسه هؤلاء العلماء من انتشار التصوف وما تبعه من انتشار البدع والمغالاة فى بعض المعتقدات ، وتصديهم لتصحيح المفاهيم وهو ما يكشف لنا أولاً وأخيراً عما كانت تنبض به الحياة الفكرية آنذاك من روح نشطة ومستمرة فى أداء رسالتها .

علمى الفلسفة والمنطق : (٦٣)

من المفيد لنا قبل الخوض فى معرفة مدى اهتمام ومشاركة علماء العصر العثمانى وخاصة القرن ـ محل الدراسة ـ بهذين العلمين ، أن نلقى نظرة موجزة سريعة على موقف علماء العالم الإسلامى ـ فى العهود السابقة ـ تجاههما ، لمعرفة مدى تأثير هذا الموقف على تناول علماء القرن الحادى عشر الهجرى ـ الـ١٧م ـ لكلا العلمين .

من الواضح أنه قد تتابعت بعض العوامل والأحداث الهامة التى جعلت مصر وغيرها من أقطار العالم الإسلامى الأخرى تبتعد عن هذين العلمين وتكون حذره فى التعامل معهما ، فكما نعلم أن مصر منذ دخولها الإسلام هى وغيرها من الأقطار الأخرى كانت تسير على مذهب أهل السنة ، هذا المذهب الذى كان بسيطاً فى عقيدته ، وتمسك أصحابه بالنصوص الشرعية . وتقديمها على العقل مع عدم أهمالهم له . وبذا كانوا بعيدين فى تعاملهم مع الفلسفة والمنطق . هذا بخلاف المذاهب الأخرى ،وخاصة المعتزلة الذين قدموا العقل على التمسك بالنصوص الشرعية ، ومن ثم كان من أهم الأسلحة التى اعتمدوا عليه فى ذلك سلاح الفلسفة والمنطق .

ولقد ناصب المعتزلة مذهب السنة العداء ، كما فعلوا مع الزنادقة وغيرهم ، ولقد أشتد هذا العداء عندما اقتنع خلفاء الدولة العباسية بمذهب الاعتزال ، فأوغرت قلوب هؤلاء الخلفاء ضد أصحاب المذهب السنى، فحدث لهم ما يشبه الاضطهاد من قبل هؤلاء الخلفاء . وكان ذلك فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ، وشىء غير يسير من النصف الثانى منه ، حتى ظهر الخليفة المتوكل الذى انتصر لمذهب السنة على المعتزلة . (٦٤)وقد ترتب على ذلك أن ورث أصحاب مذهب السنة الكره لتلك العلوم ، مع كرههم لمن تسلحوا بها وهم المعتز له .

واستمر العمل فى مصر بهذا المذهب إلى أن ظهر العبيديون الذين استقلوا بمصر عن الخلافة العباسية ، وأقاموا خلافتهم الفاطمية ، وكما نعلم أن تلك الدولة أبطلت العمل بالمذهب السنى وعملت على نشر مذهبها الشيعى بشتى الوسائل ، ولما كان مذهبهم شديد الغموض لاعتماده على العقل أكثر منه على النقل ، لذا ظهر ميل هذه الدولة إلى الفلسفة لحاجتها إلى نشر تلك العقيدة التى شعرت يومئذ بغرابتها كل الغرابة عن الأوساط السنية فى مصر . (٦٥)

واستمر الحال على ذلك بتعطيل العمل بالمذهب السنى ، والعمل بالمذهب الشيعى ، حتى تم الأمر لصلاح الدين الأيوبى بالقضاء على الخلافة الفاطمية ، ومن ثم عطل العمل بالمذهب الشيعى ، وأعاد العمل مرة أخرى بالمذهب السنى فى مصر ، وسيراً على قواعد المذهب السنى نجد أن كلاً من الدولتين الأيوبية والمملوكية قد اتخذتا موقفاً متشدداً ضد علمى الفلسفة والمنطق والمشاركين فيهما .

فمن ذلك ما أمر به صلاح الدين ولده الملك الظاهر بإبعاد "السهروردى" عن حلب لإنه كان من المشتغلين بعلوم الأوائل وله عدة تصانيف فيها . (٦٦)أيضاً ما قاله ابن

الصلاح الشهرزورى (ت٦٤٣هـ ـ ١٢٤٥م). من أن الفلسفة أس السفة والانحلال ، والمنطق مدخل الفلسفة ، ومدخل الشرشر ".[٦٧] وها هو العالم الإسلامى المفسر الشيخ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسى (ت٧٤٥هـ ـ ١٣٤٥م). يصف فى تفسيره المسمى بـ " البحر المحيط " الفلاسفة بأنهم سفهاء وجهالاً ، وأنهم أعداء الأنبياء ، والمحرفون للشريعة الإسلامية .[٦٨] وغير ذلك من أمثلة الكراهية الأخرى ـ وما من شك فى أن أراء هؤلاء العلماء ما كانت إلا تعبيراً عن الرأى السائد فى البيئات السنية فى مناطق واسعة من العالم الإسلامى فى تلك الفترات .

وهكذا اتضح لنا كيف ترسبت فى أذهان المسلمين فى تلك العهود كراهية الفلسفة والفلاسفة : وما يتبعها من علوم ، ولنا أن نتساءل إذا ما مدى تأثير هذا الموقف الذى اتخذه علماء تلك الأزمنة تجاه هذين العلمين ، على علماء العصر العثمانى ، ومدى مشاركتهم فيهما ؟.

فى الحقيقة لو نظرنا نظرة فاحصة فى تراث ذلك العصر ، لوجدنا أن هذا الموقف الذى أتخذ من قبل علماء العالم الإسلامى فى تلك العهود ، كان له تأثيره البالغ فى جانب واحد ، دون غيره .

فأما الجانب الذى كان فيه هذا التأثير بالغاً ، فهو عدم تعمق علماء ذلك العصر فى دراسة الفلسفة وإعطائها نفس الاهتمام الذى أعطى لباقى العلوم الأخرى ، ولذلك نرى أنه من العسير جداً أن يكون ذلك العصر قد أنجب من يستحق أن يشار إليه بالبنان على أنه فيلسوف ، سواء من قريب أو بعيد ، أو تكون له مشاركة فى الفلسفة بنفس حجم ما شارك به فى العلوم الأخرى ، أو حتى أى مساحة من المناهج التعليمية داخل الأزهر أو غيره .

أما الجوانب التى لم يكن للموقف المشار إليه أدنى تأثير عليها ، منها النظرة العامة وموقف علماء ذلك العصر تجاه تلك الفنون والمشاركين فيها. إذ نجدها مغايرة تماماً لنظرة علماء العهود التى سبقتهم ، فلم نرهم انقصوا من قدرها ، أو أشاروا إلى المشاركين فيها بالسفة والجهل ، ولم يرموهم بالكفر ، ولم يقوموا بإصدار الفتاوى لتحريم التعامل مع هذه الفنون ، كما فعل سابقوهم .

بل بالعكس نراهم عندما يقومون بالترجمة لعلماء عصرهم كانوا يتلمسون لهم أدنى مشاركة فى هذه الفنون حتى يضيفوا لهم بعض المزايا التى ترفع من

قدرهم.(٦٩)وليت الأمر وقف عند بحث هؤلاء العلماء عن مشاركة أقرانهم فى الفلسفة والمنطق وحسب ، بل وصل الأمر إلى البحث عن مشاركة لهؤلاء العلماء فى الفنون الأخرى كالأوفاق ، والزايرجا التى تنسب لعلوم السحر ، وهو ما سنعرفه بوضوح فى حينه .

ومن هنا نرى كيف أن هؤلاء العلماء كانوا يحترمون من كانت له أدنى مشاركة فى تلك الفنون ، ويرون فيمن له مشاركة فيها ميزة عن غيره . ولعل سائل أن يسأل لم جعلت تراجم هؤلاء العلماء المقياس على ما أقول ؟ وتكون الإجابة على مثل هذا السؤال، أن هؤلاء العلماء الذين قاموا بترجمة أبناء عصرهم كانوا خير ناقل لما يحدث فى الأوساط العلمية آنذاك ، من شتى المواقف التى يتخذها علماء عصرهم تجاه العلوم المختلفة ، لأن أغلب المادة التى يستقون منها تلك التراجم ما يتفوه به العلماء أنفسهم .

أما مشاركة علماء ذلك القرن فى كلاً العلمين فنجدها كالآتى :-

ففيما يتعلق بالفلسفة ـ فكما نوهنا ـ كان احتكاكهم بهذا العلم قليلاً نادراً ، ولذا فقد أتت مشاركتهم محدودة للغاية ، ومنها ما نجده لـ عبد الرءوف المناوى من شرح على قصيدة النفس(٧٠) لابن سينا . (٧١) أيضاً شرح لـ مدين القوصونى (ت١٠٤٤هـ ـ ١٦٣٤م). على القصيدة نفسها تحت عنوان "القول الأنيس والدر النفيس على منظومة الشيخ الرئيس". (٧٢)

أما فيما يتعلق بالمشاركة فى علم المنطق ، فنجد الأمر على عكس ما رأيناه فى الفلسفة ، حيث نرى أن علماء ذلك القرن قد أولوا المنطق اهتماماً كبيراً سواء فى الحرص على تعلمه ، أو المشاركة فى التصنيف فيه .

أما فيما يتعلق بحرص هؤلاء العلماء على تعلم وتعليم المنطق ، فنجد ذلك بصورة واضحة من خلال الإجازات التى كانت تمنح لطلبة العلم آنذاك.(٧٣)

وأما التصنيف فى هذا العلم فهو قليل إذا ما قورن بالعلوم الأخرى، أما الكيف فإنه أتى كعادة علماء ذلك العصر فى التصنيف ، ما بين انتخاب أهم كتب العلم والعمل على إعادة إنتاجها إما بالشرح أو تعليق الحواشى عليها ، أو اختصاص إحدى مسائل هذا الفن بالكتابة ،أو وضع الكتابات الموضحة له .

أما الصورة التى جاءت عليها معظم إسهامات علماء تلك الفترة فى هذا العلم ، إعادة إنتاج أهم كتب السابقين ،ومما يلاحظ فى هذا الشأن أن تحريرات هؤلاء لم تخرج عن كتابين ، أولهما كتاب " إيساغوجى "(٧٤) وهو مختصر للعالم أثير الدين مفضل

بن عمر الأبهيرى (ت٧٠٠هـ - ١٣٠١م) وكتاب " تهذيب المنطق والكلام .[٧٥] للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى (ت٧٩٢هـ - ١٣٩٠م).

ويأتى على رأس المهتمين بالتصنيف على كتاب " إيساغوجى " من العلماء محمد بن على بن محمد بن على الشبراملسى المالكى (ت١٠٢١هـ - ١٦١٢م). الذى قام بشرحه .[٧٦]

أما عن التحريرات التى وضعت على ذلك العمل ، فنجدها قد تركزت على شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصارى له . ونجد ممن اهتم بوضع تحريراته على ذلك الشرح ، أحمد القليوبى . وذلك بوضعه حاشية تحت عنوان " الدرة البهية على شرح المقدمة الإيساغوجية ".[٧٧]

ومن هؤلاء أحمد بن أحمد الفيومى المالكى - المعروف بالفرقاوى (ت١١٠١هـ - ١٦٨٩م). الذى قام بوضع حاشية على الشرح المذكور [٧٨] . وهناك الشيخ العالم محمد الخرشى (ت١١٠١هـ - ١٦٨٩م) له حاشية على نفس الشرح .[٧٩]

أما عن التصنيف على كتاب التهذيب للتفتازانى ، فقد أتت مشابهة للتعامل مع كتاب " ايساغوجى " فهناك من قام بشرح الكتاب ، وغيره قد وضع الحواشى على أهم شروحه . وممن قام بشرحه، أحمد الوراثى الصديقى (ت١٠٤٥هـ - ١٦٤٥م).[٨٠] ومنهم على الأجهورى (ت١٠٦٦هـ - ١٦٥٥م).[٨١]

بينما قام الشيخ ياسين الحمصى (ت١٠٦١هـ - ١٦٥٠م). بوضع حاشية [٨٢]على شرح الخبيصى [٨٣] للكتاب المذكور .

أما عن الصور الأخرى التى عليها جاءت تصانيف العلماء فى هذا العلم. فمنها التى عنيت بتوضيح أصول العلم المذكور ، ومن صور ذلك ما قام به العالم عبد الرءوف المناوى (ت١٠٣١هـ - ١٦٢١م). الذى قام بوضع مؤلف بعنوان " إعلام الأعلام بأصول فنى المنطق والكلام ".[٨٤]

أما التـأليف حول بعض الموضوعات أو الجزئيات المنطقية فممن اهتم بذلك أحمـد الغنيمى. الذى قام بوضع رسـالة متعلقة بتحـرير النسب الأربع مع نقائضها المذكورة فى أوائل المنطق.[٨٥] العالم أحمد القليوبى. حيث قام بوضع رسالة بعنوان " أقسام القياس فى علم المنطق ".[٨٦]

وهكذا نجد أن الفلسفة والمنطق لم تسر اهتمامات علماء القرن فيهما على وتيرة واحدة ، فبينما تضاءل دور المشاركة فى الفلسفة كان الدور واضحاً فى المشاركات المنطقية .

ولعل من أهم أسباب تضاؤل النتاج الفلسفى ذلك الموقف المتشدد الذى اتخذه العلماء السابقون تجاه الفلسفة والمشتغلين بها. ما ترتب عليه أن قلت الدراسات الفلسفية كجزء من المناهج التعليمية التى كان يدرسها علماء فترة دراستنا ، الأمر الذى كان له تأثيره بلا ريب فى عدم تعمق العلماء فى الدراسات الفلسفية . وفى الوقت نفسه فإن ذلك الموقف لم يكن له أدنى تأثير فى احترام الفلسفة ورجالها وتقدير العلماء لهم ولجهودهم .

وفى الجانب الأخر رأينا اهتماما واضحاً من قبل العلماء بالدراسات المنطقية ، وذلك على الرغم من أن موقف سابقيهم تجاه هذه الدراسات لم يختلف عن موقفهم تجاه علم الفلسفة ورجالها ، وقد يكون السبب الأساسى فى الاهتمام بعلم المنطق ، فإنهم أدركوا أهميته وفائدته ، فعلاوة على إنه يساعد على ترتيب المعلومات والقضايا فى مقدمات ونتائج فإنه يصقل المرء بالقوانين التى بها يتمكن ويعرف الحجج المفيدة من الفاسدة ، ولعل هذا يفسر لنا الحكمة التى دفعت بهؤلاء العلماء ومن سبقهم أن يدمجوا علم المنطق وعلم الكلام فى أعمال واحدة . (٨٧) ولا ننسى أن نضيف إلى أسباب اهتمام علماء تلك الفترة بعلم المنطق أنه كان مدرجاً ضمن المناهج التعليمية التى يدرسونها فى مراحلهم التعليمية العليا . الأمر الذى لم يتوفر للدراسات الفلسفية آنذاك.

علمى الفلك والرياضيات :

كثيراً ما وصفت هذه العلوم بأنها وصلت إلى أحط درجات التخلف فى العصر العثمانى ، فقد وصفها جورجى زيدان بقوله : " وبلغت هذه العلوم فى هذا العصر غاية الاضطراب ، وتحولت الطبيعيات والرياضيات منها إلى خرافات وأوهام ، وقل المشتغلون بها ، والانقطاع لها ". (٨٨)

وعند حديثة عن علم الفلك نراه يقول :" فظهرت طائفة من علماء الفلك، وأكثر اشتغالهم منه لتعيين أوقات الصلاة أو الأذان ، أو معرفة الطوالع ، والسعود ، والنحوس ". (٨٩)

وهذا الرأى يحمل الكثير من الإجحاف الشديد لجهود علماء الرياضيات فى ذلك العصر ، أما فى علم الفلك، فنراه يحصر اهتماماتهم به فى موضوعات محدودة ، كتعيين الأوقات لأداء الصلاة وغيرها ، وموضوعات تتعلق بالتنجيم أكثر منها بعلم الفلك نفسه

، ومع إقرارانا بأهمية تحديد أوقـات الصلاة كأحد أهم أركان الإسلام وتسليمنا بأن جهود العلماء فى هذا الأمر تـذكر لهم وتشكر ، إلا أننا لا نستطيع التسليم جملة بما قاله جورجى زيدان وغيره .

وحقيقة الأمر أن الاهتمام بهذه العلوم فى عصر دراستنا أتى فى المرتبة الثانية بعد الاهتمام بالعلوم الدينية ، واللسانية ، إلا أن الأمر لم يتدن إلى الحد الذى ذكر سلفاً ، فسنجد أنهم استخدموا الآلات والأدوات ، واخضعوا دراساتهم للتجربة الأمر الذى جعل نتائجهم تتسم بالدقـة والموضوعية .

ـ وسنتناول أولاً الدراسات الفلكية والعلوم المتصلة بها :

فبالنسبة لعلم الفلك نلاحظ أنه كان يوجد هناك اهتماماً زائداً بهذا العلم ـ ولا ننسى ونحن نتحدث عن هذا العلم أن الإسلام دعانا عن طريق آيات الله البينات إلى النظر فى السموات والتفكر والتدبر ، وتحدث عن كثير من الظواهر الطبيعية ، الأمر الذى يبدو أنه لفت انتباه العلماء المسلمين إلى الاهتمام بتلك الأمور ـ وقد شهدت تلك الفترة وجود طائفة من العلماء الذين اختصوا به وأشير إليهم بالبنان ، وطارت مصنفاتهم عبر الأفاق واتخذها الطلاب مناهج دراسية ، ذلك بالإضافة إلى مشاركة غير المتخصصين الذين وضعوا مصنفاتهم على صورة جديرة بالاحترام .

ولقد تعرض هؤلاء العلماء لموضوعات أكثر حيوية ، حيث تجدهم قد اعتنوا برصد جميع ما يمكنهم من معلومات تتعلق بالكون المحيط بهم من كواكب ، ونجوم ، وما يظهر من أذناب ، وأحوال الشمس والقمر من حركات كسوف وخسوف ، وغير ذلك من الظواهر الطبيعية .

على أن أهم ما يلفت النظر فى جهود علماء ذلك القرن فى هذا العلم ، أن معظمها قد انصب علي وضع المصنفات في الموضوعات التى دوماً ما يحدث لأفراد المجتمع العاديين الحيرة من أمرها ، كالمسائل الخاصة بالتقويم ، وكيفية تحديد التاريخ القبطى والتاريخ العربى ، وتحديد اتجاه القبلة من غير استخدام آلة ليلاً أو نهاراً ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تضمين تلك المصنفات النصائح المهمة لصحة الإنسـان ، وأهم الإرشادات المتعلقة بالزراعة ، مثل المواعيد المناسبة لزراعـة المحاصيل المختلفة ، ومواعيد حصادها ، والمواعيد المناسبة لتخفيف الملابس ، ومواعيد زيادة النيل ، ومواعيد هبوب

الرياح ، وغير ذلك من الأمور التى تخدم المجتمع والتى تعد من صميم الدراسات الفلكية والطبيعية .

ومن الأمور التى اهتم بها علماء تلك الفترة التصنيف فى الأزياج.[٩٠] وهو من أهم فروع الفلك ، الأمر الذى يدل على قدرة من يتصدى لدراسته والكتابة فيه

ولم يفت العلماء فى تلك الفترة أن يضعوا المصنفات التى تحمل التوضيح والتبسيط لعلم الفلك للباحثين عنه من الطلبة ، حتى يتسنى لهم تعلمه والتمكن منه .

ولقد راقب العلماء معظم ما كان يطرأ على بلدانهم من ظواهر طبيعية فكانوا يقومون برصد تلك الظواهر وتفسيرها ومن ذلك ما حدث فى الربع الأخير من ذلك القرن ـ (محل دراستنا) ـ الذى شهد خسوف للشمس وكسوف القمر ، فقام علماء الفلك آنذاك برصد هاتين الحادثتين ـ وسوف تشير إليهما الدراسة فى حينه .

أيضاً لا ننسى أن هناك بعض الوظائف قد اقترن الحصول عليها بكون صاحبها على دراية بعلم الفلك ، حتى يؤديها على أكمل وجه ، وفى مقدمتها وظيفة الميقاتى . (الذى عليه تحديد الأوقات لرفع الأذان فى مواقيت الصلاة الخمس) . سواء كان ذلك فى المساجد أو المدارس ، وكلما عظم المكان احتيج إلى من هو أكثر دراية بهذا العلم ، ولأهمية تلك الوظيفة كان يشترك فيها أكثر من شخص فى المكان الواحد .[٩١]

وقد نوهنا سابقاً إلى وجود مشاركة فى هذا العلم لعلماء تخصصوا فى علوم أخرى وقد دلت مشاركتهم على زيادة تمكنهم ، وفى طليعة هؤلاء الشيخ الأديب سراج الدين عمر الفارسكورى (ت١٠١٨هـ ـ ١٦٠٩م) الذى وضع فى هذا العلم مؤلفاً بعنوان " ناشئة الليل ونظم الارتشاف " .[٩٢]

ومنهم عبد الله بن عبد الرحمن الدنوشرى (ت١٠٢٥هـ ١٦١٦م). الذي نجد له مصنفاً فى هذا العلم تحت عنوان " جوهرة النفس فى معرفة التاريخ وحل درجة الشمس ".[٩٣] كما نجد للعالم مرعى الحنبلى مشاركة فى هذا العلم وذلك بوضعه مصنفاً تحت عنوان ، نزهة نفوس الأخيار ، ومطلع شوارق الأنوار ".[٩٤] وكما عرفنا فى الدراسات السابقة ، فإن الرجل كان ضليعاً فى علوم الفقه ، والتفسير، والأدب وغيرها .

ومن المشاركين أيضاً محمد أحمد العوفى (ت١٠٥٠هـ ـ ١٦٤٠م) وذلك بوضعه مؤلفاً أوضح فيه كيفية استخراج التقويم .[٩٥]

كما نرى من العلماء من قام بالتأليف فى هذا العلم عن طريق النظم كالشيخ عبد الله بن أحمد المناوى الشافعى الذى قام بوضع منظومة فى الميقات ، تحت عنوان " الدرة اليتيمة " فرغ منها سنة ١٠٦٠هـ (١٦٤٩م).(٩٦)

وهناك من عمد إلى شرح كتب سابقيه فى هذا المجال كـ على النبتيتى - مؤقت الجامع الأزهر آنذاك (ت١٠٦١هـ - ١٦٥٠م) وهو أحد المتبحرين فى الميقات والحساب فى تلك الفترة إذ نجد له شرحاً فى هذا العلم سماه " الفتوحات الوهبيه ".(٩٧)

ومن المشاركات الفعالة ما نجده لـ أحمد القليوبى . الذى قام بوضع مصنفين فى ذلك الأول ، مقدمة فى حساب الدرج والدقائق من علم الميقات . (٩٨)والآخر رسالة فى كيفية تحديد القبلة من غير آلة . وذلك تحت عنوان "الهداية من الضلالة فى معرفة الوقت والقبلة من غير آلة ". (٩٩) إذ وضح فيها الطريقة المثلى إلى التوقيت الأتى ، وتحديد القبلة ليلاً أو نهاراً ، لإنه يعتمد فى ذلك الأمر على النجوم بالليل ، والشمس بالنهار، وقد كان الرجل عالماً فى الفقه على المذهب الشافعى وأكثر تخصصاً فيه .

وممن قام بالمشاركة التصنيفيه أيضاً عبد المنعم النبتيتى الحنفى (ت١٠٨٤هـ - ١٦٧٣م) الذى قال صاحب الفوايد عنه ، وفى علم الميقات والنجوم إمام لا يشق غباره، وبحر لا يخاض تياره .. " (١٠٠) ومن أعماله التى وضعها فى هذا المجال التقويم الفلكى (١٠١)الذى اعتمد فيه نقلاً من الزيج لابن الشاطر .(١٠٢)

وهناك أحمد الشرقى السفاقسى - أحد أساتذة الأزهر آنذاك - حيث نجده يشارك بجهوده الفكرية فى هذا العلم ، ويضع مؤلفاً بعنوان " الدرر القاصرات فى العمل بالربع المقنطرات فى جميع الأقطار والجهات ". فرغ منه سنة ١٠٩٣هـ (١٦٨٢م). (١٠٣)

وهكذا فالناظر فى أعمال المشاركين فى هذا العلم يجد أنها جاءت لتخدم المجتمع فى مجالاته العملية ، بصورة أكبر من كونها متعلقة بالنواحى المنهجية أو الأكاديمية لعلم الفلك ، ولعل هذا يشير إلى أن هؤلاء العلماء المشاركين أدركوا متطلبات مجتمعهم وحاجته بينما غفل بعض العلماء المتخصصين عن الاهتمام بهذا الأمر ، وهذا ما سنلاحظه من أعمالهم التى تركوها لنا .

وبعد أن انتهينا من الحديث عن أهم الذين شاركوا فى ذلك العلم كتابة أو تصنيفاً على الرغم من تبحرهم وتخصصهم فى غيره من العلوم سنتحدث عن جهود المتخصصين فيه ، ونجد على رأسهم العالم الفلكى يحيى الدين بن عبد القادر بن محمد

بن أحمد الفيومى العوفى (ت١٠٢٢هـ ـ ١٦١٤م) الذى نرى له أكثر من مصنف فى ذلك العلم ، أحدها بعنوان "جداول حلول المطالع" وغيره فى تحديد الوقت تحت عنوان الجواهر واليواقيت " وآخر قد اختص بتوضيح الأشكال التى يكون عليها القمر " تحت عنوان " جداول اختلاف منظر القمر ".(١٠٤) وقد استند فى جدولته لتلك المناظر على القوانين التى وضعها العالم الفلكى " الغى بيك ".(١٠٥)

وممن كان له اختصاص بهذا العلم الشيخ العالم عبد الله بن أحمد المقدسى الحنبلى الأزهرى (ت١٠٨٠هـ ـ ١٦٦٩م). الذى قام بوضع أكثر من مؤلف منها كتاب أختص بالحديث فيه عن الأذناب تحت عنوان " تحفة الألباب فى حكم الأذناب ".(١٠٦) وآخر بعنوان " تحفة اللبيب وبغية الأريب فى المربع والجيب ".(١٠٧)

وممن أثبت براعته فى هذا العلم حينذاك العالم الفلكى محمود بن قطب المحلى القبانى (ت١٠٨٠هـ ـ ١٦٦٩م) ومما يبرهن على ذلك وضعه لأكثر من مصنف تتناول عدة موضوعات متنوعة ، منها رسالته التى وضعها لتبيين الوقت الذى تطلع فيه الكواكب الثابتة ، وهذه التى وضعها فى حساب الدرج والدقائق ، وتلك التى وضعها على فضل الدائر . هذا بخلاف كتابين عبارة عن جدولين اشتمل الأول على كيفية استخراج التاريخ القبطى من التاريخ العربى بالحساب ، والآخر اشتمل على كيفية استخراج درج الشمس من التاريخ القبطى .(١٠٨)

وممن حاز قالب الإجادة فى ذلك العلم وأتت مصنفاته بما يثبت عمق تمكنه، الشيخ العالم حسن بن على بن محمد بن عبد الرحمن الجبرتى (ت١٠٩٦هـ ـ ١٦٨٥م) فمن أعماله فى هذا المجال رسالة فى آلة المعدل.(١٠٩) ومؤلف بعنوان " موقع عقرب الساعة مرتباً على الشهور القبطية ".(١١٠) ولقد وضح ذلك الأمر فى جدول على مدار أيام الشهور القبطية ، ولم يكتف بذلك الغرض ولكنه قدم نصائح جمة للإنسان كتحديد المواعيد التى يخفف فيها الملابس أو الإكثار من أكل نوع معين من الطعام ، كما حدد للزرع المواعيد المناسبة لزراعة المحاصيل المتنوعة سواء كانت بقولية، أو غيرها كالفاكهة : ومواعيد حصادها وجنيها ، والمواعيد التى يتنبأ فيها بظهور الطواعين. وغير ذلك من الأمور الأخرى .

وممن فاق أقرانه فى هذا العلم خلال العصر العثمانى " العالم الفلكى رضوان

أفندى الفلكى (ت١١٢٢هـ - ١٧٠٠م) صاحب التصانيف الكثيرة فيه ، ونرى الجبرتى يقول فى ذلك : " إن له تآليف وحسابيات وتحقيقات لا يمكن ضبطها لكثرتها وكتب بخطه ما ينوف عن حمل بعير مسودات ، وجداول حسابيات ، وغير ذلك .. " . (١١١)

ومما يدل على زيادة علمه وقوة تمكنه فى هذا العلم أنه كان يتخطى الطرق المنهجية النظرية إلى غيرها من الطرق العملية ، ومن ذلك تجسيمه لمجموعة الكواكب الشمسية بيكرات نحاسية وضع عليها معالم تلك الكواكب كاتباً أسماءها باللغة العربية ، وقد زحف إليه راغبوا هذا العلم لتعلمه منه ، ونجد الجبرتى يشير إلى ذلك بقوله : " وكان فى أيامه حسن أفندى الروزنامجى ، وله رغبة ومحبة فى الفن - أى الفلك - فالتمس منه بعض آلات وكرات ، فأحضر الصناع وسبك عدة كرات من النحاس الأصفر ، ونقش عليها الكواكب المرصودة وصورها ، ودوائر العرض والميول ، وكتب عليها أسماءها بالعربى ، ثم طلاها بالذهب وصرف عليها أموالاً كثيرة ..". (١١٢)

كما أشار الجبرتى إلى أن الذين اشتغلوا على يديه تمهروا فى هذا العلم وفاقوا أقرانهم ، وصنفوا المصنفات التى انتفع بها غيرهم فقال فى ذلك : "واشتغل عليه الجمالى يوسف مملوك حسن أفندى - المقدم ذكره - كلارجيه (١١٣) وتفرغ لذلك حتى أنجب وتمهر وصار من المحققين فى الفن ، واشتهر فضله فى حياة شيخه وبعده وألف كتاباً عظيماً فى المنحرفات ، جمع فيه ما تفرق من تحقيقات المتقدمين وأظهر ما فى مكنون دقائق الأوضاع والرسومات والأشكال من القوة إلى الفعل ، وهو كتاب حافل نافع نادر الوجود - وغير ذلك الكثير ". (١١٤)

وكما أشير إلى أن هذا العالم واسع التصنيف ، وأن مصنفاته قد أتت متنوعة فى موضوعاتها . وإن دل ذلك فإنما يدل على مدى تمكنه فى هذا العلم، ومن مؤلفاته تلك التى كانت متعلقة بالميقات أو التوقيت وهى أكثر من مصنف أحدها بعنوان الرضوانيه فى علم الميقات ". (١١٥) والثانى بعنوان " تقويم فلكى " (١١٦) وثالث باسم " أسنى المواهب فى تقويم الفوايد ". (١١٧) ومؤلف رابع بعنوان " دستور أصول علم الميقات ، ونتيجة النظر فى تحرير الأوقات ". (١١٨) وخامس تحت مسمى " نتيجة الأفكار فى معرفة العمل بالليل والنهار ". (١١٩) ويقول الجبرتى عن هذين المصنفين الأخيرين : " ومن

تأليف رضوان أفندى النتيجة الكبرى والصغرى ، وهما مشهورتان متداولتان بأيدى الطلبة بآفاق الأرض ".(١٢٠)

ولـه من المؤلفات التى تتعلق بالكواكب ، مثل " سلم المنارة فى تقويم السبع الكواكب السيارة ".(١٢١) وكتاب " جدول بحركة الكواكب الثابتة ".(١٢٢) وكتاب بعنوان " طراز الدرر فى رؤية الأهلة والعمل بالقمر ".(١٢٣) ويحمل هذا المؤلف فى طياته بعض التوضيح لإحدى المسائل الفقهية ، وهو العمل بالأهلة فى بعض الشعائر الدينية .

كما نجد له من المؤلفات التى نسجها على طراز كتب من سبقوه ، منها ذلك المصنف الذى نسب إليه بعنوان الزيج (١٢٤) الرضوانى "(١٢٥) وقد قال الجبرتى عن نهجه فى هذا الكتاب : " الذى حرره على طريق الدر اليتيم لابن المجدى، على أصول الرصد الجديد السمر قندى ".(١٢٦) وله كتاب آخر تحت عنوان : "جدول المطالع أول وقت العصر على الرصد الجديد ".(١٢٧) وثالث بعنوان " الدر الفريد على الرصد الجديد ".(١٢٨)

ولم ينس هذا العالم أن يخصص بعضاً من قدراته التصنيفيه فى وضع عدد من المصنفات التى تعرض هذا العلم لطالبيه بصورة سهلة مبسطة ككتاب له بعنوان " بغية الطلاب فى استخراج الأعمال الفلكية بالحساب ".(١٢٩) وآخر بعنوان : " بغية السائل فى وضع المزاول ".(١٣٠)

كما لم يقف إنتاج ذلك الرجل عند تلك الموضوعات بل ثمة إنتاج له عن الشمس عنوانه " الداير لارتفاع الشمس ".(١٣١) وآخر فى معرفة الاجتماع والاستقبال والكسوف والخسوف . (١٣٢)

وقد ذكرت سلفاً أن الشئ الذى يسترعى انتباه الباحث فى تراث أولئك العلماء، أنهم لم يكونوا بعيدين عما يدور حولهم من ظواهر فلكيه ، حيث قرنوا العلم بالتجربة ، واعتقد أن الدراسة الفلكية لا يتم تحقيقها إلا عن طريق التجربة ، لذلك رصدوا الظواهر وتحدثوا عنها مستخدمين الآلات التى تساعد على ذلك .

ومن الظواهر الطبيعية التى حدثت فى تلك الفترة ، وقام العلماء برصدها، ما حدث فى عام ١٠٨٤هـ (١٦٧٣م) من خسوف للشمس . وقيام العالم الفلكى عبد

الوهاب المقرى السراجى برصد تلك الحادثة ، ووضع مؤلفاً فى ذلك تحت عنوان " تحبير انكشاف اللبس فى تحرير انكشاف الشمس ".(١٣٣)

وقد قام العالم الفلكى رضوان أفندى برصد حادثة " كسوف القمر " التى حدثت فى الثلاثين من ربيع الأول لعام سبعة وثمانين بعد الألف. (١٦٧٦م). ووضع فى ذلك مؤلفة ـ السابق الذكر ـ الذى عنى فيه بالإشارة إلى معرفة الاجتماع والاستقبال والكسوف والخسوف إذ أنه بعد الانتهاء من تعريف تلك الأوضاع وكيفية حدوثها ، قام بعمل جدول سار فيه على قوانين الفلكى " الغى بيك " بتتبع عملية الكسوف ، وانهى هذا العمل برسم منظر الكسوف فى غاية الدقة .

تلك إذن إطلاله على المتخصصين فى علم الفلك وجهودهم التصنيفية فيه والتى يمكننا الخروج منها بأمر هام ، وهو تعمق العلماء وفهمهم الواعى لهذا العلم . وما كان يدور حولهم من الأسرار الكونية الظاهرة ، ومما يؤيد ذلك ، الصبغة العملية والتطبيقية التى غلبت على ما أنتجوه من أعمال هذا علاوة على رصدهم بعض الظواهر الطبيعية ، ودراسة أسبابها .

وقد رأينا فيما سبق جهود المشاركين فى هذا العلم ، وأنها جاءت فيما يخدم المجتمع فى أموره المعيشة بصورة أكبر من كونها أعمال أكاديمية بحته. ومن ثم لو نظرنا إلى أعمال هؤلاء جميعاً ـ من مشاركين ومتخصصين ـ لوجدناها مكملة لبعضها البعض . وأهم من ذلك أنها جاءت على أصول علمية ثابتة مما يجعلها جديرة بالاحترام . وهى بهذا تحمل كافة الردود على من أشار بإصبع الاتهام إلى علماء المجال ـ فى تلك الفترة ـ والذى قال بأن أعمالهم كانت أقرب إلى التنجيم منها إلى علم الفلك .

الرياضـيات :

وبعد أن القينا الضوء على المهتمين بعلم الفلك وجهودهم التصنيفية فى تلك الفترة، آن لنا أن نلقى نظرة على المهتمين بعلوم الرياضيات وجهودهم التصنيفية فيها فالناظر فى تراث العصر العثمانى يجد أن علمائه قد أدركوا مدى أهمية هذا العلم ، فأوصوا بتعليمه للصبية فى سن متقدمة ، إذ اعتبر ضمن المناهج الأساسية المقررة على الطفل فى مرحلته التعليمية الأولى (الكُتاب) ومن هنا كان أصحاب الأوقاف ـ التى كانت المصدر الرئيسى للإنفاق على التعليم آنذاك ـ يشترطون على المؤدب الذى يقوم بتأديب الأطفال وتعليميهم ،أن يعلمهم الحساب بجانب القراءة والكتابة ، وتحفيظ القرآن الكريم .

وقد احتفظت لنا الوثائق بنصوص تلك الوقفيات وما كان على المؤدب أن ينهجه فى تعليم الصبية من مقررات.[١٣٤] ومما يجعلنا نرجع أهمية اشتراط أصحاب تلك الوقفيات على تعليم الصبية علم الحساب ، إلى احتياج تلك الأوقاف إلى من يقوم بضبطها وجمع خراجها ، وصرف ذلك على مصارفه الشرعية ، كما لا يخفى علينا الطفرة الكبيرة التى حدثت فى ذلك العصر من إقبال المجتمع على وقف الأموال على الأوقاف الخيرية مما أوجد حافزاً لتعليم ذلك العلم للحصول على وظيفة من يقوم بضبط خراج تلك الأوقاف

وثمة أمر هام جعل علماء ذلك العهد يعتنون بهذا العلم ، وذلك باعتباره من أهم الأمور المساعدة لتفهم بغض العلم الشرعية ، ويأتى على رأسها علم "الفرائض " فكما أشرنا فى موضع سابق عند الحديث عن هذا العلم أنه لا يتسنى للفقيه أن يكون فرضياً إلا إذا كان دارساً لعلم الحساب فاهماً لمسائله وفروعه .

وفى الحقيقة لم تقف حدود تعامل فقهاء ذلك العصر مع علم الحساب عند ذلك، بل نجدهم قد اعتمدوا عليه فى فهم بعض المسائل الفقهية والعمل على حلها . ومن ذلك ما نراه من العالم الفقيه حسن الشرنبلالى الحنفى (ت١٠٦٩هـ - ١٦٥٨م). فى رسالته التى سماها " الزهر النضير على الحوض المستدير ".[١٣٥] التى وضعها لتوضيح ما يصح به الوضوء من حوض مستدير إذ اعتمد على كتب الحساب لكى يصل إلى الحد الصحيح الذى يجب أن يكون عليه ذلك الحوض ، وقد قال فى ذلك : " وراجعت جملة من كتب الحساب العوال ".[١٣٦] كما أنه قام بعمل عدة رسومات توضيحية عبارة عن دوائر تمثل تلك الأحواض ، وفوق ذلك نراه يقوم بالاستشهاد بنظرية "أرشميدس" فى ذلك المنوال ، ويذكرها بنصها .

وكما لاحظنا وجود من تخصص فى علم الفلك، ومن ساهم بالمشاركة فيه من علماء العلوم الأخرى ، نجد هذا الأمر بعينه فى علم الحساب ، وقد جاءت مصنفات هؤلاء وغيرهم فى فروع ذلك العلم المختلفة ، كالأعداد والجبر والمقابلة ، وغير ذلك هذا إلى جانب المصنفات التى عنت بإعادة إنتاج كتب السابقين وذلك بشرحها والإضافة إليها .

ونجد فى طليعة من تضلع فى هذا العلم آنذاك محمد بن على الشبراملسى المالكى (ت١٠٢١هـ - ١٦١٤م) الذى قام بوضع أكثر من مصنف فيه ، منها " النبذة الوفية

فى وضع الأوفاق العددية ".(١٣٧) وآخر بعنوان: " إيضاح المكتتم فى حساب الرقم".(١٣٨) وغيرهما بعنوان : " الدرة البهية فى وضع بسائط فضل الدائر بالطرق الهندسية ". (١٣٩) كما له "الارتشاف بالعلم بخواص العدد فى الحساب ".(١٤٠) وكتاب بعنوان " مباهج التيسير بمناهج التكسير ".(١٤١)

أما عن المشاركين بجهودهم الفكرية فى هذا العلم ـ فنجد على رأسهم عبد القادر بن محمد بن أحمد بن زين الفيومى (ت١٠٢٢هـ ـ ١٦١٣م). الذى قال المحبى عنه : " إنه تلقى الرياضيات عن السيد الشريف الطحان ، وفاق فى الفنون فجمع بين المعقول والمنقول وكان فقيهاً محدثاً ويعرف الحساب والهيئة ، والميقات ، والموسيقى ". وقد جاءت معظم مصنفاته فى هذا العلم على شكل إعادة إنتاج كتب السابقين ، إذ نراه كتب على شرح النزهة ، كما كتب على شرحى متن اللمع ، ومتن المقنع فى الجبر والمقابلة ".(١٤٢)

ومنهم " عبد الرحمن بن عبد الله السكرى (ت١٠٣٤هـ ـ ١٦٢٤م). وذلك بوضعه مصنفاً تحت عنوان " تحصيل الانتفاع وغاية الارتفاع فى وضع المقاييس ، وضع الأرباع ".(١٤٣) كذلك الشيخ العالم على بن أبى بكر بن الجمال الأنصارى الخزرجى، الذى قام بشرح كتاب " نزهة الأحباب " . وسمى شرحه بـ " فتح الوهاب ". فرغ منه سنة ١٠٣٩هـ (١٦٢٩م). (١٤٤)

وهناك الشيخ العالم على الشبراملسى. يقوم بشرح إرجوزة الشيخ محمد البحيرى الحنفى فى حل الأعداد . فرغ منه سنة ١٠٠٩هـ (١٦٠٠م) . (١٤٥) كما نجد من هؤلاء زين العابدين بن سرى الدين بن أحمد بن محب الدين الدرى المالكى ، وذلك بوضعه شرحاً على اللمع لابن الهايم ، فرغ منه سنة ١٠٦٧هـ (١٦٥٦م).(١٤٦)

تلك إذن نظرة عجلى على علوم الرياضيات وأهم ما وضع فيها من كتابات فى تلك الفترة ، وقد تبين من خلالها أن هؤلاء العلماء أدركوا أهمية تلك العلوم وفائدتها فى فهم العلوم الأخرى ، فاستغلوا ذلك جيداً هذا فى حين قد وجدنا أن عدد المتخصصين والمشاركين فى تلك العلوم أقل من غيرها بكثير ، ولربما يرجع ذلك إلى صعوبة العلم نفسه ، إضافة إلى عدم إدراجه بشكل مكثف بين المناهج التعليمية أنذاك ، ولعل هذا يعطينا تفسيراً عن سبب انهماك المشاركين فيه ـ كما رأينا ـ فى إعادة إنتاج كتب السابقين واختفاء الأعمال المستقلة ، كما لاحظنا فى الأعمال التى وضعت فى علم الفلك .

على أن أهم ما يلاحظ فى إسهامات هؤلاء العلماء فى علوم الرياضيات اختفاء الأعمال التى تناولت علم الهندسة بشكل مستقل ـ والحق يقال أن هذا الأمر لم يقتصر على فترة تلك الدراسة فحسب ، بل يمكن تعميمه على فترة العصر العثمانى كله ـ هذا وإن كان هذا العلم قد قلت آثاره فى مؤلفات العلماء فى تلك الفترة إلا أن الساحة وقتها لم تخلوا من المهندسين الذين اثروا حياة العمران بكثير من المنشاءات التى دلت على روح ذلك العصر الأمر الذى اعتبره أن علم الهندسة وقتها كان علما عمليا يتعلمه طالبوه بالممارسة أكثر منه بالدراسة والتأليف .

علم الطب :

لقد وصف الطب فى ذلك العهد بما وصفت به معظم العلوم العقلية والطبيعية بما ينقصه حقه ، ويخرجه عن جوهره، بأنه أصبح عبارة عن مجموعة من الخرافات والتعازيم . (١٤٧)وكما أتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن هذه الادعاءات التى أطلقت على العلوم العقلية والطبيعية تجانب الصواب ، ويعتريها عدم الدقة ، وكذلك الحال بالنسبة لعلم الطب فى ذلك العصر .

ومن الخليق بنا قبل أن نتكلم عن الطب فى القرن الـ ١٧م فى ميدانه التقليدى وتواجد المختصين به ، ومشاركتهم والنتاج الذى تركوه لنا . علينا توضيح ما يمكننا من معرفة تعامل مجتمع تلك الفترة مع الطب فى ميدانه العملى ، ولتوضيح مثل هذا الأمر عن قرب ، علينا تسليط الضوء على أعظم مستشفى فى ذلك الوقت وهى البيمارستان المنصورى ، إذ نرى أن الإدارة آنذاك حرصت أشد الحرص على استمرار مسيرة هذه الدار ، سواء كان ذلك الأمر فى مسيرتها التعليمية أو العملية .

فمن الناحية العملية نرى أن الإدارة كانت حريصة على استمرارها واكتمال صفوفها، بداية من الكتبنة بهذه المؤسسة. (١٤٨) ثم تواجد الأطباء بمختلف تخصصاتهم، فهناك الطبيب العادى . (١٤٩)وهناك صاحب التخصص ، كأخصائى العيون الذى كان يسمى آنذاك " الكحال ".(١٥٠) وهناك تخصص الجراحة .(١٥١) وقد كان لكل تخصص شيخ أو نقيب .ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد أن شيخ التخصص الطبى لابد من توافر عدة شروط فيه بحيث يكون من أهل الدين والعفة والأمانة والدين وكمال الاستقامة ، وأن يكون له مزيد المعرفة وأن يكون مرجعاً فى تخصصه ، وأن يترفق بالمرضى ، وأن يداوم بالسؤال عنهم، والحفاظ على الأدوات الطبية

والأدوية المتعلقة بتخصصه ومن فقد هذه الشروط أو بعضاً منها اجتمع الأطباء على عزله وتعيين من يصلح مكانه. (١٥٢) فهناك شيخ الكتبة (١٥٣)، وشيخ الكحالين(١٥٤) وشيخ الجراحين(١٥٥)، وأخيراً كان هناك شيخ لأطباء البيمارستان جميعا (١٥٦) . ومن الطبيعى أن يتولى هذا المنصب أكفأ الأطباء .

وكان لا يعين أحد من أطباء تلك التخصصات إلا بعد موافقة شيخ التخصص على ذلك . (١٥٧) كما أنه لا يسمح لأحد من الأطباء بمغادرة هذه الدار حتى ولو كان ذاهباً لأداء فريضة الحج إلا بإذن القاضى . (١٥٨) وعلى الطبيب إحضار أحد أطباء تخصصه ليباشر وظيفته ويتول مهامها حتى لا يترك مكانه شاغراً . (١٥٩) وبطبيعة الحال كانت رواتب أطباء تلك التخصصات متفاوتة . (١٦٠) حسب أهمية التخصص .

وباعتبار أن هذا البيمارستان كان مقره بالقاهرة ، فلم تقف عنده حدود الاهتمام بالنواحى الطبية بالعاصمة ، بل توفر الأطباء بشكل يضمن تغطية كافة المناطق التى يطلق عليها الآن بـ (القاهرة الكبرى) ـ والتى كانت تطلق عليها الوثائق مصر القاهرة ـ وضماناً لسير العملية الطبية بالقاهرة بشكل طبيعى كان يوجد لكل تخصص شيخ يرأس أطباء تخصصه على مستوى القاهرة الكبرى . (١٦١)

ولم يكن اعتناء الإدارة بالميدان العملى للطب قاصراً على القاهرة وحدها ، بل امتد هذا الأمر إلى الأقاليم، حيث أنهم كانوا حريصين على الاطمئنان على المباشرين للأعمال الطبية والتأكد من سلامة أدواتهم التى يستعملونها وذلك بتعيين شيخ عليهم، وإعطائه جميع الصلاحيات من التفتيش على المباشرين وضمان حضورهم وسلامة أدوانهم ، وفى التعيين والرفض ، وليس لأى أحد الاعتراض على قراراته ، ويعد أى اعتراض عليه اعتراضا على صاحب الدولة . (١٦٢)

هذا فى حين لم تحرم بعض الأقاليم الكبرى من وجود البيمارستانات الطبية التى اكتمل عدد العاملين بها من الأطباء . وكان يرأسها أكبر الأطباء ، الذى يشرف على سير العملية الطبية ، وتصنيع الأدوية للمرضى ، وهو ما نجده فى مدينة الإسكندرية مثلاً . (١٦٣)

ولم يقف تعامل الإدارة ـ آنذاك ـ مع الطب فى ميدانه العملى عند هذا الحد ، بل كانوا يعتمدون على تقارير الأطباء فى بعض المسائل القضائية . أو بعبارة عصرية يمكننا القول أنهم أوجدوا ما يسمى الآن بـ " الطب الشرعى". وذلك فى بعض الحالات الجنائية فكانوا عند العثور على أحد القتلى ، يأتون بالأطباء ليشخصوا سبب القتل . أو

عند الاختلاف بين البائع والمشترى فى حالة وجود مرض بأحد الأرقاء، وهل هذا المرض أو العيب مفسد للبيع أم لا؟ ففى هذه الحالة يركنون إلى تقرير الطبيب.(١٦٤)

ولقد شهد ذلك القرن ظهور طائفة من الأطباء الذين تمكنوا من علم الطب، وحرصوا على تعليم غيرهم أصوله وقواعده، كما نجدهم كانوا حريصين على اقتناء الكتب الطيبة فى شتى الموضوعات المختلفة. حتى يثقلوا قدراتهم بما تحتويه تلك الكتب من ثقافة طبيه. (١٦٥)

كما شهد ذلك القرن أيضاً وجود طائفة ممن تخصصوا فى علوم أخرى غير الطب ومع ذلك فقد كانت لهم بعض الاهتمامات الطبية، ولقد ظهرت هذه الاهتمامات على شكل مشاركة بالتصنيف وقد اتسمت كتب هؤلاء بأنها اعتمدت كثيراً على الأقوال المأثورة عن النبى (صلي الله عليه وسلم) وعلى التداوى بالأعشاب الطبيعية، كما نرى أن من تلك الكتب من أفرد لبعض الموضوعات المهمة. والتي من أهمها الأوبئه أو الطواعين فافردوا الحديث عنها باحثين عن أسبابها واهم طرق علاجها. ولم يقتصر اهتمام هؤلاء المشاركين بتلك النواحى فقط بل كان لهم اهتمام بعلم التشريح أيضاً.

ويأتى فى طليعة المشاركين فى تلك الفترة، الشيخ العالم عبد الرءوف المناوى (ت١٠٣١هـ - ١٦٢١م) الذى قام بوضع أكثر من مصنف فى هذا العلم، منها الكتاب المتعلق بأحكام الحمام الشرعية والطبية وسماه "النزهة الزهية فى أحكام الحمام الشرعية والطبية "(١٦٦) ومنها كتاب بعنوان " بغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج "(١٦٧) كما وضح أن له اهتماماً خاصاً بعلم التشريح، إذ تناوله بالحديث فى مصنفين، الأول بعنوان " التشريح والروح وما به صلاح الإنسان وفساده ". والأخر جمع فيه عشرة علوم منها علما التشريح والطب، ومنها ما كان يختص بالأوبئة وعنونه باسم " منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين ".(١٦٨)

ومن الذين اهتموا بالتصنيف فى شؤون الأوبئة آنذاك الشيخ العالم مرعى الحنبلى (ت١٠٣٣هـ - ١٦٢٣م) حيث نرى له فى ذلك مصنفين الأول بعنوان " تحقيق الظنون بأخبار الطاعون". والآخر بعنوان "ما يفعله الأطباء والداعون لدفع أشرار الطاعون".(١٦٩)

ومنهم كذلل نوح الرومى (ت١٠٧٠هـ - ١٦٥٩م). الذى وضع مؤلفاً تحت عنوان " رفع الظنون عن حقيقة الطاعون ". (١٧٠)

ومن كانت له أبلغ المشاركة الفعلية فى هذا العلم ـ فى تلك الآونة ـ الشيخ العالم شهاب الدين أحمد القليوبى (ت ١٠٦٩هـ ـ ١٦٥٨م). وقد قال صاحب الفوايد عنه : " أنه كان فى الطب ماهراً خبيراً ، وبفنونه عارفاً بصيراً " .

وقد قام بالمشاركة فى هذا العلم بأكثر من كتاب ، وقد راجت فى عصره ، والفترة التى بعده حتى أوائل القرن التاسع عشر، ومن أهم كتبه تلك، كتابه المسمى " تذكره القليوبى " الذى قسمه إلى عشرة أبواب، تناول فيها الأمراض التى تعترى أعضاء الإنسان ، وطرق علاجها ، وقد اعتمد كثيراً فى طرق علاجه على الأعشاب الطبيعية ، وتناول الفاكهة ، ونراه فى مقدمة كتابه هذا يشير إلى السبب الرئيسى لجميع الأمراض حيث قال :" إعلم أن جميع الأمراض إنما تحدث عن فساد المزاج بفساد بعض الأخلاط المركب: منها الناشئ ذلك من التخليط فى المتناولات ، والهواء ، والأماكن ، والصناعات، والفصول ، والنوم ، واليقظة ، والحركة ، والسكون البدنيين والنفسيين ، والاحتباس ، والاستفراغ . وإذا حكم الطبيب هذه فلا فساد إلا بمشيئة الحكيم الأقدس. ومعرفة ذلك محصورة فى العلامات والنبض ، والقاروره ـ والله أعلم ".(١٧١)

كما نرى له كتباً أخرى فى ذلك المجال ، منها كتاب بعنوان " الجامع فى الطب "(١٧٢) وآخر بعنوان"مصابيح السنة فى طب خير البرية".(١٧٣) وغيرهما بعنوان " الفوائد الطبية الموافقة لطب البرية ".(١٧٤)

هذا عن المشاركين وإسهاماتهم فى علم الطب فى تلك الفترة ، أما فيما يتعلق بمن تخصصوا فى هذا العلم ، وما رسوه علمياً وعملياً ، حتى تقلدوا أعلى المناصب الطبية ، كرياسة الطب مثلاً ، نجد منهم الشيخ الطبيب أحمد بن سراج الدين ، الملقب بشهاب الدين، والمعروف بابن الصائغ المصرى (ت١٠٣٦هـ ـ ١٦٢٥م). الذى قال عنه الخفاجى فى ريحانته : "أبرز فى الطب نفيس جواهر لم يدركها ابن النفيس ، وجرى فى الشفاء على قانون الصناعة حتى لقب بالرئيس ، فأصبح به وشئ صناعته مطرزاً ".(١٧٥) ومن فرط علمه بالطب صار رئيساً لأطباء مصر فى عصره ".(١٧٦)

وقد قام بوضع عدة مصنفات طبيه هامة ، أهمها الرسالة التى وضعها رداً على أحد المغاربة عند زيارته لمصر فقام بوصف مناخها بما ليس فيه.(١٧٧) وعنوانها " رسالة فى حكم طب أهل مصر وفى حكم الفصول الأربعة " وقد رتب رسالته تلك على خمسة عشر فصلاً ، ضمنها الكلام عن صفة أرض مصر ومزاجها واختلاف هوائها والأسباب الستة المحيطة بالصحة والمرض بأرضها وتعرضه للأسباب التى ذكرها ابن

الجزار والرد عليها ، والوقوف على أسباب الوباء ، والحيلة للمحافظة على الصحة ، وفيما يصلح رداءه ، والهواء والماء والغذاء بأرض مصر . وما يدفع به ضرر الأمراض الوافدة بمصر ، وفى نسخ الأدوية التى تستعمل فى دفع المضار ، وفيما ينبغى أن يختار من السكنى بمصر .(١٧٨) وغير ذلك من الأمور الهامة ، وهذا يدل على مدى تمكنه من هذا العلم ، وأنه استخدم خبرته وتجاربه فى مصر للحكم على مناخها ، ولم يعتمد على السمع كما فعل معاصره ابن الجزار .

ومن أشهر أطباء ذلك القرن العالم الطبيب مدين بن عبد الرحمن القوصونى (ت١٠٤٤هـ ـ ١٦٣٤م) الذى تولى رئاسة الطب فى مصر (١٧٩) بعد سرى الدين ـ الذى تقدم ذكره ـ والذى قال عنه الخفاجى : " هو فى الطب رئيس لم يخرج عن القانون ، وفارس فى حلبته لا تدركه سوابق الظنون ، فلو راجعه الهلال لأجرأه من المحاق والدنف ، بلا تكلف من وصمة البرص والكلف ".(١٨٠)

ولقد برهن لنا هذا الطبيب مدى تمكنه فى هذا العلم بما أنتجه من كتب . ومن أهم كتبه كتابه الذى سماه بـ " قاموس الأطباء ، وناموس الألبا فى المفردات ". ولتوضيح ماهية هذا الكتاب ومدى أهميته ـ نترك صاحبه يعرفها لنا ، حيث نراه يقول : " .. ولما دل ما ذكر على شرف صناعة الطب وجلالتها ، وعلو مرتبتها وفخامتها ، شرعت فى هذا الكتاب الذى لم أسبق إلى مثاله ، ولم ينتج على منواله ، لما اشتمل عليه من ذكر أنواع المفردات من المعدن ، والحيوان والنبات ، وما يحتاج إليه كل فرد منها من معرفة ضبط لفظه بما ذكره أئمة اللغة بأصح ضبط وأوضح تبيان ، ومن معرفة ماهيته ونوعه ، وطبعه ، وقوته ، ومنافعه ، ومضرته ، وإصلاحه ، وبدله ، وكمية ما يستعمل منه بحسب الإمكان. ومن ذكر أسماء المركبات وضبط كل فرد منها مع بيانه ، وقد أذكر صفة تركيب بعضها كالترياق ، وإيضاحاً لما خفى من غامضه على الأذهان . ومن ذكر أعضاء بدن الإنسان وضبط كل فرد منها، مع ذكر تعريفه وتشريحه وتوضيحه بأوضح بيان ، ومن ذكر الأوصاف المتعلقة بغالب الأعضاء ، وضبط كل فرد منها مع ذكر تعريفه وسببه وعلامته، وعلاجه بحسب الوقت والزمان ، ومن ذكر الأمور الطبيعية ، والست الضرورية وضبط كل فرد منها مع ذكر تعريفه ذكراً محرراً بمزيد إتقان . ومن ذكر أمور مهمة وفوائد كثيرة جمة ".(١٨١)

وعن ترتيبه ومنهجه قال : " وقد رتبته على ترتيب القاموس ـ أى القاموس المحيط للفيروزابادى ـ أبواباً وفصولاً ، وحذوت حذوه فروعاً وأصولاً ".(١٨٢)

ولعلك تلمح معى القيمة العلمية والعملية لهذا الكتاب كما نرى صاحب ملكة النقد الثقافى ـ آنذاك ـ الشهاب الخفاجى (ت١٠٦٩هـ ـ ١٦٥٨م) يمدح هذا الكتاب فى خباياه قائلاً : " هذا وإن أخى شقيق الروح .. لما اتحفنى بكتابه قاموس الأطباء ، وجدته الدرة الفاخرة ، وعقد كله جوهر ، وكتاب جميعه مفردات ولغة لو رآها الجوهرى قال هيهات العقيق هيهات ، والخليل بعينه فداه بعينه ، أو جار الله لقال هذا هو الفايق ، أو ابن البيطار ودَ لو طابقه مطابقة الفعل بالفعل ، لما فيه من الدقائق ، أو صاحب القاموس لقال هذا هو المجد الذى ارتضع حدا العربية ما بين تهامة ونجد ، فلله در مصنفه فقد أرانا فى الرجال بقايا وفى الزوايا جنايا ".(١٨٣)

ومن مصنفات القوصونى فى هذا المجال ، كتاب له بعنوان " تكملة شرح الأسباب والعلامات " . (١٨٤) الذى اقتصر الحديث فيه على السموم وأنواعها سواء أكانت عن طريق الشرب أو اللدغ . وكيفية علاجها ، وأضرار الحشرات وكيفية التخلص منها .

وهكذا يتبين لنا إلى أى مدى كانت الدراسات الطبية تلاقى الكثير من اهتمام علماء تلك الفترة ، فقد رأينا أن الإدارة حرصت على توفير الرعاية الطبية قدر ما أمكنها لأفراد المجتمع ، وذلك بضمان سير المجال العملى للطلب بصورة كاملة سواء كان ذلك بالقاهرة أو الأقاليم . كما رأينا إسهامات العلماء المشاركين فى علم الطب ، وكم وضح لنا مدى الفهم الواعى لهؤلاء العلماء بالطب ومسائلة ، وأن تلك الإسهامات كانت حصيلة تعلم وإدراك ، وليست من باب المشاركة فقط .

علوم عقلية أخرى :

إن الناظر فى تراث العصر العثمانى يجد أن علماءه لم يقتصر اهتمامهم بالعلوم العقلية على العلوم التى تناولناها بالدراسة فقط إذ نجد أن هؤلاء العلماء كانت لهم اهتمامات ببعض العلوم العقلية الأخرى ، وكانت لهم بعض الإسهامات فيها سنتحدث عنها تفصيلاً .

علوم الأوفاق والزايرجا(١٨٥) والحرف(١٨٦):

لما كانت تلك العلوم من قبيل العلوم السحرية لذا رأيت أنه من المفيد ذكرها جملة

واحدة ، وكما سبق وأن أشرنا إلى أن علماء ذلك العصر لم يجدوا تحرجاً من الاشتغال بمثل هذه العلوم والتصنيف فيها ولقد شهد ذلك القرن من أنفرد واشتهر فى هذه العلوم.

ونجد على رأس من اشتهر بهذه العلوم من علماء ذلك القرن الشيخ العالم محمد بن على بن محمد بن على الشبراملسى المالكى (ت١٠٢٢هـ ـ ١٦١٢م). والذى يصفه المحبى بتفرده فى هذه العلوم بقوله : " وانفرد فى عصره بالعلوم الحرفية والأوفاق والزايرجه ، وبقية العلوم العقلية ".[187] ونراه قد وضع أكثر من مصنف فى هذه العلوم، منها كتاب بعنوان " بهجة المحادث الأحاديث الحواديث ".وأخر بعنوان " طوالع الإشراق فى وضع الأوفاق "[188] وغيرهما بعنوان " النبذة الوفية فى وضع الأوفاق العديدة والحرفية ".[189]كما وضع رسالة فى علم الحرف تحمل فى مضمونها إحدى التمائم والدلالات الصوفيه لحروف الأبجدية .[190]

وممن اشتهر بهذه العلوم فى تلك الفترة أيضاً الشيخ العالم أبو بكر بن صالح الكتامى (ت ١٠٥١هـ ـ ١٦٤١م) وقد وصفه صاحب الفوايد بتمكنه فى هذه العلوم فقال : " وكان فى علم الأوفاق والزايرجا آية من آيات الله الباهرة ". ومن مؤلفاته فى علم الحرف كتاب بعنوان " المنهج الحنيف فى معنى اسمه تعالى لطيف " حيث ذكر فيه ما يتعلق بالاسم الشريف من الشروط والدعوات وتقسيم الأعداد إلى خمسة عشر قسماً ، وما يتعلق به من الخواص .[191]

ومن الذين اشتهروا بهذه العلوم آنذاك أيضاً .الشيخ العالم على النبتيتى (ت١٠٦٦هـ ـ ١٦٥٥م) وقد قال عنه المحبى أنه : " من العلماء العاملين الفائقين فى فن الزايرجه والأوفاق ، والمنفردين بعلم الدعوه والأسماء بإجماع أهل الخلاف والوفاق ". وقد قام بوضع كتاب حافل فى الأوفاق سماه " مطالع السعادة الأبدية فى وضع الأوفاق والخواص الحرفية والعددية ".[192] وغير ذلك الكثير

وهناك بعض العلوم العقلية الأخرى ، قد شارك فيها علماء ذلك القرن ، ولكنها لم تكن بقدر مشاركتهم السابقة ، حيث أنها جاءت فى صورة ضئيلة للغاية ، وتكاد تكون قاصرة على أفراد بعينهم ، ومن أهم تلك العلوم .

علم الحيوان :

وهو ما يقصد به العلم الباحث عن أحوال أو خواص أنواع الحيوانات وعجائبها ، ومنافعها ومضارها .

لقد حاولت بقدر ما أتيح لى من إطلاع على المادة التى توضح إنتاج علماء العصر العثمانى فى علم الحيوان وخاصة إنتاج القرن - محل الدراسة - اتضح لى أنه لم تكن لهم مشاركات كثيرة فى هذا العلم ، بل تقتصر على مجهود عالم واحد ، وهو عبد الرءوف المناوى (ت١٠٣١هـ - ١٦٢١م). الذى قام بوضع ثلاثة مصنفات فى هذا المجال ، الأول بعنوان " غاية الإرشاد فى معرفة الحيوان والنبات والجماد " والثانى بعنوان " قرة عين الإنسان بذكر أسماء الحيوان"، والثالث بعنوان "الإحسان ببيان أحكام الحيوان". (١٩٣)

ومما يحق لنا قوله فى هذا المجال ، أن هذا القصور لم يكن سمة العصر العثمانى وحده ، إذ أن المتتبع لنتاج علماء المسلمين فى هذا العلم يجده قليلاً جداً إذا ما قورن بالعلوم الأخرى ، حيث تكاد تقتصر أهم مصنفاتهم فيه على كتاب الحيوان . (١٩٤)لأبى عمرو بن عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ - ٨٦٥م). وكتاب " حياة الحيوان "(١٩٥) للشيخ كمال الدين محمد بن عيسى الدميرى الشافعى (ت٨٠٨هـ - ١٤٠٥ م).

وإذا أردنا إيجاد تفسير لهذه الظاهرة ، فيمكننا إرجاع ذلك إلى عدم وجود متخصصين فى هذا العلم ، وذلك ناتج أصلاً من عدم تفكير العلماء فى وضع بعض الكتب المتصلة بهذا العلم كمناهج دراسية فى أثناء المراحل التعليمية المختلفة ، وربما تضمنت كتبهم المختلفة والمتنوعة فى العلوم الأخرى بعض المعلومات ذات الصلة بالحيوان ، فاكتفوا بذلك عن التأليف المستقل فى هذا الفرع من أفرع العلوم .

علم الكيمياء :

يعتبر هذا العلم من أبرز العلوم التى لاقت إجحافاً شديداً من قبل علماء العصر العثمانى ، وخاصة علماء القرن - موضوع الدراسة - وكثيراً ما كان يلقى كل من يحاول الاشتغال بهذا العلم الكثير من التهكم من قبل علماء ذلك العصر ، وأنه ضيع أمواله هباء فى سبيل تجاربه على هذا العلم .

فمن ذلك ما نراه فى ترجمة المحبى للأديب أحمد بن شاهين القبرصى الأصل الدمشقى المولد (ت١٠٥٣هـ - ١٦٤٣م) الذى كان ضمن اهتماماته الاعتناء بهذا العلم ، ونرى من مقال المحبى عنه فيما يتعلق بهذا الشأن : "ومن عجيب خبر الشاهينى أنه امتحن - أى ابتلى - باصطناع الكيمياء، وصرف عليها أموالاً جمة ، ولم ينل منها طائلاً ، ولما تحقق استحالتها فى ذلك قال :(١٩٦)

لعمرى لقد جربت كل مجرب من الناس اضحى يدعى العلم بالحجر
فإن قال إنى واصل قلت كاذب غدا واصلاً فى الكذب للشمس والقمر(١٩٧)

وهاك رأى أحد علماء (١٩٨) ذلك العصر فى محترفى الكيمياء :

كم نكس الرأس أهل الكيمياء خجلاً وقطروا أدمعاً من بعد ما سهرا
إن طالعوا كتباً للدرس بينهم صاروا ملوكاً وإن هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع وكم فتى منهم قد غره العمر(١٩٩)

وإحقاقاً للحق لم يصل هذا الإنكار من قبل علماء تلك الفترة لكل من اشتغل بهذا العلم إلى حد التحريم ، على أن أبيات الشعر السابقة ، وموقف العلماء من الباحثين فى الكيمياء والعناصر والمعادن يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك من أهتم بتلك الدراسة، وبذلك يمكن القول بأن الاتجاه العام كان إنكار التفرغ للعمل بالكيمياء والتجربة ولكن هناك من أصروا على أن يسبحوا ضد التيار العام وعكفوا على التجربة ، وإن لم تحدثنا مصادر محايدة عن أعمالهم وجهودهم .

ومن الذين اشتغلوا بهذا العلم ووضعوا المصنفات فيه ـ آنذاك ـ الشيخ العالم محمد المقدسى القرقشندى ،الذى نسب إليه بروكلمان كتاباً فى الكيمياء كتبه فى سنة ١٠٤٩هـ (١٦٣٩م). ويوجد هذا الكتاب كمخطوط فى المتحف البريطانى . (٢٠٠)

الموسيقى :

يعتبر هذا العلم ضمن العلوم التى لم تلق اهتماماً كبيراً من قبل العلماء طيلة فتره العصر العثمانى، ويرجع ذلك الأمر إلى سبب جوهرى ، وهو أن مسألة السماع كانت مثار جدل وخلاف بين علماء العصر العثمانى ، ووضعت المصنفات فيها ما بين محلل لها ومحرم .

فهاك شهاب الدين أحمد بن حجر المكى الهيثمى الشافعى (ت٩٧٣ ـ ١٥٦٥م) يضع مؤلفاً بعنوان " كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع " رد به على أحد المصريين المالكيين الذى وضع مؤلفاً أحل فيه السماع وبالغ فى حله له ، وسماه " قرع الأسماع ".(٢٠١) كما نرى مرعى الحنبلى. يقوم بوضع مؤلف فى توضيح حكم تلك المسألة بعنوان " رياض الأزهار فى حكم السماع والأوتار والغناء والأشعار ".(٢٠٢)

وظلت تلك المسألة تشغل بال الكثيرين حتى ما بعد نهاية القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو ما يتبين من خلال الرحلة التى قام بها العالم الكبير عبد الغنى النابلسى (ت ١١٤٣هـ ـ ١٧٣٠م). إذ نراه يحدثنا فيقول أنه فى يوم الجمعة الموافق اليوم المائة والثمانية وعشرين من أيام الرحلة:" توجهنا إلى الجامع الأزهر ، فاجتمع بى أهله ، وسألونى عن مسألة السماع ودار بينى وبينهم ما للعلماء فى ذلك ثم قال إن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص في المواطن "(٢٠٣) ثم قام بعد ذلك بوضع رسالة عن حكم سماع الألات بعنوان "إيضاح الدلالات فى سماع الآلات ".(٢٠٤)

وعلى الرغم من ذلك لم تخل تلك الفترة من وجود من أهتم بهذا العلم والتصنيف فيه ، ومن هؤلاء الشيخ عبد القادر محمد بن محمد القادرى توفى نحو سنة (١٠٥٠هـ ـ ١٦٤٠م). حيث قام بوضع رسالتين فى هذا العلم الأولى فى التوقيعات ، والأخرى فى الأنغام وصوتها .(٢٠٥)

تلك إطلالة سريعة على العلوم العقلية ، وجهود علماء القرن الحادى عشر الهجرى (الـ١٧م). فيها ، ويمكننا أن نخلص منها بعدة أمور أولها أن هذه العلوم قد لاقت نشاطاً من أولئك القوم بعكس ما ردد من أراء غير ذلك ، وقد رأينا أن نشاط هؤلاء العلماء حيال تلك العلوم قد تفاوت من علم لأخر ، وقد أتى فى مقدمتها اهتماماً ـ علم الكلام ـ فقد لاحظنا مدى النشاط الفكرى الذى لقيه هذا العلم ، وهو ما يشير إلى أن العلماء فى ذلك الحين قد لمسوا حجم المفاهيم الخاطئة التى سرت بين أفراد مجتمعهم ، مما ألزمهم العمل على تصحيح تلك المفاهيم وتقويم الفكر العقائدى .

ولعل من أهم ما أشارت إليه الدراسة فى هذا الفصل ، ما رأيناه من تغير مفهوم علماء تلك الفترة نحو العلوم الفلسفية (الفلسفة والمنطق) وإن كان موقف السابقين من الفلسفة قد أثر بدوره على تناول العلماء فى فترة الدراسة ، إلا إننا رأينا أن الدراسات المنطقية قد لقيت نشاطاً علمياً ملحوظاً ، وعدها علماء تلك الفترة ضمن المناهج الثابتة التى يدرسونها للطلبة ، وهو ما يعطينا انطباعاً على أن هؤلاء القوم نظروا إلى العلم ـ بكافة أنواعه ـ على أنه غاية يجب الوصول إليها ، بغض النظر عما إذا كانت بعض العلوم تتعارض مع مفاهيم السابقين أم لا ، وليس ثمة ما يدل على ذلك أكثر مما رأيناه من احترام هؤلاء العلماء للعلوم التى تنتمى للسحر ، والإشادة بمن تمكن منها .

ومن أهم الأمور التى أشارت إليها الدراسة فى تناولتها للعلوم العقلية ، وجود مشاركة فعاله جديرة بالاحترام من قبل المتخصصين فى العلوم الأخرى ـ الدينية واللغوية ـ وقد لمسنا مدى جدية هذه المشاركة وأنها عبرت على أن هؤلاء المشاركين أدركوا أهمية هذه العلوم ، وما تقدمه من خدمة كبيرة لأفراد المجتمع ، ومن ثم جاءت معظم المشاركات بما يخدم المجتمع ،وهو ما لاحظناه فيما شارك به هؤلاء العلماء بفكرهم فى كل من علمى الفلكوالطب ،أو محاولة تبسيط بعض العلوم لتقدم فى صورة سهلة ويسيرة تمكن الطلاب من سرعة استيعابها وفهم دقائقها .

هوامش الفصل الخامس

(١) نقلاً من كتاب ـ مدخل إلى علم الكلام ..محمد صالح محمد السيد : ط. دار قباء ـ سنة ٢٠٠٠م صـ ٢٢ .
(٢) المحبى ـ خلاصة الأثر ـ جـ ١ صـ ٢٣٥ .
(٣) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى خمس ورقات تحت رقم (١٠١) ٢١٠٩ .
(٤) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٥٣٦ ورقة تحت رقم (١٨٩) ٢٩٩٥ .
(٥) المحبى : خلاصة الأثر ، جـ١ ، صـ٦ .
(٦) فمن ذلك شرح البيجورى على تلك المنظومة ـ ط. المطابع الأميرية .
(٧) معجم المؤلفين ، جـ ١ ، صـ ٤٥ .
(٨) الحموى : جـ ٣ ، صـ ٢٥٥ .
(٩) مخطوط بالمكتبة الأزهرية. ضمن مجموعة من ورقة ٣٨ إلى ١٢٩ برقم(٤)١٠١.
(١٠) هدية العارفين . مج ٥ ، صـ ٥٧١ .
(١١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، مرجع سبق ذكره ، جـ٨ ، صـ ٢٠٠ .
(١٢) فهرس مكتبة رفاعة ، جـ١ ، صـ ٣٧٦ .
(١٣) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٣٠ ورقة تحت رقم (٣٦) ٨٤٨ .
(١٤) هدية العارفين ، مج ٥ ، صـ ١٥٤ .
(١٥) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ج ٢١٧٠٣ ب .
(١٦) هدية العارفين ، مج ٥ ، صـ١٧٨ .
(١٧) المرجع السابق ، مج ٥ ، صـ٣٠٥ .
(١٨) نفســـه ، مج ٥ ، صـ٣٠٧ .
(١٩) هو الشيخ الإمام محمد بن يوسف بن الحسن السنوسى (ت٨٩٥هـ ـ ١٤٩٠م). والسنوسى نسبة لقبيلة بالمغرب يقال لها بواحسن ـ وسنوس بلاد أو قبيلة ، فنسب أولاً لبلده ، وثانياً لقبيلته ، وكتابه هذا ، أم البراهين فى العقائد ". مختصر مفيد محتو على جميع عقائد التوحيد ، ثم شرحه شرحاً مفيداً مختصراً ، وعلى هذا الشرح أتت معظم تلك الحواشى ـ راجع فى ذلك . داود الرحمانى ـ التخفة السندسية لمن يشتغل بشرح السنوسية . مخطوط بدار الكتب . تحت رقم ميكروفيلم ٤٨٨٦٥ ـ ٢٢٠٥٨ ب ورقة ٣. ب ـ كشف الظنون ، مج ١ صـ ١٧٠ .
(٢٠) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ١٧٨ ورقة تحت رقم (٢٨٠) ٤١٧٣ .
(٢١) المحبى : جـ ١ ، صـ ٣١٣ .
(٢٢) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ١١٩ ورقة تحت رقم (٣٨٤) ٥٣٢٦ .
(٢٣) الحموى : جـ ٣ ، صـ ٦١٤ .
(٢٤) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٥٢٦ علم الكلام .
(٢٥) هدية العارفين ، مج ٥ ، صـ ٣٦٢ .

(٢٦) مصدر سبق ذكره .
(٢٧) هدية العارفين ، مج ٥ ، صـ ٢٨٦ .
(٢٨) إيضاح المكنون مج ٣ . صـ ٣٩٣ .
(٢٩) كشف الظنون م٢ صـ ١١٤٥ .
(٣٠) ومن أهم من قام بشرح ذلك الكتاب الشيخ العلامة سعد الدين مسعود ابن عمر التفتازانى (ت٧٩١ هـ ـ ١٣٨٩م) وعلى شرحه جاءت معظم الحواشى التى تعلقت بذلك الكتاب ـ كشف الظنون ، مج٢ ، صـ ١١٤٥ .
(٣١) المحبى : جـ ٤ ، صـ ٤٢٨ .
(٣٢) كشف الظنون ، مج٢ ، صـ ١١٤٧ - ١١٤٨
(٣٣) هو الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن ابى زيد المالكى القيروانى (ت٣٨٩هـ ـ ٩٩٩م).
(٣٤) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٧٧ ورقة تحت رقم (٣٤٨٩) بحيث ٤٥٩٣٨.
(٣٥) هو الشيخ المحقق شمس الدين محمد بن أحمد بن فرح الأنصارى الأندلسى (ت٦٧١هـ ـ ١٢٧٣م) وكتابة " تذكرة القرطبى " من كتب الأخبار والآثار ، ما يتعلق بذكر الموت والموتى ، والحشر ، والجنة والنار / والفتن والاشتراط . كشف الظنون ، مج ١ ، صـ ٣٩ .
(٣٦) الحموى : جـ ٣ ، صـ ٢٥٥ .
(٣٧) الحموى : جـ٣ ، صـ٩٦٤ ـ ٩٦٥ .
(٣٨) المحبى : جـ٤ ، صـ ٣٥٩ .
(٣٩) خطوط المكتبة الأزهرية فى ١٨٧ ورقة تحت رقم (٢٨٠)٤١٧٣ .
(٤٠) الحموى : جـ٣ ، صـ ٩٦٣ .
(٤١) هدية العارفين ، مج ٥ ، صـ ٢٧٥ .
(٤٢) المحبى : جـ٣ ، صـ٢١٣ .
(٤٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٠١٠ علم الكلام .
(٤٤) المحبى : جـ٣ ، صـ ١٢٣ .
(٤٥) هدية العارفين ، مج ٦ ، صـ ٧٧٦ .
(٤٦) نفس المرجع ، مج ٦ ، صـ ٧٥٨ .
(٤٧) نقلاً من محمد سيد كيلانى : الأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى ، ط. دار القومية العربية ، الأولى ١٩٦٥م. صـ
(٤٨) هذه الرسالة ضمن الرسائل الموجودة بكتاب الشرنبلالى ـ التحقيقات القدسية ـ مصدر سبق ذكره ـ من ورقة ١٠ إلى ورقة ٣١ ـ وفرغ منها سنة ١٠٤٤هـ (١٦٣٤م).
(٤٩) سـورة البقرة .. أية رقمج ٣٠ .
(٥٠) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ضمن مجموعة من ورقة ٤ ـ ٥ رقم (٨٤٦ مجاميع) زكى ٤١٧٣٦ .
(٥١) هدية العارفين ، مج ٥ ، صـ ١٦٧ .
(٥٢) مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم ميكروفيلم ٤٠٤٠٣ ، تاريخ ٣٩٧ .

(٥٣) لكواكب الدرية ـ مخطوط بدار الكتب تحت رقم م٨٤٢٢ تاريخ ٢٦٠ورقتى٤٠٣.
(٥٤) ونص السؤال ـ ومن معرفته يتبين لنا الكثير من أفعال الصوفيه ومعتقداتهم ـ وهو " ما قولكم رضى الله عنكم فى الأولياء ، هل لهم وجود ؟ وهل كراماتهم ثابتة ؟ وهل تصرفهم ينقطع بالموت ؟ وهل يمتنع أن يقال سيدى أحمد البدوى وإضرابه أنهم أولياء ؟ أو يجوز ذلك ؟ وهل يجوز التوسل بهم إلى الله ؟ وهل للأوتاد والنقباء ونحوهم وجود ؟ وهل ثبت صحابة غير العشرة ؟ وماذا يترتب على من منع جميع ما ذكر ؟ وهل يجوز أن يحكم للولى إذا مات ببقاء ولايته أم لاحتمال موته على غير الإسلام ؟ وهل يجوز تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم؟ وهل ثبت أن ما كان معجزة للنبى كان كرامة لولى ؟ وإذ حلف شخص أن سيدى أحمد البدوى وأضرابه يحنث ؟ وهل ثبت فيما ذكر دليل أم لا ؟ افيدوا الجواب .وقد أجاب الشوبرى بجواز ذلك كله ، ولكن قياساته وأدلته فى حد ذاتها ضعيفة. رسالة الشوبرى فى كرامات الأولياء ـ ضمن مجموعة من صـ٢٣٨ إلى صـ٢٤٢ ـ ط المطبعة الأميرية ببولاق الطبعة الأولى سنة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م.
(٥٥) المحبى : جـ٢ ، صـ ٢٨٥ .
(٥٦) هدية العارفين ، مج ٥ ، صـ ١٦٤ .
(٥٧) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ـ ضمن مجموعة من ورقة ١٠ ورقة ١٥ ـ برقم (٢٩٨٣) حليم ٣٣٨٥.
(٥٨) إيضاح المكنون ، مج ٤ ، صـ ٦٤ .
(٥٩) وقد قام الغنيمى بتقسيم مؤلفه هذا على ثلاثة مقامات . الأول فى حياة الخضر حتى زمن المؤلف ـ الثانى فى صفته من حيث الولاية والنبوه والملكية والرسالة ـ الثالث فى اسمه ونسبه المتميز به من بين المسميات ـ كما نراه فى كتابه يشير إلى أنه ألفه ولم يطلع على رسالة السيوطى إلى صنفها فى الخضر وسماها " الروض النضير " وعدم شئ من كتب التفاسير ، وإنما اعتمد على كتب الأصول ، وما ظهر إليه بحسب فهمه ـ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٣٣١٠٤ ـ٢١٩٧٠ج.
(٦٠) هدية العارفين ، مج ٥ ، صـ ٤٩٨ .
(٦١) الحموى : جـ٣ ، صـ ٩٦٤ .
(٦٢) محمد سيد كيلانى : الأدب المصرى ، مرجع سبق ذكره صـ ٥٠ .
(٦٣) يعتبر علم الفلسفة فى نظر الكتاب الإسلاميين واحداً من مجموعة علوم أطلقوا عليها اسم (علوم الأوائل) أو (علوم القدماء) أو (العلوم القديمة) وهو اسم أطلقه هؤلاء الكتاب على تلك العلوم التى نفذت إلى البيئة العلمية الإسلامية بتأثير المؤلفات المأخوذة عن الكتب اليونانية تأثيراً مباشراً ، أو غير مباشر ، وهى التى يسمونها (كتب الأوائل) فى مقابلة (علوم العرب) أو (العلوم المحدثة) ، وفى مقابلة (العلوم الشرعية) على وجه التخصيص .
وفى مقدمة علوم الأوائل : الرياضيات ، والطبيعيات ، والألهيات ، عما اشتملت عليه دائرة معارف اليونان : أى الفروع المختلفة ، من رياضة ، وفلسفة ، وطبيعة ، وطب ، وفلك ، وموسيقى ، وما إليها، ونظراً إلى أن الاشتغال بهذه العلوم قد ارتبط بالتقاليد الأفلاطونية المحدثة ، فقد أدخل فى علوم

الأوائل ، وعلوم الفلسفة ، وممارسة علوم السحر ، والطلمسات ، والنيرنجيات ، إلى جانب علم التنجيم. جولد تسهير : مقاله من كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، ط مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٩٤٠م ص ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٦٤) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٨٧ ـ ٨٨.

(٦٥) المرجع السابق صـ ٣٣٣ .

(٦٦) للمزيد من ذلك يرجع إلى جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط . المؤسسة المصرية العامة بمطابع كوستاتسوماس ، جـ٦ ، صـ ١١٤ .

(٦٧) لمزيد عن هذا الرأى ينظر جولد تسهير:مرجع سبق ذكره ص ص ١٥٩ ـ ١٦٢.

(٦٨) نقلاً من كشف الظنون: مصدر سبق ذكره ، وللمزيد يرجع إليه مج٢ صـ١٢٨٩.

(٦٩) عن ذلك يرجى النظر فى الحموى: مصدر سبق ذكره ، جـ١ ، ص ص٢٠٩ ـ٢١٠ صـ ٢٤٤ـ٢٤٥ ، ص ص ٩١٤ـ٩١٥ المحبى: مصدر سبق ذكره ،جـ٣ صـ١٥٧ جـ٤ صـ ٤٤.

(٧٠) وتسمى هذه القصيدة بـ " القصيدة العينية " فى بيان أحوال النفس الناطقة وتعلقها إلى البدن وفراقها عنه . للشيخ الرئيس أبى على حسين بن عبد الله بن سينا (ت٤٢٨هـ ـ١٠٣٧م). وعدتها ثلاثون بيتاً أولها .

هبطت إليك من المحل الأرفع .:. ورقاء ذات تعزز وتمنع

وهى مسوقة لبيان ما يتعلق بالأرواح ـ كشف الظنون ، مج٢ ، صـ ١٣٤١ .

(٧١) مطـــبوع .

(٧٢) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٩٣٢ ل .

(٧٣) لمزيد من التوضيح فى ذلك يرجى الرجوع إلى إجازة الشيخ عبد الحى الشربلالى ، مصدر سبق ذكره عنوان " مجموعة اجازات ، مخطوط برقم ٢٣٨٣٩ ب وقة ٦ - أ وإجازة الشيخ احمد المنزلى ورقة ٣ -أ- ب ، مصدر سبق ذكره .

(٧٤) أيساغوجى ـ لفظ يونانى معناه الكليات الخمس أى الجنس، والنوع،والفصل والخاصة والعرض العام، وهو باب من الأبواب التسعة للمنطق ـ كشف الظنون ، مج١ ، ص٢٠٦.

(٧٥) وقد جعله النفتازانى على قسمين الأول فى المنطق ،والثانى فى الكلام ، واختصر المقاصد فى كلامه ، ولما كان منطقة أحسن ما صنف فى فنه ، اشتهر واكب عليه المحققون بالدرس والإقراء . وصنفوا له شروحاً كثيرة ، كشف الظنون ،مج١ ص ص ٥١٥ ، ٥١٦

(٧٦) المحبى : جـ٤ ، صـ ٤٤ .

(٧٧) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ضمن مجموعة من ورقة ١٢٨إلى١٤٥ تحت رقم (٣٦) ٣٢٠٣.

(٧٨) معجم المؤلفين ، جـ١ ، صـ ٩٦ .

(٧٩) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ضمن مجموعة من ورقة ٦٨ إلى ٨٧ تحت رقم (٥٠٠ مجاميع) ٢٣١٤٣ .

(٨٠) المحبى ، جـ١ ، صـ ٢٣٤ .

(٨١) المحبى : جـ ٣ ، صـ ١٥٧ .
(٨٢) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ـ ضمن مجموعة من ورقة ١٥٩ إلى ٢٥٩ تحت رقم (٧٦٢) السقا ٢٨٦٥٧ .
(٨٣) هو شرح ينسب للشيخ عبيد الله بن فضل الله الخبيصى .
(٨٤) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ٥١٠ .
(٨٥) المحبى : جـ١ ، صـ ٣١٢ .
(٨٦) فهرس مكتبة رفاعه ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ١ صـ ١٣٨ .
(٨٧) ومن ذلك ما قام به كل من العالمين التفتازانى ، والمناوى ـ يرجى النظر إلى ص ص ٤١٢ ، ٤١٤.
(٨٨)
جورجى زيدان : تاريخ الآداب العربية ، مرجع سبق ذكره ،جـ ٣ ،صـ ٣٣٨.
(٨٩)
(٩٠) قال ابن خلدون : علم الازياج هو صناعة حسابية على قوانين عدديه فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، وما أدى إليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة وبطء ، واستقامة ، ورجوع ، وغير ذلك ، يعرف به مواضع الكواكب فى أملاكها لأى وقت فرض من قبل حساب حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة .
ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والأصول لها فى معرفة الشهور والأيام والتواريخ= =الماضية ، وأصول متقرره من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض ، ويضعونها فى جداول مرتبه تسهيلاً على المتعلمين وتسمى الأزياج . المقدمة ، صـ ٤٧٣.
(٩١) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى ، س٨٢ ، صـ ١٧٣ ، م٨٢٨ تاريخ (١٠١٢هـ ـ ١٦٠٣م) س٨٦ ،صـ ١٧ ،م١٠١،تاريخ (١٠١٥هـ ـ ١٦٠٦م).
(٩٢) الخفاجى ـ ريحانة الألبا ـ مصدر سبق ذكره،، ص ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .
(٩٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٦٢٧ فلك وميقات .
(٩٤) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ٢٦ ورقة تحت رقم (٢٤١٩) ٤٣١٣٩ .
(٩٥) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، مرجع سبق ذكره ، جـ٨ ، صـ ٢٢٢ .
(٩٦) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ضمن مجموعة من ورقة ١ إلى ٢٧ تحت رقم (١٣)٤٥٤٠.
(٩٧) وهو شرح على كتاب " الفتحيه فى الأعمال الجيبيه " لسبط الماردينى وبدر الدين محمد بن محمد بن الفارض وقد رتبه على مقدمة وعشرين باباً ـ إيضاح المكنون ، مج٤ ، صـ ١٧٦ .
(٩٨) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٣٢ ميقات طلعت .
(٩٩) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٣٩٨٤ ـ ٢٠٣ فلك وميقات .
(١٠٠) الحموى : جـ ١ ، صـ ١٠٩ .
(١٠١) بروكلمان : جـ ٨ ، صـ ٣٣٣ .
(١٠٢) هو ابن الشاطر الأنصارى الدمشقى الفلكى (ت ٧٧٧هـ ـ ١٣٧٥م) صاحب الزويج المنسوب

إليه ـ كشف الظنون ، مج٢ ، صـ ٩٦٥ .
(١٠٣) بروكلمان : جـ٨ ، صـ ٣٣٤ .
(١٠٤) بروكلمان : جـ٨ ، صـ ٣٣١ .
(١٠٥) هو العالم الفلكى محمد بن شاهر السمرقندى (ت ٨٢٣هـ ـ ١٤١٨م) صاحب الزيج الذى عرف به ، زيج الوغ بيك " والرصد الذى نسب إليه " رصد الوغ بيك " كشف الظنون ، مج١ ، صـ ٩٠٧ . مج٢ ، صـ ٩٦٦ .
(١٠٦) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٤ فلك وميقات .
(١٠٧) بروكلمان : جـ٨ ، صـ ٣٣٢ .
(١٠٨) نفس المرجع ، جـ٨ ، صـ ٣٣٣ .
(١٠٩) مخطوط بدار الكتب ـ تحت رقم ٢٥٦ رياضيات تيمور .
(١١٠) مخطوط بدار الكتب ـ تحت رقم ميكروفيلم ٥٠٨٣٢ ـ ٣٤٦ رياضيات تيمور .
(١١١) تاريخ الجبرتى ، مصدر سبق ذكره ، جـ١ ، صـ ٩٥ .
(١١٢) الجبرتى ، جـ١ ، ص ص ٩٥ ـ ٩٦ .
(١١٣) الكيلار ـ هى غرفة تخزن فيها حوائج البيت من المواد الغذائية ـ إذا فالكلارجى هو العامل فى الكلار ـ أحمد السعيد سليمان ـ تأصيل الدخيل ـ مرجع سبق ذكره صـ ١٨٠ .
(١١٤) تاريخ الجبرتى جـ١ صـ ٩٦ .
(١١٥) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٧٦ رياضيات تيمور .
(١١٦) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٢١١رياضيات .
(١١٧) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٨٠٢ رياضيات
(١١٨) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ـ بخط المؤلف سنة ١١٠٥هـ ـ ١٦٩٣م فى ٨٨ ورقة برقم (٦٣) ٨٢١٦ .
(١١٩) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٧٠٠ ميقات .
(١٢٠) الجبرتى : جـ١ ، صـ ٩٦ .
(١٢١) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٣١ رياضيات تيمور .
(١٢٢) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٧٣ ميقات م .
(١٢٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٤٤٥ فقه شافعى .
(١٢٤) قال الخفاجى : زيج خيط البناء ونقل من كتاب مفاتيح العلوم : الزيج كتاب يحسب فيه سر الكواكب ، ويستخرج التقويم ، أعنى حساب الكواكب سنة بسنه ـ الخفاجى : شفاء الغليل ، مصدر سبق ذكره ، صـ ١١٤ .
(١٢٥) مخطوط بدار الكتب ـ تحت رقم ١٨٨ رياضيات تيمور .
(١٢٦) الجبرتى : جـ١ ، صـ ٩٥ .
(١٢٧) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٤٥ ميقات .
(١٢٨) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٨٣ ميقات م .

(١٢٩) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٤٠٢٤ ك .
(١٣٠) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٥٩ رياضيات تيمور .
(١٣١) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٧٧٦ ميقات .
(١٣٢) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٤٠١٩ ك ـ ميكروفيلم ١٨٤٩١ .
(١٣٣) بروكلمان : جـ ٨ ، صـ ٣٣٤ .
(١٣٤) دار الوثائق القومية : حجج أمراء سلاطين ـ محفظة رقم ٥٠ حجة ٣٤٣ ـ طول ١٨٧٤ سم ـ عرض ٢٩ سم . نفس الأرشيف والمصدر ، محفظة رقم ٥١ حجة ٣٤٩ طول ٣٠٧ سم ـ عرض ٢٩ سم .
(١٣٥) الشرنبلالى : رسالة الزهر النضير على الحوض المستدير ، من كتاب التحقيقات القدسية ، مصدر سبق ذكره ، من ورقه ٣١ إلى ورقه٣٧ وقد فرغ من تلك الرسالة فى أواخر شوال ١٠٥٧هـ ـ ١٦٤٦م .
(١٣٦) نفسه : ورقة ٣٢ ب .
(١٣٧) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٣٠٩ حساب ورياضيات .
(١٣٨) مخطوط بدار الكتب تحت رقم م٣ حساب وجبر ومقابلة وهندسة .
(١٣٩) هدية العارفين ،مج٥ ، صـ ٢٦٩ .
(١٤٠) بروكلمان : جـ٨ ، صـ ٣٦١ .
(١٤١) مخطوط بدار الكتب ـ تحت رقم ٢٩٩ حساب ورياضة .
(١٤٢) المحبى : جـ٢ ، ص ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧ .
(١٤٣) بروكلمان : جـ ٨ ، صـ ٣٦٠ .
(١٤٤) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ضمن مجموعة من ورقة ١ إلى ٥٢ برقم (٥٥٩ مجاميع) رافعى ٢٧٥٩٦ .
(١٤٥) مخطوط بالمكتبة الأزهرية فى ١٢ ورقة . برقم (٣٦٧) الأمبابى ٤٨٨٦ .
(١٤٦) مخطوط بالمكتبة الأزهرية ضمن مجموعة من ورق ٢٨٤ إلى ٣٢٣ برقم (٣٨) ٤٣٨٥ .
(١٤٧) جورجى زيدان . تاريخ الآداب العربية مرجع سبق ذكره جـ٣ صـ ٣٣٨ .
(١٤٨) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية ، س٦٩ ، صـ ٦٨٧ ، م ٩٦٦ بتاريخ (صفر ١٠٨٢هـ ـ ١٦٧١ م) .
(١٤٩) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية ، س٢٧ ، صـ ١٠ ، م٢٢ بتاريخ (ذى القعدة ١٠١٥هـ ـ ١٦٠٦م) .
(١٥٠) نفس الأرشيف ـ محكمة الباب العالى ، س٨٦ صـ٦٧ ، م ٤٥٩ تاريخ (شوال ١٠١٥هـ ـ ١٦٠٦م) .
(١٥١) دار الوثائق القومية. محكمة القسمة العسكرية ، س ٣٦ ، صـ ٥٢٢ ، م٧٣٣ بتاريخ (ربيع الأول ١٠٣٣هـ ـ ١٦٢٢).
(١٥٢) نفس الأرشيف ، محكمة الباب العالى ، س١٢٨ ، صـ ١٤٥ ، م ٦١٩ ، تاريخ (رجب ١٠٦٠هـ ـ ١٦٤٩م) .

(١٥٣) نفسه والمحكمة ، س ٦٥ ، صـ٢٣ ، م٤٢٢ ، بتاريخ (ذى الحجة ١٠٧١هـ ـ ١٦٦٢٠م).
(١٥٤) نفسه والمحكمة ، س٥٥ ، صـ٢٦١ ، م٤٤٧ ، بتاريخ (شعبان ١٠٥٨ هـ ـ ١٦٤٨م). محكمة القسمة العربية س٦٧ صـ٤٢-٤٣ م٥٧ (شوال ١١٠٠هـ ـ ١٦٨٨م).
(١٥٥)نفسه و ، ص٧٥ ، صـ ٥٢٨ ، م٢٠٠٩ ، بتاريخ
(صفر ١٠١٠هـ ـ ١٦٠١م) .
(١٥٦) نفسه : محكمة القسمة العسكرية ، س ٤٤ ،ص ص ، ٢٠٢,٢٠١ ، م٣٢٩ ، بتاريخ (ربيع الأخر ١٠٤٥هـ ـ ١٦٣٥م).
(١٥٧) نفسه ـ محكمة الباب العالى ، س٨٧ ، صـ٢٤٢ ، م١٠٣٨، بتاريخ (جمادى الأول ١٠١٦هـ ـ ١٦٠٧م).
(١٥٨) نفسه و، س٨٢ ، صـ ٣٥٩ ، م١٧٥٥ ، بتاريخ
(ربيع الأول ١٠١٣هـ ـ ١٦٠٤م).
(١٥٩) نفس الأرشيف والمحكمة ،س٨٢ ، صـ٨٩ ، م٤١٧ بتاريخ (شوال ١٠١٢هـ ـ ١٦٠٣م).
(١٦٠) نفسه والمحكمة ، س٧٧ ، صـ٣٩٥ ، م١٨٧٣ بتاريخ (جمادى الأخر ١٠١٨هـ ـ ١٦٠٢م).
نفس المحكمة ، س٨٦ ، صـ٢٩ ، م١٨٤ بتاريخ (رمضان ١٠١٥هـ ـ ١٦٠٦م).
(١٦١) نفسه والمحكمة ، س١٥١ ، صـ٨١ ، م٤٠٢، بتاريخ (١٠٨١هـ ـ ١٦٧٠م).
(١٦٢) نفسه و محكمة دمياط ،س١٠١ ،صـ١٩٩ م٦٢٠ بتاريخ(١٠٦١هـ ١٦٥٠م)
(١٦٣) نفسه و محكمة الإسكندرية ، س٣٦ ، صـ ٥١ ، م١٤٢ ، تاريخ
(١٠١٧هـ ـ ١٦٠٨م).
(١٦٤) نفس الأرشيف: الدشت محفظة رقم ١٤٣ ، صـ ٣٩٨ ، تاريخ (ذى الحجة ١٠٣٤هـ ـ ١٦٢٤م).
(١٦٥) نفسه محكمة القسمة العسكرية، س٢٥ ، ص ص ٨٣ ـ ٨٤ ، م ١٤٥ تاريخ (محرم ١٠١٢هـ ـ ١٦٠٣م) .
(١٦٦) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٨٠ طب .
(١٦٧) هدية العارفين ، مج٣ ، صـ ٥١٠ .
(١٦٨) المحبى ، جـ٢ ، ص ص ٤١٥ ـ ٤١٦ .
(١٦٩) الحموى : جـ٣ ، صـ ٩٦٤ .
(١٧٠) الحموى : جـ١ ، صـ ٩١٥ .
(١٧١) تذكره القليوبى ، ط المطبعة الشرقية بالقاهرة لسنة ١٣٠٤هـ ، ١٨٨٦م صـ٢ .
(١٧٢) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ١٦١ .
(١٧٣) مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (١٢٢) ١٢٠٣٣ .
(١٧٤) هدية العارفين ، مج٥ ، صـ ١٦١ .
(١٧٥) الخفاجى ـ ريحانة الالبا ـ مصدر سبق ذكره صـ ١٨١ .
(١٧٦) دار الوثائق القومية : محكمة الباب العالى ، س٧٥ ، صـ ٦٣٣ م٢٤٥٤ ، تاريخ

(ربيع الثانى ١٠١٠هـ ـ ١٦٠١م).

(١٧٧) وقال فى سبب وضعه لتلك الرسالة : " وقد كان أحمد بن إبراهيم الجزار ، وضع فى ذلك مقالة مفردة لم يستنقص فيها ما يحتاج إليه من تلخيص القول واستيفا الوصف فى ذكر الأسباب البلدية ، وما يحدث عنها ، وما يدفع به ضررها ، وحليق وأن يكون عرض لها النقصان من قبل أنه رجل من أهل المغرب ، لم يعاين مصر معاينة اختبار وامتحان ولكن سمع بها سماعاً فذكر ما سمع به فقط فحسب ما تضمنه كلامـه ، وكتابنا هذا يزيد على كتابه بمقدار فضل قوتنا على قوته فى أنواع الفلسفة ، وبمقدار اختبارنا أرض مصر بالمشاهدة دون الخبر سنين كثيرة متوالية .
ابن الصائغ : رسالة فى حكم طب أهل مصر ، وفى حكم الفصول الأربعة ـ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٢٧٦٢ ـ ٢١ طب م، ص ص٢ ـ ٣ .

(١٧٨) المصدر السابق ، صـ ٤ .

(١٧٩) دار الوثائق القومية : محكمة القسمة العسكرية ، س٤٤ ، صـ ٢٠٣ ، م٣٣٣ تاريخ (ربيع الأخر ١٠٤٥هـ ـ ١٦٣٥م).

(١٨٠) الخفاجى ، ريحانة الألبا ، مصدر سبق ذكره ، صـ ٢٧٢ .

(١٨١) مدين القوصونى : قاموس الأطباء . وناموس الألبا ، مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم ميكروفيلم ٥٨٦٨٤ ، طب ١٣٣٢ ، جـ١ ، ص ص ٦ ـ ٧ .

(١٨٢) قاموس الأطباء ، مصدر سبق ذكره ، جـ١ ، صـ٧ .

(١٨٣) نقلاً من نفحة الريحانة للمحبى : مصدر سبق ذكره ، جـ ٣ ، ورقتى ٢٧٦ ب ـ ٢٧٧أ .

(١٨٤) القوصونى : تكملة شرح الأسباب والعلامات ، مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم ميكروفيلم ٢٣٣٤٥، ك ٥٠٧٧ . ويعد هذا الكتاب أصلاً تكملة لشرح الشيخ العلامة الطبيب نفيس ابن عوض بن حكيم الذى فرغ من تأليفه سنة ٨١٥هـ (١٤١٢م). والكتاب الأخير شرح لكتاب العلامات والأسباب للشيخ العلامة نجيب الدين محمد بن على بن عمر السمر قندى (ت٦١٨هـ ـ ١٢٢١م) المصدر نفسه ورقة ٢ أ . ب .

(١٨٥) قال صاحب كشف الظنون عنه أنه : من القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب المنسوبة إلى العالم المعروف بأبى العباس أحمد السبتى ، وهو من إعلام المتصرفة (المتصوفة) بالمغرب كان فى أخر المائة السادسة بمراكش ، وبعهد يعقوب ابن منصور من ملوك الموحدين ، وهى كثيرة الخواص يذيعون (يولعون) باستفادة الغيب منها بعلمها ـ للمزيد يرجع لكشف الظنون ،مج٢ ،ص ص ٩٤٨ ـ ٩٤٩ .

(١٨٦) وقد قال عنه ابن خلدون : هو المسمى لهذا العهد بالسيميا نقل وضعه من الطلمسات إليه فى اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام فى الخاص ، وحدث هذا العلم فى الملة بعد صدر منها ، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم ، والتصرفات فى عالم العناصر وتدوين الكتب والاصطلاحات ، ومزاعمهم فى تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه وزعموا أن الكمال الاسمائى

مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية فى الأسماء فهى سارية فى الأكوان، للمزيد ينظر فى مقدمة ابن خلدون، ص ص ٣٥٣ ـ ٣٥٥ .

(١٨٧) المحبى : جـ ٤، صـ ٤٤ .

(١٨٨) بروكلمان : جـ٨، صـ ٣٥٩ .

(١٨٩) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٨٦ حروف واوفاق .

(١٩٠) بروكلمان : جـ٨، صـ ٣٦٠ .

(١٩١) الحموى : جـ٢، صـ ٢٥٥ .

(١٩٢) المحبى : جـ ٣، صـ ١٦١ .

(١٩٣) المحبى : جـ٢، صـ ٤١٥ .

(١٩٤) مطبوع وقام بتحقيقه عبد السلام هارون .

(١٩٥) ومما قاله صاحب كشف الظنون عنه : " إنه لما كان مؤلفه فقيه ومن غير المتخصصين فى هذا العلم، وأنه كما صرح صاحبه أنه قصد منه تصحيح الأسماء، وتفسير المبهم منها، وإنه رتبه على حروف المعجم، كما ذكر أيضاً أنه جمعه من خمسمائة وستين كتاباً، ومائة وتسعة وتسعين ديواناً من دواوين العرب الشعرية، وجعله نسختين كبيرة وصغيره، وتناوله العلماء من بعده بالتصنيف وخاصة لاختصاره ـ كشف الظنون، مج ١، صـ٦٩٦ ـ ٦٩٧ .

(١٩٦) المحبى : جـ١، صـ ٢١٣ .

(١٩٧) بحر الطويل .

(١٩٨) وهو العالم أبو الفتوح محمد بن عبد السلام نزيل الشام (ت ٩٩٥ هـ ـ ١٥٨٦م) من كتاب "السنا الباهر بتكميل النور الساقر" لجمال الدين أبى علوى أبى بكر، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٣٥٨٢ تاريخ ١٥٨٦ صـ٨١٦ـ٨٢٣.

(١٩٩) بحر البسيط .

(٢٠٠) بروكلمان : مرجع سبق ذكره، جـ٨، صـ ٣٦٠ .

(٢٠١) كشف الظنون، مج٢، صـ ٩٦٥ .

(٢٠٢) الحموى : جـ٣، صـ ٩٦٥ .

(٢٠٣) النابلسى : الحقيقة والمجاز، رحلة، مصدر سبق ذكره، صـ ٢٢٧ .

(٢٠٤) المرادى : سلك الدرر، مصدر سبق ذكره، جـ٣، صـ ٣٥ .

(٢٠٥) معجم المؤلفين، جـ٢، صـ ٩٦١.

الفصل السادس
جهود العلماء فى العلوم الإجتماعية

سوف نتناول في هذا الفصل بالدراسة الحديث عن الكتابات التاريخية والجغرافية التي تم وضعها خلال تلك الفترة ، ولما كان من الصعب تصنيف علم التاريخ ضمن العلوم العقلية أو النقلية رأت الدراسة إفراد الحديث عنه هو والجغرافيا في فصل مستقل، وتحقيقا للفائدة المرجوة من معرفة جهود العلماء في التاريخ فسوف تقوم الدراسة بتقسيم الكتابة التاريخية إلي ثلاثة أنواع : السير والمغازي ، التراجم ، الكتابة التاريخية التقليدية، وفي كل سوف تحاول الدراسة إلقاء الضوء على الصور أو الأشكال التي جاءت عليها إسهامات علماء ذلك القرن في هذا المجال ، ومدى دقة هؤلاء العلماء في تتبع الأحداث التاريخية التي سبقتهم ، ونوعية المصادر التي اعتمدوا عليها ، وهل حرص هؤلاء العلماء على ذكر المصادر التي اعتمدوا عليها ؟ أم أنهم غفلوا عن هذه النقطة المنهجية الهامة ؟ والأغراض التي دفعت بهؤلاء العلماء إلي بذل جهودهم لإنتاج تلك الأعمال ، وهل كان لهؤلاء العلماء رؤى جديدة تجاه الأحداث التي أرخوا لها ؟ أم أن الأمر كان عبارة عن نقل ما احتوته كتب السابقين عن تلك الأحداث وحسب ؟ وهل من جديد قدمه هؤلاء؟ أم أن كتاباتهم لم تختلف عما سبقها ؟ مع توضيح بعض الجوانب التي انفردت بها الكتابة التاريخية التقليدية ، والفائدة التي مثلتها تلك الكتابات في تاريخ مصر ، هذا بالإضافة إلي ما يمكن أن يعطينا صورة واضحة عن جهود المؤرخين إبان فترة الدراسة.

هذا إلي جانب إلقاء الضوء على إنتاج علماء تلك الفترة في علم الجغرافيا ، وهو ما يمكن القارئ من الوقوف على حالة الكتابة الجغرافية في فترة الدراسة ٠

أولا : التاريخ

وفيه سوف نتحدث – كما أشير– عن ثلاثة أنواع من الكتابات التاريخية أولها :

كتابة السير والمغازي :

تعتبر الكتابة التاريخية في السير والمغازي من أقدم الكتابات التاريخية الإسلامية وذلك نظرا لارتباطها الشديد بالحديث النبوي وما شاكله من مواضع قرآنية ، ومما زاد من اعتناء المسلمين الأوائل بدراسة هذا الجانب الهام ما نص عليه القرآن الكريم من أن سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل المسلمين يقتدون به . قال تعالى : " لقد كان لكم

في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الأخر وذكر الله كثيرا " (١) وكان لهذا التأكيد أثره في عناية كتاب العربية بدراسة السيرة النبوية ، ودراسة حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد كان من أهم الأسباب التي دعت المسلمين الأوائل بالاعتناء بكتابة السير وتدوينها . ما كان من كثرة الأقاويل الكاذبة على أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتنبه الأوائل إلى هذا الأمر الهام ، فمن ذلك قول سفيان ـ رضى الله عنه ـ : " لما أستعمل الرواة الحديث استعملنا لهم التاريخ". وهذا قول عمار بن زيد : " لم يستعن على الكذاب بمثل التاريخ " (٢) .

ولقد توارثت الأجيال المتعاقبة العناية بالكتابة التاريخية في هذا المجال حتى مجيء العصر العثماني حيث نجد أن الكتابة التاريخية في هذا المجال قد لقيت نشاطا كبيرا وملحوظا ، خاصة في القرن الـ١٧م فقد كثر التصنيف في هذا المجال. وجاءت تلك المصنفات في أشكال متعددة ومتنوعة ، فمنها التي تناولت سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بصورة كاملة ومستقلة ومنها التي تناولت سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) جميعها . ولكنها وضعت على هيئة شروح وحواش على كتب السابقين ، ومنها التي تناولت جانبا معينا من جوانب السيرة .

فمن الأعمال التي تناولت أو شملت معظم من جوانب السيرة ، تلك السيرة التي قام العالم علي الحلبي (ت ١٠٤٤هـ ـ ١٦٣٤م) . بوضعها والتي سماها " إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون " (٣). في ثلاثة مجلدات ـ ولقد سبق وأن أشير إلى أنها كانت ضمن المقررات السابقة في تدريس مادة السيرة بالأزهر في ذلك الحين (٤) ـ ويحدثنا المحبي عنها بقوله: "أن الحلبي اختصرها من سيرة الشيخ محمد الشامي ، وزاد أشياء لطيفة الموقع ، وقد اشتهرت اشتهارا كثيرا ، وتلقاها أفاضل العصر بالقبول ...."(٥)

وعلى ما يبدو أن ما احتواه ذلك العمل من قيمة جذب انتباه البعض فقام بإعادة إنتاجه مرة أخرى مع شيء من التعديل ، فها هو الشيخ العالم إبراهيم بن محمد السوهائي الأزهري (ت ١٠٨٠هـ ـ ١٦٦٩م) . يقوم بتلخيص سيرة الحلبي في مجلد واحد تحت عنوان " هداية المشغول لسيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) " . وقد أفصح لنا عن سبب اقدامه على هذا العمل قائلا : " إن سيرة الشيخ الإمام والحبر الهمام أبي الحسن علي بن برهان الدين الشهير بالحلبي كتاب عظيم راق للأحداث

وحلا للأذواق ، وليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، لم ينسج ناسج على منواله ، ولم تسمح قريحة بمثاله ، إذ هو جامع لسيرة ابن سيد الناس ، وسيرة الشمس الشامي ، مع ما ضمه إليها من الفوايد النفيسة ، على غاية الانسجام ونهاية الانتظام . لكنه أطال كثيرا بالنسبة لذي الهمة القاصرة والعزيمة الفاترة ، والشواغل المتكاثرة فأجببت أن ألخص منها شذرة لطيفة مهذبة التراكيب والترتيب ظريفة ، وأسوق القصة فيها مساقا واحدا مع حذف الغرو ، والاقتصار من الطرق الكثيرة على طريق منها أو طريقين . وربما خالفته سياق الأصل فقدمت أو أخرت لانسجام القصة أو لمناسبة التاريخ . وربما زدت من كلام الأصل فلابد من تسمية الكتاب المأخوذ منه بقولي قال في كتاب كذا ، أو في كتاب كذا . وأقول في آخر ما أنقله عنه انتهى ، وما خالفت فيه الأصل من تاريخ الحوادث فذلك من تاريخ الفقير " (٦) . وبهذا يكون قد أوضح لنا سبب شروعه في هذا العمل، ودقة منهجه العلمي في إرجاع كل رأي إلى المصدر الذي نقل عنه .

أما ترتيبه لهذا العمل ، فقد رتبه على ثمانية وعشرين بابا تناول فيها سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مولده إلى وفاته ، وخاتمة فيها أحد عشر مقصدا ، كل مقصد ضمن فيه الحديث عن أهم الأحداث التي وقعت في كل قرن من القرون الهجرية . بداية من القرن الأول وحتى القرن الحادي عشر . وبذلك يكون نصيب مصر العثمانية من تلك الخاتمة في المقصدين العاشر والحادي عشر ، وقد كان غالب اعتماده في التاريخ عن تلك الفترة على تاريخ مرعي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ - ١٦٢٣م) . المسمى بـ " نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين " .

هذا وإن كان السوهائي قد قام بتلخيص سيرة الحلبي في مجلد واحد إلا أننا نرى أن هناك من أقدم على وضع عمل في السيرة النبوية بشكل مختصر جدا ، كالشيخ العالم محمد بن أحمد بن علي البهوتي (ت ١٠٨٨هـ - ١٦٧٧م) الذي قام بوضع عمل في السيرة تحت عنوان " التحفة الظريفة في السيرة النبوية " (٧). في تسع ورقات، تناول فيها سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بصورة مختصرة للغاية ، إذ اكتفى بذكر أهم الأحداث التي حدثت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) دون التعرض لأدنى تفصيل يذكر.

وهكذا نجد أنفسنا أمام أساليب ثلاث تناولت السيرة من كافة جوانبها ، كل أسلوب يناسب مستوى معينا من مستويات طالبي ذلك المجال ، فأسلوب الحلبي المطول

يناسب المتخصص أو المتعمق في ذلك المجال ، وأسلوب السوهائي المختصر بعض الشيء، يناسب الذي يريد لمحة سريعة ويضيق وقته على قراءة المجلدات، وأسلوب البهوتي يناسب حالة الطلبة في اجتياز الاختبارات العلمية ، وهذا يكشف لنا عن رؤية هؤلاء العلماء لكافة المستويات ووضع المصنفات بما يتناسب مع كل مستوى .

ثم نأتي إلى شكل آخر من أشكال التصنيف في السيرة من كافة جوانبها وهو قيام علماء فترة دراستنا تلك بإعادة إنتاج كتب السابقين ـ في هذا المجال ـ إما بشرحها أو تعليق الحواشي عليها . ومن تلك الأعمال كتاب "الدرر السنية في نظم السيرة النبوية" للحفاظ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي (ت ٨٠٥هـ ـ ١٤٠٢م) . وهو ألفية في الرجز (٨). ولذا يطلق عليه ألفية العراقى . حيث قام علماء تلك الفترة بشرح هذه الألفية . ونجد على رأسهم عبد الرءوف المناوي (ت ١٠٣١هـ ـ ١٦٢١م) الذي قام بشرحها شرحا مبسوطا ، ثم قام بتلخيص شرحه هذا وسماه " الفتوحات السبحانية في شرح نظم الدرر السنية في السيرة الزكية " (٩).

ومن الذين قاموا بشرح تلك الألفية أيضا . علي الأجهوري المالكي (ت ١٠٦٦هـ ـ ١٦٥٥م) (١٠). كما نجد الشيخ العالم برهان الدين إبراهيم بن مرعي الشبرخيتي (ت ١١٠٦هـ ـ ١٦٩٥م) . أحد الذين قاموا بشرح تلك الألفية (١١).

ومن الأعمال الجامعة لجوانب السيرة وتنافس علماء القرن في إعادة انتاجها كتاب " المواهب اللدنية بالمنح الرحمانية " للقسطلاني (١٢) (ت ٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م) . فنجد من الذين قاموا بوضع تحريراتهم عليه محمد بن أحمد الشوبري الشافعي (ت). وذلك بوضعه حاشية(١٣). وهناك حاشية على نفس الكتاب إبراهيم الميمون١ي الشافعي (١٤).

وممن تضلع في تعليق تحريراته على ذلك الكتاب، العالم علي الشبراملسي الشافعي (ت ١٠٨٧هـ ـ ١٦٧٦م) . الــذي وضع حاشية عليه في خمسة مجلدات ضخمة (١٥).

وممن قام بشرح ذلك الكتاب . العالم أبو عبد الله محمد بن علوان الزرقاني (ت ١١٢٢هـ ـ ١٧١٠م) . الذي قال عنه الجبرتي كان معيدا لدروس الشبراملسي . وكان يعتني بشأنه كثيرا ، وكان إذا غاب يسأل عنه ، ولا يفتح درسه إلا إذا حضر ، مع أنه أصغر طلبته . فكان محسودا لذلك في جماعته ، وكان الشيخ يعتذر عن ذلك ويقول : " إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أوصاني به " (١٦).

والناظر فيما قام علماء ذلك القرن بوضعه من تعليقات وحواشي على أعمال السابقين ـ المذكورة ـ يجد أنها احتوت على الكثير من الإضافات (١٧)، والتي تشير إلى أن انتخاب مثل تلك الأعمال وإعادة إنتاجها من قبل هؤلاء العلماء لم يكن من قبيل إعادة النسخ أو التكرار .

ومن الأشكال التي جاءت عليها جهود هؤلاء العلماء في هذا النوع من الكتابة التاريخية ، إفراد المصنفات في مواضيع محددة . ونجد من أهم تلك المواضيع . قصة الإسراء والمعراج ، ونظرا لأهمية ذلك الموضوع نرى أن علماء ذلك القرن المشاركين في كتابة تاريخ السيرة تنافسوا في وضع مصنفاتهم حوله .

وربما يرجع سبب هذا الاهتمام إلى أمرين هامين . أولهما : أن هذا الحدث أصبح يمثل للمسلمين إحدى أهم المناسبات الدينية والاجتماعية . ثانيهما : وهو الأهم أن هذا الحدث يعد من أهم المعجزات التي حدثت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومنكره كافر بالإجماع . ولذا لم يجتمع المشككون في الإسلام على أمر كما اجتمعوا على هذا الحدث وخاصة في العصر العثماني .

ويعد من أفضل من تناول هذا الموضوع بالتصنيف خلال ذلك العصر العالم نجم الدين محمد بن أحمد بن علي السكندري الغيطي (ت ٩٨٤هـ ـ ١٥٧٦م) حيث تناوله في كتابين ـ كبير وصغير ـ ومن ثم وجدنا الكثير ممن اهتم بالتصنيف في هذا الموضوع خلال القرن ـ محل الدراسة ـ قد ساوروا على ما سار عليه الغيطي في عمليه السابقين ـ وخاصة الكبير منها ـ هذا بالإضافة إلى من قام بإعادة إنتاجه ويأتي في طليعة هؤلاء علي الحلبي. الذي قام بوضع مصنف في ذلك بعنوان " حسن التبيين لما وقع في معراج الشيخ نجم الدين" (١٨).كما نجد الشيخ العالم علي البتيتي يقوم بوضع شرح على معراج النجم الغيطي (١٩).

وممن أجاد في تصنيفه لهذا الموضوع علي الأجهوري المالك وذلك بوضعه مؤلفا فيه بعنوان " النور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج "(٢٠). كذلك نجد أحمد القليوبي. يضع مؤلفا في ذلك تحت عنوان الإسراء والمعراج " (٢١).

وممن بلغ قالب الإجادة في تناوله لهذا الموضوع أيضا . عبد السلام اللقاني. ومؤلفه بعنوان " السراج الوهاج لشرح قصتي الإسراء والمعراج " (٢٢). وممن تناول هذا الموضوع بالتصنيف أيضا جاد الله الغنيمي الفيومي ـ كان حيا سنة ١١٠١هـ (١٦٩٠م) ـ الذي قام بوضع مصنف تحت عنوان " كشف النقاب عن معراج الشهاب " (٢٣).

وهناك من أهتم بالتصنيف في هذا الموضوع ، ولكنه اقتصر على جزئية واحدة من القصة . مثل أحمد الحموي (ت ١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م) . في وضعه مصنفا في رؤية الرسول(صلى الله عليه وسلم) لربه وذلك تحت عنوان " حسن الابتهاج برؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) ربه ليلة المعراج " (٢٤).

وكما نوهنا إلى أهمية هذا الموضوع نرى محمد بن محمد المعروف بألتي برمق الرومي (ت ١٠٣٣هـ - ١٦٢٣م) . يقوم بترجمته إلى اللغة التركية ، وقد أشتهر بها . حيث نرى كلا من المحبي والحموي يسميانه أو يصفانه بأنه صاحب السيرة النبوية التركية(٢٥).

ومن الأعمال التي وضعت حول الإسراء والمعراج كتاب " التحفة السنية بأجوبة الأسئلة المرضية " العالم أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد أبن شمس الدين بن علي المعروف بالبشبيشي (ت ١٠٩٦ - ١٦٨٥م) الذي رد فيه على الأسئلة التي رفعها إليه وزير مصر عبد الرحمن باشا ، وعددها خمسة وعشرون سؤالا . وقد بدأ تلك الأسئلة بسؤال عن أول ما خلق الله تعالى من المخلوقات العرش أم الكرسي أم اللوح أم القلم أم الرسول محمد (ومعظم الأسئلة عما جرى لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ليلتي الإسراء والمعراج (٢٦).

وبعد فالناظر إلى تلك الأعمال يجد أن أسلوب العلماء قد اختلف في تناول موضوع الإسراء والمعراج . وتبعا لذلك اختلفت مرجعية كل منهم حسب الأسلوب الذي انتهجه . فمنهم من قام بشرح كتاب النجم الغيطي - كما أشير إلى ذلك - ومنهم من تناول هذا الموضوع من خلال تفسير الأيات القرآنية التي وردت فيها القصة كبدايات سورتي الإسراء والنجم . ومن ثم كانت المرجعية التي غلبت على هذا الأسلوب كتب التفسير وهو ما نلاحظه في تناول الأجهوري لهذا الموضوع في كتابه " النور الوهاج .. .. المذكور" ومنهم من تناول ذلك الموضوع من خلال الأحاديث التي وردت فيه ، وكانت الغلبة في مرجعيته لكتب الحديث ، وهو ما نلاحظ في تناول عبد السلام اللقاني في كتابه " السراج الوهاج .. .. المذكور" وهكذا .

ولكن الأهم من ذلك هل شهدت تلك الأعمال فكرا واعيا من هؤلاء العلماء في الرد على المنكرين لتلك المعجزة بأدلة علمية عقلية ؟ أم كانت أدلتهم في ذلك نقلية فحسب؟ لقد كشفت لنا تلك الأعمال عما كان يمتلكه هؤلاء العلماء من فكر علمي

سديد ، وقدرة للرد على المنكرين لتلك المعجزة بأدلة علمية تدحر كل معاند ، وهو ما نلمسه بوضوح من الأدلة العلمية التي ساقها الأجهوري في كتابة . " النور الوهاج .. .. " على المنكرين في كون النبي (صلى الله عليه وسلم) قد عرج بروحه وجسده من الأرض إلى السماوات في جزء من الليل حيث نراه يقول في ذلك : " .. .. والأكثر على أنه أسرى بجسده إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السماوات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى . ولذلك تعجبت قريش واستحالت ، والاستحالة مدفوعة بما يثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين كرة الأرض ماية ونيفا وستين مرة ، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضعها الأعلى في أقل من ثانية ، أي وهي جزء من ستين جزءا من الدقيقة ، والدقيقة جزء من ستين جزءا من الدرجة ، وقد برهن في الأحكام أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض والله قادر على كل الممكنات ، فيقدر أن يخلق مثل هــذه الحركة السريعة في بــدن النبي ، أو فيما يحمله ، والتعجب من لوازم المعجزات... "[27] وغير ذلك من الأدلة العلمية التي ساقها .

ومن الموضوعات المتعلقة بالسيرة النبوية ، والتي لقيت اهتماما من قبل علماء تلك الفترة فأفردوا لها المصنفات، مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونجد في مقدمة من تناوله بالتصنيف من هؤلاء العلماء ، الشيخ العالم علي الحلبي (ت ١٠٤٤هـ-١٦٣٤م). وذلك بوضعه مؤلفا تحت عنوان " الفجر المنير بمولد البشير النذير "[28].

وأيضا ما نراه من علي النبتيتي. الذي وضع مصنفا تحت عنوان "إرشاد الحائرين بشرح بهجة السامعين". وهو في الأصل شرح لكتاب "بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الأولين والآخرين" لنجم الدين الغيطي[29]. كما نجد للشيخ العالم عبد السلام اللقاني مصنفا في ذلك بعنوان " ابتسام الأزهار من رياض الأخبار في ربيع الأبرار في مولد الحبيب المختار " [30].

وهناك بعض الجوانب الأخرى والمتعلقة بسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أفرد لها علماء ذلك القرن المؤلفات ، وهي أشد صلة بشخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) كأسمائه، وأوصافه، وغير ذلك .

وممن صنفوا في ذلك مرعي الحنبلي. الذي وضع مصنفا في أوصاف النبي (صلى الله عليه وسلم) أردفه بذكر الخلفاء تحت عنوان " تلخيص أوصاف المصطفى وذكر من بعده من الخلفاء " [31].

ومن فاق غيره في هذا المجال أحمد المقري. وذلك بوضعه مصنفين فيه ، الأول ، في أسماء النبي. والثاني تحت عنوان "الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين " (٣٢) والثاني ، في وصف نعل النبي تحت مسمى " فتح المتعال في وصف النعال "(٣٣).

ومن له مشاركة في هذا الأمر أيضا عبد البر بن عبد القادر الفيومي (ت ١٠٧١هـ ـ ١٦٦٠م) الذي وضع مؤلفا عن نسب الرسول (صلى الله عليه وسلم) سماه " بلوغ الأرب والسول بالتشرف بذكر نسب الرسول (٣٤). كذلك نجد أحمد العجمي (ت ١٠٨٦هـ ـ ١٦٧٥م) مصنفين في نفس المجال ، الأول بعنوان " الأثار النبوية"(٣٥). والأخر قام فيه بنفي الأخبار التي اختلقت في حق الرسول وذلك بعنوان " تنزيه المصطفى المختار مما لم يثبت من الأخبار "(٣٦). ويتضح في ذلك اللون من ألوان الكتابة التاريخية الغيرة الإسلامية التي تؤدي في النهاية إلى تنقية التاريخ وتقديمه للقارئ بصورة صادقة . وهكذا فقد تناولت تلك الأعمال جوانب هامة في السيرة النبوية ، وإن كان معظمها قد بعدت عن الأحداث التاريخية التي حدثت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أثناء تأديته الرسالة. إلا أنها تعلقت بشخصه الشريف، بكونه رمز الدعوة الإسلامية فقامت تلك الكتابات بتسليط الضوء على خصوصيات الرسول ودرأ الافتراءات التي كان يختلقها البعض حول شخصه.

وبعد فقد وضح لنا ما لقيه هذا النوع من الكتابة التاريخية من نشاط واهتمام ملحوظين من قبل علماء تلك الفترة . وأن جهودهم فيه جاءت على صور متعددة غطت كافة جوانب السيرة النبوية. وقد كشفت لنا تلك الصور عن دقة هؤلاء العلماء في الرجوع إلى المصادر التي تخدم كل غرض أو صورة من تلك الصور . فهناك كتب الحديث والتفسير ، والتاريخ واللغة. وغير ذلك من العلوم التي تخدم هذا الأمر ، وقد رأينا أيضا أن هؤلاء العلماء لم تقف مرجعيتهم في هذا المجال عند العلوم النقلية فحسب ، بل تخطوا ذلك واستعانوا بالعلوم العقلية العملية التي تكسب الحجج والبراهين قوة للرد على بعض المعاندين تجاه بعض المعجزات التي ظهرت على يد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهذا جميعه كشف لنا عن المقدرة العلمية لهؤلاء العلماء ، ولعل جميع ما لمسناه من أوجه النشاط في هذا النوع من الكتابة التاريخية ، مما يجعلنا نقول أن هذا النوع قد عاش حركة إحياء وبعث في تلك الفترة ، كالتي عاشتها كتابة التراجم. وهو ما سنعرفه فيما يلي ذلك من صفحات .

ب ـ التراجم :

تعتبر التراجم من أعرق وأغنى الكتابات التاريخية الإسلامية ، والمعتقد أنه ليست هناك أمه عنيت بتدوين سيرة مشاهير رجالها كما فعلت الأمة الإسلامية . فمنذ بدأ ابن إسحاق بوضع سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) والواقدي وابن سعد في تأليف الطبقات إلى يومنا هذا، وكتابة التراجم هي الغالبة على كتابة التاريخ الإسلامي ، وقد بلغ من ولع المسلمين بهذا النوع من التاريخ ، تنوع التأليف به وتعدده ، حيث رتبوا السير على طبقات ، فطبقه للصحابة، وأخرى للتابعين، وطبقة للقراء، وأخرى للمحدثين، وطبقة للشعراء ، وطبقة للأدباء، وطبقة للنحاة ، وطبقة للأطباء ، بحيث قل أن تجد أهل فن أو علم، أو فرقة من الفرق، أو اتباع مذهب من المذاهب لم توضع ترجمه لطبقاتها(٣٧).

ومن أبرز هذه التأليف ، تراجم الأعيان دون الاقتصار على طبقة خاصة كوفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ ـ ١٢٨٣م) . وفوات الوفيات للكتبي (ت ٧٦٤هـ ـ ١٣٦٣م) . وتهذيب الأسماء للنووي (ت ٦٧٦هـ ـ ١٢٧٨م) . وهلم جرا بل ذهب بعض المؤرخين من المسلمين في تراجمهم للأعيان بتصنيف مؤلفاتهم وفق القرون ، فهذا الكتاب في أعيان القرن الثامن ، وذاك في أعيان القرن التاسع ، وهذا النوع الأخير أي الذي يتناول الأعيان بصفة عامة في قرن واحد أحدث عهدا من كتب الطبقات الأخرى ويدور أقدم المشهور منها على سير أعيان القرن الثامن الهجري ، وهو كتاب " الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ ـ ١٤٤٨م) ، ويليه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (ت ٩٠٢هـ ـ ١٤٩٦م)(٣٨).

وقد عايش هذا النوع من الكتابة التاريخية حالة من البعث والإحياء في العصر العثماني عامة. ونلمس هذا الأمر بوضوح من اهتمام علماء القرن الـ١٧م . وحرصهم على جمع التراجم لمعاصريهم .. وتدوين تلك التراجم في كتب خاصة بها . ولعل هذا الحرص يرجع سببه كما نوهنا سابقا ـ أثناء تناولنا لعلم الحديث ـ إلى اهتمام هؤلاء العلماء بالأسانيد والتثبت من رجال الروايات والتأكد من صلاحيتهم لذلك العمل المهم.

ولقد جاء اهتمام العلماء بهذا النوع من الكتابة التاريخية في أشكال متعددة ومختلفة ، منها التي تناولت تراجم المعاصرين مع من سبقهم بعدة قرون وتقسيم المترجم

لهم إلى طبقات ، ومنها التي تناولت المعاصرين والجيل السابق لهم فحسب ، ومنها التي اقتصرت على من عاصر المؤلف من العلماء ومن أخذ منهم العلم ، ومنها التي ركزت على إحدى الشخصيات المعينة والبارزة في مجاله ، ولا يخفي عليك أن هذا النمط الأخير كان يحكمه تعصب أو انتماء المؤلف لمن يترجم له ، إذ أنه في الغالب كان يترجم لتلك الشخصية لإظهار مناقبها والدفاع عنها ضد القادحين .

ومن أهم الأشكال التي جاءت عليها جهود العلماء في هذا الشأن صورة الطبقات، وأشهر من أجاد في هذا الأمر خلال ذلك القرن العالم عبد الرءوف المناوي الذى قام بوضع مصنفين في ذلك، الأول بعنوان" الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية " ويعرف بالطبقات الكبرى ، ونراه في كتابه هذا يفتتحه بمقدمة تناول فيها الحديث عن كرامة الأولياء ، وإمكانية وقوعها ، ورأى علماء الإسلام في ذلك . ثم بعد ذلك يتناول سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل تطرقه إلى الحديث عن تراجمه وفيها تناول الصوفية في طبقات عشر ، كل مائة سنة طبقة ، ورتبهم على حروف المعجم. وندعه يحدثنا عن منهجه في هذا الكتاب فيقول : " فأنزلت الصوفية في طبقات وضربت لهم في هذا الموضوع سرادقات ، ورتبتهم على حروف المعجم عشر طبقات ، كل ماية سنة طبقة ، وجمعت منهم كواكب كلها معالم الهدى .. .. اقتصرت على جمع من النساك المشتهرين بالزهد المتحققين بالإرشاد والرشد. فمن له كلام عال في الحقايق وباشر الأحوال والطريق، وظهرت عليه الكرامات والخوارق ، وقاطع القواطع والعلايق . فإن القصد بهذا التعليق النفع بما لهم من الكلام في الحقايق والحكم والأحكام ، وما سواه بالنسبة إليه تتمات ، وإن كانت في نفسها من أنفس المهمات. اشتمل على حكم عالية المقدار ، وإشارات بديعة رفيعة المنار ، وحكايات ليس فيها شكايات ونوادر، وفي ضمنها زواجر ومواعظ لصمت اللاقط "(٣٩).

أما عمله الثاني في ذلك المجال فهو كتاب " إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن " والذي يعرف بالطبقات الصغرى ، وقد قام بتقسيمه على أربعة أبواب، الباب الأول في البينة على جلالة كلام الأولياء والترغيب في أحوالهم ، الباب الثاني : الرد على من أنكر حكاية الكرامات بالأدلة العقلية المؤيدة بالبراهين النقلية ، الباب الثالث : في الإشارة إلى المقصود من ظهور الكرامات على الأولياء ، والترغيب في مجالستهم والأخذ عنهم . وبيان ما أتوا به من أنواع الكرامات . والمنازل والمقامات على

وجه الإجمال . الباب الرابع : في بيان طبقات الأولياء ومقاماتهم وأحوالهم(٤٠).

ومن الأعمال الهامة التي وضعت في هذا المجال . ذلك العمل الذي ينسب إلى الشيخ العالم أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن أحمد الدميرى ـ توفى حوالي سنة ١٠٢٩هـ (١٦١٩م) . تحت عنوان " قضاة مصر في القرن العاشر وأوائل الحادي عشر الهجري " ورتبه على حروف المعجم(٤١).

ومن هذه الأعمال أيضا ما قام به العالم الطبيب مدين القوصوني(ت ١٠٤٤هـ ـ ١٦٣٤م) من اختصاره لكتاب " عيون الأنباء في طبقات الأطباء "(٤٢). وسمي مختصره بـ " طيبات الأنباء في طبقات الأطباء " . ثم قام بوضع ذيل لهذا المختصر تناول فيه الطبقات التي أتت بعد عصر مؤلف الكتاب الذي اختصره(٤٣).

أما من حيث المصنفات التي وضعها علماء ذلك القرن ، وأفردوا فيها الحديث لمن اخذوا منهم العلم . ومن عاصرهم من أبناء زمانهم من العلماء . فنجدها كثيرة . وكأنهم تنافسوا في وضع مثل هذه المصنفات . ومما لا يخفي علينا أن الباعث على وضع تلك المصنفات شدة حرصهم على توثيق المادة العلمية التي يتلقونها . وذلك بالتثبت من قوة الإسناد ، ومن أصحاب التصانيف على هذا الشكل العالم إبراهيم اللقاني (ت ١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م) . الذي قام بوضع مصنف ترجم فيه لبعض علماء القرن العاشر الهجري تحت عنوان " نشر المآثر فيمن أدركتهم من علماء القرن العاشر " (٤٤).

ومن المهتمين بهذا الأمر كذلك العالم أحمد المقري (ت ١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م) . حيث وضع مصنفين في ذلك . أحدهما بعنوان " الغث والسمين ، والرث والثمين من روض الأس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس "(٤٥). والآخر بعنوان " أنوار النسب في أبناء تلمسان "(٤٦).

وممن كان له اهتمام زائد بترجمة أبناء عصره من العلماء الشيخ العالم علي الحلبي حيث وضع مصنفا في ذلك بعنوان "غاية الإحسان بوصف من لقيته من أبناء الزمان"(٤٧). ومن هؤلاء أيضا العالم مدين القوصوني. الذي وضع تاريخا في ذلك قال عنه المحبي : " تاريخ إنشاء مدين القوصوني ، ذكر فيه تراجم كبراء العلماء من أهل القاهرة ، وزين طروس سطوره بمآثرهم الباهرة "(٤٨).

ومن أشهر أعمال ذلك القرن في هذا المجال ما قام به العالم شهاب الدين أحمد

الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ ـ ١٦٥٨م) . من وضعه لمصنفين ترجم فيهما لأبناء جيله من العلماء ، وبعضا من أبناء الجيل السابق له . وهما " ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا "، و " خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا "(٤٩) . ـ وقد سبقت الإشارة إليهما في موضع سابق ـ وعلى الرغم من أن الترجمة قد اعتراها نقص كبير في كليهما . كعدم الإشارة إلى أساتذة من ترجم لهم ، أو تلاميذهم وتاريخي الميلاد والوفاة ، وغير ذلك من الأمور الأخرى ، إلا أن أهميتهما تكمن في أن الخفاجي لم يقتصر فيها على الترجمة لعلماء مصر فقط . بل ترجم لعلماء الأقطار الإسلامية الأخرى كالشام والحجاز والمغرب.

ومن تلك الأعمال الهامة في ذلك القرن ، ما نجده لـ عبد البر الفيومي (ت ١٠٧١هـ ـ ١٦٦٠م). الذي وضع كتابا . بعنوان "منتزه العيون والألباب في بعض المتأخرين من أهل الآداب " . ـ وقد سبقت الإشارة إليه ـ وعنه يحدثنا المحبي فيقول : " إنه جعله على طريقة الريحانة إلا أنه رتبه على حروف المعجم، وجمع فيه من شعراء الريحانة ، وشعراء المدائح الذي ألفه التقي الفارسكوري ، وزاد من عنده بعض متقدمين وبعض عصريين ، وهو مجموع لطيف وذكر في آخره أنه ابتدأ إنشاء في يوم الخميس ١٦صفر ١٠٥٥هـ (١٦٤٥م) . وانتهى من تبييضه يوم الأحد ١١محرم ١٠٦٠هـ (١٦٤٩م) " (٥٠).

وهناك من العلماء من كان له اهتمام زائد بجمع أسماء شيوخه والتأريخ لهم . كالعالم أحمد العجمي (ت ١٠٨٦هـ ـ ١٦٧٥م) . الذي جمع لنفسه " مشيخة " قام فيها بترجمة من أخذ عنهم واستوفى أخبارهم فيها(٥١).

ومن تلك المصنفات ما نجده لـ عبد الرحمن الأشموني ـ كان حيا سنة ١٠٨٩هـ (١٦٧٨م) . من رسالة في أسماء الرجال فرغ منها سنة ١٠٨٩هـ (١٦٧٨م) . ومن أعماله في هذا المجال أيضا ، مصنف له عبارة عن ذيل اللباب لابن الأثير في الأنساب(٥٢).

وممن كان له اعتناء بالأسانيد آنذاك أيضا . شرف الدين بن زيد العابدين.حفيد القاضي زكريا الأنصاري السنيكي المصري. (ت ١٠٩٢هـ ـ ١٦٨١م). إذ نرى من مؤلفاته كتاب " الطبقات " ذكر فيه شيوخه وعلماء عصره . وعنه قال المحبي: " إنه كان له اعتناء تام بالأسانيد ومعرفة الشيوخ ومواليدهم ووفياتهم "(٥٣).

كذلك نجد خليل بن السيد إبراهيم بن علي غرس الدين أبو مفلح الشهير بالعناني

(ت ١١٠٤هـ - ١٦٩٣م) . يقوم بوضع مصنف في أسماء شيوخه سماه " إتحاف ذوى الإرشاد بتحرير ذوى الإسناد " (٥٤).

وهناك بعض الأعمال تناولت الترجمة لأكثر من شخصية ، ولكنها خرجت عن الشكل السابق بحيث أنها لم تتطرق إلى المعاصرين لمن كتبها ، كالعمل الذي وضعه أحمد القليوبي الذى قام فيه بالترجمة لبعض من أعيان السادات الأشراف الذين دفنوا بمصر بدأهم بالإمام الحسين - رضى الله عنه - وختمه بسيرة إبراهيم الدسوقي - تحت مسمى " تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطايب "(٥٥).

وهناك عبد الباقي الزرقاني (ت ١٠٩٩هـ - ١٦٨٨م) . بوضع مصنف ضمنه تراجم متنوعة من صحابة ومحدثين وفقهاء وغيرهم(٥٦). ومما يدخل تحت هذا النوع من الترجمة ما نجده لـ إبراهيم البرماوي (ت ١١٠٦ - ١١٩٥م) . من مصنف تناول فيه من تكلم في المهد وسماه " الميثاق والعهد في شرح من تكلم في المهد "(٥٧).

هذا عن المصنفات التي تضمنت الترجمة لأكثر من شخصية ، أما عن التي اقتصرت على شخصية واحدة فنجد أنها تفاوتت فيما بينها كما تبعا للشخصية المترجم لها. ونجد من أهم الشخصيات التي كثر التصنيف حولها آنذاك ، الإمام الكبير أبو حنيفة النعمان ، حيث نرى أن علماء ذلك القرن التابعين لمذهب هذا الإمام أكثروا من وضع المصنفات عنه لإظهار مناقبه ودرء ما يتحامل به الآخرون عليه ، - وكما نوه سابقا - أن لهذا الأمر وازعاً سياسياً جاء من اتخاذ الدولة العثمانية المذهب الحنفي مذهبا رسميا لها.

ونرى في طليعة من قام بوضع مؤلف حول مناقب الإمام أبو حنيفة من علماء ذلك القرن أحمد الغنيمي (ت ١٠٤٤هـ - ١٦٣٤م) . حيث قام بوضع مصنف في ذلك سماه " الشذرة اللطيفة في شرح جملة من مناقب الإمام أبي حنيفة "(٥٨).

ومنهم نوح الرومي (ت ١٠٧٠هـ - ١٦٥٩م) الذي وضع مصنفا في ذلك بعنوان " الدر المنظم في مناقب الإمام الأعظم "(٥٩). وهاهو أحمد الحموي (ت ١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م) يقوم بوضع مصنفين في ذلك ، أولهما بعنوان " تذهيب الصحيفة بنصرة الإمام أبو حنيفة "(٦٠). والأخر بعنوان " الكلمات الشريفة في تنزيه الإمام أبي حنيفة عن الترهات السخيفة "(٦١). هذا في حين نجد لهذا العالم مصنفا آخر ترجم فيه للإمام الشافعي تحت عنوان " الدر النفيس في بيان نسب الإمام محمد بن إدريس "(٦٢). ولربما دفعه إلى وضع هذا الكتاب ما رآه من غلبة المذهب الشافعي بمصر وكثرة أتباعه.

وسيرا على هذا الدرب ، نجد مرعي الحنبلي يفرد مصنفا يترجم فيه لابن تيميه ، أظهر فيه مناقبه . ودرء ما تحامل به غيره عليه(٦٣).

ومن كان له اعتناء بإفراد إحدى الشخصيات العلمية بالترجمة ، أحمد المقري. الذي قام بوضع مصنف أفرد فيه الحديث عن القاضي عياض (٦٤) تحت مسمى " أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض تناول فيه نشأته ، وشيوخه ، وتصانيفه ، وغير ذلك وقسمه إلى ثماني روضات(٦٥). كذلك نجد رضى الدين بن عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي المصري (ت ١٠٧١هـ ـ ١٦٦٠م) . يضع مؤلفا بعنوان " شذرة من ذهب من ترجمة سيد طي العرب أعني الشيخ الأكبر "(٦٦).

ونظرا لعلو مكانة البكرية في المجتمع آنذاك ـ كما علمنا ذلك ـ قام المنتمون لهم بوضع المصنفات التي ترجمت لأبي بكر الصديق ، وإظهار مناقبه ، ومكانته الرفيعة عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ ورسوله (صلى الله عليه وسلم) . ومن ذلك ما نجده للشيخ بدر الدين بن سالم ابن محمد ـ تابع بني الصديق ـ المصري المالكي (ت ١٠٦٢هـ ـ ١٦٥١م) . الذي وضع مصنفا بعنوان " إرشاد آل الصديق إلى أنساب آل الصديق "(٦٧). ترجم فيه للصديق ـ رضى الله عنه ـ وبين ما له من أفضال . كذلك ما نجده لـ إبراهيم العبيدي (ت ١٠٩١هـ ـ ١٦٨٠م) من وضعه مصنفا بعنوان " عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق "(٦٨).

ومن تلك الأعمال التي قصر الحديث فيها على إحدى الشخصيات ، ما قام به عبد الرحمن بن يوسف الأجهوري ـ كان حيا سنة ١٠٨٤هـ (١٦٧٣م) ، من وضعه لمصنف قصر الحديث فيه عن غرق فرعون ، وما كان عليه من الطغيان ، سماه " القول المصان من البهتان في غرق فرعون وما كان عليه من الطغيان "(٦٩).

وهناك الشيخ محي الدين أبو الأنس محمد بن عبد الرحمن بن أبو الحسن المليجي الشافعي (ت ١١٠٦هـ ـ ١٦٩٥م) . الذي وضع مؤلفا عن الشعراني ، تحت عنوان " السحر الرباني في معرفة طريقة الشعراني "(٧٠).

وبعد فلعلنا بذلك نكون قد لمسنا مدى النشاط الذي لقيه هذا النوع من الكتابة التاريخية ، وهو كتابة التراجم ، وقد علمنا أن من أهم أسباب هذا النشاط اهتمام علماء تلك الفترة وشدة حرصهم على التأكد من صحة الأسانيد ، وتتبع سلسلة شيوخهم ، على أنه من السهل علينا أن نخرج بعدة ملاحظات على الأعمال التي تم عرضها ، أولها. أن هؤلاء العلماء أكثروا من ترجمة المعاصرين لهم من العلماء دون الالتفات إلى علماء الفترات السابقة عليهم ، وقد يرجع ذلك إلى أن هؤلاء العلماء نظروا إلى ما سبقهم من

فترات فأيقنوا أن علماءها قد غطوا بجهودهم من كان بها من شخصيات علمية ولذا رأوا أن من الأولى توجيه هذا الجهد لمعاصريهم دون التطرق إلى من سبقهم .

ثانيها : أن تلك التراجم خلت تماما من الساسة والعسكريين ، وانصب معظمها على العلماء والشيوخ ، ولعل هذا يكشف لنا عن أبعاد عدة ، منها أن هؤلاء العلماء نظروا إلى الساسة والعسكريين على أنهم غير أصحاب حق فيما يمتلكونه من سلطة ، هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء العلماء نظروا إلى معاصريهم وأساتذتهم من العلماء على أنهم المثُل الواجب الاقتداء بها ، والسير على نهجهم .

وثالث تلك الملاحظات : أن معظم الأعمال السابقة قد اقتصرت على الترجمة للعلماء داخل مصر وقد يرجع ذلك إلى أمرين ، أولهما : أن معظم العلماء نظروا إلى أعمالهم على أنها تسجيل لأسماء شيوخهم مما يؤكد صحة ما أخذوه منهم من علم . ثانيهما أن معظم أصحاب تلك الأعمال لم يتنقلوا عبر الأقطار المختلفة كما فعل الآخرون، الأمر الذي كان سيزيد من توسيع نطاق علاقاتهم بالآخرين .

ومن هنا نجد أنفسنا أمام سؤال يفرض نفسه وهو . لم لم يقم أحد علماء مصر في تلك الفترة بتدوين تاريخ شامل من أعيان العلماء وغيرهم كما فعل الشوام ؟ وللرد على ذلك نقول بداية أن هذه الظاهرة . لم ينفرد بها القرن الحادي عشر وحده ، بل كانت سمة غالبة على العصر العثماني كله . بحيث أن التفوق كان في هذا الأمر للشوام طيلة العصر العثماني في قرونه الثلاث .

فلو نظرنا في القرن العاشر نجد أنه قد أحاط بتراجم أعيانه كل من الغزى ، وابن طولون ، فالغزي هو نجم الدين محمد بن رضى الدين الغزي العامري القرشي الشافعي (ت ١٠٦٠هـ ـ ١٦٤٩م) صاحب كتاب " الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة"[٧١]. وابن طولون هو ابن طولون الصالي الدمشقي صاحب كتاب " ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر " يعني القرن العاشر[٧٢].

فإذا انتقلنا إلى القرن الحادي عشر وجدنا غزارة في التأليف في هذا النوع من الكتابة التاريخية ـ لكن أهمها ثلاثة تراجم الصفوري ، والمحبي والحموي ، فالصفوري هو بدر الدين أبو الضياء حسن بن محمد الصفوري (ت ١٠٢٤هـ ـ ١٦١٥م) صاحب كتاب " تراجم الأعيان من أنباء الزمان "[٧٣]. وأما المحبي (ت ١١١١هـ ـ ١٧٠٠م) . فهو صاحب كتاب " خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر " . وأما الحموي فهو

مصطفى فتح الله الحموي (ت ١١٢٣هـ ـ ١٧١١م) ، صاحب كتاب " فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر " .

حتى إذا وصلنا إلى القرن الثاني عشر نجد ابرز أعماله في هذا المجال كتاب" سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر " للعالم أبي الفضل محمد خليل ابن علي ابن محمد المرادي (ت ١٢٠٦هـ ـ ١٧١٩م) .

وهكذا لعلك تلمح معي أن أصحاب تلك التواريخ الهامة جميعهم من الشام ولم يظهر لمصري عمل يماثل تلك الأعمال . وقد يرجع ذلك إلى أن الشوام كانوا أكثر نشاطا من المصريين في الرحلة والتنقل عبر مختلف الأقطار وقد ساعدهم على ذلك موقع بلادهم ، وتوسطها بين عاصمة الدولة ـ الأستانة ـ ومصر ، وبلاد الحجاز . الأمر الذي أكسبهم حصيلة زائدة ، وتكوين علاقات واسعة . مما أعانهم على وضع مثل هذا النوع من الكتابات التاريخية .

هذا وإن لم يظهر هناك عمل مصري يماثل أعمال الشاميين . إلا أن الأعمال التي قام علماء مصر بتدوينها ، كانت من أهم العوامل المساعدة لعلماء الشوام في وضع مؤلفاتهم ، فالذي يقلب صفحات كتاب المحبي مثلا ، يجد أن عماد مادته استقاها من الأعمال التي قام علماء مصر بوضعها .

الكتابة التاريخية التقليدية :

لقد تمتع القرن الحادي عشر الهجري الـ ١٧ م بوجود عدد من المؤرخين التقليدين، الذين أثروا الحركة التاريخية بأعمالهم، التي غطت ـ لا نقول كل جوانب المجتمع في ذلك الحين ـ بل نقول الشيء الكثير منها . ويأتي على رأس مؤرخي ذلك القرن كل من الاسحاقي . وابن أبى السرور البكري . هذا بالإضافة إلى أن ذلك القرن غنى بالكثير من العلماء الذين كانت لهم مشاركة فعالة في هذا المجال مثل العالم الفقيه مرعي الحنبلي، وأحمد بن سعيد العثماني ، والبرلسي ، والحاج مصطفى الحلبي، وغيرهم الكثير ، وسوف تتعرض الدراسة لأعمال كل منهم على حده .

وتأتي أهمية أعمال هؤلاء المؤرخين من أنها أتت في القرن الذي أصبح فيه المجتمع المصري عثمانيا ، فأتت لكي تصور الموقف داخل المجتمع في مصر العثمانية في ذلك القرن الذي شهد في أوله انهيار النظام العثماني ، وتدهور الباشاوية المصرية لحساب الأوجاقات

العثمانية . ثم ما شهده في منتصفه من تدهور الأوجاقات وبداية ظهور سيطرة البكوات المماليك . ومما يزيد من أهمية أعمال هؤلاء المؤرخين ، أن القرن الذي سبقهم ، وهو القرن الـ ١٦ م كان فقيرا في الأعمال التي توضح تلك الجوانب . ولذا نرى أن علماء القرن الـ ١٧ م حرصوا على تغطية أحداث القرن الذي سبقهم ، قبل الشروع في كتابة أحداث قرنهم .

أما الحديث عن أولئك العلماء وأعمالهم في هذا المجال فمن الواضح أن في مقدمتهم عبد الباقي الأسحاقي (ت ١٠٦٦هـ ـ ١٦٥٥م) وقد سبقت الإشارة إلى أنه كان قاضيا فاضلا عالما مؤرخا كثير النظم للشعر ، وعمله التاريخي الذي قام بوضعه هو " لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول "(٧٤)، ويعرف باسم " تاريخ الاسحاقي " وقد بدأه بمقدمة ذكر فيها فضائل مصر وما ورد بشأنها في الكتاب والسنة وبعد تلك المقدمة قام بتقسيم كتابه إلى عشرة أبواب ، تناول من خلالها الدول التي مرت بمصر وولاتها . حيث بدأ بذكر تاريخ الخلفاء الراشدين والدول التي أتت بعدهم ، ويسير مع حقب التاريخ المختلفة حتى يصل إلى مصر تحت الحكم العثماني ، وقد تناول ذلك في الفصلين التاسع والعاشر . إذ أنه أفرد الباب التاسع للكلام عن سلاطين الدولة العثمانية من عهد السلطان سليم الأول إلى زمن تولية السلطان مصطفى الولاية الثانية عام ١٠٣١هـ (١٦٢١م) ، أما الباب العاشر فقد أفرده للحديث عن الولاة العثمانيين على مصر بدءا من خاير بك حتى إبراهيم باشا السلحدار سنة ١٠٣٢هـ (١٦٢٢م) . مسجلا أهم الأحداث التاريخية التي دارت بمصر في عهد أولئك الولاة .

ومن ثم فإن الاسحاقي ينتمي إلى نفس المدرسة التاريخية التي ينتمي إليها ابن السرور البكري ، وطريقتها في الكتابة واحدة ، إذ تجمع صفة المذكرات إلى جانب التاريخ، ومما امتاز به الاسحاقي في تاريخه هذا ، اهتمامه بالحالة الاقتصادية في المجتمع والحديث عنها بين وقت وآخر ، ولهذا أهميته في دراسة الأحوال الاقتصادية في ذلك الحين ، واهتمامه بذكر بعض الظواهر الطبيعية كانخفاض منسوب النيل وأثر ذلك على الحياة الاقتصادية هذا إلى جانب أنه كان يعطي صورة واضحة عن تدهور الباشوية المصرية ، وما يحرص عليه عند تأريخه للوزراء إذ يركز على أهم الأحداث بشيء من التفصيل .

أما عن أبرز مؤرخي القرن الـ١٧ م . فهو المؤرخ محمد بن أبي السرور البكري (ت ١٠٨٧هـ ـ ١٦٧٦م) . وقد نشأ مؤرخنا هذا في أسرة لها مكانتها المرموقة في المجتمع المصري . ذات جاه وسلطان ، فهو ينتسب إلى البيت البكري الصديقي المشهور بمصر بـ

(بيت السادة البكرية) ـ وقد أشارت الدراسة إلى مكانة تلك الأسرة في ذلك العصر ـ وأخذ العلم عن والده والعلماء من أقاربه وعن شيوخ عصره[٧٥]. وعاش حياة علمية حافلة ، فقد اشتغل بعلوم الحديث والتفسير ، وعلوم القول، وأصول التصوف ، والتاريخ. وله مؤلفات عديدة تعالج تاريخ مصر منذ بداية الحكم العثماني وحتى الفترة التي عاصرها[٧٦]. والتي ما يزال الكثير منها لم ير النور لطريقه إلى النشر .

أما من حيث وضعه المالي ، فقد كان المؤرخ ثريا واسع الثراء ، وكانت له بعض القرى كإقطاع خاص به ، وقد ذكر ذلك في معظم مؤلفاته أثناء حديثه عن مساوئ جند الاسباهيه ، "وقد كان لي بلدة بالمنوفية ومالها في السنة ماية ألف نصف ، فغرمت أنا وأهلها في الطلبة في السنة مائتين ألف نصف "[٧٧]. ويتضح من ذلك أن أبا السرور قد نشأ في بيئة علمية ذات ثراء ، وهو ما كان له الفضل في أن المؤرخ كان على صلة بمجريات الأمور وبرجال الحكم والإدارة ، ولذلك جاءت كتاباته التاريخية أكثر تحليلا للأحداث السياسية من كتابات الاسحاقي[٧٨]. أما عن مؤلفاته الكبرى فهي .

عيون الأخبار ونزهة الأبصار

لقد ساد الاعتقاد عند معظم الباحثين أن كتاب " عيون الأخبار " قد أقتصر البكري الحديث فيه على التاريخ الإسلامي العام . مع تركيزه على تاريخ مصر حتى نهاية عصر المماليك الجراكسة . ونجد على رأس هؤلاء الباحثين محمد أنيس في كتابه " مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني " ، وتبعه في ذلك كل من محمد عبد الله عنان في كتابه " مؤرخو مصر الإسلامية " ومصادر التاريخ الإسلامي " ، و ليلى عبداللطيف في بحثها المتناول لمؤلفات ابن أبي السرور البكري[٧٩].

لكن الناظر في عمل البكري هذا . يجد أنه قد تطرق إلى فترة مصر العثمانية حتى عهد السلطان عثمان ١٠٣٢هـ (١٦٢٢م) . وبذلك يكون الكتاب قد تضمن إضافة ما رآه د . أنيس ، د . ليلى ، والشيخ عنان ، من وقت دخول العثمانيين مصر عام ٩٢٣هـ (١٥١٧م) . وحتى عام ١٠٣٢هـ (١٦٢٢م) . أي مائة وستة عشر عاما ، وما فيها من أحداث مهمة وقيمة .

ويعد هذا العمل من وجهة نظري من أهم الأعمال التي قام البكري بوضعها ، ليس لضخامة حجمه فحسب ـ حيث أنه أتى في ثلاثة أجزاء تضمنت أكثر من ثلاثمائة وخمسين ورقة ـ[٨٠]، بل في طريقة تناوله للأحداث التي أرخ لها . إذ نراه قد تناول تلك

الأحداث بشيء من التفصيل والإيضاح وهو الأمر الذي لم يعهد في أعماله الأخرى .

وعن تقسيم البكري لهذا العمل ، نجده قد قسمه إلى ستة عشر مقصدا بدأها بذكر نبذة عن ابتداء الخلق من آدم - عليه السلام - إلى حنظله بن صنفوان ، ثم تطرق إلى ذكر ملوك الفرس واليونان والروم ، وبعدها ذكر نبذة من سيرة الرسول (ثم سار في حقب التاريخ الإسلامي العام إلى أن يصل إلى المقصد السادس عشر الذي خص الحديث فيه عن فترة مصر العثمانية ، وقد أفرد لذلك معظم الجزء الثالث . وبدأ التأريخ لتلك الفترة بالسلطان سليم الأول ، وفصل الحديث عن معاركه مع المماليك وتفاصيل بقائه في مصر، وبعد ذلك انتقل للحديث عن ابنه السلطان سليمان(القانوني) بشيء من التفصيل أيضا .

وأهم ما يميز عمل البكري - هذا - أنه بعد فراغه من تفصيل الحديث عن السلطان العثماني ، وأهم حروبه الخارجية التي خاضها يعقبه بفصلين ، الأول عن وزرائه الذين تولوا حكم مصر ، وأهم أحداث عهدهم . والآخر : من قضاة العسكر الذين تولوا قضاة مصر . كما أن عمله لم يخل من الحديث عن أفراد أسرته .

المنح الرحمانية في الدولة العثمانية (٨١)

من المؤكد أن البكري قد ألف كتابه هذا بعد تأليفه كتاب " عيون الأخبار ونزهة الأبصار " . وهو يذكر في مقدمة كتابه المنح الرحمانية سبب إقدامه على تأليف هذا الكتاب بقوله : " فإني حين ألفت التاريخ المسمى بعيون الأخبار ونزهة الأبصار فرآه بعض الفضلاء الأئمة النبلاء . فأعجب به غاية الإعجاب وسألني أن أفرد منه ذكر الدولة العثمانية في مؤلف لطيف فأجبته لسؤاله " . والكتاب يؤرخ لسلاطين الدولة العثمانية منذ بدايتها في عهد السلطان عثمان غازي وقد نظمه في خمسة عشر بابا . يختص كل باب بسلطان من سلاطين آل عثمان وأهم أعماله . وعندما وصل إلى ذكر السلطان سليم الأول - مؤسس الحكم العثماني بمصر - في الباب التاسع ، اهتم بالحديث عن ولاة مصر من البكلربكية - أي الوزراء - في عهد كل سلطان ابتداء من خاير بك ٩٢٣هـ (١٥١٧م) . حتى مصطفى باشا (١٠٢٧ - ١٠٢٨هـ / ١٦١٧ - ١٦١٨م) . مع الإشارة . إلى أهم أعمالهم ، والأحداث التي وقعت في عهد كل منهم .

وخلال عرض البكري لتلك الأحداث ، كان يدخل في ثنايا هذا العرض الإشارة إلى أهم الكوارث الطبيعية التي حدثت في مصر من زيادة منسوب النيل وانخفاضه ، وحدوث الوباء ، وتأثير ذلك كله على النواحي الاقتصادية في مصر ، هذا بالإضافة إلى

تسجيل أسماء العلماء الذين تولوا منصب قاضي قضاة مصر في عهد كل وزير ، كما أكثر من الاستشهاد بالأبيات الشعرية التي تناسب الحدث الذي يؤرخ له .

وقد أوضح البكري في عمله هذا مدى تجرأ الفرق العسكرية على السلاطين ووزرائهم ، حتى وصل الأمر بتلك الفرق إلى أن يرفضوا تثبيت وزير أقره أحد السلاطين، وإصرارهم على تمكين وزير سبق وأن خلعه السلطان .

فيض المنان بذكر دولة آل عثمان (٨٢)

في هذا الكتاب نرى أن ابن أبي السرور قد قصد من وضعه أن يكون ذيلاو مكملا لكتاب المنح الرحمانية ونراه في هذا الكتاب يقوم بالتأريخ لمصر في عهد من وليها من وزراء السلطان عثمان ، وأهم ما يمتاز به هذا المؤلف تضمن الإشارة إلى أهم من توفى أثناء الوباء الذي حدث أثناء توليه أو وزارة جعفر باشا (٩ ربيع الأول ١٩٢٨ ـ الأحد ١٣ شعبان ١٩٢٨هـ / ١٦١٩م) .

نزهة الأبصار وجهينة الأخبار (٨٣)

هذا الكتاب قام البكرى بتقسيمه إلى اثنتى عشرة مقالة يمتاز به هذا الكتاب . وخاصة في الفترة العثمانية . أنه سلط الضوء على سلاطين تلك الدولة عن قرب . فبدأ بالحديث عن أول سلاطينها إلى أن يصل إلى عهد السلطان مراد ابن السلطان أحمد المتوفى سنة١٠٤٩هـ (١٦٣٨م) . وذكر تولية أخيه السلطان إبراهيم من بعده ، بحيث إنه لم يتعرض لذكر الولاة الذين تولوا مصر في عهودهم كما فعل في معظم أعماله الأخرى .

ومما يميز هذا الكتاب أيضا . أنه يوضح لنا أنه كانت هناك مراكز قوى في الدولة العثمانية تسير الأمور ، والتي لها القدرة على تولية السلطان وخلعه ، ومدى الضعف الذي لحق بالسلاطين مما أدى إلى قيام العساكر عليهم وجرأتهم التي وصلت إلى الخلع والقتل .

النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية (٨٤)

هذا الكتاب كما هو واضح من عنوانه أن ابن أبي السرور قصد منه التأريخ لمن ولى مصر من الحكام والسلاطين والنواب منذ أقدم العصور حتى عام ١٠٤٢هـ ١٦٣٢م)(٨٥). وقد رتبه في مقدمة ونتيجة وخاتمة.

فالمقدمة في ذكر مصر وفضائلها . والنتيجة تناول فيها الحديث عن حكام مصر منذ أقدم العصور ، وذلك بإيجاز شديد يكاد في أغلب الأحيان أن يقتصر على ذكر أسماء هؤلاء الحكام فقط .

ويتناول بعد ذلك الولاة العثمانيين في مصر بشيء من التفصيل وذلك بداية من السلطان سليم الأول وحتى عهد السلطان مراد ، وولاية خليل باشا (١٠٤١ - ١٠٤٢هـ / ١٦٣١ - ١٦٣٢م) . وقد اهتم البكري في عمله هذا بذكر أسماء قضاة مصر وتاريخ تعيينهم وعزلهم . ويمكن أن نستدل من أحداث هذا العمل على الدور الذي قام به قضاة مصر خلال ثورات جند الإسباهية من حيث اعتماد الجند عليهم في التحكيم بينهم وبين الباشوات ، كما اعتمد الباشوات عليهم في إخماد تلك الثورات وتهدئة المتمردين .

أما الخاتمة فقد خص الحديث فيها عن خصوصيات مصر ، وعجائبها ومنتزهاتها.

الروضة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية (٨٦)

في البداية علينا أن ننوه إلى أن هذا العمل مستقل بذاته ، وليس كما اعتقده البعض ، من أنه نسخة مكرره أو اسم مكرر للعمل السابق " النزهة " (٨٧) ومن أهم وأوضح الفروق بينهما ، أن " النزهة " كما أشير ينتهي في (١٠ ربيع الأول ١٠٤٢هـ - ٢٥ سبتمبر ١٦٣٢م) . أما هذا العمل فيمتد إلى ولاية كورجي مصطفى باشا في (شوال ١٠٧٠ - رمضـان ١٠٧١هـ / يونيه - يوليو ١٦٦٠ - إبريل - مايو ١٦٦١م)(٨٨).

ويذكر ابن أبو السرور أنه قد شرع في كتابة هذا العمل بعد فراغه من كتابه تاريخه الكبير - المسمى نزهة الأبصار وجهينة الأخبار - وعمله الصغير ، المنح الرحمانية في ذكر الدولة العثمانية - فاراد من كتابه " الروضة " أن يلخص تاريخا يذكر فيه ملوك الديار المصرية من قبل الطوفان مع ذكر دولة آل عثمان حتى سنة (١٠٦٩هـ - ١٦٥٨م) .

وقد رتبه على مقدمة ونتيجة وخاتمة سوىما يميز عمله هذا عن غيره من الأعمال الأخرى ، اهتمامه الشديد بذكر وفيات العلماء والترجمة لهم . بالإضافة إلى بعض النواحي الأخرى .

الروضة المأنوسة في تاريخ مصر المحروسة (٨٩)

هو تاريخ مختصر لمؤلفات ابن السرور التي ألفها من قبل ويصرح بذلك فيقول :

" فهذا الكتاب .. .. اقتطفت فيه أزاهير تواريخي التي ألفتها ، وجعلته خاصا بالديار المصرية في الدولة الشريفة العثمانية ، مع ما يضاف إلى ذلك من فضايلها البهية " وقد رتبه في ثلاثة أبواب : **الباب الأول** : في ذكر فضائل مصر من الكتاب ، والسنة ، ووصف العلماء ودعائهم لها ، واختيارها سكنا للصحابة والملوك . الباب الثاني : في ذكر من ولى مصر من البكلربكية ، منذ أن دخلها السلطان سليم الأول إلى سنة ١٠٥٤هـ (١٦٤٤م الباب الثالث : أفرده للتأريخ عن قضاة العسكر بمصر منذ استيلاء العثمانيين عليها إلى سنة ١٠٥٥هـ (١٦٤٥م)

ومن الواضح أن الباب الأول . وهو المتعلق بفضائل مصر - إنما هو تكرار أو خلاصة لما كتب في ذلك في سائر أعماله السابقة ، وكتب المتقدمين وليس فيه من جديد . والذي يهمنا في هذا الكتاب ما يتعلق بذكر الحكام والقضاة العثمانيين . وهو ما يحتويه البابان الثاني والثالث ، وقد سرد فيهما أخبار البكلربكية المتعاقبين دون التعرض لأخبار السلاطين ، مع إعطائنا ثبتا بأسماء من تولى قضاة العسكر بمصر .

الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة وعشرين بابا . يتضمن الباب الثالث تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى سنة ١٠٦٠هـ (١٦٤٩م) . وهذا العمل يطابق تماما في منهجه المنهج الذي سبق أن اتبعه ابن أبي السرور في كتابه النزهة الزهية . من حيث اهتمامه بذكر باشوات مصر في العصر العثماني ، وأهم الأحداث التي وقعت في عهد كل منهم ، مع الاهتمام بذكر قضاة العسكر الذين تولوا قضاء مصر في ذلك الحين . ويؤكد هذا العمل الصورة التي سبق أن أبرزها البكري في مؤلفاته السابقة عن الموقف داخل المجتمع المصري خلال الربع الأخير من القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الهجريين (ال١٦ ، ١٧م) . متمثلا في ازدياد نفوذ رجال الحامية العثمانية، خاصة جند السباهية وصراعهم حول السلطة في أخطر ثوراتهم وآخرها عام١٠١٧هـ (١٦٠٨م) . وتحالف البكوات المماليك " الصناجق " مع الباشوات العثمانيين للقضاء على ثورات الجند ، مما أفسح المجال أمام البكوات للظهور على مسرح الأحداث وتوليهم زمام الأمور فيما بعد.

إلا أن ما يلفت النظر في هذا العمل ، أن البكري أفرد الأبواب الباقية وهي تسعة عشر بابا للحديث عن مصر وفضائلها ، وعجائبها وغير ذلك ، وهذا عهدنا به في معظم أعماله ' لكن الملفت للنظر أن يخصص جميع تلك الأبواب للحديث عن هذا المجال ،

ولعل ذلك يعطينا مؤشرا قويا على أن اعتزاز المؤرخ بمصر وفخره الشديد بها ، هو ما دفعه إلى إنتهاج هذا النهج ، وجعلها تستحوذ على نصيب وافر من هذا الكتاب ، وربما اعتقد البكري أنه وفي الجوانب الأخرى في مؤلفاته السابقة .

كشف الكربة في رفع الطلبة

وهو كتاب مكون من أربع وثمانين ورقة ، وضعه ابن السرور لكي يسجل لنا فيه أحداث الفتنة التي أشعلها الجند بسبب مغالاتهم في فرض ضريبة الطلب(٩٠).

ومن الواضح أن هذا العمل تناول موضوعا متخصصا في تاريخ مصر العثمانية " ضريبة الطلبة ومحاولة إلغائها " وهو ما يميزه عن سائر أعمال ابن أبي السرور . ونراه يعلن في مقدمة كتابه هذا ، أنه ألفه تحية منه لمحمد باشا وزير مصر (١٠١٦ـ ١٠٢٠هـ / ١٦٠٧ ـ ١٦١١م) ـ بعد نجاحه في القضاء على فتن جند السباهية وإلغاء الطلبة ، ويصور لنا مدى أهمية هذا العمل من خلال إبرازه للوضع الذي آلت إليه حالة مصر الاقتصادية والاجتماعية من جراء ضريبة الطلبة ، وتسلط جند السباهية على سكان الريف " وكانت مصر قد اختل أمرها وضاقت معيشة أهلها ، وكثر شرها ، وخربت قراها وضعفت فلاحيها ، وانفصمت عراها ، وانقلبت أحوالها وخست أموالها ، ونقصت غلالها ، لما أراد الله تعالى لها من نقلها من الوجود إلى العدم ، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وجلاء الفلاحين ، وازدراء الشرع المبين "(٩١).

ويتناول ابن السرور في هذا الكتاب تاريخ مصر في العصر العثماني منذ عهد أويس باشا (٩٩٥ ـ ٩٩٨هـ / ١٥٨٦ ـ ١٥٨٩م) ، حتى عهد محمد باشا مبطل الطلبة . وبالرغم من أنه نهج في كتابته طريقة التراجم كما اتبع في سائر مؤلفاته ، حيث يذكر تاريخ تعيين وعزل كل باشا وأهم ما وقع في عهده من أحداث . إلا أنه لم يهتم بذكر جميع باشوات مصر الذين تولوا خلال تلك الفترة ،بل كان حديثه قاصرا على الباشوات الذين تصدروا لضريبة الطلبة كمحمد باشا الشريف (١٠٠٥ ـ ١٠٠٧هـ / ١٥٩٦ـ ١٥٩٨م) . وإبراهيم باشا المقتول (١٠١٣هـ ـ ١٦٠٠٤م) ، والخطوات الإيجابية التي قامت بها الدولة العثمانية من أجل إلغاء هذه الضريبة والانتقام من قتلة إبراهيم باشا في عهد كل من محمد باشا الكرجي (١٠١٣ ـ ١٠١٤هـ / ١٦٠٤ ـ ١٦٠٥م) ، ومحمد باشا معمر مصر ، أو مبطل الطلبة ، كما ينفرد هذا الكتاب بوصف تفصيلات المعركة العسكرية الحاسمة التي انتهت بهزيمة جند الإسباهية عام ١٠١٧هـ (١٦٠٨م)

تلك إذن أهم الأعمال التي وضعها ابن أبي السرور ، والتي أمكننا الإطلاع عليها. وليس معنى هذا أن تلك الأعمال هي كل ما صنفه ذلك المؤرخ . إذ يوجد للرجل عدة تصنيفات أخرى ، وهي في نفس الوقت لم تخرج عن النظم التي وضع عليها المؤلفات التي تم عرضها ، فمن الأعمال الأخرى التي تنسب إليه هي :

- **نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان** (٩٢)
- **بدر الجمان في دولة مولانا السلطان عثمان**(٩٣).
- **التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية**(٩٤).
- **تحفة الظرفاء في ذكر دولة الملوك والخلفاء ، ويليه الفتوحات العثمانية للديار المصرية**(٩٥).

وبعد فمن السهل علينا أن نلاحظ على أعمال ابن أبي سرور تلك أنها تبدو لنا وكأنها عمل واحد ، قام ابن أبو سرور بتكراره في عدة أعمال بأسماء مختلفة ، سلط الضوء على جانب معين في هذا العمل . وجانب آخر في عمل ثان ، وجانب غيره في ثالث وهكذا . ولعل هذا النهج الذي نهجه ابن أبي السرور أثناه من النظر إلى الأمور بنظرة فاحصة والمثابرة على جمع الحوادث وترتيبها ، والإفاضة في الكتابة مثل كتابات السابقين له كابن إياس وغيره . ولنا أن نتساءل إذا ما الذي دفع ابن أبى السرور إلى تكرار أعماله كما رأينا ؟ ويعتقد أن تكون الإجابة على مثل هذا السؤال ما تمتعت به الطريقة التي سار عليها ابن أبي السرور من سهولة في تأريخه للأحداث الجارية في مصر . الأمر الذي أغناه عن بذل كبير من الجهد في تتبع الأمور والأحداث ، كما لا ننسى الفجوة التي حدثت في القرن الـ١٦ م . من اختفاء الكتابات التاريخية بشكل ملحوظ بعد ابن إياس وابن زنبل وتأثير ذلك على تواصل العملية التأريخية .

ولنعود ثانية إلى الكتابات التاريخية ـ التقليدية التي تم وضعها خلال القرن ـ محل الدراسة ـ وهنا يبدو لي أن شروع ابن أبي السرور في وضع عمل في موضوع متخصص ـ هو كشف الكربة ـ دفع آخرين إلى وضع أعمال على هذا النمط ومنهم الشيخ القاضي محمد البرلسي السعدي الشافعي . الذي تولى منصب القضاء في كل من الإسكندرية ودمياط ورشيد . حيث قام بوضع عمل في الموضوع الذي تناوله ابن أبي السرور في مصنفه " كشف الكربة " . وذلك تحت عنوان " **بلوغ الأرب في رفع الطلب** "(٩٦).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الرجل هو الذي قام بنسخ مؤلف ابن أبي السرور "

كشف الكربة برفع الطلبة " . الأمر الذي يجعل الباحث في حيرة من أمره عند مطابقته لهذين المؤلفين ، في أيهما أثر على الآخر ، وذلك لوجود التشابه الكبير بينهما في الأسلوب وترتيب الأحداث .

وعن ترتيب البرلسي لمؤلفه هذا نراه يورد في بداية كتابه بعض الأحاديث والأقوال المأثورة التي تبين فضل مصر على غيرها ، ثم أخذ بعد ذلك يتعرض للطلبة وماهيتها . وكيف أصبحت سببا في خراب البلاد ، وفساد أحوالها ، ثم تناول الأحداث التي وقعت في عهد الولاة الذين تولوا حكم مصر من عهد أويس باشا (١٢ جمادى الثاني ٩٩٤ - ١٨ جمادى الثاني ٩٩٩هـ / ٣١يناير ١٥٨٦ - ١٣ إبريل ١٥٩١م) - وحتى نهاية عهد محمد علي باشا (٧ صفر ١٠١٦ - ٨ جمادى الثاني ١٠٢٠هـ / ٣ يونيو ١٦٠٧ - ٢٧ أغسطس ١٦١١م) . الذي استطاع أن يقضي على هذه الفتنة نهائيا . وهي الفترة نفسها التي تناولها البكري في كتابه .

كما نرى أن البرلسي قد استخدم ملكته الشعرية في هذا المؤلف فكان ينظم بعض الأبيات في ثنايا عرضه للأحداث بما يناسبها في ذلك ، وذلك مع تعديلها لأنه أوردها في مؤلف البكري .

وفيما يبدو أيضا أن الاضطرابات العسكرية التي حدثت خلال ذلك القرن كانت كثيرة ، فهناك ما نراه من بعض الاضطرابات التي حدثت خلال النصف الثاني من ذلك القرن . كالصراعات التي نشبت بين البيوت المملوكية في ذلك الحين(٩٧).

وقد نجم من هذه الصراعات تأثيرات سيئة على الشعب المصري وقد استرعت هذه التأثيرات بعض أفراد الطبقة المثقفة وكبار رجال الإدارة . فطلبوا ممن يثقون في قدراتهم تسجيل أحداث هذه الصراعات حفظا لأحداث التاريخ المصري . وبالفعل وجدت هذه النداءات قبولا من بعض هؤلاء المثقفين . فسجلوا لنا بعض أحداث هذه الوقائع(٩٨).

ومن بين هؤلاء الشيخ إبراهيم بن أبي بكر الصوالحي العوفي . الذي حفظ لنا أحداث واقعتين حدثتا بين كبار الأمراء المماليك والأوجاقات التي تدور في فلكهم ، حدثت -أولاهما - وهي " واقعة محمد بيك حاكم جرجه - في الفترة من ٥ جمادى الأولى ١٠٦٩ - ١٨ رجب ١٠٦٩ / ٢٩ يناير -١١ إبريل ١٦٥٩م) . وحدثت ثانيتها - وهي " واقعة الصناجق " في الفترة من ٢٧ محرم - ١٧ ربيع الثاني ١٠٧١هـ / ٢ أكتوبر - ٢٠ ديسمبر ١٦٦٠م(٩٩). وقد قام بوضعهما في مصنف واحد تحت عنوان " **تراجم**

الصواعق في واقعة الصناجق " .

وعن ترتيب هذا المؤلف نجده قد رتب على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

وقد جاء منهجه في تدوين أحداث الواقعتين على صورة شبيهة بالمذكرات اليومية ، متبعا في تدوينه المنهج العلمي ، فهو يسند كل حدث إلى مصدره سواء كان عن طريق المشاهدة أو السماع . وقد قال في ذلك : " وتمت واقعة الصناجق على المشاهدة ، وما سمع على الأذان الرايقه "(١٠٠).

وعن أسلوب المؤلف في تاريخه هذا ، فإنه يمتاز بالدقة والتحقيق ، فهو لا يبالغ كأبناء عصره في تضخيم الأحداث ، وإنما يحاول أن يرصد الواقع كما شاهده ، أو سمع عنه ، ولدقته أيضا كان يبتعد في كثير من الأحيان عن التكرار والاستطراد(١٠١).

ومما نخرج به من هاتين الحادثتين . أنه لم يعد الأمراء المماليك يعبأون بتنفيذ الأوامر السلطانية التي تصدر بشأن توليتهم المناصب الإدارية العليا ما داموا غير راضين عنها . كما يخرج من هذا العمل أيضا أن الأسلوب الذي كان متبعا في تعيين حكام ولايات مصر الكبرى مثل . إمارة الحاج ، والدفتر دارية كان يتم عن طريق صدور فرمان سلطاني مصحوبا بخلعه سلطانية لصاحب المنصب ، وخلع أخرى لكشاف الولاية الذين يتبعون إداريا للحاكم والمعين . وكان يتم توزيع هذه الخلع بمقر الديوان على يدي باشا مصر(١٠٢).

ونخرج أيضا بأن هذه الأحداث وغيرها كانت تلعب دورا بارزا في حدوث أزمات داخلية في البلاد وتهدد الناس في قوتهم ، وتتسبب في ارتفاع أسعار السلع ، فإذا ما انتهت الأزمة عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي(١٠٣).

هذا وإن كانت الفترة التي تناولتها جميع هذه الأعمال التي أشير إليها قد انتهت بنهاية العقد السابع من القرن الحادي عشر الهجري (ال١٧ م) إلا أنه قد وجد عمل قام بتغطية الأحداث المهمة في ذلك القرن حتى نهايته ، وهو كتاب "**مختصر تاريخ مصر**"(١٠٤). لـ الحاج مصطفى الحلبي . ومن هنا ترجع أهمية ذلك العمل الذي تنتهي أحداثه إلى ولاية محمد باشا على مصر في ٢٢ ربيع الأول ١١١١هـ - ١٩ أكتوبر ١٦٩٩م ومما يرفع من قيمة هذا العمل ، أن صاحبه أسهب في ذكر الأحداث التاريخية التي تبدأ من النصف الثاني لذلك القرن إلى نهاية الفترة التي أشير إليها . ويرجع ذلك إلى كونه كان معاصرا لتلك الحقبة الزمنية .

ولقد أراد المؤلف من هذا العمل التأريخ لمن ولى مصر من الملوك والخلفاء والسلاطين ونوابهم ، وقام بافتتاحه بذكر لمحة عن المسافات الزمنية بين آدم وأولي العزم من الرسل حتى ظهور سيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم) ثم تطرق بعد ذلك إلى ذكر من ولى مصر من خلفاء كل من الدولتين الأموية والعباسية وولاتهم ، واهتم ببيان الفترة الزمنية دون ذكر أسماء الحكام . ثم خلفاء الدولة الفاطمية ، ومن بعدها الدولتين الأيوبية والمملوكية ، حتى دخول العثمانيين مصر وقهرهم للمماليك ، وضم مصر لدولتهم وتناول ذلك في حديث لم يتعد الصفحتين .

ثم بدأ بعد ذلك بتناول تاريخ مصر في فترة الحكم العثماني ، وذلك بذكر السلطان وولاة مصر في عهده ـ وهو بذلك لم يخرج عن نفس إطار المدرسة التاريخية التي كان عليها كل من الأسحاقي و البكري ـ ونراه قد ذكر سلاطين الدولة وولاتهم خلال القرن الـ١٦ م. بصورة مختصرة للغاية ، بحيث تحدث عن ذلك فيما لا يزيد عن أربع صفحات من كتابه ومعظم الكتاب عن تاريخ مصر خلال القرن الـ١٧ م وبهذا يكون الرجل قد أراد الابتعاد عما فيه استطرد وتكرار لما في بطون الكتب وتسليط الضوء بصورة أكبر على الأحداث التي لم يتناولها أحد قبله.

والناظر إلى هذا العمل يستطيع أن يخرج منه بعدة أمور هامة . أولها : أن صاحب العمل لم يحصر كتابه على الأحداث الداخلية لمصر بل حرص على الإشارة إلى الأعمال الخارجية التي كان لمصر فيها دور بارز وهام . كالتي كانت تحدث في بلاد الحجاز نتيجة الكوارث الطبيعية كالسيول وما يترتب عليها ، أو ما كان يحدث من فتن واضطرابات عسكرية ، ودور مصر وما اتخذته من الإجراءات تجاه تلك الأحداث لإعادة الأمور إلى نصابها وهو بهذا الأمر كان يقرر أن لمصر دوراً رياديا حيال الأقطار المجاورة . واستمرار علاقة متميزة بين مصر والحجاز . على الرغم من أن مصر والحجاز كانتا جزءاً امن الدولة العثمانية وهو بذلك يذكرنا بالعلاقة الحميمة بين مصر والحجاز ومن المعروف تاريخيا أن العلاقات قد اكتسبت وضعا خاصا إذ كانت الحجاز وسلطتها دائما تدين بالولاء والتبعية للدولة التي تتبعها مصر .

وضمن الأمور التي إمتاز بها هذا العمل ، تركيز صاحبه على رصد أسعار السلع المهمة . والحاجيات في عهد كل وزير ، وتأثير الكوارث الطبيعية كالأوبئة وتقلبات النيل

من زيادة نقصان على تلك الأسعار ونرى من ذلك وصفه للمجاعة التي حدثت في عهد علي باشا . إذ يقول : " وفي شهر المحرم سنة ١١٠٧هـ ـ أغسطس ١٦٩٥م ـ طلعت جميع الشحاتين من رجال وصبيان ونساء وغيره إلى الديوان ، ووقفوا بحوش الديوان وقالوا (وصاحوا يا) مولانا الوزير نحن جياعا من شدة الغلا فلم أحدا رد لهم الجواب ـ (فلم يرد عليهم أحد جوابا) ـ فأخذوا الحجارة ورجموا بها أهل الديوان ، فجاء حجر في الرزنامجي وغيره ، وكان أحمد أغا أبو جرج في حضرة الباشة جالس ، فعرفه بحال المذكورين . فأمر بضربهم . فنزلوا من الديوان إلى الرميلة ، ونهبوا جميع الحواصل الذي ـ (التي) بالرميلة ونهبوا وكالة القمح وحاصل إلى ـ (لـ) كتخداء الباشة ملان شعير وفول ، فبلغ ذلك إلى الوزير ، فأشهر النداء بأن يردوا جميعا ما أخذ فما أفادت المنادية شيء ، وكان ـ (كانت) ـ هذه الواقعة ابتداء الغلاء في جميع الحبوب وغيرها ، فأبيع القمح في يوم تاريخه الأردب بستة قروش والشعير بأربعة قروش الأردب . والفول بخمسة قروش الأردب ، والتبن كل حمل بأربعة قروش ، ثم أخذت الأسعار في الزيادة من أول المحرم سنة ١١٠٧هـ ثم استمر في الزيادة إلى أول شهر رجب سنة تاريخه . حتى وصل الأردب القمح ستماية نصف فضة وبعض قرا أكثر من ذلك ، والشعير باثنى عشر قرش كل أردب ، والفول بخمسة عشر قرش كل أردب ، وصار العدس لا يوجد ، والأرز أبيع بثمانمائة نصف فضة الأردب ، وحصل غلا شديدا ، وشدة زايده في ساير الأرض والأقاليم ، حتى أن غالب أهل القرا والبلاد خلوا من منازلهم وأتوا إلى مصر المحروسة ، لكن إقليم البهنسا والفيوم إمتلت ـ (إمتلأت) ـ منهم مصر المحروسة أكثر من ساير الأقاليم ، حتى جميع أزقة مصر المحروسة وحاراتها وأسواقها صارت ملآنة من الشحاتين . وأشتد الكرب وزاد سعر كل شيء حتى أكلوا الجنية ـ ؟! والأدميين . وفشا أكل بني آدم واشتهر . ورأينا العجب العجيب حتى تعدوا على الموتى وطلعوهم من حفرهم وأكلوهم ، وأفتقر أهل مصر من أكابر وأصاغر وكثر الموت من الجوع بحيث كان الناس يموتون في الأزقة ، وهلك غالب أهل القرى بحيث أن المسافرين يمر في القرية فلا يجد بها إلا الأناسا قليلا ـ (إلا قليلا من ناسها) ـ ويجد فيها . دورا مفتوحة أبوابها وأهلها أموات من داخلها ، حتى أنني أخبرت ممن أثق به من الرجال أنه رأى بمدينة الفيوم ناس أكلوا أولادهم . وناس فاتوا أولادهم ، وناس باعوا أولادهم بالقوت حتى أن الرجل والأمراء . يقولون ـ (المرأة يقولان) ـ من يأخذ هذا الولد أو البنت برغيف فلم يجدوا ما ـ (من)

ـ يأخذونهم من شدة البلاء العظيم ، وصارت الناس يخطفون الخبز من الأسواق ومن على رؤوس الخبازين .. .. " (١٠٥).

ومن أهم الأمور التي امتاز بها هذا العمل أن صاحبه خرج عن النمط الذي سار عليه أبناء عصره في كتاباتهم التاريخية ، من القيام بمدح سلاطين الدولة العثمانية والإشادة بهم دون استحقاق ، حيث نجد أن صاحب هذا العمل قد تحرر من هذا الأمر إلى حد ما .

ومن أمثلة ذلك ما نراه في رأيه عن السلطان محمد ابن السلطان إبراهيم ٧٦ رجب ١٠٥٨ ـ إلى أواخر سنة ١٠٩٨ / يونيو ١٦٤٨ ـ ١٦٨٧م) والذي قال عنه: وكان السلطان محمد في حين جلوسه إلى أن خلع لا يلتفت لأمور السلطنة ، بل غالب اشتغاله في الصيد والقنص ليلا ونهارا في الجبال يتصيد بالكلاب والصقور حتى كلت منه ساير الخدم والرعاية وهو على هذه الحال والعساكر في الغزات ، والمنصرفين في أمور السلطنة متصرفين يعزلوا ويولوا بخاطرهم ، ويأخذوا ويعطوا كيف شاوا ، إلى أن حصل ما حصل ، وكلت العسكر وقامت قومة واحدة وخلعوه في أواخر سنة ١٠٩٨هـ ـ (١٦٨٧م) ـ فكانت مدته أربعين سنة لم يلي فيها حكم ، ولا أمر من الأمور ، بل الاسم له والتصرف لغيره " (١٠٦).

ولعلك تلاحظ مدى الجرأة التي وصل إليها الرجل ، والتي جعلته يبدي هذا الرأي بخصوص أحد سلاطين آل عثمان . بينما كان معاصروه يسهبون في مدح أولئك السلاطين .

وينتهي بنا المطاف في هذا المجال بالإشارة إلى المشاركين بجهودهم في هذا النوع من الكتابات التاريخية خلال ذلك القرن ، ويأتي على رأس هؤلاء الشيخ العالم مرعي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ ـ ١٦٢٣م) . وأهم ما وضعه في ذلك كتابه " **نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين** " .

ونراه قد بدأ بذكر دولة الخلفاء الراشدين . ثم الدولة الأموية ، ثم العباسية وفي كل أقتصر على ذكر اسم الخليفة وعام توليته ووفاته . ثم تتطرق إلى الحديث عن الولاة المستقلين ابن طولون . والأخشيدي . ثم الدولة الفاطمية فعن خلفائها الأوائل اكتفى بذكر اسم الخليفة ، وعامي توليته ووفاته . وبدأ عند حديثه عن المعز بذكر اسم الخليفة مع شيء يسير لأهم أعماله ، ثم سار على هذا النهج في ذكر سلاطين كل من الدولتين

الأيوبية والمملوكية بشقيها (الكردية والجركسية) .

أما بالنسبة لتاريخ مصر العثمانية ، فلم يخرج عن نفس الإطار المنهجي الذي كان عليه معاصروه في كتاباتهم التاريخية من ذكر سلاطين آل عثمان وبعض الأوصاف الحميدة لهم . وأهم حروبهم الخارجية ، وذكر ولاتهم بمصر وأهم الأحداث التاريخية التي حدثت في عهدهم . إلا أنه امتاز عن غيره بما كان يحمله أسلوبه من توجيه اللوم والنقد للقائمين على الإدارة العثمانية إزاء ما كانوا يقومون به من أعمال فيها إضرار بأفراد المجتمع . ومن ذلك إبداء تعجبه من بعض الأمور المسببة لذلك . كالزينة التي تقام كانت بالبلاد الإسلامية عقب انتصار الدولة العثمانية في حروبها الخارجية على البلاد الأوربية . كالذي حدث في عهد السلطان عثمان ابن السلطان أحمد (١٠٧) من انتصاره على بعض ملوك أوربا إذ يقول : " ثم في ربيع الأول سنة ١٠٣١هـ (١٦٢١م) ـ ورد الخبر بأن السلطان انتصر واستولى على كثير من بلاد النصارى ، بعد أن قتل من الفريقين ألوف كثيرة . وزينت الأمصار بورود هذه البشرى العظيمة والمسرة الجسيمة ، وزينت مصر . وكان بها حينئذ الطاعون ، فأجتمع بها ضدان غريبان ، وهما : الحزن بسبب الطاعون ، والسرور بزينة السلطان المأمون . وهذه الزينة لا أعلم أول من أحدثها في الإسلام ، وأظهرها بين الأنام ، وهي في الحقيقة مضرة على المتسببين لما فيها من الغرم والكساد ، ومسرة لأهل الخلاعة والتمريق والفساد .. .. "(١٠٨).

ولعلك تلمح ما يحمله هذا الأسلوب من توجيه اللوم للقائمين على الإدارة العثمانية لإصرارهم على إجراء مثل تلك الأمور التي اعتقد أن فيها إضرار بالمجتمع ويبدو أن ما امتاز به الحنبلي في هذا الشأن . لفت أنظار المؤرخين (١٠٩). فاعتمدوا على كتابه المذكور عند تأريخهم لتلك الفترة بل ونقلوا آراءه في مثل تلك المواقف التي وجه اللوم فيها للقائمين على الإدارة العثمانية .

ومن هؤلاء المشاركين أحمد بن سعيد الدين العثماني (ت ١٠٥٠هـ ـ ١٦٤٠م)، ومؤلفه في ذلك هو . ذخيرة الإعلام بتواريخ الخلفاء الأعلام . وأمراء مصر الحكام وقضاة قضاتها في الأحكام من فتحها الإسلامي العمري إلى زمن ناظمها " (١١٠). وفي هذا العمل نرى صاحبه قد سلك أسلوبا مغايرا لأسلوب أقرانه في الكتابة التاريخية . حيث نراه قد ابتعد عن الكتابة النثرية ووضع كتابة على طريقة النظم الشعرية

أما من ناحية الجوانب التاريخية التي تناولها في هذا العمل فنراه قد بدأه بذكر شيء من سير الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم تاريخ الخلفاء الراشدين ومن أعقبهم

من الدول الإسلامية وولاة تلك الدولة على مصر وفترة الحكم العثماني لها حتى سنة ١٠٥٠هـ (١٦٤٠م) . وبعد فراغه من ذكر فترة حكم هؤلاء الخلفاء والسلاطين وولاتهم على مصر ختم هذا العمل بذكر من تولى منصب قضاة القضاة بمصر عبر تلك العهود . وحتى الفترة التي انتهى إليها العمل .

وتزداد قيمة هذا الكتاب حينما ندرك أن صاحبه أورد أسماء الكتب والمصادر التاريخية التي اعتمد عليها . وأنها قد تعدت السبعين كتابا ، وهو ما يعد بمثابة نزوع نحو منهج علمي أكثر دقة وأكثر توثيقا ، وأقرب إلى الأعمال العلمية الجيدة .

وهناك بعض الأعمال التاريخية الأخرى تم وضعها خلال ذلك القرن ، ولكنها بعدت عن المسار الذي عهدناه في الأعمال السابقة ، حيث أنها اهتمت بذكر فضائل سلاطين الدولة العثمانية عن التأريخ للأحداث التي وقعت في ذلك الحين . ويأتي على رأس من اهتم بهذا الجانب مرعي الحنبلي وذلك بوضعه كتاباً في ذلك تحت عنوان "**قلائد العقيان في فضائل آل عثمان**" وعلى ما يبدو أن تلك الكتابة التاريخية كانت أمرا جديدا . وهو ما صرح لنا به صاحب هذا العمل ، وأنه الفاتح له حتى نتلمس له الأعذار إذا وجد أي خطأ فيه ، " وعذ ري في هذا التصنيف واضح ، والعارف بالحال مفتقر مسامح . لأني لم أسبق إلى ذلك بمؤلف ، ولا كتب عندي ولا مواد ، ولا خل مسعف ولا مواد ، وأنا الفاتح فيما أظن لهذا الباب والرافع لذلك النقاب " (١١١).

أما عن ترتيب الحنبلي لمؤلفه فنراه يفتتحه بمقدمة سرد فيها بعض الأحاديث النبوية التي تحدث عن الحكام العادلين ومنزلتهم عند الله جل علاه ـ وما سوف ينالونه من ثواب ـ ولا يخفي عليك أن سرد مثل هذه الأحاديث تحمل دعوة إلى الحكام لإتباع العدل في أحكامهم ، ثم أخذ بعد ذلك يسرد الفضائل التي نسبها إلى سلاطين الدولة العثمانية . والتي زادت عن العشرين فضيلة ، ولكي يدلل على اختصاص هؤلاء السلاطين بتلك الفضائل كان يشير إلى ما وقع عكس ذلك من الملوك السابقين لتلك الدولة ، وعلى الرغم من أن الغرض الظاهر من هذا العمل وأمثاله هو التزلف إلى الحكام والتقرب منهم إلا أنه كان يوجه النقد واللوم إلى فساد الإدارة وسوء توزيع الوظائف . وهو ما أشارت إليه الدراسة في موضع سابق (١١٢).

وممن أهتم أيضا بجمع مفاخر وفضائل آل عثمان ، ووضعها في مؤلف خاص بها الشيخ إبراهيم العبيدي (ت ١٠٩١هـ ـ ١٧٨٠م) . الذي قام بوضع مؤلف عن ذلك

بعنوان " **قلائد العقيان في مفاخر آل عثمان** " (١١٣).

كذلك نجد الشيخ العالم أحمد الحموي الحنفي(ت ١٠٩٨هـ ـ ١٦٧٨م) أحد المهتمين بجمع فضائل سلاطين آل عثمان في مؤلف بعينه . وذلك بوضعه كتابا بعنوان " **فضائل سلاطين بني عثمان** " (١١٤).

وبعد فلو نظرنا إلى الطريقة التي كان يسير عليها مؤرخو القرن الحادي عشر الهجري الـ١٧ م. في كتاباتهم التاريخية التقليدية . لوجدناها قد بعدت تماما عما كان يسير عليه السابقون ، حيث أنهم بعدوا عن طريقة الكتابات الحولية وساروا على طريقة تكاد تكون خاصة بهم ، وهى كما رأينا تدوين الأحداث التاريخية من خلال الترجمة لسلاطين الدولة العثمانية ومن تولي مصر في عهودهم من الولاة ، وهذه الطريقة تعد شديدة الاتصال بالكتابة في تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين ، وأهم ما يميز هذا النظام من الكتابة التاريخية الاهتمام الخاص بالمسائل الأخلاقية والإدارية ، وقد كانت مظهرا من مظاهر أثر التاريخ القومي الفارسي في مؤرخي المسلمين الأوائل ، فلقد كان التاريخ الفارسي يطبق تقسيم المادة التاريخية حسب عهود الحكام ، حيث كان مؤرخو الفرس يرون أن أخلاق الحاكم والإدارة السياسية في عهده أهم العناصر التاريخية (١١٥). ولذا يمكننا إرجاع منهج الكتابة التاريخية على هذه الطريقة إلى أصول فارسية .

وهنا نرى أنفسنا أمام سؤال يطرح نفسه في هذا الشأن وهو هل كان للعثمانيين دخل في إتباع مؤرخي ذلك القرن لتلك الطريقة ؟ . في تصوري أنه كان للعثمانيين دخل في انتشار هذه الطريقة ، ومما يؤيد هذا التصور ما نلمسه في تلك الكتابات من التركيز الشديد على إظهار محاسن هؤلاء السلاطين وولاتهم ـ عند بعض المؤرخين ـ والابتعاد قدر الإمكان عما يسيء إليهم . ناهيك عن الأعمال التي أفردت حديثها لإظهار فضائل ومفاخر هؤلاء السلاطين .

إضافة إلى الأعمال التاريخية التي سبق وأن أشير إليها . توجد هناك بعض الأعمال التاريخية الهامة التي أزدان بها نتاج ذلك القرن ، وهي خارجه عن نطاق الموضوعات التي تناولتها المؤلفات التي سبق ذكرها ، ومن أهم تلك المؤلفات ، ما ينسب أحمد المقري (ت ١٠٤١هـ ـ ١٦٣١م) بعنوان " نفح الطيب بغصن الأندلس الرطيب" وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب " (١١٦). الذي تضمن الحديث عن تاريخ

الأندلس بصفة عامة من قبل الفتح الإسلامي وما بعده . والحديث عن الوزير الأديب لسان الدين بن الخطيب والترجمة له ترجمة وافية .

وضمن أعمال المقري التاريخية في هذا الصدد أيضا رسالة بعنوان " تاريخ فتح الأندلس " ضمنها تاريخ فتح الأندلس وتراجم بعض الأعيان (١١٧).

وبعد فلعلنا بذلك نكون قد لمسنا النشاط الذي لقيه هذا النوع من الكتابات التاريخية ، وأهمية تلك الأعمال في إعطاء صورة شبه كاملة للأوضاع السائدة لمصر في تلك الأونة وبعيدا عما إذا كانت تلك الأعمال قد شهدت هبوطا عن كتابات السابقين من حيث افتقاد النظرة الفاحصة . والمثابرة على جمع الحوادث ، إلا أن أكبر الفوائد التي حققتها تلك الأعمال أنها تعد حلقة وصل هامة ربطت ما بين الفترة السابقة واللاحقة ، فالناظر في تراث القرن الـ ١٨ م يجد أن الكثير من الكتابات التاريخية التي وضعت فيه اعتمدت اعتمادا كليا في التأريخ للقرنين ال١٦ ـ ١٧م على ما وضع من أعمال في فترة، دراستنا تلك .

ثانيا : الجغرافيا

يعتبر علم الجغرافيا ضمن العلوم التي لم تلق اهتماما يذكر من قبل الطبقة المثقفة طيلة العصر العثماني . فقد اختفت مواده من المناهج المقررة في المؤسسة التعليمية في ذلك الحين ، وخلت كتب التراجم من الشخصيات التي يشار إليها بالتفرد في هذا العلم ، وليت الأمر اقتصر على ذلك ، بل إن المكتبات التي كان يمتلكها الأفراد ـ خاصة في فترة هذه الدراسة ـ كادت تخلو تماما من أي كتاب في علم الجغرافيا ، اللهم إلا في حالات نادرة (١١٨).

وبالطبع قد انعكس هذا الأمر بدوره على التأليف في هذا العلم بمصر وباقي الدول الإسلامية العربية الأخرى . هذا في حين أن هذا العلم كان يشهد في أوربا أزهى عصوره، حيث كانت حركة الكشوف في أوج نشاطها مما أدى إلى اكتشاف العالم الجديد " الأمريكتين " على يد كولمبس ١٤٩٢م . كما تمكنت من الالتفاف حول القارة الأفريقية لتصل إلى شبه القارة الهندية ، بعيدا عن الطرق القديمة التي تقع تحت نفوذ الدول الإسلامية .

ويرى البعض أن سبب ضعف التأليف في هذا العلم بمصر وأنحاء العالم الإسلامي خلال ذلك العصر ، يرجع إلى خضوعها تحت السيطرة العثمانية . مما أدى إلى عدم وجود

أسطول بحري لها ، لأن الارتباط وثيق بين تقدم الجغرافيا ووجود قوة بحرية وأسطول بحري [119].

ويمكن أن نضيف إلى ذلك ما شهدته تلك الفترة من انحسار نشاط السفن الإسلامية عبر البحار ـ وخاصة البحر المتوسط ـ وغلبة نفوذ السفن الأوربية . ناهيك عن الهجمات الشرسة التي كان يشنها قراصنة السفن الأوربية على السفن الإسلامية . والتصدي لها وإغراقها حتى وصل الأمر بهم أن كرروا شن الهجمات على سواحل وموانئ البلاد الإسلامية . وخاصة بلاد المغرب ، ومما لا شك فيه أن هذا الأمر حال دون إبحار السفن الإسلامية بحرية كما كان الحال من قبل .

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل نرى ما هو أكثر من ذلك . إذ أصبح للسفن الأوربية . وخاصة الفرنسيه والإنجليزية السيطرة على نقل ركاب المسلمين بين الأقطار المختلفة . وخاصة ركاب بلاد المغرب والجزائر لأداء فريضة الحج . ذهابا وإيابا [120].

ومن أهم ما تم إنتاجه من كتابات في هذا العلم خلال تلك الفترة . ما ألفه عبدالرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ ـ ١٦٢١م) حيث وضع كتابا عن أسماء البلدان [121]. ومؤلف لـمحمد بن زيد العابدين بن محمد بن علي أبو الحسن البكري الصديقي (ت ١٠٨٧هـ ـ ١٦٧٦م) . الذي وضعه عن النيل ، وعنه يقول المحبي على لسان الخياري في رحلته : " وقد شرفني لمناسبة ذكر النيل بتأليف له فيه جديد عهد . وفريد عقد . ذكر فيه النيل وما ورد فيه من الآيات والأحاديث ، وما يتعلق به من ذكر مبدئه ، ومن أين هو أجاد فيه كل الإجادة . وحاز الحسنى وزيادة " [122].

وهناك للعالم المؤرخ محمد بن أبي السرور البكري (ت ١٠٨٧هـ ـ ١٦٧٦م) عمل في هذا المجال بعنوان : " قطف الأزهار من الخطط والآثار " قام فيه باختصار كتاب " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " . لتقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ ـ ١٤٤٠م). وعلى ما يبدو أن التخصص التاريخي قد فرض نفسه على ابن أبي السرور في هذا العمل . حيث نراه قام بوضع المعلومات التاريخية الخاصة بمصر . كذكره لملوك مصر إلى حين دخول سليم الأول لها ثم أتبع ذلك بذكر حلقة تشتمل على قضاة مصر منذ تم فتحها على يد عمرو ابن العاص إلى زين العابدين أفندي المتوفى سنة ١٠٥٦هـ (١٦٤٦م) وغير ذلك من الأمور التي أمكنه إضافتها إلى النص الأصلي بعد اختصاره [123].

ومن تلك المؤلفات ما قام بوضعه العبيدي (ت ١٠٩١هـ ـ ١٦٨٠م) عن إقليم البحيرة تحت عنوان ." أدلة التسليم في فصل البحيرة عن سائر الأقاليم " [124].

ولعلك تلمح مدى ضعف الأعمال وابتعادها عن التناول الكامل للأقاليم وغيرها فهي إما قائمة على ذكر بعض الأسماء . أو جمع الآيات القرآنية . والأحاديث النبوية المتعلقة بإحدى الظواهر الطبيعية ، أو تلخيص أحد الأعمال السابقة . هذا علاوة على أن هذه الأعمال تناولت أماكن وبقاع داخلية لم تخرج عن نطاق الأراضي المصرية ، وهو ما يؤكد تأثير العوامل التي أشير إليها سابقا على الإنتاج العلمي في هذا العلم .

ويمكننا في هذا المجال أن نشير إلى كتب الرحلات التي قام العلماء بوضعها في تلك الفترة . ونظرا لأن المصريين كانوا أقل نشاطا من غيرهم في التنقل والترحال ـ كما أشير إلى ذلك سابقا ـ فقد كان إنتاجهم في هذا المجال ضعيفا للغاية . وخلت مؤلفاتهم من الكثير من المعلومات . التي لم تخرج عن الترجمة للشيوخ الذين أخذ منهم العالم علمه أثناء رحلته العلمية ، أو وصف مواطن طرق الحج أثناء تأدية تلك الفريضة .

ومن أصحاب تلك الأعمال أحمد بن زيد العبدين بن محمد البكري (ت ١٠٤٨هـ ـ ١٦٣٨م) . الذي قام بوضع مؤلف سجل فيه رحلة قام بها إلى بلاد الحجاز على طريق النظم ، تحت عنوان " الكوكب الوهاج في هداية الحاج "(١٢٥) كما نرى أحمد القليوبي يقوم بوضع مصنف في هذا الصدد تحت عنوان " النبذة اللطيفة في بيان مقاصد الحجاز ومعالمه الشريفة " (١٢٦).

وهناك من قام بتسجيل أهم ما شاهده من معالم في البلدان التي زارها لتلقى العلم مع الترجمة لأهم من صادفهم من العلماء، محمد الحتاتي المصري (ت ١٠٥هـ ـ ١٦٤١م) . الذي وضع مصنفا سجل فيه ما شاهده من معالم أثناء رحلته العلمية إلى بلاد الروم ، تحت عنوان " الأسفار عن الأسفار " (١٢٧).وممن تبعه في هذا الأمر شهاب الدين أحمد الخفاجي. الذي رحل إلى الأستانة وغيرها لتلقي تعليمه بها ، فقام بوضع رحلة في ذلك بعنوان "ريحانة الندماء وشمامة الأدباء الظرفاء وفاكهة الأعيان الفضلاء" ونراه يصرح لنا عن سبب تسميتها بهذا الاسم فيقول : " لأني ذكرت فيها الأحباب ممن هو موجود فكأني بذكره أستنشق بالأذان طيب عطره ، وممن هو مفقود فبالثناء عليه والدعاء كأني أهدي ريحانا . وأضع في القلوب من طيب أحواله طيبا ، لأن قلوب الأحرار قبور الأسرار ، بل قبور الأخيار " (١٢٨).

وهناك عمل وضع في هذا المجال بناء على تكليف وزير مصر بيرم باشا الذي كلف علي أفندي الدفتر دار بتسجيل أهم المحطات التي تمر عليها الخزينة المصرية المرسلة إلى

دار الخلافة ، وقياس المسافة الزمنية بين كل محطة ، ثم قياس المسافة الزمنية للرحلة بصورة عامة ، وسجل ذلك في عمل بعنوان " الرسالة البيانية في منازل القسطنطينية " وذلك في سنة ١٠٣٦هـ (١٦٢٦م) (١٢٩) .

وبعد فكما هو واضح مدى قلة إنتاج علماء مصر في تلك الفترة في كتب الرحلات من حيث الكم ، وضعف المعلومات التي احتوتها الأعمال التي وضعوها في هذا الشأن . وعلى ما يبدو أن الأسباب التي أدت إلى قلة إنتاج هؤلاء العلماء في علم الجغرافيا كان لها تأثيرها الواضح في ندرة كتب الرحلات بالصورة التي رأيناها .

وهكذا فيتضح مما سبق ما لقيته الكتابات التاريخية بأنواعها الثلاث - السير والمغازي والتراجم ، الكتابة التقليدية - ، من نشاط واهتمام من قبل العلماء تلك الفترة ، حتى يخيل لنا أنها شهدت حركة إحياء وبعث في ذلك الحين ، خاصة بعد فترة انقطاع ما بعد ابن إياس . وابن زنبل في القرن العاشر الهجري (ال١٦ م) . وقد لمسنا عدة أمور هامة في كتابات العلماء أهمها ،الدقة المنهجية البحثية لبعض هؤلاء العلماء عند تناولهم للأحداث التي يؤرخونها ،وذلك بحرصهم علي ذكر المصادر التي استقوا منها مادتهم العلمية أضف إلي ذلك ما كان يمتلكه هؤلاء العلماء من رؤى تحليليه جديدة حيال بعض الأحداث التاريخية التي سبقتهم ، وما لوحظ على كتاب التراجم - في ذلك الحين - من تركيز جهودهم على الترجمة للعلماء والشيوخ دون الالتفات إلى السلاطين والأمراء على اعتبار أن العلماء والشيوخ هم القدوة والرمز وهم بذلك يكونوا قد سبقوا المرادي والجبرتي في هذا الصدد . كما لا ننسى مدى القيمة والأهمية التي احتوتها الكتابات التقليدية - لهؤلاء العلماء - بما احتوته من تأريخ الأحداث التاريخية لتلك الفترة ، حتى اعتبرت تلك الكتابات حلقة وصل هامة لعلماء القرن الثاني عشر الهجري (ال١٨ م) للتأريخ عن القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (ال١٦ - ١٧م) وفي نفس الوقت لاحظنا مدى إقلال هؤلاء العلماء في وضع الأعمال المتعلقة بالجغرافيا والرحلات . وكم أن أعمالهم التي وضعت في هذا الشأن جاءت ضعيفة في معلوماتها . ولمسنا الأسباب التي أدت إلى هذا الأمر .

هوامش الفصل السادس

(١) سورة الأحزاب . آية ٢١ .

(٢) مرعي الحنبلي : نزهة الناظرين ، ومصدر سبق ذكره ، ورقتي ١ب ـ ٢أ .

(٣) مطبوع .

(٤) أنظر الفصل الثاني . ص .

(٥) المحبي : ج٣ ، صـ١٢٣ .

(٦) إبراهيم بن محمد السوهائي : هداية المشغول لسيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم) مخطوط بدار الكتب المصرية.تحت رقم ميكروفيلم ١٠٩٣٧،تاريخ ٥١٢٨ ، ورقة ١.أ

(٧) حمد البهوتي الحنبلي : التحفة الطريفة في السيرة النبوية ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم م٣٤٨٧٣ ، تاريخ ٤٠٥ .

(٨) كشف الظنون : مج ١ ، ص٧٤٧ .

(٩) المحبي : ج٢ ، ص ٤١٤ .

(١٠) معجم المؤلفين ، ج٢ ، ص٥١٠ .

(١١) الجبرتي : ج١ ، ص٨٧ .

(١٢) هو الشيخ الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري ، ويخبرنا صاحب كشف الظنون عن كتابه هذا فيقول : " هو كتاب جليل القدر كثير النفع ليس له نظير في بابه ، رتبه على عشرة مقاصد ، الأول : في تشريف الله تعالى نبيه بسبق نبوته وطهارة نسبة وولادته ورضاعه ومغازيه ومراياه ، مرتب على السنين إلى وفاته عليه الصلاة والسلام . الثاني : في أسمائه وأولاده وأزواجه وأعمامه ، وخدمه . الثالث : فيما منحه الله تعالى به من كمال خلقته، وفيه ثلاثة فصول ، الرابع : في معجزاته وخصائصه . الخامس : في خصائص المعراج . السادس فيما ورد من أي التنزيل في رفعة ذكره . السابع : في وجوب محبته واتباع سنته . الثامن : في طبه وتعبيره الرؤيا . التاسع : في لطفه من حقايق عباراته . العاشر : في إتمامه سبحانه وتعالى نعمته عليه بوفاته ، ونقله إليه وفيه ثلاثة فصول ـ وحرره في سنة ٨٩٩هـ ـ ١٤٩٤م . كشف الظنون ، مج٢ ، ص ص ١٨٩٦ ـ ١٨٩٧ .

(١٣) هدية العارفين ، مج٥ ، ص ٢٨٧ .

(١٤) المحبي : ج١ ، ص٤٦ .

(١٥) مخطوط بدار الكتب المصرية .

(١٦) الجبرتي : ج١ ، ص٤٦ .

(١٧) ومن تلك الشواهد ما نراه من الشبراملسي في حاشيته على المواهب اللدنية عندما تعرض لنقطة سجود الفيل لعبد المطلب وقال له الفيل : " السلام على النور الذي في ظهرك " . فتعجب ابرهه من سجود الفيل . وسأل الكهنة عن ذلك فقالوا : " سجد للنور الذي بين عينيه" =

= وهنا نرى الشبراملسي يحاول الإجابة عن بعض الأسئلة في هذا الشأن حيث قال : " فإن قلت : فلم قالت الكهان كما تقدم عن الدر المنظم إنما سجد للنور الذي بين عينيه ، ولم يقولوا للنور الذي في ظهره ؟ قلت الكهان أجابوا بالنظر لما رأوه ظاهر في جبهته من النور . والفيل ألهمه الله إن أصل النور في ظهره فذكره . فإن قلت قد مر أن النور انتقل من آدم إلى شيث وأستمر كذلك إلى أن وصل إلى عبد الله ثم منه إلى آمنة وقصة الفيل إنما كانت عام ولادته وهو بعد انتقال النور من عبد المطلب إلى عبد الله ثم منه إلى آمنة . قلت يمكن أن النور إلى عبد الله لم ينقل بتمامه ، إنما نقل منه ما يكون مادة له صلى الله عليه وسلم مع بقاء أصل النور إكراما لنبينا(ببقاء أثاره في صلب أصوله ، فيجوز أن النور الذي استدار في جبهة عبد المطلب من أثر ما بقى من نوره (غايته أنه زاد إشراقه علامة على ظفرهم ، وذلك من إعزاز قومه (بإزالة آله الرعب عنهم وذلك من معجزاته (ثم ذكر رأي ابن حجر في ذلك وإشارته إلى أن رأيه أقوى مما ذهب إليه ابن حجر حيث قال : " ثم رأيت في شرح ابن حجر على الهمزية بعد مثل ما ذكر ابن الأشكال ما نصه ويمكن الجواب عن ذلك = بأن النور وإن انتقل كما ذكر لكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أكرم عبدالمطلب فأحدث فيه كما يدل عليه سياق القصة حين احتاج إلى كرامة تخلصه وماله من ملك وجنده الذين بلغوا في العتو والجرأة على الله وبيته الذي أجمع الأمم من لدن إبراهيم على صيانته وتعظيمه ، وأنه لا يحاكي ولا يغالب نورا يحاكي ذلك النور= = الذي استقر في آمنة . بل مع زيادة متى صار في جبهته كالشمس . ثم أكرمه ثانيا بنور آخر أوجده في صلبه وأطلع الفيل عليه فسجد . انتهى . وما ذكرناه اظهر مما ذكره ابن حجر " حاشية الشبراملسي على المواهب اللدنية ، مخطوط بدار الكتب ، الجزء الأول تحت رقم م٢٣٥٥٢ ـ حديث ٢٩٤ ورقتي ٥٩ب ـ ٦٠أ

(١٨) هدية العارفين ، مج٦ ، ص ٧٥٥ .

(١٩) الحموي : مج٣ ، ص ٣١٠ .

(٢٠) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ميكروفيلم ١٣٧٩٩ ـ تاريخ طلعت ١٩١٢ .

(٢١) مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ٢٧١ مجاميع . ٧٨٥٧

(٢٢) مخطوط بدار الكتب المصرية ـ الجزء الأول تحت رقم ميكروفيلم ٣٤٠٧٠ ـ حديث ٥٤٥ .

(٢٣) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم تاريخ ٤٢٦٨ .

(٢٤) هدية العارفين ، مج٥ ، ص ١٦٤ .

(٢٥) المحبي : ج٤ ، ص ١٧٤ . الحموي : ج١ ، ص ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٢٦) البشبيشي : التحفة السنية بأجوبة الأسئلة المرضية ، ط ، مطبعة حجر بالقاهرة ١٢٧٨هـ ـ ١٨٦١م .

(٢٧) الأجهوري : النور الوهاج ، مصدر سبق ذكره . ورقة ٩ .

(٢٨) المحبي : ج٣ ، ص١٢٣ .

(٢٩) مخطوط بالمكتبة الأزهرية في ٥١ ورقة تحت رقم . ٥٧٦١ ١٩٢

(٣٠) الحموي : ج٣ ، ص٢٥٤ .
(٣١) نفسه : ج٣ ، ص ٩٦٤ .
(٣٢) المحبي : ج١ ، ص ٣٠٢ .
(٣٣) الخفاجي - ريحانة الألبا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩٤ .
(٣٤) المحبي : ج٢ ، ص ٢٩٣ .
(٣٥) إيضاح المكنون - مرجع سبق ذكره ، مج ٣ ، ص١ .
(٣٦) هدية العارفين ، مج٥ ، ص١٦٢ .
ولعل ملازمة العجمي للشيخ علي الحلبي ، وما درسه على يديه من كتب السيرة كان له أبلغ الأثر في حصيلته التاريخية تلك ، وذلك كما أخبرنا صاحب الفوايد : " أنه لازم الشيخ علي الحلبي نحوا من عشرين سنة ، ومما قرأه عليه جملة من سيرته التي سماها إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، وجملة من معراج النبوة للنجم الغيطي ، وغير ذلك .. .. الحموي : ج١ ، ص١٠٣٠ .
(٣٧) محمد أنيس : مدرسة التاريخ المصري ، ط دار الجيل - القاهرة . ١٩٦٨م ، ص ٤٥-٤٦ .
(٣٨) نفسه . ص ٤٦ .
(٣٩) المناوي : الكواكب الدرية ، مصدر سبق ذكره . ورقة ١ .
(٤٠) نفسه : إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن بخطوط بدار الكتب تحت رقم م ٤٠٤٠٣، تاريخ ٣٩٧ .
(٤١) الدميرى : مصدر سبق ذكره .
(٤٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، هو كتاب في ثلاثة مجلدات للشيخ موفق الدين أحمد ابن قاسم الخزرجي الطبيب المعروف بابن أبي اصبيعه (ت ٦٦٨هـ - ١٢٧٠م) . قال فيه : "رأيت أن أذكر في هذا الكتاب نكتا وعيونا في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين ومعرفة طبقاتهم على توالي ازمنتهم ، ونبذا من أقوالهم وحكاياتهم ، وذكر شيء من أسماء كتبهم ، وقد أودعت فيها أيضا جماعة من الحكماء والفلاسفة ممن له نظر وعناية بصناعة الطب وجملا من أحوالهم " . كشف الظنون ، مج٢ ، ص ١١٨٥ .
(٤٣) القوصوني : قاموس الأطباء ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢ .
(٤٤) الحموي : ج٢ ، ص١٩ .
(٤٥) المحبي : ج٣ ، ص ٣٠٣ .
(٤٦) هدية العارفين ، مج٥ ، ص١٥٧ .
(٤٧) المحبي : ج٣ ، ص١٢٢ .
(٤٨) نفس المصدر : ج١ ، ص٣ .
(٤٩) سبقت الإشارة إليها .
(٥٠) المحبي : ج٢ ، ص ٢٩٨ .

(٥١) المصدر السابق : ج١ ، ص ١٧٦ .
(٥٢) معجم المؤلفين . ج٢ ، ص ٨١ .
(٥٣) المحبي : ج١ ، ص ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .
(٥٤) هدية العارفين ، مج٥ ، ص ٣٥٤ .
(٥٥) مطبوع ـ ط مطبعة محمد أفندي مصطفى سنة ١٣٠٧هـ ـ ١٨٨٩م .
(٥٦) مخطوط بدار الكتب المصرية ـ تحت رقم تاريخ تيمور ١٠٩٧ .
(٥٧) مخطوط بدار الكتب المصرية ـ تحت رقم تاريخ ٤٣٧ .
(٥٨) كشف الظنون ، مج٢ ، ص ص ١٠٢٨ ـ ١٠٩٢ .
(٥٩) إيضاح المكنون ، مج٣ ، ص ٤٥١ .
(٦٠) مخطوط بدار الكتب تحت رقم تاريخ خليل أغا ٦ .
(٦١) هدية العارفين ، مج٥ ، ص ٤٩٨ .
(٦٢) نفسه ، مج٥ ، ص ١٦٥ .
(٦٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم تاريخ تيمور ٨٧٦ .
(٦٤) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض اللحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ ـ ١١٤٩م)
(٦٥) مخطوط بالمكتبة الأزهرية .
(٦٦) هدية العارفين ، مج٥ ، ص ٣٦٩ .
(٦٧) مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم ميكروفيلم ٣٤٧٣٧ ، تاريخ ٤٠٤ .
(٦٨) معجم المؤلفين ، مرجع سبق ذكره ، ج١ ، ص ٣٣ .
(٦٩) مخطوط بدار الكتب ، تحت رقم تاريخ ٨م .
(٧٠) وقد صرح لنا عن سبب تصنيفه لهذا الكتاب فقال : " وبعد فقد سألني حضرة الوزير المعظم حسين باشا محافظ مصر المحمية ، عن حضرة القطب الشعراني ، وعن طريقته وعن كرماته ، بحضرة جمع من أكابر الدولة " . فهرس مكتبة رفاعة ، مرجع سبق ذكره ، ج٢ ص ٤٩٩ .
(٧١) مطبوع .
(٧٢) محمد أنيس ـ مرجع سبق ذكره ـ ص ٤٧ .
(٧٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٠٤٥١ ـ ح ٩٥٣٤ .
(٧٤) مصدر سبق ذكره.
(٧٥) ليلى عبد اللطيف : دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني ، ط مطبعة الجبلاوي ١٩٧٩م ، ص ١٣٥ .
(٧٦) عبد الرحيم عبد الرحمن : تقديم كشف الكربه للبكري، مصدر سبق ذكره،ص ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥
(٧٧) البكري : النزهة الزهية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٥ .

(٧٨) محمد أنيس : مدرسة التاريخ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢ .

(٧٩) المرجع السابق ، ص ٢٣ ـ محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ الإسلامي . ط الهيئة العامة للكتاب ، ص ١٧٠ . ليلى عبد اللطيف : دراسات في تاريخ . مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٦ .

(٨٠) مخطوط بدار الكتب في ثلاثة أجزاء . الأول تحت رقم م ٥٠٤٠١ ـ ح ٢٧٢٨٩ . الثاني تحت رقم م ٥٠٢٠٧ ح ٢٧٢٨٩ ـ الثالث تحت رقم ٥٠٢٠٨ ح ٢٧٢٩١ .

(٨١) مخطوط بدار الكتب المصرية ـ تحت رقم ١١٠٥ .

(٨٢) مصدر سبق ذكره . وبالمناسبة فإن العنوان المثبت على غلاف المخطوط غير هذا العنوان ، حيث عنون بـ " اللطائف الربانية على المنح الرحمانية " .

(٨٣) مخطوط بدار الكتب في ٢٠٧ ورقة ، تحت رقم ميكروفيلم ٥٠٢٠٩ ـ ح ٢٧٢٩٣ .

(٨٤) مصدر سبقت الإشارة إليه .

(٨٥) ليس عام ١٠٦٢هـ (١٦٥١م) ، كما أشارت لذلك الدكتور ـ عفاف مسعد السيد العبد : في كتابها ـ دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩م) . سلسلة تاريخ المصريين العدد رقم ١٧٩ .

(٨٦) مخطوط بدار الكتب المصرية في ٢٣٨ صفحة تحت رقم ميكروفيلم ١٦٤٠ ـ تاريخ ٥٥١٧ .

(٨٧) من هؤلاء . د . عفاف مسعد ـ مرجع سبق ذكره . ص ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(٨٨) وليس كما ذكر عبد الرزاق عيسى أثناء تحقيقه لكتاب النزهة . أنه ينتهي إلى عام ١٠١٤هـ ـ ١٦٣٢م .

(٨٩) مخطوط بدار الكتب المصرية في ٥٣ ورقة ـ ميكروفيلم ١٨٥١١ ـ تاريخ ٢٢٦١.

(٩٠) الطلبة هي ضريبة اصبح جند السباهية يفرضونها على الفلاحين كأجر لهم على طلبهم للفلاحين لمقار رجال الإدارة . عرفت فيما بعد باسم " حق الطريق " . وقد غالى جند الاسباهية في عدد مرات فرضها ، كما غالوا في قيمتها حيث كانوا يقدرونها حسب أهوائهم ، وأصبحوا يأخذون من الكشاف أوراقا تجيز لهم فرض هذه الفريضة الظالمة ـ البكري : كشف الكربة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١١

(٩١) البكري : كشف الكربة ، مصدر سبق ذكره ،ص ٣١٠ .

(٩٢) يتضمن هذا الكتاب تاريخ الدولة العثمانية منذ عصر السلطان عثمان غازي حتى عصر السلطان إبراهيم (١٠٥٠ ـ ١٠٥٨هـ / ١٦٤٠ ـ ١٦٤٨م) وقد نظم ابن أبي السرور عمله هذا في تسعة عشر بابا ، تناول في كل سلطان من سلاطين آل عثمان ، تاريخ توليته العرش وأعماله وحياته مع التركيز في الباب التاسع على حوادث دخول العثمانيين مصر مستعينا في ذلك بتاريخ ابن إياس كما أشار ضمن أحداث هذا الكتاب إلى بعض الإضطرابات التي قامت داخل الولايات العربية ضد الحكم العثماني . كأحداث ثورة جان بردي الغزالي نائب الشام ، وثورة جانم السيفي

وانيال ، وكذلك ثورة أحمد باشا الخائن في مصر ، وخروج الزيديين من السلطة العثمانية في اليمن، والمجهودات التي قامت بها الدولة العثمانية من أجل إخماد هذه الثورات وتدعيم سيادتها في المنطقة . نقلا من د . عفاف مسعد ـ مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٩٣) ومما قاله في مقدمته : " وبعد فأني حين ألفت تاريخي الكبير المسمى بعيون الأخبار ونزهة الأبصار ، وتاريخي الأوسط المسمى بتحفة الظرفاء في ذكر الملوك والخلفاء ، وتاريخي الصغير المسمى بغيض المنان في ذكر دولة آل عثمان .. .. وقد وقف فيه عند ولاية حسين باشا على مصر سنة ١٠٢٩هـ (١٦١٨م) نقلا من فهرس مكتبة رفاعه ج١ .ص ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

(٩٤) د . ليلى عبد اللطيف . مرجع سبق ذكره . ص ١٤٣ .

(٩٥) نفسه .ص ١٤٣ .

(٩٦) مصدر سبق ذكره .

(٩٧) سبق وأن أشارت الدراسة إلى هذا . أنظر التمهيد . ص ص ٨ ـ ١٠ .

(٩٨) عبد الرحيم عبد الرحمن ـ تقديم تراجم الصواعق ـ مصدر سبق ذكره ـ ص٦

(٩٩) انظر : تراجم الصواعق ، مصدر سبق ذكره ،ص ٧ .

(١٠٠) د . عبد الرحيم عبد الرحمن ـ تحقيق تراجم الصواعق ـ ص ١٤ .

(١٠١) نفسه . ص ص ١٤ ـ ١٥ .

(١٠٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن ـ تمهيد تراجم الصواعق ـ ص ص ٧ ـ ٨ .

(١٠٣) نفسه ص ٨ .

(١٠٤) مصدر سبق ذكره .

(١٠٥) الحاج مصطفى : مختصر تاريخ مصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٩٠ ـ ٩١ .

(١٠٦) المصدر السابق ص ٢٢ .

(١٠٧) مدة سلطنته : ١٠٢٩ ـ ١٠٣٢هـ / ١٦١٨ ـ ١٦٢٢م

(١٠٨) مرعي الحنبلي : نزهة الناظرين ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

(١٠٩) من هؤلاء إبراهيم السوهائي : هداية المشغول . مصدر سبق ذكره . ورقة ٣٨٠ مصطفى القلعاوي : صفوة الزمان . مصدر سبق ذكره ، ورقة ١٤٢ .

(١١٠) مصدر سبق ذكره .

(١١١) مرعي الحنبلي ـ قلائد العقيان ـ مصدر سبق ذكره ص ٢ .

(١١٢) أنظر الفصل الأول ـ ص ٥٧ .

(١١٣)) معجم المؤلفين ـ مرجع سبق ذكره ج١ ص٣٣ .

(١١٤) أحمد الحموي ـ فضائل سلاطين بني عثمان ـ تحقيق لحسن محمد حسن سليم ـ ط دار الكتاب الجامعي ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

(١١٥) السيد عبد العزيز سالم . التاريخ والمؤرخون ، مرجع سبق ذكره ص ٩٢ .

(١١٦) مطبوع .

(١١٧) مخطوط بالمكتبة الأزهرية في ٢٣ورقة برقم (٤٢١٨) أباظه ٧٢٢٢ .

(١١٨) ومن ذلك ما نراه مثلا في مكتبة شهبندر التجار الخواجا إسماعيل أبو طاقية الذي نرى أن مكتبته قد حوت ثلاث كتب تتصل بهذا العلم ، وهي : جزء من الخطط ـ قطر السيل في معرفة الميل ـ منازل الحاج ـ دار الوثائق القومية :محافظ الدشت ، محفظة رقم ١٤٣ ، (تاريخ ١٠٣٤هـ ـ ١٦٢٤م) .

(١١٩) عبد الله محمد عزباوي : الحركة الفكرية في مصر في القرن الثامن عشر ، رسالة دكتوراه غير كاملة النشر ، كلية الأداب ، عين شمس ١٩٧٦م ، ص ٢٣٧ .

(١٢٠) دار الوثائق القومية : محكمة الإسكندرية . س ٣٢ ص ٣٥١ ، م٩٤٧ ، تاريخ (جمادى الأولى ١٠٠٩هـ ـ ١٦٠٠م) .

(١٢١) هدية العارفين . مج ٥ ص ٥١٠ .

(١٢٢) المحبي : ج٣ ،ص ٤٦٦ .

(١٢٣) مخطوط بدار الكتب ـ تحت رقم ميكروفيلم ٤٥٨٥٢ ـ جغرافيا ٤٥٧ .

(١٢٤) معجم المؤلفين . ج١ ص ٣٣ .

(١٢٥) الزركلي : الأعلام ، مصدر سبق ذكره ، ج٩ ص ١٢٩ .

(١٢٦) معجم المؤلفين ، مرجع سبق ذكره ، ج١ ص ٩٤ .

(١٢٧) أحمد عيسى : معجم الأطباء . ط دار الرائد العربي بيروت ، ص ٣٦٦ .

(١٢٨) الخفاجي : ريحانة الألبا ، مصدر سبق ذكره . ص ٣٥٤ .

(١٢٩) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ميكروفيلم ٤٥٨٠٣ ـ جغرافيا ٣٣١ .

الخاتمـة

وبعد فقد رأينا ما ساد فترة الدراسة من أوضاع مختلفة ـ سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ـ وكم وضح لنا جليا هذا الاضطراب الذي كان يسود تلك الأوضاع في ذلك الحين ، حتى يخيل للمرء منا أنه من الصعب القيام حركة علمية تنبض بالحياة في ظل تلك الأوضاع ، ناهيك عما كانت عليه فلسفة الدولة العثمانية في الحكم ، حيث كانت مقتصرة على مهام دفاعية ـ أمنية ، بعيدة تماما عن شؤون التعليم والصحة وقطاع الخدمات بصفة عامة . ولكن ما لمسناه من خلال هذه الدراسة من نشاط في الحركة العلمية والفكرية ، وإقبال من المجتمع على النهوض بحياته العلمية ليكشف لنا في الحقيقة عن جوهر الشخصية المصرية ، تلك الشخصية التي تحمل لنا في مضمونها أن الشعب هو الذي كان ينهض بالعلم والحضارة تاركا لحكامه المسلمين أمر الزعامة والقيادة ـ والزعامة التي نعنيها هنا هي الزعامة الحربية ـ وهي التي وجدنا الشعب المصري يتنحى عنها ، مكتفيا بما هو أثمن وأعز مكانا منها ، وهو المساهمة الجادة في بناء الحضارة الإسلامية والعلوم الإسلامية ، والعلوم الشرقية ، والاشتراك بأوفى نصيب في الحياتين المدنية والفنية .

ومن هنا لاحظنا مدى التزام العلماء بما يتوافق معهم من قواعد ومبادئ ارتضوها لأنفسهم . وارتضاها لهم المجتمع ، ومع أنه قد وجد ثمة من النماذج التي شذت عن هذا الأمر ، التي راحت تبحث عما يعود عليها ببعض المكاسب المادية وإن كان ذلك على حساب حرمان الآخرين مما يستحقونه ، إلا أننا رأينا أن السمة الغالبة على علماء تلك الفترة هي الالتزام بما يتناسب مع العلم ومبادئه ، وقد أدركنا ما كان يمثله العلماء من أهمية لدى مجتمعهم ، ومكانة عالية لدى سلطاته الحاكمة ، ورأينا كيف أن العلماء استغلوا تلك المكانة في كشف ما كان يعاني منه مجتمعهم من الأم تلحق به من قبل سلطاته الحاكمة ، وفي الوقت ذاته لم يفكر هؤلاء العلماء في الاستفادة من مكانتهم تلك في كسب أي عائد مادي يذكر . وذلك على الرغم من رقة الحال التي كان عليها الكثيرون منهم وهذا لإيمانهم العميق بالعلم ، ومهمة توصيله للأجيال المتعاقبة ويقينهم من أن هذا الأمر لا يتفق مع مطالب الدنيا ، وراحوا يغرسون تلك المبادئ في نفوس طلبتهم الذين حملوا مشاعل العلم من بعدهم .

ومما ظهر لنا جليا من هذه الدراسة ، أن مصر في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) كانت غنية بمؤسساتها التعليمية ، وأن التعليم لم يكن قاصرا على الأزهر وحده : كما لم تندثر المدارس التي أنشئت فيما سبق العصر العثماني من فترات ـ كما أدعى بذلك البعض ـ وقد لمسنا أهم الأشياء التي جعلت مصر تحتفظ بتلك المنشآت الحضارية . وهي شعور المجتمع آنذاك بالمسؤولية الكبرى تجاه تلك المنشآت واعتبارها من أهم الموروثات من قبل أسلافهم ، فعملوا على المحافظة عليها وتفقد أحوالها ومحاولة إصلاح ما خرب منها ، ليس هذا فحسب ، بل ارصدوا عليها من أموالهم ما يعمل على استمرار مسيرتها التعليمية ، وفوق ذلك وجد هناك من قام بإنشاء المؤسسات الجديدة ، وقد رأينا كيف أن الأزمات الاجتماعية ـ خاصة الطواعين ـ كان لها الأثر الواضح في أن يكثر المقتدرون من أفراد ذلك المجتمع من إنشاء الكتاتيب ، ورصد أجزاء كبيرة من أموالهم للانفاق عليها وعلى الأطفال الملحقين بها ، وذلك لاستيعاب الأيتام الذين راح آباؤهم ضحية لتلك الأزمات وغيرها ، لضمان مستقبل تعليمي سوى لهم ،

كذلك رأينا أن ذلك المجتمع لم ينضب عطاؤه في هذا المجال عند حد تهيئة المقوم الأول للحركة التعليمية ـ وهو الحفاظ على المؤسسات التعليمية وإنشاء الجديد منها ـ بل وجدنا عطاؤه قد أمتد ليوفر المقوم الثاني والأكثر أهمية في تلك الحركة . وهو توفير الكتاب بصورة سهلة ميسرة لطالبي العلم فعلاوة على احتفاظ المدارس بمكتباتها ، رأينا أفراد المجتمع قد قام الكثير منهم بوقف مكتباتهم الخاصة على المدارس والجامع الأزهر، هذا بخلاف من جعل منزله مقرا لمكتبته يرتاده طلبة العلم للإطلاع والاستفادة .

ولعل من أهم ما أوضحته الدراسة في هذا الشأن أن النشاط التعليمي ومؤسساته لم يقتصر وجوده على القاهرة فحسب بل انتشر في معظم أقاليم مصر ، هذا بخلاف ما لاحظناه من نشاط غير عادي للعلماء المنحدرين من الأقاليم ، الأمر الذي يجعلنا أن نقول ـ تجاوزا ـ أن الحركة العلمية خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) كانت قائمة على جهود الكوادر العلمية الأتية من الأقاليم .

ومن الأمور الهامة التي أوضحتها الدراسة أيضا أن مصر في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ظلت محتفظة بريادتها الثقافية والتعليمية في العالم الإسلامي ، وذلك على الرغم من معظم التحديات التي واجهت مصر خلال ذلك العصر ، حيث باتت ولاية تابعة لدولة بعد أن كانت مركزا لسلطنة يتبعها الكثير من

الأقطار ، هذا بخلاف ما بذله العثمانيون من جهود مضنية لإعلاء شأن عاصمتهم (الأستانة) وإن كان ذلك على حساب المدن الأخرى .

ومن أهم الاستنتاجات التي نخرج بها من هذه الدراسة أن الجوانب الفكرية في كثير من العلوم قد شهدت تطورا كبيرا في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ـ مع مراعاة أن ذلك التطور لا يمكن إلا أن نقيسه بمعيار ذلك العصر لا بمقياس عصرنا الحالي ـ وخاصة إذا ما قورن ذلك بالنشاط الفكري في القرن السادس عشر . وإذا كان علماء ذلك القرن أو العصر بصفة عامة قد أكثروا من وضع الحواشي والشروح على كتب السابقين دون الإكثار من وضع الأعمال المبتكرة أو المستقلة فقد علمنا أن لهذا الأمر أسبابه التي أملتها عليهم الظروف والمتغيرات التي طرأت على العالم الإسلامي بعد الغزو التتاري على مدنه وأقطاره . أضف إلى ذلك أن تقلص الينابيع الفكرية لم يكن وليد العصر العثماني أو شيء انفرد به دون غيره ، فقد أشارت الدراسة إلى أن هذا الأمر ظهر منذ بدايات القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) . ولنا أن نتطرق في هذا المجال إلى نقطة أكثر أهمية وهي أن انتخاب علماء القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ، لكتب معينة من الإنتاج العلمي السابق في كافة العلوم المختلفة يؤدي ذلك إلى إظهار أهمية بعض المؤلفات التي راجت على مدار عدة أجيال ومن ثم نلحظ اكترانا غير عادي بإعادة إنتاجها ليس كما تلقوها ، وإنما بإضافة الشروح والتعليقات عليها ، وهذه الأخيرة تمثل إضافة هامة وبدراسة الشروح والتعليقات يمكننا فهم طبيعة التناول العلمي عند علماء ذلك القرن ومدى الاتفاق والاختلاف ، والاندماج والتباين بين ما انتهى إليه علماء القرن ـ موضوع الدراسة ـ عن العلماء وأرباب المؤلفات السابقة .

فمن أولى العلوم التي شهدت تطورا في دراستها ، وكيفية التصنيف فيها علم الحديث ، فقد رأينا كيف أن علماء القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) لم يقف تناولهم الفكري لعلم الحديث عند أحاديث بعينها تخدم قضايا محددة لكن الاهتمام صار أوسع من ذلك بحيث أصبحت دراستهم للحديث شاملة ، فمن ناحية وجد من أهتم بجمع الأعداد الكبيرة من الأحاديث في مؤلفات بعينها ، ومن ناحية أخرى أستخدم الحديث بشكل يخدم جميع الأمور المتعلقة بالمجتمع وتنظيم العلاقة القائمة بين أفراده ، هذا إلى جانب ما شهدته دراسة علم الحديث في ذلك القرن من إعادة هذا إلى جانب ما شهدته دراسة علم الحديث في ذلك القرن من إعادة تقييم للأحاديث

الصحيحة والضعيفة والمغلقة وهذا ما يعد من الأمور التي شهدت تطورا في منهج دراسة الحديث آنذاك .

كذلك يتضح لنا من هذه الدراسة أن علم الفقه كان أكثر العلوم التي شهدت تطورا كبيرا في تناولها خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ، فمن ناحية لاحظنا ما كان ما عليه فقهاء مصر إبان ذلك القرن من غزارة في الإنتاج الفقهي وما شمله هذا الإنتاج من تنوع في مادته التصنيفية ما بين أعمال مبتكرة ـ مستقلة ـ أو تلك التي جاءت على هيئة الحواشي والشروح . أو التي جاءت على شكل الرسائل الصغيرة . ومن ناحية ما امتاز به هؤلاء الفقهاء من روح اجتهادية تخلت عن الكثير مما إلتزم به الأخرون من تقليد ما اتفقت عليه المذاهب الفقهية الأمر الذي مكنهم من التعامل مع أستجد على مجتمعهم من أوضاع اجتماعية واقتصادية بفكر اجتهادي متطور عمل على تكييف تلك الأوضاع بما يتوافق مع قواعد الشرع ، وما فيه صالح المجتمع وظروف العصر وأوانه . وما من شك في أن التعامل مع تلك الأوضاع بهذه الصورة ليحمل دلالة قوية على ما أضافه هؤلاء الفقهاء من مادة لم تكن موجودة من قبل ، وليس هناك ما هو أدل على ما كان عليه علماء مصر ـ في ذلك الحين ـ من علو قدم في الدراسات الفقهية من حيث مخاطبة علماء الأقطار الإسلامية لهم واستفتائهم عما كان يواجههم من قضايا .

هذا وإن كانت العلوم الدينية قد نالت نصيبا كبيرا من اهتمام علماء ذلك القرن فقد أوضحت الدراسة أن العلوم اللغوية لم تكن أقل حظا منها وقد أتى اهتمام علماء ذلك القرن بالعلوم اللغوية من فرط إيمانهم من أن التخصص في العلوم الدينية لا يأتي إلا بعد التمكن من العلوم اللغوية ، ومن ثم رأينا ما لقيته الدراسات اللغوية من نشاط ملحوظ في ذلك الحين ، وعلى ما يبدو أن الصحوة التي لمسناها في علم الحديث قد صحبتها صحوة كبرى في كافة الدراسات اللغوية ، ففي علم النحو رأينا كيف أن أعمال ابن مالك وابن هشام وابن الحاجب . التي تعد غاية ما وصل إليه علم النحو من أفكار المتقدمين . كانت تدرس بكثافة في ذلك القرن بخلاف أعمال خالد الأزهري أيضا . ورأينا كيف أن علماء ذلك القرن تعاملوا مع كل عمل من تلك الأعمال بالصورة التي تناسبه . الأمر الذي يكشف لنا من أن هؤلاء العلماء كان تعاملهم مع مثل هذه الأعمال بناء عن فهم واع ، وليس من سبيل التكرار أو إعادة النسخ .

أما عن العلوم التي تتعلق بالأسلوب اللغوي وخصوصا البلاغة فقد لاحظنا ما لقيه هذا العلم من نشاط واهتمام ، وهو ما يعد بمثابة صحوة كبرى في التعامل معه خلال ذلك القرن . إذ رأينا كيف أقبل علماء تلك الفترة على دراسة هذا العلم وتدريسه للطلبة . وأن تناولهم له لم يقف عند هذا الحد أو وضع المصنفات فيه وخسب ، بل اعتبروه من أهم العلوم المساعدة لكثير من العلوم الدينية وعلى رأسها التفسير .

ومن أهم الاستنتاجات التي نخرج بها من هذه الدراسة في هذا الشأن أن الأسلوب الأدبي في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) لم يكن منحطا أو ركيكا بالصورة التي وصفها به المتحاملون على العصر العثماني ، بل رأينا أن ثمة العديد من الشخصيات الأدبية الجادة الجديرة بالاحترام قد تركت لنا الكثير من الأعمال الأدبية النثرية على درجة من الإتقان وأنها وجهت من قبلهم التوجيه الذي يهذب المجتمع أو يصلح العلاقات بين أفراده ، وهذا بخلاف الأعمال الشعرية التي عبر فيها الشاعر عن عواطفه الشخصية بصدق واضح . أضف إلى ذلك أن الكثير من شعراء تلك الفترة كانوا يقلدون شعراء العرب السابقين في قمة مجدهم الأدبي كأبي نواس وغيره الأمر الذي أكسب أعمالهم الشعرية الجدية والقوة .

ومما نخرج به من هذه الدراسة أن العلوم العقلية لم تكن مهملة أو اختفت من المناهج الدراسية ، أو حكم بتحريم دراستها كما زعم بذلك البعض بل وجدنا ما هو العكس من ذلك تماما ، حيث وجدنا أن العلوم العقلية كانت ضمن العلوم التي حرص علماء ذلك القرن على الاعتناء بها وتدريسها للطلبة كعلوم المنطق والحساب والطب . كما رأينا أن ذلك القرن قد حظي بعدد غير قليل ممن تخصصوا في تلك العلوم ، وكانت لهم فيها الإسهامات الفكرية البناءة وأن جهودهم تلك لم تكن من قبيل الخرافات أو ما شابه ذلك هذا بخلاف ما رأيناه من مساهمات المشاركين في تلك العلوم ، وكم أن مشاركتهم جاءت جادة ودقيقة دلت على عمق تمكنهم في تلك العلوم ، وأنها جاءت تلبية لما يحتاجه المجتمع في حياته العملية . والأهم من ذلك ما لمسناه من تغير نظرة علماء ذلك القرن تجاه بعض العلوم العقلية كالعلوم الفلسفية ـ الفلسفة والمنطق ـ عن النظرة التي كان ينظرها سابقوهم إلى تلك العلوم بل رأينا ما هو أكثر من ذلك وهو اشتغال علماء ذلك القرن بالعلوم التي تنتمي إلى السحر ـ كالأوفاق والزايرجا والحرف وغيرها ـ وكم أن هؤلاء العلماء كانوا يفخرون بالتمكن من هذه العلوم ، وما هو يعد مؤشرا قويا

على أن هؤلاء العلماء نظروا إلى العلم على أنه غاية سامية يجب الوصول إليها مهما تعارض ذلك مع وجهات نظر الآخرين .

ومما وضح لنا من هذه الدراسة ما لقيته الكتابات التاريخية بأنواعها الثلاثة ـ السير، والتراجم، والكتابة التقليدية ـ من النشاط، حتى خيل إلينا أن هناك حركة من البعث والإحياء عاشتها تلك الكتابات وخاصة السير والتراجم وما أمتاز بع علماء ذلك القرن من التزام الدقة المنهجية في أعمالهم التاريخية التي سجلوها وذلك بحرصهم على ذكر المصادر التي نقلوا منها ما سبقهم من أحداث، إضافة إلى ما امتلكوه من رؤى جديدة لتحليل الأحداث التي كانوا يؤرخون لها ، هذا إلى جانب ما حرص عليه كتاب التراجم في تلك الفترة من تركيز جهودهم حول الترجمة للعلماء والشيوخ دون الالتفات إلى الأمراء والسلاطين ، وذلك باعتبار أن العلماء والشيوخ هم القدوة والرمز ، هذا بخلاف ما امتاز به ذلك القرن من وجود عدد من الشخصيات التاريخية والتي جاءت أعمالها التاريخية في الكتابة التقليدية في غاية من الأهمية واعتبرت حلقة وصل هامة للتأريخ عن مصر العثمانية في قرونها الثلاث .

على أن من أهم الأمور التي يمكننا الخروج بها من الجهود الفكرية لعلماء القرن الحادي عشر الهجري (ال١٧ م) في كافة العلوم المختلفة ، أن ذلك القرن امتاز بوجود الكثير من العلماء الموسوعيين الذين كتبوا في كل العلوم أو معظمها ، دون تخصص ضيق كالذي نعيشه الآن .

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق غير المنشوره ـ أرشيف دار الوثائق القومية

أ - الحجج الشرعية

حجة ٣٤٣ ، ٣٦٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ .

ب - دفاتر الرزق الاحباسيه

١- دفتر ١/١٠٥ خارجي، ٥٠٥٣ خارجي، رقم ١٨ نوعى- ٥٠٨٩ خارجى ، رقم ٣ نوعى- ١١٧٥ خارجى، رقم ١٧ نوعى/ ٥٠٥٧ خارجى، رقم ١٩ نوعى/ ٥٠٤٨ خارجى،رقم ١٦ نوعى/ ٥٠٣٧ خارجى ، رقم ٢٢ نوعي/ ٥٠٤٧ خارجى.

ج - سجلات المحاكم الشرعية

سجلات محكمة الاسكندرية

٢- تشمل سجلات ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٧ .تشتل من سنة ١٠جماد الأول سنة ١٠٠٨ الى سنة غاية ربيع الثانى ١١٠١

سجلات محكمة الباب العالى

تشمل سجلات ٥٤، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، وتشمل من سنة ٩ رمضان ١٠٠٩ الى سنة ٦ صفر ١١١٧هـ

سجلات محكمة بولاق

تشمل سجلات ١٩، ٢٠، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٣ ، . تشمل من سنة ٢٦شعبان ١٠٠٢هـ الى ١٨ رجب ١٠٨٣ هـ

سجل محكمة جامع الحاكم

سجل ٥٦٥ ، ٥٦٦، ٥٧٠ ، ٥٧٢ .

محافظ الدشت

٣- محفظة رقم ١٤٢ ، ١٤٣، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦.

سجل محكمة دمياط

تشمل سجلات ٤٢، ٤٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ تشمل من سنة غرة شوال ١٠٠٩ الى سنة ذى القعدة ١٠٩٨هـ

سجلات محكمة القسمة العربية

تشمل سجلات ١٧، ١٨، ٤٠، ٤٢، ٦٧ .

سجلات محكمة القسمة العسكرية

تشمل سجلات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩، ٧٠، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ .

تشتمل من سنة شوال ١٠٠٠ الى ١٥ ربيع الاول ١١٠٠هـ .

سجلات محكمة أسيوط

١٦١ ـ سجل اوقات ومبايتات رقم الفترة من٨ربيع الاول ١١٠٨هـ الى ٢٠جمادى الاخر ١١٣٧ هـ .

سجلات محكمة مصر القديمة

١٦٢ ـ سجل ١٠٢ ، ١٠٤ .

ثانيا : الوثائق المنشورة :

١ـ قانون نامة مصر ، الذى وضعه السلطان سليمان القانوني لحكم مصر ، ترجمة أحمد فؤاد متولى ، الأنجلو المصرية ١٩٨٦م .

ثالثا : المخطوطات .

إبراهيم اللقاني ت ١٠٤١ هـ

- نصيحة الأخوان باجتناب الدخان ، مخطوط بدار الكتب ، فقه مالك ١٧٢، مكيروفيلم ١٤٩٢.

إبراهيم الميموني ت ١٠٧٩ هـ .

- تيسير خالق الأراضي والسماوات بما في أرض مصر من الجوامك والعلوفات مخطوط بدار الكتب ، تاريخ تيمور ١٤١٣ ، ميكروفيلم ٢٨٧٤٧ .

- رسالة في تفسير قوله تعالى " إنا عرضنا الأمانة ..... الآية " ، مخطوط بدار الكتب . تفسير ٤٨٢ ، ميكروفيلم ٤٨٢١٤ .

إبراهيم السوهائي ت ١٠٨٠ هـ

- هداية المشغول لسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ ٥١٢٨ ، ميكروفيلم ١٠٩٣٧ .

إبراهيم الخياري ت ١٠٨٣ هـ

- تحفة الأدباء وسلوة الغرباء – رحلة – ، مخطوط بدار الكتب ، جغرافيا ٢٥٤٥ م ٤٥٨٤٨ .

أبو النصر أحمد المنزلي الشافعي :

- إجازة منه لولده محمد المنزلي ، مخطوط بالمكتبة الأزهرية ، (٥٨٧) الجوهري ٤١٧٩٣ .

أحمد الدميري ت ١٠٢٩ هـ

- قضاة مصر في القرن العاشر وأوائل الحادي عشر ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ تيمور ٢٤٦٣ ، م ١٢٢٨٣ .

أحمد الغنيمي ت ١٠٤٤ هـ

- القول المقبول في الخضر هل هو نبي أم ملك أم رسول ، مخطوط بدار الكتب ، ح ١٢٩٧٠ ، ميكروفيلم ٢٣٠٠٤ .

أحمد بن سعيد العثماني ت ١٠٥٠ هـ

- ذخيرة الأعلام بتواريخ الخلفاء الأعلام ، وأمراء مصر الحكام وقضاة قضاتها في الأحكام من فتحها الإسلامي العمري إلى زمن ناظمها مخطوط بدار الكتب ، تاريخ ١٠٤ ، ميكروفيلم ٥١١١١ .

شهاب الدين أحمد القليوبي ت ١٠٩٦ هـ

- حاشية القليوبي على شرح الأجرومية للشيخ خالد ، مخطوط بدار الكتب ، هـ ٥٨٣١ ، ميكروفيلم ٢٦٧٢١ .

- البدور المنورة في معرفة الأحاديث المشتهرة ، مخطوط بدار الكتب ، ب ٢٣٤٣٨ ، ميكروفيلم ٢٨١٠٤ .

- الهداية من الضلالة في معرفة الوقت والقلبة من غير آلة ، مخطوط بدار الكتب ، فلك ومقيات ٢٠٣ ، ميكروفيلم ٤٣٩٨٤ .

شهاب الدين أحمد الخفاجي ت ١٠٦٩ هـ

- خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا ، مخطوط بالمكتبة الأزهرية ، (٢٨٣) ٦٨٨٨.

أحمد بن عبد الغني الدمياطي ت ١١١٧ هـ

- منتهي الأماني والمسرات في علوم القراءات ، مخطوط بدار الكتب ، قراءات ٧٣ ، ميكروفيلم ٤٠٣٥١ .

بدر الدين القرافي .

- الدرة المنيفة في الفراغ عن الوظيفة ، مخطوط بدار الكتب ، فقه مالك ٣٥٤ ، ميكروفيلم ٥٣٦٣٨ .

بدر الدين المصري ت ١٠٦٢ هـ

- إرشاد آل الصديق إلى أنساب آل الصديق ، مخطوط بدار الكتب تاريخ ٤٠٤ ، ميكروفيلم ٣٤٧٣٧ .

جمال الدين أبو علوي أبو بكر - ١٠٩٣ هـ

- السنا الباهر بتكميل النور السافر ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ ١٥٨٦ ، ميكروفيلم ٣٥٨٢.

حاجي خليفة ت ١٠٦٧ هـ .

- سلم الوصول إلى طبقات الفحول ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ ٥٢ ، ميكروفيلم ١٧٤٢١ .

حسن الشرنبلالي ت ١٠٦٩ هـ

- التحقيقات القدسية والنفحات الرحمانية الحسنية في مذهب السادة الحنفية ، مخطوط بالمكتبة الأزهرية ، ١٦٤٠ .

حسن بن على بن محمد بن عبد الرحمن الجبرتي ت ١٠٩٦ هـ

- موقع عقرب الساعة مرتبا على الشهور القبطية ، مخطوط بدار الكتب ، رياضيات تيمور ٣٤٦ ، ميكروفيلم ٥٠٨٣٢ .

داود الرحماني ت ١٠٧٨ هـ

- التحفة السندسية لمن يشتغل بشرح السنوسية ، مخطوط بدار الكتب ، ب ٢٢٠٥٨ ، ميكروفيلم ٤٨٨٦٢.

رضوان الفلكي ت ١١٢٢ هـ

- معرفة الاجتماع والاستقبال والكسوف والخسوف ، مخطوط بدار الكتب ، ك ٤٠١٩ ، ميكروفيلم ١٨٤١٩ .

سلطان المزاحي ت ١٠٧٥ هـ

- رسالة في القراءات العشر ، مخطوط بدار الكتب، ب ٢٥٣١٧ ، ميكروفيلم ٢١٦٧٠.

شاهين الأرمناوي ت ١١٠٠ هـ

- إجازة منه إلى صالح بن محمد الغربي ، مخطوط بدار الكتب ، ب ٢٣٨٣٩ ، ميكروفيلم ٤٩٣٠٤ .

عبد الحي بن عبد الحق الشر نبلالي :

- إجازة إلى صالح بن محمد المغربي مخطوط بدار الكتب، ب ٢٣٨٣٩، ميكروفيلم ٤٩٣٠٤ .

عبد الرؤوف المناوي ت ١٠٣١ هـ

- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ ٢٦٠ ، ميكروفيلم ٨٤٢٢.

- إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن ، مخطوط بدار الكتب، تاريخ ٣٩٧ ، ميكروفيلم ٤٠٤٠٣.

عبد السلام اللقاني ت ١٠٧٨ هـ

- السراج الوهاج لشرح قصتي الإسراء والمعراج ، مخطوط بدار الكتب حديث ٥٤٢ ، ميكروفيلم ٣٤٠٧٠ .

- الصلح بين الأخوان في حكم إباحة الدخان : مخطوط بدار الكتب، فقه حنفي ٥٩٣، ميكروفيلم ٣٧٨١٦.

عبد الله الدنوشري ت ١٠٢٥ هـ

- رسالة في بيان حكم القهوة ، مخطوط بالمكتبة الأزهريت (٢٩٠٢) مباني ٤٨٣٨١.

عبد الملك العصامي المغربي ت ١٠٣٧هـ

- رسالة في تحريم الدخان ، مخطوط بدار الكتب، فقه تيمور ٦٥٩ ، ميكروفيلم ٢١٥٢٣.

علي بن عمر الميهي ت ١٠٢٤ هـ

- هداية الصبيان لفهم بعض مشكل القرآن ، مخطوط بدار الكتب ، قراءات ٦٤ ، ميكروفيلم

٤٣٨٩٩.

علي أفندي الدفتردار

- الرسالة البيانية في منازل القسطنطينية ، مخطوط بدار الكتب ، جغرافيا ٣٣١ ، ميكروفيلم ٤٥٨٠٣.

علي النبتيتي ت ١٠٦١ هـ

- إرشاد الحائرين لشرح بهجة السامعين ، مخطوط بدار الكتب ، حديث ٥٦٧ ، ميكروفيلم ٤٥٨٠٣.

علي الأجهوري ت ١٠٦٦ هـ

- غاية الكشف والبيان لحل شرب مالا بيغيب العقل من الدخان ، مخطوط بدار الكتب ، فقه مالك ١١١ ، ميكروفيلم ٣٢٢٤٨ .

- النور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ طلعت ١٩١٢ ، ميكروفيلم ١٣٧٩٩.

علي الشبراملسي ت ١٠٨٧ هـ

- حاشية علي المواهب اللدنية ، مخطوط بدار الكتب، الجزء الأول ، حديث ٢٩٤ ، ميكروفيلم ٣٣٥٥٢ .

- إجازة منه إلى صلاح بن محمد الغزي ، مخطوط بدار الكتب، ب ٢٣٨٣٩ ميكروفيلم ٤٩٣٠٤.

عمر الدفري ت ١٠٧٩ هـ

- الدرة المنفية في فقه الإمام أبو حنيفة ، مخطوط بدار الكتب ، ب ٢٢٦٢٠ ميكروفيلم ٥٤٠١٠.

- إجازة منه إلى صالح بن محمد الغزي ، مخطوط بدار الكتب ب ٢٣٨٣٩ ميكروفيلم ٤٩٣٠٤.

- مجهول : غاية البيان فيما يتعلق بالقهوة والدخان من الأحكام ، مخطوط بدار الكتب ، مباحث إسلامية طلعت ٤٠٩ ، ميكروفيلم ١٠٠٨٦.

- مجهول : تاريخ ملوك آل عثمان وولاتهم إلى ولاية علي باشا المتولي عليها ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ تيمور ١٣٧٨ ، ميكروفيلم ٢٨٦٠٧.

محب الدين المحبي ١٠٣٠ هـ

- رحلته التي قام بها إلى مصر ثم رجوعه إلى الشام ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ تيمور ١٣٧٨

، ميكروفيلم ٢٨٦٠٧.

محمد بن أحمد الغيطي المصري ت ٩٨١ هـ

- التأييدات العلية للأوقاف المصرية ، مخطوط بدار الكتب، فقه شافعي ١١٦٢ ، ميكروفيلم ٤٢٨٥.

محمد بن إبراهيم المعروف بابن الصائغ المصري ت ١٠٣٦هـ

- رسالة في حكم طب أهل مصر وفي حكم الفصول الأربعة ، مخطوط بدار الكتب، طب م ٢١، ميكروفيلم ٢٧٦٣.

محمد الشوبري ت ١٠٦٧ هـ

- تعليقات الشوبري على شرح ابن حجر الهيثمي على الأربعين النووية ، مخطوط بدار الكتب، حديث م ٣٠ ، ميكروفيلم ٥١٦٠٥.

محمد بن محمد بن أبي السرور البكري ت ١٠٨٧ هـ

- المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، مخطوط بدار الكتب، تاريخ ١١٠٥ .

- الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ ٢٢١٦ ، ميكروفيلم ١٨٥١١.

- فيض المنان بذكر دولة آل عثمان ، مخطوط بدار الكتب، تاريخ ٥٤٢٥ ، ميكروفيلم ٢٩٣٠٣.

- نزهة الأبصار وجهينة الأخبار ، مخطوط بدار الكتب ، ح ٢٧٢٩٣ ، ميكروفيلم ٥٠٢٠٩.

- الروضة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ ٥٥١٧ ، ميكروفيلم ١٦٤٠.

- الكواكب السائرة في أخبار القاهرة ، مخطوط بدار الكتب ، ح ١٠٤٠٩ ، ميكروفيلم ١٧٤٤.

- عيون الأخبار ونزهة الأبصار ، مخطوط بدار الكتب في ثلاثة أجزاء ، ح ٢٧٢٨٩ ، ميكروفيلم ٥٠٤٠١ – ح ١٧٢٨٩ ميكروفيلم ٥٠٢٠٧ – ح ٢٧٢٩١ ميكروفيلم ٤٥٨٥٢.

- قطف الأزهار من الخطط والآثار ، مخطوط بدار الكتب ، جغرافيا ٤٥٧ ميكروفيلم ٤٥٨٥٢.

- القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر في لغة العرب ، مخطوط بدار الكتب ، لغة ٦٤٠، ميكروفيلم ١٨٣٧.

محمد البهوتي ت ١٠٨٨ هـ

- التحفة الظريفة في السيرة النبوية ، مخطوط بدار الكتب ، تاريخ ٤٠٥، ميكروفيلم ٣٤٨٧٣.

محمد بن عبد الله الخرشي ت ١١٠١ هـ

- الأنوار القدسية في حل ألفاظ عقيد السنوسية ، مخطوط بدار الكتب ب ٢٣٣٣٣ ، ميكروفيلم ٢٤٨٣٧.

محمد الأمين فضل الله المحبي ت ١١١١ هـ

- قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل ، مخطوط بدار الكتب ، لغة تيمور (٢٩٥) ، ميكروفيلم .

- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ، مخطوط بالمكتبة الأزهرية في أربعة أجزاء ، (٢٤٤) أباظة ٦٨٤٩.

محمد النشرتي ت ١١٢٠ هـ

- الأنوار الواضحة في السلام والمصافحة ، مخطوط بدار الكتب ، حديث ١٤٠٨ ، ميكروفيلم ٣٥٧٢١.

محمد البديري الدمياطي :

- المشكاة الفتحية على الشمعة المضية في علم العربية ، مخطوط بدار الكتب، نحو ٢٩٧٤ ، ميكروفيلم ١٦٥٧١.

محمد قباقولي زاده

- رسالة في تحريم الدخان ، مخطوط بدار الكتب ، فقه حفني ٢١٣٧٠ ميكروفيلم ٤٢١٤٥.

محمد الوالي بن سليمان بن إبراهيم

- غاية الكشف والبيان في تحريم شرب الدخان ، مخطوط بدار الكتب ، ب ٣٨١٤٦ ، ميكروفيلم ٢٣٩٤٩ .

محمد بن يوسف جورجي

- صور الفرمانات الصادرة من أمراء الفرنسية في مصري في فترة الثورة ، مخطوط بمكتبة رفاعة بسوهاج .

محمد بن حجازي الحسيني الجرحاوي ت ١٢٨٢ هـ

- تعطير النواحي بذكر من اشتهر من علماء وبعض أعيان مدينة جرجا ، مخطوط بدار الكتب،

في ثلاثة أجزاء ، تاريخ ٢٤٨٧ ميكروفيلم ٣٥٠٩٦ - تاريخ ٢٤٨٧ ميكروفيلم ١٠٦٤٩ - تاريخ ٢٤٨٧ ميكروفيلم ٤٧٩١٢.

مدين القوصوني ت ١٠٤٤ هـ

- قاموس الأطباء وناموس الأليا في المفردات مخطوط بدار الكتب، في ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول طب ١٣٣٢ ، ميكروفيلم ٥٨٣٨٤.

- تكملة شرح الأسباب والعلامات ، مخطوط بدار الكتب، ل ٥٠٧٧ ميكروفيلم ٢٣٣٤٥.

مرعى الحنبلي ت ١٠٣٣ هـ

- نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين ، مخطوط بدار الكتب ، ح ١١٧٠٦ميكروفيلم ٣٧٧٥.

- قلائد العقيان في فضائل آل عثمان ، مخطوط بمكتبة رفاعة تاريخ ٦٠ .

- تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين ، مخطوط بدار الكتب ح ٧٧٢٩ ميكروفيلم ٢٣٣٣٣.

- تحقيق البرهان في شأن الدخان ، مخطوط بدار الكتب فقه تيمور ٤٦٢ ، ميكروفيلم ٢٣٨٩٥.

- منية المحبين وبغية العاشقين ، مخطوط بدار الكتب ، أدب طلعت ٤٦٤٨ ، ميكروفيلم ١٨٧٠٠.

- غذاء الأرواح في المحادثة والمزاح ، مخطوط بدار الكتب، أدب تيمور ٦٦٦ ميكروفيلم ٢٣٦٥.

مراد شاوش الرومي الأزهري ت ١٠٤٦ هـ

- كنز المفيض الأنور في ذكر نبذة يسيرة من فضائل الجامع الأزهر ، مخطوط بدار الكتب ٨٠٩٠ ميكروفيلم ٥٠٣٥٩ .

مصطفي فتح الله الحموي ت ١١٢٣ هـ

- فوائد الإرتحال ونتائج السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر مخطوط بدار الكتب، في ثلاثة أجزاء تاريخ ٣١٨٧ ميكروفيلم ٣٥٩٠٠ - ٣٥٣٢٩ - ٣٥٨٩٩ .

مصطفي الصفوى القلعاوي :

- صفوة الزمان فيمن تولي على مصر من أمير أو سلطان ، مخطوط بدار الكتب ، ح ٢٠٤٥٠ ، ميكروفيلم ٢٣٨٣٤.

منصور السمانودي

- تحفة الطالبين في تجويد كتاب رب العالمين ، مخطوط بدار الكتب، ب ٢١٣٧٠ ميكروفيلم ٤٨٧٦٦.

نور الدين نوح بن مصطفي الرومي ت ١٠٧٠ هـ

- رسالة في الآداب مخطوط بدار الكتب، ب ١٠٢٢ ميكروفيلم ٣٢٢٨ .

يوسف الجنيدي الخليلي

إجازة منه إلى صلاح بن محمد الغزي ، مخطوط بدار الكتب ، ب ٢٣٨٣٩ ، ميكروفيلم ٤٩٣٠٤.

رابعا :المصادر المنشورة :

- القرآن الكريم .
- إبراهيم بن أبو بكر الصوالحي العوفي : الصواعق في واقعة الصناجق ، وتحقيق ، د. عبد الرحيم عبد الرحمن ، المعهد الفرنسي بالقاهرة ١٩٨٦م .
- ابن زنبل أحمد الرمال : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩١م .
- أبو عمر محمد بن يوسف المصري ، المعروف بـ الكندي : الولاة وكتاب القضاة ، ط الفاروق الحديثة .
- أبو بكر العياشي : رحلة طبع الجزائر ١٢١٦ هـ - ١٨٠١م .
- أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ،٤ أجزاء في مجلدين ، دار الكتب العلمية ببيروت ١٤١٨ - ١٩٩٧م .
- (شهاب الدين) أحمد الخفاجي : ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، ط مطبعة بولاق القاهرة ١٢٧٣م .
-... عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي : ٨ أجزاء ، ط دار الطباعة الخديوية
-... درر الغواص في أوهام الخواص : ط مطبعة الجوانب القسطنطينية ١٢٩٠ هـ - ١٨٨١م .
-... شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل : المطبعة الوهبية القاهرة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٥م.

-... طراز المجالس : المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م.

- (شهاب الدين) أحمد القليوبي : نوادر القليوبي ، ط محمد أفندي مصطفي ، القاهرة .

- تذكرة القليوبي ، ط المطبعة الشرقية ، القاهرة ١٣٠٤ هـ .

- تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطايب ، مطبعة محمد أفندي مصطفي ، القاهرة ١٣٠٧هـ .

- أحمد بن عبد اللطيف المعروف بـ (البشبيشي) : التحفة السنية بأجوبة الأسئلة المرضية ، ط مطبعة الحجر ، القاهرة ١٢٧٨ هـ - ١٨٦١ م.

- أحمد شلبي بن عبد الغني : أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن ، مكتبة الخانجي ١٩٧٨م.

- أحمد كتخدا عزبان الدمرداش : الدرة المصانة في أخبار الكنانة ، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن ، المعهد الفرنسي ، القاهرة ١٩٨٩م .

- أحمد بن الحاج أبو علي كاتب الشونة : كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية ، تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل ، ط دار أحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ١٩٦١م .

- جمال الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بـ (ابن تغري بردي) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء السادس ، ط المؤسسة المصرية العامة ، بمطابع كوستاتسوماس .

- جلال الدين عبد الرحمن الخضيري ، المعروف بـ (السيوطي) : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أ و الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ١٩٩٨م .

- حسين أفندي الروزنامجي : ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية ، نشر وتحقيق محمد شفيق غربال ، بعنوان مصر علي مفرق الطرق ، مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، عدد مايو ١٩٣٦م .

- خير الدين الزركلي : الأعلام ، الجزء الثالث ، ط دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٠/٩م .

- عبد الغني بن إسماعيل النابلسي : الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠م .

- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٧م .

- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل المعروف بـ (ابن كثير الدمشقي) : جامع المسانيد والسنن

، الهادي لأقوم سفن ، تحقيق د. عبد الملك بن عبد الله ابن دهيني .

- محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي : فوات الوفيات ـ وهو ذيل على وفيات الأعيان لأبن خلكان ـ تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٥١م.

- محمد بن أحمد الحنفي المصري المعروف بـ (ابن أياس): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق.محمد مصطفي ، القاهرة ١٩٨٤م.

- محمد بن عبد المعطي الإسحاق : لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر أرباب الدول ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة ١٩٩٨م.

- محمد بن أبو السرور البكري: كشف الكربة عن رفع الطلبة ، نشر وتحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن،مجلة الجمعية التاريخية ، المجلد الثالث والعشرون ،١٩٧٦م.

- النزهة الزاهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، تحقيق عبد الرازق عبد الرازق عيسي، دار العربي للتراث.

- محمد البرلسي السعدي: بلوغ الأرب برفع الطلب ، نشر وتحقيق د.عبد الرحيم عبد الرحمن، مجلة الجمعية التاريخية ، المجلد الرابع والعشرون ١٩٩٧م.

- محمد الشوبري : رسالة في كرامات الأولياء ، المطبعة الأميرية ببولاق ،القاهرة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠.

- محمد الأمين فضل محب الله المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، أربعة أجزاء ، المطبعة الوهبية بمصر المحمية ، ١٢٨٤هـ.

- محمد ضيف الله بن محمد الجعلي الفضلي: الطبقات ، المطبعة المحمودية ، القاهرة ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م.

- مرعي الحنبلي : بديع الإنشاء والصفات في المكتبات والمرسلات مطبعة الحجر، القاهرة ١٢٧٥هـ ـ ١٨٥٨هـ .

- المولي مصطفي بن عبد الله القسطنطيني الرومي المعروف بـ (حاجي خليفة) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، اربعة أجزاء في مجلدين دار الفكر ، بيروت ١٩٨٧م.

- منصور البهوتي الحنبلي : كشف الإقناع عن متن الإقناع ، ثلاثة مجلدات ، المطبعة الشرقية بالقاهرة١٣١٩هـ ت ١٩٠١م.

- ولي الدين عبد الرحمن المعروف بـ(ابن خلدون):المقدمة ، المطبعة البهية ، القاهرة ، وأخري تحقيق درويش الجويد، المكتبة العصرية ، بيروت ٢/١٩٩٦م.

- يوسف الشربيني : هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف ، نشر محمد قنديل البقلي ، بعنوان قريتنا المصرية قبل الثورة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣م.

- يوسف الملواني الشهير بـ(ابن الوكيل) : تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب وتحقيق عبدالرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٨٧م .

خامساً : المراجع العربية .

- أحمد أمين : فجر الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.

-...ضحي الإسلام: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.

- أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية ، مكتبة النهضة العربية للقاهرة ١٩٧٣م.

- أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، مكتبة النهضة القاهرة ١٩٣٨م.

- أحمد السعيد سليمان:تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل،دار المعارف ،القاهرة ١٩٧٩م.

- أحمد عيسي: معجم الأطباء ، دار الرائد العربي ، بيروت.

- إسماعيل باشا البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل علي كشف الظنون مجلدان في دار الفكر بيروت ١٩٨٧م.

- هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، مجلدان دار الفكر ، بيروت ١٩٨٧م.

- أسماء فهمي: مبادئ التربية الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٧م.

- إلهام ذهني : مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩١م.

- الأب الكسيس مالون اليسوعي:الجامع الأزهر نبذة في تاريخه وتعليمه ، مجلة الشرق ، عدد٢، سنة ١٩٠١م.

- توفيق الطويل : التصوف في مصر إبان العصر العثماني ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد رقم (٢١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

- جورجي زيدان : تاريخ الآداب العربية ، دار الهلال، القاهرة ١٩٣١م.

- حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية،مكتبة النهضة العربية ، القاهرة٢/١٩٦٣م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور : العلم بين المسجد والمدرسة ،بحث ضمن كتاب. تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ـ سلسلة تاريخ المصريين العدد (٥١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م.
- السيد رجب الحراز : المدخل إلي تاريخ مصر الحديث ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٠م.
- السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٧م.
- شوقي ضيف : المدارس النحوية ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٢م.
- البلاغة وتطور التاريخ : دار المعارف القاهرة ١٩٧٢م.
- صلاح هريدي : دراسات العرب الحديث . القاهرة ١٩٩٧م.
- التعليم في مصر في القرن الخامس عشر ، الإسكندرية ١٩٩٩م.
- عاصم الدسوقي : مجتمع علماء الأزهر في مصر ١٨٩٥ـ١٩٦١م دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٩م.
- عبد الجواد صابر إسماعيل : مصر تحت الحكم العثماني ، مطبعة الحسين القاهرة ١٩٨٩م.
- دور الأزهر السياسي في مصر إبان الحكم العثماني ، مكتبة وهبة.
- عبد الحكيم نعناع : المنار في علوم البلاغة ، ط المطابع الأميرية ١٩٩٢م.
- عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الريف المصري في القرن الثامن عشر ، ط جامعة عين شمس ١٩٧٤م.
- فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، سلسلة تاريخ المصريين ، عدد (٣٨) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
- عبد العزيز الشناوي : الأزهر جامعا وجامعة ، جزءان ، مكتبة الأنجلو القاهرة ١٩٨٣م.
- عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر (في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩/٢م.
- عبد الله محمد عزباوي : المؤرخون والعلماء في مصر في القرن الثامن عشر ،سلسلة مصر النهضة، عدد (٥٣) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية.

- عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلي العصر الحديث ، مطبعة السبكتي بالأزهر ١٩٥٣/١م.

- عشماوي عثمان عبود : المهذب في مصطلح الحديث ، ط مطابع دار الشعب ١٩٨٧م.

- عفاف مسعد السيد العبد : دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩م) سلسلة تاريخ المصريين ، عدد (١٧٩) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠هـ .

- على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧/٢م.

- على عبد الواحد وافي : لمحة في تاريخ الأزهر، مطبعة الفتوح القاهرة ١٩٣٦م.

- على محمد حسن : تاريخ الأدب في العصرين العثماني والحديث، الهيئة العامة للشئون الأميرية ١٩٩٩م.

- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ، ط مؤسسة الرسالة ١٩٩٣م.

- عمر الإسكندري، وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلي قبيل الوقت الحاضر، مراجعة : الكبتن أ.ج سفدج . مكتبة مدبولي ١٩٩٠.

- ليلي عبد اللطيف : دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ١٩٧٩م.

- محمد عبد الله عنان:تاريخ الجامع الأزهر ، ط لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٤٢م.

- ...مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ الإسلامي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- محمد أنيس: مدرسة التاريخ الإسلامي ، ط دار الجبل القاهرة ١٩٦٨م.

- عبد المنعم خفاجي:الأزهر في ألف عام ، المطبعة المنيرية بالأزهر ١٩٥٥م.

- محمد محمد عاطف غيث : القرية المتغيرة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢م.

- محمد عفيفي: الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر العصر العثماني ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد (٤٤) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م.

- ...الأقباط في العصر العثماني ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد (٥٤) الهيئة العامة لكتاب ١٩٩٢م.

- محمد عبد السميع عثمان : أسس علم الاجتماع المفاهيم ، والقضايا.

- محمد مصطفي شلبي : أصول الفقه الإسلامي ، ط الدار الجامعية للطباعة والنشر ١٩٩٨م.

- محمد صالح محمد السيد: مدخل إلي علم الكلام ، دار قباء ٢٠٠٠م.
- محمد سليمان: دور الأزهر في السودان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
- محمد عبد الجواد : حياة مجاور في الجامع الأحمدي، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧م.
- محمد سيد كيلاني: الأدب المصري في ظل الحكم العثماني ، دار القومية العربية ١٩٦٥م.
- مجدي جرجس : بحث عن إبراهيم الناسخ والثقافة القبطية في القرن ال ١٨م، ضمن مطبوعات المعهد الفرنسي.
- مصطفي محمد رمضان : تاريخ الإصلاح في الأزهر في العصر الحديث ، دار الوفاء ، القاهرة ١٩٨٤م.
- محمود صالح منسي : معالم تاريخ الشرق الإسلامي في العصور الحديثة .
- محمود حسن مخلوف ، بحث بعنوان قضايا تاريخية في البلاغة العربية ١٩١٥م.
- ناصر أحمد إبراهيم : الأزمات الاجتماعية في مصر ـ في القرن السابع عشر ـ دار الأفاق العربية ، القاهرة ١٩٩٨م.
- يونان لبيب رزق ، محمد زين : تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م.

سادساً: المراجع المعربة :

- أندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة ، ترجمة لطيف فرج ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٩٤م.
- بيادر دوج : الأزهر في الف عام ، ترجمة د. حسين فوزي النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.
- بيتر جران : الجذور الإسلامية للرأسمالية مصر ١٧٦٠ ـ ١٨٤٠م، ترجمة محروس سليمان مراجعة رءوف عباس ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٩٢م.
- دانييل كريسيليوس : بحث بعنوان : ظهور شيخ الإسلام باعتباره الزعيم الديني البارز في مصر، ضمن كتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ١٩٦٩م.
- جولد تسهير: مقالة من كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مطبعة الاعتماد . القاهرة ١٩٤٠م.
- جريجور شرباتوف : بحث قدمه عن معجم يوسف المغربي . دفع الإصر عن كلام أهل مصر ـ ضمن ندوة الأبحاث الدولية لتاريخ القاهرة مارس ١٩٦٩م.

- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، العصر العثماني ، ترجمة د. عمر صابر عبد الجليل ، مراجعة د. محمود فهمي حجازي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م.

- لانكريه : النظام المالي والإداري في مصر في العصر العثماني ، وصف مصر الجزء الخامس ، ترجمة زهير الشايب ، دار الشايب ، القاهرة ١٩٩٢م.

- نيللي حنا : تجار القاهرة في العصر العثماني ، ترجمة د. رءوف عباس ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٩٧م.

سابعًا: الرسائل العلمية :

- عبد الله غزباوي : الحركة الفكرية في مصر في القرن الثامن عشر ، رسالة دكتوراة غير كاملة النشر ، كلية الآداب عين شمس ١٩٧٦م.

- ليلي عبد اللطيف أحمد : الإدارة في مصر في العصر العثماني ، رسالة دكتوراة أجيزت من كلية الآداب ، جامعة عين شمس ١٩٧٥م.

- محمد صبري محمد يوسف : دور المتصوف في تاريخ العصر العثماني ، رسالة ماجستير أجيزت بكلية الآداب بسوهاج ، فرع أسيوط ١٩٩٢م.

ثامنًا : الفهارس :

- فهرس المخطوطات بدار الكتب.

- فهرس المكتبة بالأزهر .

- فهرس مكتبة رفاعة بسوهاج .

المحتويات

صدر فى هذه السلسلة

١- الأصول التاريخية لمسألة طابا ، دراسة وثائقية .
د. يونان لبيب رزق .
٢- مجمع اللغة العربية ، دراسة تاريخية .
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى .
٣- التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين دراسة فى فكر الشيخ محمد عبده
د. زكريا سليمان بيومى .
٤- الجذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية فى العصر الحديث .
د. محمد كمال يحيى .
٥- رؤية فى تحديث الفكر المصرى ، الشيخ حسين المرصفى وكتابة رسالة الكلم الثمان مع النص الكامل للكتاب.
د. احمد زكريا الشلق .
٦- صياغة التعليم المصرى الحديث ، دور القوى السياسية والاجتماعية والفكرية ١٩٢٣-١٩٥٢.
د. سليمان نسيم .
٧- دور مصر فى افريقيا فى العصر الحديث .
د. شوقى عطا الله الجمل .
٨- التطورات الاجتماعية فى الريف المصرى قبل ثورة ١٩١٩ .
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد .
٩- المرأة المصرية والتغيرات الاجتماعية ١٩١٩ - ١٩٤٥ .
د. لطيفة محمد سالم
١٠- الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان، دراسة فى العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية ١٨٢١ - ١٨٤٨ .
د. نسيم مقار .
١١- حول الفكرة العربية فى مصر ،دراسة فى تاريخ الفكر السياسى المصرى المعاصر .
د. فؤاد المرسى خاطر .
١٢- صحافة الحزب الوطنى ١٩٠٧ - ١٩١٢، دراسة تاريخية.
د. يواقيم رزق مرقص .
١٣- الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور .
د. سامية حسن ابراهيم .
١٤- العلاقات المصرية السودانية ١٩١٩ - ١٩٢٤.
د. أحمد دياب .
١٥- حركة الترجمة فى مصر فى القرن العشرين .
د. أحمد عصام الدين .
١٦- مصر وحركات التحرر الوطنى فى شمال أفريقيا .

د. عبد الله عبد الرازق ابراهيم .
١٧- رؤية في تحديث الفكر المصرى، دراسة فى فكر أحمد فتحى زغلول.
د. أحمد زكريا الشلق .
١٨- صناعة تاريخ مصر الحديث ، دراسة فى فكر عبد الرحمن الرافعى.
د. حمادة محمود إسماعيل .
١٩- الصحافة والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٥- ١٩٥٢، من ملفات الخارجية البريطانية .
د. لطيفة محمد سالم .
٢٠- الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨ .
د. عادل حسن غنيم .
٢١- الجمعية الوطنية المصرية سنة ١٨٨٣،جمعية الانتقام.
د. زين العابدين شمس الدين نجم .
٢٢- قضية الفلاح فى البرلمان المصرى ١٩٢٤ - ١٩٣٦
د. زكريا سليمان بيومى .
٢٣- فصول في تاريخ تحديث المدن فى مصر ١٨٢٠ - ١٩١٤ .
د. حلمى أحمد شلبى .
٢٤- الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا .
د. شوقى الجمل .
٢٥- تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ - ١٩١٤ .
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد .
٢٦- جمعية مصر الفتاه ١٨٧٩، دراسة وثائقية .
د. على شلش .
٢٧- السودان فى البرلمان المصرى ، ١٩٢٤ - ١٩٢٦ .
د. يواقيم رزق مرقص .
٢٨- عصر حككيان
د. أحمد عبد الرحيم مصطفى .
٢٩- صغار ملاك الأراضى الزراعية فى مديرية المنوفية ١٨٩١ - ١٩١٣ .
د. حلمى أحمد شلبى .
٣٠- المجالس النيابية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى .
د. سعيدة محمد حسنى .
٣١- دور الطلبة فى ثورة ١٩١٩ .
د. عاصم محروس عبد المطلب .
٣٢- الطليعة الوفدية والحركة الوطنية ١٩٤٥ - ١٩٥٢ .
د. إسماعيل محمد زين الدين .
٣٣- دور الاقاليم فى تاريخ مصر السياسى .

د. حمادة محمود إسماعيل .
٣٤- المعتدلون فى السياسة المصرية .
د. أحمد الشربينى السيد .
٣٥- اليهود فى مصر .
د. نبيل عبد الحميد سيد أحمد
٣٦- مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .
د. الهام محمد على ذهنى .
٣٧- المعتدلون فى السياسة المصرية .
ماجدة محمد حمود .
٣٨- مصر والحركة العربية .
د. محمد عبد الرحمن برج .
٣٩- مصر وبناء السودان الحديث .
د. نسيم مقار .
٤٠- تطور الحركة النقابية للمعلمين المصريين ١٩٥١ - ١٩٨١ .
د. محمد أبو الاسعاد .
٤١- الماسونية فى مصر .
د. على شلش .
٤٢- القطن فى العلاقات المصرية البريطانية ١٨٣٨ - ١٩٤٢ .
د. عاصم محروس عبد المطلب .
٤٣- المفكرون والسياسة فى مصر المعاصرة .
د. محمد صابر عرب .
٤٤- السودان فى البرلمان المصرى .
د. يواقيم رزق مرقص
٤٥- طوائف الحرف فى مصر ١٨٠٥ - ١٩١٤ .
د. عبد السلام عبد الحليم عامر .
٤٦- مصر ومنظمة المؤتمر الاسلامى ١٩٧٩ - ١٩٨٧ .
د. عبد الله الأشعل .
٤٧- السياحة فى مصر خلال القرن التاسع عشر ١٨٩٨ - ١٨٨٢، دراسة فى تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى .
د. السيد سيد أحمد توفيق دياب .
٤٨- حوادث مايو ١٩٢١، صفحة مجهولة من ثورة ١٩١٩.
د. حمادة محمود اسماعيل .
٤٩- حدود مصر الغربية، دراسة وثائقية .
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد .
٥٠- الدور الأفريقى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

د. شوقى الجمل .
٥١- مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرن التاسع عشر ١٨٠٥ - ١٨٧٩ .
د. الهام محمد على ذهنى .
٥٢- الصحافة المصرية والحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال ١٨٨٢ - ١٩٢٢ .
د. رمزى ميخائيل .
٥٣- المؤرخون والعلماء فى مصر فى القرن الثامن عشر .
د. عبد الله محمد عزباوى .
٥٤- الحزب الديمقراطى المصرى ١٩١٨ - ١٩٢٣.
د. أحمد زكريا الشلق
٥٥- الخطاب السياسى الصوفى فى مصر
د. محمد صبرى الدالى
٥٦- الطيران المدنى فى مصر
د. عبد اللطيف الصباغ
٥٧- تاريخ سيناء الحديث
د. صبرى العدل
٥٨- الجسد والحداثة: الطب والقانون في مصر الحديثة
د. خالد فهمى
٥٩- مصطفي النحاس رئيساً للوفد
د. مختار أحمد نور
٦٠ - الفرنسيون فى صعيد مصر
د. ناصر أحمد إبراهيم
٦١- حزب الكتلة الوفدية
د. منصور عبد السميع منصور
٦٢- الجريمة فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين
د.عبد الوهاب بكر
٦٣- عبد الناصر و السياسة الخارجية الأمريكية
د. محمد عبدالوهاب سيد احمد
٦٤- المازنى سياسياً
د.حمادة محمود إسماعيل
وبين يديك العدد (٦٥)
٦٥- قبل أن يأتى الغرب...
الحركة العلمية فى مصر فى القرن السابع عشر
ناصر عبدالله عثمان